

القسم الثاني
من شرح نهج البلاغة

بحوث وآراء

ببعض الواقع والحضارة الزمنية

مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية

نهج البلاغة في معارفه وفنونه

تأليف المفتقر إلى رحمة مولاهو العنق محمد الكرمي

عن عنده

١٣٩١

المطبعة الغليية بقم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلوة والسلام على انبيائه الكرام و اوصيائهم العظام لاسيما خاتمهم
محمد وآله عليهم الصلاة والسلام. اما بعد فهذا الجزء الذي بين يديك
هو ثاني اجزاء شرحنا الموضوعي على نهج البلاغة تقدمه للقراء بعد
مرور سنتين على طبع الجزء الاول حامدين لله و راجين الفسحة للعمير
حتى تتلاحق بقية اجزاء هذا الشرح النفيس في عالم الظهور والله هو
المساعد و المعين .

٣- نهج البلاغة في المواعظ والزواجر

ان لامير المؤمنين علي عليه السلام في المواعظ و الزواجر خطباً هيمنت على افسى النفوس فامتلكتها بلا اختيار ولاغرابه فانه عليه السلام طرح فيها انواعاً من المثل العالية بحيث لا تتلى على انسان الا وتأخذه رعدة في جميع مفاصله وتتأثر لسماعها جميع مشاعره ويجب لها قلبه وينضع لسلطانها اليه - ولاجرم - فانها ليست صياغة الفاظ فقط او تجويداً في سبك التراكيب فحسب او اصفاً لا تشف الاعن قوة خيال بل هي عصارة روح عالية و جوهر حقيقة صافية اودع فيها ناطقها افلاذ كبده وأشع عليها من انوار عقله وكبسها بما عرف من المعارف وما أوتى من المواهب وما حصله من التجارب وما أشر الله به مثله من رواد الحقائق حيث ازال عنهم حجاب المادة فتوغلوا في شهود الحقيقة وعرفوا ان الحياة الفاضلة للانسان وراء ما يهدف اليه جماعة الناس من حب الجاه والمال والنكالب على الشهوات والتدافع على نيل الرغبات من اى طريق حصلوا بها هي الحياة القائمة على المثل الرائعة والصفات البارعة وان الانسان لا يجوز له أن يحسب نفسه من الدواب سواء كان قائلاً بمبدأ يقىء اليه العبد فيجزيه على احسانه احساناً وعلى اسائه اسائة لم يكن قائلاً بذلك وان كان هذا مجرد فرض لم تتحققه في مثالي طلع الى الوجود من البشر:

وانما عممنا هذا الملاك لان شعور الانسان قاض بلزوم السلام العام والاتفاق والوئام ووجوب التعاون والتضامن والاحسان الى كل ذي كبد رطبة والصدق والرفق والحياء والوفاء والمؤاخاة والمواساة حتى يجيء الاجتماع من طريق ذلك هادئاً مرتاحاً لا يشكو فيه احد من احد ولا تثقل فيه الحياة على ذي روح وان التخلف عن هذه الملاكات موجب للعذاب المستمر والانهيار المحتم والقلق الدائم والحياة الفاسدة والمعيشة المضطربة والهباج الذى لانطاق الإقامة عليه وكل هذه التموجات العارمة فى الحياة البشرية نتيجة اعطاء التوازن من اليد بما عاد معه الانسان من أضرى حيوانات الكون فلا تراها من جراء

هذه العقدة النفسية الا عابثاً مفسداً مخرباً متحيزاً للباطل طالباً للاطاحة بكل موجود جانياً ما استطاع الى الجناية فعلا ولا غرابة اذا شأهت منظره العالم في عين اغلب افراده فحسبوا الحياة من اعظم الموبقات التي افترنت بهم و أطالت ضرائهم و بأسائهم والحق معهم في ذلك فان لكل ذي روح مستدعيات طبيعية اذا لم تحصل له فقد طال من سببها عذابه و استمر اضطرابه و الصبر و التحمل انما يعقلان في حدود صحيحة قابلة للمضغ لامطلقاً :

وعلى هذا الاساس يعود كل من يسافر في الكون ليقف على ما جرى فيه آسفاً مجروح العاطفة كارهاً للحياة والاحياء جميعاً لما يرى من الوان الشقاء التي تنبوعنها النفس و تمجها الروح و تستقذرها العاطفة الانسانية :

اما المثاليون فقد رصدوا أنفسهم لتقليل هذه الوبلات بتعديل الروحيات في مجارى الحياة و ضربوا للانسان الامثال الراهنة على ما دعوه اليه من الخطط والنماذج وقالوا له لا يخلو الانسان من احدى حالتين قطعاً فاما يحاول الحياة الدنيوية ليسعد فيها واما يضيف الى ذلك ما نطق به الله من الحياة الثانية في النشأة الاخرية وهو على محاولته الاولى او الثانية لا يستطيع ان يحيى كما يرغب الا بتحديد خطواته و تعديل روحياته وذلك لا يكون الا بتطبيق حركاته و سكناته على محاسن الاخلاق و لانعاب عليه في ذلك الا في اول رياضته و متى مرت نفسه على ذلك اعتاد و لامشقة مع العادة في كل شيء :

وليس المنظور بالدعوة الى الزهد في الدنيا الا ذلك للمعلم القاطع بان حركات الانسان اذا تركت هي و ما صادفت و نفسه اذا افلتت في هذا الفضاء الواسع من غير رصيد عليها جاء الانسان يتخبط من ناحيتيهما في الحزن و السهل و في الحزن مشاكل و عقبات و في السهل مجاهل و متاهات و مع عدم الرصيد الواعي و الرقيب الهادي اذا تورط السالك في المشاكل و المجاهل راح منها ضحية خبطه فيعود من اشقى الوجودات الحية في حياته و أضياعها بعد ممانته :

وحقاً ان المثاليين في بنى آدم اتعبوا انفسهم في مصالحة اخوانهم قسعد بهم من سعد و هو القليل و انحرف عنهم من انحرف و هو الكثير و بهذه الكثرة التافهة شأهت منظره الحياة

فطلعت في وجه عابس رغم ما فيها من ظواهر خلافة وطلاوة جذابة الا انها لما كانت قشراً لااب فيه للاعم الاغلب من الناس لم يكن لها اي وقع في قلوبهم لا فلاسهم من كافة بركايتها وابتلائهم ببلايا جملة اذهلتهم عن استشفاف هذه المرائي الاخلافة : فمع تمام الاسف حيث ضاعت تعاليم هؤلاء الاوفياء لاخوانهم من البشر ولم يستفد منها الا رقم ضئيل : و من تلك الخطب ما جاء في نهج البلاغة وغيره ان صاحباً لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني انظر اليهم فتناقل عليه السلام عن جوابه ثم قال يا همّام اتق الله وأحسن (فان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون) فلم يقنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه بحمد الله واثني عليه ووصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال عليه السلام :

اما بعد فان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمنّا من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاد ولا تنفع طاعة من اطاعه فقسم بينهم معائشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منقطعهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيمهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ولولا الاجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر مادونه في اعينهم فهم والجنة كمن قدر آها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قدر آها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة و اجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة و انفسهم عفيفة صبروا اياماً قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم فقدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً يحزنون بدانفسهم ويستشيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامح قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على او ساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم وأطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار

اتقياء قدبراهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض و يقول لقد خولطوا و لقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكسى احد منهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسى من غيرى وربى اعلم بى منى بنفسى اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون واجعلنى افضل مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون :

يقال اتقاه يتقيه اذا خاف منه ولا حظ جانبه وقد تخصصت كلمة التقوى فى الاصطلاح بمن يخاف الله فيما منع وحرم ويجتنب الشبهات مخافة ان تدنيه من المحرمات: بل اخذت لها ما بين المتدينين طابعاً خاصاً وهو التحلى باخلاق الله واخلاق انبياء المرسلين وعباده المخلصين

و بعبارة اخرى التقوى فى اللغة هى الخوف و ملاحظة جانب الطرف بتحديد النفس امامه وفى عرف العارف تربية النفس على ادب الشريعة ورياضتها على الاخلاق التى فرع عنها الانبياء وحوار يومهم المترسمون لخطواتهم بداعى تهذيب النفس و تثقيفها بالثقافة النفسية الراقية حتى يكون لها ميز واضح على الحيوانات الهاملة من انسان وغيره والهدف هو التعاطم بالنفس الاتسائية من ترسبها فى حضيض المادة القذرة و نيل مرضاة الله والحصول على المقامات العالية التى اعد لها عباده المتقين: ولا ريب ان هذا الهدف من ارقى الاهداف: والاثار الناتجة عنه ثلاث فصائل :

(الاولى) راحة المتقى فى حياته من متطلبات نفسه وتنزياتها فان النفس الحيوانية البهيمية منى أرسلت فى فضاء رغباتها جاءت تطلب كل شىء حتى تستحيل بها الضراوة الى الجنون المحض او ما هو قريب منه ونظرة واحدة الى ما تصبوا اليه نفوس البهيميين من ملوك وخلفاء وامراء واثرياء مستهترين وما فعلوه ويفعلونه من الهنات النابية عن كل ذوق فى شتى مراحلهم الشهوية تكفيها للاستدلال على ما نقول فالانصراف بالنفس بسد ابواب المفسد والرغبات المادية امامها من اعظم الخدشات لها والاحسان اليها والعطف عليها ولهذا السر طالت بالمتقين أعماهم وخفت على الدنيا حاجاتهم وأمنت غوائل الحياة نفوسهم :

(الثانية) قطعاً متى انشمر احد طرفى التفاعل عن الميدان بقى الطرف الاخر مفرداً لنفسه فلا يعود يتأثر من احدا ويؤثر فيه احد ونتيجة هذا ان الحياة العامة مع التقوى تكون من أيسر الاشياء استمراراً و بقاء للانسان فان هذا التطاحن القائم بين الناس نتيجة التعديت الموجبة لتنازع البقاء ولولاها ما حصل لنا موس تنازع البقاء بين البشر اقل مفهوم فان مفسد الاجتماع على طواه وعرضه من فساد المرء نفسه فاذا صلح صلح الاجتماع بشر اشره :

(الثالثة) الوصول الى الغايات الشريفة من رضوان الله تعالى فى الآخرة واحساس كل انسان من نفسه انه وجود ممتاز له قابلية و ثمن وكل هذه الاثار الثلاثة طافحة على وجود المثاليين فى العالم على قلتهم وجوداً ولذلك كانوا غرراً فى جبين الدهر تعظمهم كافة النفوس و تحببهم كل القلوب وتخضع امامهم حتى فراعنة الاجيال :

هذا هو المنظور بالتقوى وبالعارف المتقى واما اسفاف المتصوفة و انحيازهم بانفسهم الى خرقهم الخاصة و أهازيجهم الشوهاء فذاك خبل او دجل لان كل ظاهرة قدسية لا بد وان تستمد قدسيتها اما من الشرائع السماوية و ممثلها العظام واما من طريق العقول المنحازة عن المادة الى تربية الفضائل الاجتماعية و ليس عند القوم شىء من ذلك على ما طلوعوا به الى الوجود من شذوذ فى العلم والعمل و اندفاعهم الى تشكيلات جافة لا مقيدها من الشرائع و لامن العقول الناضجة اصلا على ان الجهل قد تعدى ببعضهم ان يتعاضم بنفسه حتى على الانبياء وحتى تسفل الوضع بكثيرين من المنتسبين اليهم الى أن يجيئوا من افسق ما خلق الله و اردلهم عملا و اجهلهم بالعلم و موازينه .

ونحن قبل الشروع فى الترجمة عن فصول ما اسلفناه من الخطبة يجب علينا ان نرفع النقاب عن وجه نقاط نظرية ربما يستشكل فيها اوان الموازين العقلية لا تساعد عليها : منها البحث عن دواعى الخلقة : فنقول .

لماذا خلق الله الخلق

جاء في آيات الذكر الحكيم : ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون : ومن الواضح ان العبادة معناها اظهار العبودية و لازم ذلك ان المبدأ الاعلالي غاية مهمة في اظهار المخلوقات عبوديتها لدوان استحضار هذه الغاية كان هو الدافع لاصل الخلقة والحال ان في ذلك مؤاخذات عقلية :

(منها) ان المبدأ الاعلا حسبما استطاعت العقول ان تتوصل الي معرفته وجود قائم بنفسه ازلا وابدأ مستجمع لكافة الصفات العالية اذما من صفة يفرض فيها عاو وارتفاع الالهى موجودة فيه من قدرة جبارة و حاكمة مدهشة وعظمة محيرة للعقول وعلم لا يحد بحد وحكمة خارجة عن حدود السبر والاستقصاء وان كان المبدأ تعالى ذاتاً وصفة لم يتوجه اليه العقل الا من طريق كائناته هذا لأن هذا الطريق كاشف عنه لامحقق لاصل وجوده وكل وجود يفرض في هذه الصفات ويتسم بهذه السمات يكون غنياً عما سواه في جميع انحاء وجوده فكيف تكون غايته من الخلقة هي اظهار المخلوقات خضوعها له و عبادتها اياه فان في ذلك نوعاً من الحاجة الى عبادتها له او نوعاً من اظهار التجبر البعيد عن مقصد الحكيم :

(ومنها) أن اظهار العبودية لا يخلو في عامة صورده من تذلل وخنوع وكل ذلقة وخنوع تأباه العقول المتحررة لنفسها والمبدأ الاعلالي الذي هو غنى في كافة شؤونه عز كل ما سواه وحكيم في كل ما ينتسب له كيف جاز عليه ان يقرن مخلوقاته بالتذلل وان يجعل خلقتها بصورة تحس معها بالذلة التي تستقذرها : نعم المعقول في هذا الباب هو ان يتكلف العاقل من نفسه عبادة من يراه ينعم عليه عفواً ويمده بالمعونة والاحسان ابتداء لأن يكلفه المنعم نفسه وان خف هذا التكليف على من انعم عليه لانه في قبالي احسان مرغوب له مقبول عنده :

(ومنها) ان العبادة لا تخلو من مشقة وان قلنت وليس من الحكمة ايجاد المخلوق

ثم التحميل عليه بما كان منه في راحة و هو في بطون العدم حيث لا شقاء ولا سعادة في عالم الأعدام والذي يتعقل لمقام الحكمة البالغة هو ايجاد المخلوق ليتنعم بالسعادة وحدها وان لا تمر عليه حتى خاطرة الشقاء فضلا عن ما لا يسته :

هذه جملة المحاذير التي تتعقل في هذا الباب بناء على الظهور البدوي الذي يستفاد من الآية المصدر بها البحث : واما حق القضية فهو : ان المبدأ الاعلا كما مر وصفه في غاية الاستغناء عن كل ما سواه لاحتوائه على كافة الكمالات العالية المرموقة المنقطعة النظير وكل وجود يكون بهذه المثابة يجب بالوجوب العقلي عليه ان يبرز آثار عظيمة ليستفاد منها فان قيل لامجال لهذا الوجوب قبل خلق الخلائق اذ لا وجود لمستفيد حينئذ حتى يتقرر من طريقه الوجوب قلنا ذلك وارد لو لم يكن بالاستطاعة تهيئة المادة القابلة للاستفادة ولو كان ذلك ممكناً وجب لاظهار العظمة اللازمة الاظهار فقط بل لا يصل السعادة الى من به ان يستمتع بها فتكون في البين فائدتان احدهما كشف الواقع المهم وثانيتهما جعله في معرض الاستفادة لمن به ان يستفيد وقد تكفل ناحية واحدة من هذا المعنى ما جاء في الاثر : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف : واما الناحية الثانية و هي ان يستفيد المخلوق القابل للاستفادة من هذا الكنز العظيم فمغفولة في الاثر المزبور ولا مانع من أن يكون الشيء الواحد مقدمة وذا مقدمة باعتبارين اثنين احدهما في طول الاخر فيصير ذا مقدمة بعد أن يكون مقدمة :

واما المنظور بالتكاليف كلها عباديتها وغير عباديتها فهو سن النظام لكيفية الاستفادة من جلال ما احتوى عليه وجوده تعالى وما يجلب السعادة للمرء نفسه ولا يشكل بان القادر الحكيم كان بمقدوره ان يجعل الخلائق على صورة تكون معها في غنى عن التدرب والتمرن والتعلم لموجبات السعادة وطرقها فاننا نجد بضرورة عقولنا ان الاكتساب بشيء من العناء الزمن الاكتساب براحة تامة وان نتائج الاجتهاد اهم من مؤاناة الصدق وان ما يحصل من طريق البحث والتنقيب أعلا مما يحصل بالجيلة والغريزة مثلا لا ريب ان العارف باللغة العربية من طريق علومها النظرية اقدر عليها من العارف

بها جبلة فان الجبلة انما تعطيه النطق الصحيح بها مادة واعراباً من دون تمييز لمنشأ المادة ولا لجهة اعرابها باللون الطالعة به:

مثلا العربى القح بالجبلة يطلق لفظ القصم بالفاء على كسر الشىء من غير ان يبين ويطلق لفظ القصم بالقاف على كسره مع البيئونة لكنه غير ملتفت الى جهة ذلك اما الوارد فى اللغة العربية وروداً عن امعان يفهم سر هذا التفاوت بين المعنيين من طريق الفاء والقاف فان القاف شديدة فى لفظها و الفاء لا تملك هذه الشدة وهو محسوس من طريق التناظر والعربى بجبلته لا يغفل ذلك ولكنه لا يتوجه اليه اما الباحث النظرى فهو صاحب التوجه الى هذه النكات ونظائرها وكم من فاصلة بين المعرفة السطحية والعميقة

وفى هذه الدقائق من شحذ الفكرة وتربية الذهن وتثقيف النفس ما لا يخفى اثره فى العقول الناضجة : و ليس فى العبادات حتى المحضة منها ما هو فارغ عن موجب السعادة المرء فى دنياه فضلاً عن آخره امثلاً نفس التدبر فى اذكار الصلاة و اورادها مما يعطى النفس معنوية بها ترفع عن كثير من الرذائل وبذلك تتوفر سعادتها فى هذه الحياة كما جاء فى آيات الكتاب العزيز ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر : و اما النظم الباقية فهى كلها لا رائة طريق المعاش الصحيحة التى تناسب الانسان بما هو انسان اذن فليس فى البين تحميل على المخلوق لغاية خارجة عن حدود نفسه ومعنى ليعبدونى ليطيعونى فيما أريد له سعادة انفسهم وعن هذا المعنى أعرب امير المؤمنين عليه السلام فى خطبته الآنفه الذكر حيث قال : فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه : ومعنى ذلك انه تعالى فى نفسه غنى عن طاعتهم لما يوجب سعادة انفسهم وآمن فى نفسه ايضاً من معصيتهم لما يوجب راحتهم و نفعهم و انما لا تضره معصية من عصاه لان كل من دونه عاجز عن تناوله بسوء كما لا تنفعه طاعة من أطاعه لانه مستجمع لجميع موجبات العظمة قبل ان يخلق الخلق بأسرهم و لان المخلوق فى ذاته ضعيف بالنسبة الى خالقه فكيف يستطيع ان ينفعه : اذن فالمحاذير الآنفه الذكر قد انحلت بهذا اللون :

(١) انه ليس المنظور بعبادة الخلق له هو حاجته الى عبادتهم واما المنظور

سعادتهم في انفسهم واما اظهار العلو الواقعي من طريق اعطاء النتائج العالية فهو لدى التحقيق لا يحتاج الى مؤنة ازيد من اعطاء النتائج نفسها فان النتائج العالية هي التي تقوم بأعلاء مقام معطيها :

(٢) واما اظهار العبودية بامثال النظام المقرر لنيل السعادة فليس فيه خضوع الا لسعادة نفس الخاضع و خضوع الانسان لنفسه لازالة فيه قطعاً و فضلاً عن ان العقول المتحررة لا تأبأ بانفس به و تدعو اليه و ليس في الباب تكليف من المنعم بل لزوم الخضوع له من المخلوقات التي انعم عليها جزاء لانعامه بل من أحسن فلنفسه و من أساء فعليها :

(٣) واما ان في العبادة مشقة ولا معنى للتحميل على مخاوق كان في راحة من عناء هذه المشاق حينما كان في بطون العدم فبا لوجدان البشري - من غير ربط بمقام العابد والمعبود - نرى ان الحاصل بالامونة لا وقع له في النفس ومتى قل وقعه قل اقبال النفس عليه وتلذذها به فالمشاق غير المحرجة في سبيل نيل سعادة قطعية الحصول مرغوبة للنفس نعم المشاق المحرجة تتأثر منها و تعدها تحميلاً على العاطفة و من حسن الصدف انه تعالى ما جعل علينا في الدين من حرج : نعم الا حراج حاصل في بعض الامور التكوينية وقد تكلمنا في باب الشبه الموردة على حكمته تعالى عن بعض منها فليراجع ما اسلفناه :

- ونقول ايضاً -

الى اي حد تجيز العقول تفاوت الناس

في ارزاقهم ومقاماتهم

بالعيان المحسوس نرى ان جد اصحاب الهمم في تحصيل المعاش وتركيز الجاه في الكثير من مساعيهم مما يثمر لهم المعيشة الحسنة والجاه المنظور كما نرى ان نوع من يخلد الى البطالة والكسل لا يعيش الا مغموراً من ناحية شخصه ضائقاً من جهة رزقه كما نرى ايضاً ان كثير من المساعي الحازمة لا يثمر جملة من السعي الضعيف

تربو على السعى القوي في نتائجه وثمراته فهل ان هذه القضايا طبيعية محضة وان الجميع وليد صدف طائفة او مانعة او ان كلا من السعى القوي والضعيف اعداد خالص واعطاء النتائج يكون من طريق الغيب: ثم ان فعل الغيب هل هو بالارادة الصرفة غير المعللة بعلة معقولة نظير ان يعطى المعطى منا سائلا يسأله و يمنع الاخر للداع في اعطاء الاول الا لانه سأل ولالحرمان الثاني الا انه لم يشأ أن يعطيه: وبعد أن تكون معقولة فهل يجوز أن تكون معقولة في نفسها ولو لم تنكشف للعقلاء فيكون معنى الحكمة هو تركيز الفعل او الترك على المصالح الواقعية ولو كانت خفية على أنه العقول مستورة على أقدر المشاعر حسا اولابد من انكشافها حتى تسكن أنفس الجميع الى ما قضي عليهم وقدر: كل هذه الترددات يجب فحوصها واقتناص العلم ان امكن اقتناصه من طريق هذه الفحوص :

(١) اما ان ربط المساعي على تفاوتها من قويتها و ضعيفها مثمرها و عقيمها واختلاف ثمرات المثمر منها الى الصدف المحضة فهو امر لا يكاد يتعقل لان المجارى العظيمة المهمة المنتشرة انتشاراً فائناً عن حدود الضبط لا يمكن أيكالها الى الصدفة العمياء فان الصدفة لا تستطيع أن تعلق مجارى العالم كلها : و اصولا الصدفة ليست بعلة والمجارى المشار اليها شؤون ذات حدود قد طفحت على مجموعة الكرة الارضية في شرقها و غربها و بيض افرادها و سودها و مثل هذا لا يحال به الى الصدق الاعتبارية: (٢) و اما انها جارية على ميزان طبيعي خالص فيبطله ان النتائج على هذا الميزان يجب ان تكون طبقا لمقدماتها فالنتائج الكثيرة تابعة للسعى الكثير والمتوسطة للمتوسط والضعيفة للضعيف وان لانتيجة حيث لاسعى لكن العيان المكشوف قد ابطل هذا كله بصور كثيرة جداً لا يجوز أن يعبر عنها بفلتات الصدف فكم من سعى جاد قد اخفق ومتوسط قد جاء بالخير الجزيل غير المترقب ومنكمش في بيته انفتححت في وجهه ابواب رزق واسع غير محتسب وما الى ذلك مما لا يحصى فاذن لاهيزان طبيعيا في البين :

(٣) و اما ان هذه المساعي على تفاوتها المومأ اليه اعداد محض و ترتيب

النتائج عليها قلة وكثرة قوة وضعفاً من فعل فاعل مختار شاء كل حالة بحيالها الى كل انسان بخصوصه فهو في اصل الفكرة معقول الا ان العقل لما تميز طرف الفعل حكيمياً في ابداعه لم يرض ان يذعن للفكرة المذكورة الا بتفسير واضح :

والعقل في حدود قدرته على تفسير المشكلات حلال جملة منها وعجز عن تحليل الباقي : اما الذي استطاع تفسيره وتعليله فهو انه يجد من المعقول اختبار كل شخص من اشخاص المكلفين بما تنكشف به دخاله وروحياته وتثبت به انسانيته وعاقليته و انه ماذا يفعل بالقدرة اذا حصلها وبالعلم اذا حاز عليه وبالمال اذا تمكن منه وبالصحة اذا وجدها وبالعيال والاولاد اذا وقعوا تحت قيمومته وبالعكس ماذا يكون منه اذا عجز وهل يتوجه الى رفع جهله اذا كان جاهلاً وكيف يكون مع الاعواز اذا اقترن به فقر وعلى اى وضع يكون مع المرض وكيف به اذا وقع تحت قيمومة غيره خصوصاً وهو يرى ان الشرائع جعلت للفائزين في هذه المضامير درجات رفعة و علو في النشأة الاخرى .

فلم يعجز العقل انه لم حاز فلان على مقام السلطنة والآخر على كرسى الوزارة والثالث على حكم الامارة والرابع على مفاتيح الكنوز العظيمة والخامس على المال الوفير وان كان دون صاحب الكنوز والسادس على البنية البدنية السالمة في جميع ادوار الحياة والسابع على جمال الخلق والثامن على الزوجة الحسنة الملائمة والتاسع على الحياة الدارجة بهناء : و : و : الى ما هررديف ذلك :

كما لم يعجزه انه لم يصرفلان سلطاناً ولا الآخروزيبراً ولا الثالث اميراً ولا الرابع صاحب كنوز ولا الخامس متمولاً ولا السادس ذا جسامه ولا السابع جميل الصورة ولا الثامن ذا زوجة شكيمة ولا التاسع ذا حياة دارجة بهناء في كافة ادوارها بعد أن يحصل لكل واحد من هؤلاء متطلبات ضروراته الواقعية وحياته التي اقترن بها من غير أن يسببها لنفسه : فهذه التفاوتات كلها قابلة للتفسير والتحليل عنده وغض النظر عن زوائدها ونواقصها :

لكن الذي يعجز العقل هو ما يراه من بؤس البائس لحد الاعجاز لا بتسبب منه

فيرى ان خلقه مثل هذا وتقدير مثل هذا البؤس عليه لان عقل له علة بالمرّة خصوصاً اذا اقترن هذا التقدير بجزع هذا المخلوق من وجوده المعذب ولا يصح الجواب بان مثل هذا يضاعف له الجزاء الحسن في الآخرة فان الافراط والتفريط الخارجين عن حدود المنطق والا غماض ليسا من الحكمة فى شىء اصلاً لكننا اسلفنا ان هذا الطرف من اطراف الخلقة وشؤونها قليل بالنسبة الى غيره الكبير لكنه مع ذلك طلسم لا يحل و ان مستوى العقل البشرى لاشىء بالنسبة الى هذه العوالم القهارة التى لا يمكن تعقلها بالتفصيل لاعظم العقلاء فى طول الاجتماع وعرضه .
- ونقول ايضاً -

اقسام البشر ثلاثة منحرفون : ومعتدلون : وملتقون :

(١) الانحراف معناه هو الشذوذ عن النظام اللازم للحياة وكل شذوذ عن النظام الصحيح جرم والانحراف عن الميزان المعقول جناية وكل جرائم الدنيا و جناباتها وايذة الشذوذ المذكور والانحراف المزبور و كافة الجرائم و الجنائيات من فعل الانسان نفسه تسبباً او مباشرة فان القاتل المتعمد لا يخلو أمره بين أن يقتل صاحبه لغرض شخصى قد دخلتته ميوله واهواؤه الضالة من حسد او رقابة محضة او للاستيلاء على ما يملكه الطرف مع عدم احتياج من القاتل اليه او يكون مبعوثاً عن انسان يحمل مثل هذه الروح الخبيثة ويغريه بقتل انسان مظلوم او يكون المقتول هو الباعث لاقدام طرفه عليه بالقتل وكل هذه الشقوق هى من فعل الانسان نفسه تسبباً مرة و مباشرة اخرى والتسبب كما يكون من غير المقتول يكون من المقتول نفسه و باستطاعة الجميع من المباشر والمسبب أن يقرنوا أعمالهم بالنظام الصحيح فلا يحصل فى البين هضم ولا ظلم ولا هاضم ولا ظالم ولا مهضوم ولا مظلوم : وكافة ما جرى فى الكون او يجرى من عيث و افساد وتخریب و تدمير لا بد وان يكون مرتين بشق من امثال تيك الشقوق التى سردناها .
والانحراف ناشىء اما عن الجهل بمبادئ الفضيلة التى لا تكون الحياة بدونها واما من طريق الاغراء بالجهل اذن فليس الفهم و العلم بمفردهما كافيين لطرد الرذائل عن

المجامع الانسانية بل لا بد من اخلاء الميدان في وجه العلماء الصالحين وطرده كل من يتخذ العلم والفهم وسيلة للاضلال والتجهيل:

مثلا الزمرة الوافرة من سكان المدن قديماً وحديثاً لاتعدم الفهم المتعارف الذي نستطيع من طريقه ان ندرك قبح الرذائل وشرافة الفضائل و ليس الذي يهجم بها على الرذائل و مجانبة الفضائل هو الاشتهاء المجرد فان الرعيل الوافر من الناس لا يعدمون مواقع شهواتهم من الطرق المشروعة كل بحسب بيئته التي يعيش فيها وذوقه الذي يتذوقه الان الذي يميل بهم اكثر عن مواقع الصواب الى مراكز الجهل والافساد هو اغراء اصحاب العاهات النفسية لهم بأن من وظيفة الانسان الشيطان هو مد يده وسائر عوامله المستطاعة له الى كل مظنة يستطيع التسرب اليها ولا معنى للخمود و الجمود بالمرّة الواحدة وهذا المحن من القول هو الذي صير الناصح حرفة لجملة من الناس على تمكّنهم من العيش الشريف خارج أطار الناصح : كما وسع الميدان للمفتيات و الغلمان لسحق نوايا يسهما لا للحاجة الى المعيشة و لا بداعي اطفاء الشهوة فان احراز المعيشة و اطفاء الشهوة لا يتوقفان على مثل هذا التبذل المقتضح المرذول وفس على ذلك كافة الانحرافات التي اتخذها اهلها مهناً و حرفاً : بل قد يتعدى التسفل بجملة من الاشراف الاصطلاحيين الى الاغراق في الجهل حيث يقوم طرف منه بواجب الشهوة المتفرغنة و كل ما يؤثر من سخف الخلفاء والملوك و اثرياء الدنيا المتبذلين هو من هذا القبيل:

وليس الاغراء بالجهل شارة عصر مخصوص من بين العصور كما انه ليس مختصاً بالمتجاهرين بالالحاد دون المتسترين باسم الدين فقد اقيمت البشرية انواعاً من المهتهكين الداعين الى الجهل بانواع البيان المغري ثراً و نظماً وقد تصادم حول ذلك ارقام واسعة من شعراء ملهيين و كتاب معجبين و مؤلفين كثيرين بذلوا جهودهم في تحسين القبائح و تضعيف الفضائل للناس بصورة تخفى رهوزها على الاغرار و يتعمى سوءها على البسطاء

نعم فعل الاغراء بالجهل كل فعله في عصرهاته الحضارات الدارجة اليوم التي اُلهبت الالحاد الحاد في اكثر المتطفلين على موائد العلم فأخذت صر خاتمهم تنهوج في كل مجمع وعلى العناون البارزة من كل مجلة و جريدة و تبعث بها الى كافة الاسماع اصداء

المكبرات والراديووات وتجسمها تجسيمياً جنونياً شاشات السينما آت والتلفزيونات و
مسارح التمثيل فلا نسل عما أصاب العالم بشرار من هياض غارمة تجاهرت بأخس
انواع الفحشاء والصفات المرذولة حتى أصبحت الفضيلة عاراً على صاحبها وحتى أصبحت
القوى الدولية تسير كل هاته الانحرافات بين المجامع بقهر السلاح وحتى جاءت
وزارات المعارف التي التزمت تثقيف الناس على عائقهم من اعظم المجالين على الثقافة
الصحيحة والهادمين لمباني الفضيلة واصبح لا يخرج من هاته المدارس انسان ذكراً كان
ام ائناً الا فساداً في جميع انحاء وجوده وهذا التموج العارم الذي تشهد حواس البشرية
كلها ما هو الا نتيجة الانغراء بالجهل :

(٢) المعتدلون : ويراد بالاعتدال وسطية الانسان بين الفضيلة والرذيلة وبعبارة
اخرى هو انطواء الانسان على روح مرنة محافظة فهو ان لابس الانحراف في مجاملة
وان فعل الفضيلة وجد نفسه مغتبطة بها والى هؤلاء الاشارة بقوله خلطوا عملاً صالحاً
وآخر سيئاً وهذا الفريق كان يشغل في القديم فراغاً واسعاً من الاجتماع البشري وهو في
العصر الحاضر لا يشغل اكثر من رفعة مختصرة منه وانه على علته ممن تؤمن بوائده اولا
اقل تهضم جرائمه وليت ان مجامع البشرية اليوم احتضنت هذه الروح فكانت الحياة معها
قابلة للاستمرار ولو تبعثر ولكن ليس من ذلك أثر .

(٣) المتقون : التقوى في اصطلاح اهلها هي الخوف من نتائج البادرة نفسها فلا
يكذب صاحبها حذراً من تضرر المكذوب عليه من طريق هذا الكذب و او كان تضرره
يسيراً وتزداد هذه الملكة سوخاً في صاحبها فيعود لا يكذب حتى لو كان الكذب غير
ضار باحد لانه خلاف الواقع ويضيف الى ذلك متعالياً في تطهير نفسه حتى يتحاشى عن
ابداء كثير من الواقعيات التي لا تعود بخير على احد ذلك لانه قد راض نفسه رياضة اراد
بها ان تكون منبع خير ومعدن حكمة ورحمة فلا يفعل ما لاخير فيه وان كان مباحاً ولا
يقول ما لا نفع فيه وان كان جائزاً : وهذه الروح هي النمط العالي من الارواح التي تبطنها
البشر في كافة عصوره وهي التي استطاعت ان تستعبد القلوب و تأسر العقول لكيانها
المجيد فتري الجيل بعد الجيل يقدر المتقى و يحترمه من صميم قلبه ذلك لان الحق

المكشوف لهيمنة على العقول والقلوب شاءت اصحابها ذلك أم آتته :

وقد اهاب شيخ المتقين عن اوصافهم فقال : فالمتقون في الدنيا هم اهل الفضائل ، ثم بسط مفهوم هذه الكلمة بقوله ، منظرهم الصواب اي لا تنبعت اشدا قهم بشيء الا بما يصيب ثغرة الواقع لتكون مؤنتهم من طريق التكلم واجدة لثمنها الوافي وهو القول عن اصل و اساس و كذلك يجب على العاقل ان ينزه لسانه الذي هو اهم بضعة فيه عن الجراف فضلا عمالا واقعية له ؛ وملبسهم الاقتصاد ، الاقتصاد هو الاعتدال بين التوسع والتضييق اذ لا يريد ان في التوسع خروجاً عن مقدار الحاجة وفي التضييق شبه احراج بالنفس وكلاهما مورد انتقاد اما في التوسع فلان في مجموعة الخلق عن هو معوز وسدعوز المعوزين من اعظم الخدمات الاجتماعية واما في التضييق فلان الاحراج بالنفس تعقيم لها عن جريها في مجارى الحياة المعتدلة وفي التعقيم المزبور مضار نفسية لا تحصى ، ومشيهم التواضع ، التواضع مأخوذ من الضعة وهو التنزل بالنفس وليس المنظور بذلك اذلال النفس وتحقيرها فان اذلالها امامة لها و لكن المنظور هو جرها عن افق التكبر الفارغ وافهامها انها ناقصة بعد وان كانت جادة في مضمار الكمال لتستلهم من الفضائل والمعالي ما هي مفلسة منه فعلا ، غطوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ، غص البصر جمع أطرافه حتى لا تنبعت منه انوار واسعة اولا ينبعت منه نور بالمرّة وهو المراد هنا وانما فعلوا ذلك لعالمهم ان الخالق الذي خلقهم انما حاول اسعادهم بما سن لهم من طرائق وكبسهم من عقول وجعلها من اهم الناصحين لهم المحبين لسعادتهم ، ووقفوا اسماءهم على العلم النافع لهم ، لانهم علموا ان هاته الاجهيزات العظيمة من سمع و بصر وغيرهما انما اودعت في بناهم البدنية ليستثمر من طريقها أجل المنافع و أجل منفعة السمع هو اخذه للعلم المفيد بحال النفس اولا وبحال الاغيار ثانياً من باب ان الانسان من اهم الوظائف عليه مشاركته فيما ينفع الاجتماع ويقدمه الى الفضل والكمال ، نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ، اي انهم اناس لا اقتضائون من حيث التقيد والاهمال فلم يفرضوا لانفسهم فريضة خاصة يرونها من لازم حياتها فتثقل عليهم الحياة حين يفقدونها ولا انهم اركسوها في مهاوى الاهمال حتى تعود من سقط

المتاع في اعينهم وفي ذلك اهلاك لها وهو غير جائز في شرع الحياة التي تراد للتعالي والتكامل ، و لولا الاجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب و خوفاً من العقاب ، فان قيل هل هذا التعبير من الامام عليه السلام تخييل محض أريد به بيان شدة اتصالهم بالمبدأ الخلاق و مزيد فئاتهم فيما اعده للسابقين من عباده اوانه كشف لحقيقة ثابتة وهو ان الانسان باستطاعته ان يفرق ما بين روحه وبدنه من غير اجهاز عليها ولا ريب ان شدة العلوq والهيام بشى عمماتذهل الروح عن البدن وتحيل من وجود الانسان موجودين ممتازين روحاً منصرفاً الى هوايتها الخاصة وبدناً عا طلاع الاستفادة منها الخاصة نفسه وليس يبعد بالنسبة الى هذه الشدة اذا زادت بالتكيف وذابت الروح في مقاصدها الخاصة ان تؤثر على الحياة الجسمية آثاراً حادة يكون من نتائجها انفصال الروح عن البدن غاية ان لارادة الله دخلا في ذلك فيكون التفاني في المحبوب من الاعدادات القوية لحصول الفناء بان الله ، عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم ، هذه العبارة عظيمة جداً وهي بدورها تحكى عن واقع مكشوف فان كل من يستجلى ظاهرة من مظاهر الحياة وتتركز في نفسه تركزاً عن حساب دقيق يعود معها زاهداً اشد الزهد بكافة ما سواها وهكذا المتقى العارف يعود مع فناءه في الله مستحقراً لكافة ما سواه اذ لا يرى لغيره قيمة ولا اهمية ، فهم والجنة كمن قدر آها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قدر آها فهم فيها معذبون ، اى انهم لمزيد تحققهم من المطالب و تعمقهم في حساب اى شى يستعرضونه يرون ما هم بصدده كالمجسم الممثل و من جملة ذلك الجنة و النار اللتان اوعده الله تعالى بالاولى منهما للمطيعين و توعدهم بالاخرى العاصين فهؤلاء المتقون على انهم في النشأة الاولى والجنة والنار من نوابغ النشأة الاخرى لكنهم امر يد يقينهم بالله وبما وعد وتوعدهم به تجسمت الجنة لهم قبل كينونتها فهم بالفعل من مشاهدتها كانوا في نعيمها اعملوا صالحاً يفضى بهم اليه كما تجسمت النار لهم قبل اوانها فهم من مقابلتها كانوا في عذابها يرزحون ما عصوا ربهم وكانوا عن آياته معرضين قلوبهم محزونة ، اى انهم على حذر دائم من فعل اى خلاف يفرض مخافة ان يوقعهم

التساهل في اعمالهم والانشغل بالملهيات فيما لا يحمدون عقباہ وليس حزن قلوبهم من التشاؤم بالحياة بلا داع معقول كما هو شيمة قليلى النشاط ، و شرورهم مأمونة ، لانهم راضوا أنفسهم على الخير فلم يجد الشر منفذاً الى وجوداتهم وليس الشر الا من صفات اصحاب العاهات النفيسة اذ ان الله منها ومنهم ، واجسادهم نحيفة ، ليست النجافة من شرائط التقوى و لامن لوازم المتقى فان جسامه الابدان لا تربط كلياً بالاكباب على الدنيا ولذا اذنها نعم لما كان المتقى فى شاغل عن تربية بدنه بتربية نفسه كان ذلك مما يدعونوعاً الى هزال البدن ونحافة الجسم ، وحاجاتهم خفيفة ، اى ان احتياجاتهم الى عرض الدنيا قليل لانصراف غاياتهم التى هم يصددها عن الشهوات الحيوانية والمقاصد المادية ، وأنفسهم عفيفة ، فان الشره انما يقترن بمن لا يعرف من الحياة الا ظواهرها التافهة واما الذى يقيس الحياة الانسانية بما هو مقياسها فهو من أعف الاعفاء وأعظم العظماء ،

صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة ، لا ريب ان كبح جماح النفس مما يحتاج الى معالجة الصعوبات لكن النتائج المتحصلة من طريق هذه المتاعب تنسى كل مشقة اقترنت بالمرتاح فى ثنايا سفره الى مقصده العريض ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، و ليست الراحة الطويلة التى يحظى بها المتقى فى الآخرة هى الربح الوحيد من مرابطته للعمل الصالح فى دنياه بل راحته هو فى دنياه من مشاق الميول المتناقضة و الاهواء المترابكة و راحة الناس من مزاحماته لو لم يكن انساناً صالحاً من أجل الارباح و اوفر المنافع : كما لا ريب ان تيسير الله لعبده هذه الارباح له من أعظم النعم عليه ، ارادتهم الدنيا ، من طريق الميول الحيوانية و الشهوات الان فاعية ، فلم يريدوها ، لانهم لا يحسون بلذة بل يجدون أن هذه اللذائذ الانتهازية مشوبة بالآم واسعة و منازعات فاضحة وكل عاقل يأبى لنفسه الافتتاح ، و أسرتهم فقدوا أنفسهم منها ، كل ذى نفس هو سير نفسه منذ اول وجوده لكن دائرة العقل متى اتسعت بالانسان تحت عناية منه كان ذلك اولى من فذل خلاصه من هذا الاسر ، اما الليل فصافون أقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً ، خصوصية الليل فى العبادة هى

بهكونه وفراغه الواسعان حيث يستولى النوم على كل ذى روح الا من انتهز هذه الفرص
 لمطالعة نفسه و مناجاة عقله و مناداة روحه و اما صف الاقدام فلان القيام من مظاهر
 الخضوع لعظمة العظيم وكفى بالقرآن ورداً للسان العارف فان فى مضامينه متعة الانفس
 ولذة الاسماع وقد اشعرنا عن ذلك فى مباحث آتفة ، يحزنون به انفسهم ويستثيرون به
 دواء دائهم ، المراد من تحزين النفس كسر نخوتها وكبح جماحها وردها الى نصابها اللائق
 بها من الانكماش الى التواضع اللازم و تعريفها بالحساب الصحيح انها دون ما تحسب
 لذاتها من حساب وافى وعلو ضافى كما ان المراد ببدء النفس انواع جهالاتها وخبثها فى
 ضلالاتها ودواء هذا الداء عميم الوجود فى مضامين الكتاب العزيز ، فاذا مروا بآية فيها
 تشويق ، بنعيم الجنة ونيل رضا الله ، ركنوا اليها ، مرددين لها متميزين معانيها متلذذين
 بمضامينها ، طمعاً ، فى أن يكونوا من أهلها متى قاموا بلازمها ، و تطلعت نفوسهم
 اليها شوقاً ، فان النفس تغتبط بما يسرها خصوصاً اذا كان خالصاً من شوائب الآلام و
 المشاق ، وظنوا انها ، اى ان ما تعرب عنه آيات النعيم ، نصب أعينهم ، قريبة منهم وفى
 متناول أيديهم ، واذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم ، حتى تعرف
 موارد الخطر بتدبر ، وظنوا ، من باب أنهم عقلاء متميزون ، ان زفير جهنم وشهيقها فى
 أصول آذانهم ، كأنهم يطالعون هذا العذاب المدهش وجهاً لوجد حيث لا يرب حينذاك ،
 فهم ، لئلا ولهدا ، حانون على أوساطهم ، اى جاءلون أوساطهم ملتقى انحاء رؤسهم و
 أرجلهم كطرفى القوس بالنسبة الى وسطه ، مفترشون لجباهم واكفهم وركبهم وأطراف
 أقدامهم ، وهذه هى المواضع التى تحمل بدن الساجد فى سجوده وتكون له كالقراش
 الممهدة ، يطلبون الى الله ، فى اذكار صلاتهم ، فى فكاك رقابهم ، من أسرار المعاصى و
 الانحرافات : هذا عمل المتقين فى اطراف الليل التى يقتنصونها من ساعات ليلتهم ،
 واما ، هم فى ، النهار ، حيث لا بد من السعى و الافاضة لطلب رزق و مباشرة عمل
 وتحصيل علم و افادة معلوم ، فحلماء ، لا يعطون توازنهم من أيديهم للبوادى تبدر أمامهم
 وان اعطى غيرهم كل توازنه لافل ما يحسبه سوء ويراد مواجهاً له ، علماء ، اى لا يكتفون
 من الدنيا بصرف مؤمنات المعيشة فان الانسان مع هذه الحالة لا يفترق عن سائر

الحيوانات الا بالشكايات فقط بل يمشون وراء العلم النافع آخذين له و معطين ،
أبرار ، يقومون بواجب الخلق الفاضل فيبرون بالكبير ويحدبون على الصغير ولا تنشم
بهم الانانيات الى الجفاف المحقوت .

اتقياء ، لا يتسرعون في اى عمل يفرض ولا يفعلونه الا بعد التروى والتأمل حذراً
من أن يقعوا في متاهة اخلاقية ، قد يبراهم الخوف ، من كل موجبات الانحراف ، يرى
القداح ، فهم نحف الجسوم ، ينظر اليهم الناظر ، فى عرض ما ينظر لغيرهم ممن اهتم
لتربية بدنهم من جسمه ، فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، بل هم اصح ابداناً
وامزجة من المتكالبين على العظام ودليل ذلك ان دنيا البشرية قد شاهدت فى عموم
ادوارها صحة هذا المضمون فوجدت الزهاد والعباد والمثابرين أطول أعماراً من المترفين
ذلك لان فى الترف انها كالطبيعة باستخدامها آلة فى استيفاء الشهوات المذيبة للبدن
اما الانسان الذى يقتصر من عيشه على حفظ سلامته باستيراد الاصول الاولية ودفع الفضول
اللازمة الدفع فهو فى امان من ارتكاس طبيعته وانحراف صحته وبذلك تستمر سلامته و
يطول تبعاً لذلك عمره ، ويقول ، عند ما يبراهم مطرقين مفكرين فى طريق ما يأخذونه
ويذرونه منصرفين عما سوى ذلك من ترديد النظرات العابثة والحركات الزائفة كما يفعل
ذلك اكثر الناس ، لقد خولطوا ، فى عقولهم ، ولقد خالطهم امر عظيم ، يعود لاصلاح
دينهم ودنياهم ، لا يرضون من أعمالهم ، الصالحة ، القليل ، منها بل يحبون الاستكثار
من العمل الصالح النافع ، ولا يستكثرون الكثير ، منه لان الخير ومهما كثر فهو خير ، فهم ،
دائماً ، لانفسهم متهمون ، فلا يرسلونها هى ورغباتها ، ومن اعمالهم مشفقون ، حذد
أن تكون قد لا بست ما لا يشرع لفغلة وعدم التفات و ليست كل الغفلات معفوة لابن
آدم بل يجب على الانسان ان يراعى نفسه حتى لا يقع فى المحاذير ، اذا زكى أحد
منهم ، فليل فى حقه انه انسان تام العيار فى اخلاقه ومذاهبه وسائر شؤونه .

خاف مما يقال له ، حذراً من ان يوكله هذا الاطراء الى الاستنامة عن فعل
الحق ومجانبة الباطل ، فيقول انا أعلم بنفسى من غيرى ، وهى عبارة صادقة ما فيها
شك فان الانسان ومهما كان واقفاً على حقيقة الشخص فان الشخص المزبور اعرف بنفسه

من غيره فهو ادري بما اخذ واعطى وفعل وترك ، وربي اعلم بي منى بنفسى ، ذلك لان الانسان قد تعذب عنه نفسه ويغيب عنه ذهنه اما الله الواعى الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة ويعلم بمكنونات الضمائر فهو اعلم بالانسان منه بنفسه : ونرى المتقى وراء قوله الآنف يناجى ربه ويقول ، اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون ، لاننى لم ادعهم اليه واجعلنى افضل مما يظنون ، فان مواقع الخير لاتقف على حد خاص واننى ارجب ان اكون مهتما استطعت فى الرعيل الاول من الاخيار ، واغفر لى ما لا يعلمون ، من خطاياى وما ارتكبته عالماً او غافلاً من المعاصى فى دنياى :

ثم أفاض **عليه السلام** فى الحديث عن علامات المتقين و انهم بم يعرفون وعن اى سمة يفرعون : و قبل ذلك يجب أن يعلم بتوسع ان المثالية مع الايمان بالمبدأ كما عليه المتدينون الواقعيون غير المثالية القائمة على انسانية الانسان فقط و أن الفاصلة بين المؤمن عقيدة والمادى مذهباً ومهما كان معتدلاً شاسعة جداً : ذلك : لان المؤمن عن عقيدة دينية يرى ان المبدأ الاعلا وجود قائم بجميع الصفات العالية والكمالات الراقية وانه ما خلق الخلق الا لهدف عال جداً فى كلنا نشأته معاً : اما الدنيوية فجعلها ميدان سباق فى الفضائل النفسية واما النشأة الاخرى فاعتبرها دار مستمتع بمواهب هذا السباق المهم كما انه اعتبر الانسان فى دنياه روحانياً اكثر منه مادياً و جعل المادية فيه اعداداً لقيام روحانيته بأعمالها الجليلة و ان المثالية المطلوبة منه مثالية روحانى لا صرف كونه انساناً حسن الاخلاق شريف الصفات بعيداً عن الموهنات الاخلاقية كما اعتبر أن أهم منافع الوجود الدنيوى الشاخصة فى عرصة العيان انما خلقت لاجله حتى يتخذها وسيلة لتقويم بنية حياته الاعدادية لعمله العبادى المثالى المنظور :

اما المادى الذى يعتبر أن هذه العوالم ناشئة عن سلاسل تحولات طبيعية فى جمادها و نباتها و حيوانها و انسانها و شمسها و أقمارها و مجراتها وما الى ذلك وان الانسان من بينها وجود حيوانى خاص وانما حصل على هذه المواهب الفكرية من طريق التمرن كما يمرن الحصان و الكلب والقرد على حالات يشاكل فيها حالات الانسان و انه ليس بمخلوق ابتدائى و لاموهبة العقل فيه هبة حادثة فغاية ما يمكن أن يقول و ذلك اذا

اعتدل في سليقته ايضاً - ان البذرة الاولى لهذه العوالم و اعطاء ظاهرة الحياة للاحياء منها جاءت من قوة اعلان تميزها ولا نعرفها وانما تلجئنا اليها مزاحمة العلم لنا في طريق بحوثنا عن كينونة هذه الكائنات غير المتناهية الواسعة الى أبعد حدود السعة المعجزة للعقول بمحتوياتها المدهشة - واذا اعتدل ايضاً قال - ان الانسان وان كان حيواناً بتمام هويته الا انه لما ترقى بنفسه وشكل له جامعة ممتازة عن سائر الموجودات وجب عليه أن يستفيد من هذه الثقافة لنفسه في أطار مجتمعه فانه لما خرج من الاهمال المزعج الذي كان يعاني مضاره حينما كان وحشاً خالصاً الى هذه الحضارة لزمه أن يسعى لتهديبها أكثر وتهديبها لا يكون الا باستخدام العلم في طريق العمل وذلك بان يصدق في اقواله و أفعاله ويرفق بذويه وآله بل وحتى بالاباعد عنه لحمه و نسباً و يدارى الافراد ولا يعنت بهم حتى يستطيع ان يستفيد من مرونته ما يفقده في اعمال خشونته و يمنع نفسه من التجاوز على حقوق الاغيار لعلمه أن حق الغير مالك له فكما لا يجب أن يزاحمه احد على ملكه الخالص لا يجوز له أن يزاحم احد على شيء من حقوقه ليحفظ بذلك توازن الحياة بينه وبين غيره وأن لا يدع للظلم في كل شيء منفذاً في الاجتماع الذي هو من أبعاضه حتى تتسنى له المعيشة المعتدلة وأن يسن هو والعقلاء الآخرون نظاماً تكفل لهم السعادة في دجالي هذه الحياة وأن يلتزم الجميع بتنفيذها والمحافظة عليها وان يتحلى كل فرد من طريق المعارف بكل خير توحى به المواهب الفكرية لخير البشرية جمعاء .

فهذا الذي صورناه في حقه أقصى ما يمكن تعقله بالنسبة اليه لكن هذه الروح وان اشركت في نتائجها العملية مع ما عليه برامج الدين في امثال هذه الميادين الا انها تفرق عنها في جهات حساسة اخرى :

- منها - ان القائم بهذه الفكر الراقية عند المتدينين هو المبدأ المقدس الاعلا وأنه هو الذي ألهم هذه العقول بهذه المعاني الجسام وانه المعلم الاول والمربي الاكبر والموجه الاعظم الذي لم يترك العقول لنفسها في هذه الميادين الخطرة بل عضدها بالتوجيه القائم بكتبه المنزلة على انبيائه العظام الذين التزموا على عاتقهم أهم الخدمات الدينية الاجتماعية بسوقهم البشرية جمعاء من طريق تشويق الحجج البوالغ المشفوعة

بالعمل الصادق الى مقاييس السعادة جهد المقدور معربين عن كل ذلك بأنه ليس من أكياسهم الخاصة وانما هو تنفيذ لارادة الخالق العظيم كل الخير بمخلوقاته :
 - ومنها - ان نتيجة هذه الاستقامة ليست للحياة الدنيوية فقط بل لنشأة اخرى أهم أعظم و هي نشأة الآخرة السرمدية التي لا تنتهي الى حد والتي تكفلت النعم كلها للمتقين بما لا عين رأت ولا ان سمعت ولا خطر على قلب بشر .
 - ومنها - ان الانحراف عن البرامج المذكورة ليس مما يربك الحياة على الاحياء فحسب فيذهب الظالم و المظلوم الى عالم انقضاء الذي لا انتباه بعده و لاحساب يتعقبه بل سوف يعيد الله الخلق ظالمهم ومظلومهم فيأخذ للمظلوم من الظالم ما يأخذه العزيز المقنن العدل للمهزوم من هاضمه :

فهذه الفوارق أساسية تختلف معها حياة البشر اختلافاً واسعاً فكم من فرق بين من يفعل الخير مع الناس بحسب الثقافة البشرية لاكثر وبين من يفعله لانه يجده لزاماً عليه وانه مع التخلف يؤاخذ الأقوياء الراصد له بما يظهر ويضمر مؤاخذه شديدة لا تبقى عليه ولا تذر :

أما ذاك الاول فلا يدور في خلد من هذا شيء اصلا فلوانه شاء الانحراف لما آخذ نفسه الا بالخطأ فقط من دون أن يحسب لها عقاباً لا عاجلاً ولا آجلاً وهكذا لا يحسب لفعله الخير ثواباً الا ارضاء وجدانه لا يزيدا ما ذاك فيرى انه فضلا عن ارضاء وجدانه فقد ارضى ربه الذي يملك ناصيته والذي أعد له جنة عرضها السموات والارض فهل ترى أن هذه الدوافع والزواجر على نمط واحد - لا - بل بينهما من الفروق الشيء الكثير الذي لا تلتقي معه على حد :

ولهذا نجد الثقافة البشرية اليوم ثقافة جوفاء لان تأثيرها على حركات الانسان وسكناته فالبروفسور الذي أتمب فكره في الدراسة عشرات السنين وأخذ به بذلك يدرس ويحاضر في اهم الجوامع التي يشد اليها الرحال ويكتب في اعظم المجالات رواجاً ويأخذ على كتابته الاجر العظيم لانراه في نفسيته الاخلاقية ومهما اتزنت يساوى اقل المتدينين في خوفه و حذره من ارتكاب المعاصي ومقارفة السيئات ذلك لانه لا يجد في نفسه

وازعاً ملحوظاً من ناحيته : اما المتدين فيجد في نفسه الخوف عند ارتكاب المعصية ويظهر انكماش ذلك على سحنات وجهه وبشرة جلده :

و هذه الفواق هي التي جعلت المتدين القليل البضاعة يكسر من مادة قوته الضرورية له و لعياله مبلغاً يشتري به الرسالة العملية في الاحكام الشرعية ليطبق على نظامها مايجوس خلاله من حركة و سكون في كافة مجارى حياته خائفاً من اهمال نفسه اشد الخوف :

اما المثقف المادى فان طالع منشور حقوق البشر الذى تصافق على تدوينه عقلاء الاجتماع فيما يقال وضمن اجراءه اكثر الدول بما لديها من حول وطول فلموايته أن يقف على منتجات عقول العصر لاكثر ولذلك نراه - كما نرى نفس مدونى المنشور و كما نرى المدعين اضمن اجراءه ايضاً - غير متأثر عملاً بما فيه ولا خائف من الانحراف عنه بعد ان وجد مدونيه منحرفين و أن ضمناً اجراءه فاسقون :

وعلى هذا الاساس شاع الانحراف بين عامة البشر وكثر السخف واستشرت المفاسد و انتشرت السيئات و الجرائم الى حدود لا توصف هي بمنظرو مسمع من الجميع : ولهذا اصبح موقف المتدين في هذا العصر موقفاً حرجاً جداً لانه يواجه دنيا مادية حادة في ميولها واهوائها :

كما ان الباحث والمفكر المتدين اليوم غير الباحث والمفكر بالامس فان ابن سينا او نصير الدين الطوسي انما استطاعا ان يهيمننا على عقول جوامعهما المعاصرة لهما فلانهما لم يواجها دنيا مادية و لا جيلا مادياً و لذلك تمكنا أن يؤثرنا بمعونة حسن ظن الناس بهما ذلك التأثير الذى اثاره فى تثبيت عقائد الناس بالله و بعموم ماوراء الطبيعة .

ولو أتاحت لهما الصدفة أن يقارنا فى الوجود دنيا البشرية فى هذه العصور لوجدنا فى طريقهما العلمى من المشاق والصعوبات ما يعجزهما انصافاً امام هذه الراء الدارجة والبحوث المدونة والعقليات السائرة وروحيات اهل الزمان والحق ان المتدين المجاهد بقلمه و فكره و عمله فى هذا العصر له اهمية عظيمة بين حملة الافلام والمفكرين

والمثاليين المعتقدين :

- ودونك ما ذكره امير المؤمنين **عليه السلام** من علامات المتقين: قال **عليه السلام** : فمن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرراً عن طمع بعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر و يصبح وهمه الذكر يبيت حذراً ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة اذا استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قره عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريباً امله قايلاً زلله خاشعاً قلبه قانعة نفسه منزوراً أكله سهلاً أمره حريزاً دينه هيمته شهوته مكظوماً غيظه الخير منه مأمول و الشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكراً حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأنم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا يناز بالالقب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل .

ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمته صمته وان ضحك لم يعمل صوته وان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لاخرته وأراح الناس من نفسه بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنائمه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولادنوه بمكر وخديعة : قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام أما والله لقد كنت أخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها فقال له قائل فما بالك يا امير المؤمنين فقال **عليه السلام** ويحك ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه فمهلاً لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك .

وفي شرح ذلك نقول لكل شيء علامات يستدل بها عليه والمتقون لا يشنون عن

عن ذلك ، فمن علامة احدهم انك ترى له قوة ، وهى الصلابة ، فى دين ، اى مغموسة فيه بحيث لا تعبت بأفكاره الحوادث فتضعف من دينه وتقلل من يقينه ، وحرماً ، وهو الجد والنشاط مغموساً ، فى لين ، وهو السهولة والامنافة بين الوصفين فان الحازم هو النشيط ولين العريكة هو الخلق وما احسن هذين الوصفين مجتمعين ، وايماناً ، عريقاً ، فى يقين ، لاقشرباً لا يشفع عن اساس محكم ، وحرصاً فى ، طلب ، علم ، لان العلم هو طريق الحياة الصحيحة لكن بشرط تطبيقه على الخارج و الاضرب المناهيم العلمية لاقيمة لها الابدقذار تزويق الالفاظ وحسن ربط المعانى بعضها ببعض وسوف نتحدث عن جوهر هذا المعنى فى بحث عنوانه الانسان بين صلاحياته ، وعلماً ، مغموساً ، فى حلم ، فان جملة من اهل الفضيلة يتحاشى الانسان ملاقاتهم ليوستهم فى المجالات العلمية ، وقصدأ ، وهو تعديل نظام المعيشة ويقال فى مقابل الاسراف والتقتير ، فى غنى - نفس اوانه مع كونه غنياً تراه ذاقصد لا يسرف ولا يقتير ولكن يصرف فاضل ثروته على المعوزين ، وخشوعاً ، وهو التواضع بحسن سمت : مقروناً ، فى عبادة ، لاسمت مجرد ، وتجملاً ، وهو الطلوع بمطالع الميسورين ، فى فاقة ، اى مع فاقته واعوازه ، وصبراً فى شدة ، اى هو صبور فى الشدائد ، حمول فى المشاكل لا يجزع للكوارث تحل بساحته ، وترى له ، طلباً ، وسعياتأمين امور معيشته ولكن ، فى حلال ، و ، تجدله نشاطاً ، واستقامة ومنابرة على العمل ولكن فى هدى ، وعلم ودين ومعرفة .

وتخرجاً عن طمع ، بل ان طلب وسعى ونشط للعمل فلاستيفاء حق خالص عن الجشع والاستكثار ، يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل ، مخافة أن لا تكون خالصة ، يسمى وهمه الشكر ، لله على ما آتاه فى يومه ، ويصبح وهمه الذكر ، لما يستقبله من يقظته وسعيه فى بياض نهاره فان تكن جوارحه مشغولة بعمل فليمكن لسانه مؤدياً لله واجب ذكره ، يبيت حذراً ، من كل ما يجب الحذر منه لدين ام لدنيا لامتغافلا ، ويصبح فرحاً ، مسروراً ، حذراً لما حذر ، من ناحيته تعالى تشرعاً وارشاداً ، من الغفلة ، فان المسؤولية وان كانت لا توجد الى الغافل حين غفلته ولكنه يلام على تركه للحذر المؤدى اليها ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة وافل ذلك الحياة النى هى اعداد لكل فضيلة ونيل كل خير وحيازة كل سعادة ، ان

استصعبت عليه نفسه فيما تكرره، فجمعت به ولم تطاوعه الى ما هو خير في نفسه وان كان ثقيلاً عليها غير مرغوب لديها، لم يعطها سؤالها فيما تحب، و ترغب و ان كان في نفسه مشروعاً تأديبياً لها، قرّة عينه فيما لا يزول، وهو النعيم المقيم و حسن الاحدوثة دنيا واخرى، وزهادته فيما لا يبقى، و هو التلذذ بالنوافه التي لا ينعم بها الانسان الا حين الملاسة على ما يشوب اكثرها من الآلام والاسقام، يمزج الحلم بالعلم اى ان حلمه لا لترايبية في مزاجه وانما هو عن علم بفضل الحلم وما يؤتبه من خير عميم للحليم، والقوى بالعمل، اى لا يقول قولاً الا و يشفعه بالعمل والا كان هازلاً لاجاداً و كاذباً لا صادقاً ومرائياً لا واقعياً، تراد قريباً أهله قليلاً زلله، أى انه لا يمتنى نفسه بما هو بعيد عليه و اذا زلت به خطاه فبندرة لا يعتد بها ولا تؤخذ عليه لاخذة الحائطة لنفسه في كل امور و خاشعاً قلبه، فلا يتزى به كما تفعل قلوب المتفطرسين بهم وخشوع القلب له تأثير القهار في خشوع الاعضاء نظير ما قيل :

و اذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء



قاعة نفسه، بما تهياً لها وتيسر لديها، منزوراً أكله، بقدر ما يبلغه الى حاجاته و يقيم صلبه فهوياً كل الزاد لاجل ان يحمله الزاد لاجل ان يحمل الزاد سهلاً امره لا يحتاج في ادارته الى مؤنة تعنت به، حريزاً دينه، اى ان دينه مصون بالمواظبة عليه و البعد عما يوهنه، ميته شهوته، لانصرافه الى عماره و روحه، مكظوماً غيظه، لعلمه ان من لا يملك غيظه، لا يستطيع ان يملك اية ناصية من نواصي اموره و اذا كان كذلك اخفق في كافة شؤونه، الخير منه مأمول، لحيه للخير المطلق ولا يؤمل ممن هذا دينه الا الخير فحسب، والشرمه مأمون، لان ابتغاء الشر من شيم النفوس الساقطة، ان كان في، مجلس، الغافلين: كتب في، ديوان، الذاكرين، لان لسانه ان كان غير لهج بذكر الله فقلبه معمور به، وان كان في، مجلس، الذاكرين، وان كان لم يشاركهم لسانه بالذكر - لم يكتب من الغافلين، لتعهد قلبه ربه على كل حال .

يعفو عن ظلمه، لان الانسحاب عن الحق الشخصي ملكٌ لطلاق للشخص والعافى عند القدرة عما يختص به لغرض عقلائي يعد من المحسنين المعنكين، و يعطى من

حرمه ، لان المقابلة بالمثل فى القطيعة ونظائرها مما يروج سوق الرذائل بين الناس ، ويصل من قطعه ، ليبين له ان من احسن اخلاق المرء مواساته لآخوانه ، بعيداً فحشه ، لان تثقيفه لنفسه و تربيته لروحه يزعانه عن هذه المستقذرات ، لينا قوله ، مع كل احد يرجى فيه الخير ولو بعد حين لان لين القول جاذب للعاطفة كما قال تعالى و قولاً له ، قولاً لينا لعله يتذكر اذ يخشى ، غائباً منكروه . فلا يؤب ، حاضراً معروفه ، فلا يغيب لانه لما راض نفسه على خلال الخير بعد عنه الشر بعد الاقرب معه ولا زمه الخير ملازمة لافرقه معها ، مقبلاً خيره . لا قبالة عليه ، مدبراً شره ، لا دباره عنه ، فى الزلازل ، و الاضطرابات من اى نوع كانت ؛ وقور ، لا يعطى ائزانه من يده ، وفى المكاره صبور ، لا يبدى الجزع من نفسه ، و فى الرخاء ، و العافية ، شكور ، لمن عافاه وارخى له ، لا يحيف ، ولا يجحف بالقول والعمل ، على من يبغض ، بل له من دينه وأدبه اعتدال يزعه عن الافراط والتجاوز .

ولا يأنم فيمن يحب ، فلا يكذب فى مقام الاشادة به ولا يغالى اذا افاض فى فضله ، يعترف بالحق ، بداعى دينه ووجدانه ، قبل أن يشهد عليه . الحق فيبدي كتمانته ويضعف ايمانه ، لا يضيع ما استحفظ ، لامانته وعريق ايمانه ، و لا ينسى ما ذكر ، من ناحية ربه والادلاء عليه فهو دائماً على ذكر من وظائفه وتعهده لما ألقى على عاتقه ، ولا يناز باللقاب ، لان دينه يمنعه عن أن يسىء الى غيره ويزعه عن ارتكاب الباطل ، ولا يضار بالجار ، بعد ان عرف ان ذلك من سوء الجوار وقد نذبه الشرع والعرف الى الاحسان اليه والتعهد له لان الجار اقرب انسان فى المحيط الاجتماعى ، ولا يشمت بالمصائب ، الواردة على اعدائه لعلهم ان ذلك ليس محلاً للشماتة لان اصابة الحوادث عامة فى عموم الخليقة و يكون الكثير منها من دون تسببهم ، و لا يدخل فى الباطل ، لا لان دينه يزعه عنه بل لان عقله وفتوته يأتیان له كل رذيلة والباطل لا يكون الا فى الرذائل فقط ، و لا يخرج من الحق ، لا فى صغيره ولا فى كبيره لمنافاة ذلك كله للدين و شيم الصالحين ولا اعتراف كل عاقل ان الحق هو الصراط السوى الذى يجب ان يسلكه كل من اراد الحياة الصحيحة .

ان صمت لم يغمه صمته ، لسلامة الصمت من كل آفة وبعده عن كل مؤاخذة ولا يلام عليه صاحبه الا اذا اقتضى الموقف منه كلاماً يهد به باطلا ويشيد حقاً ، و ان ضحكك لم يعمل صوته ، كما يفعل الخفاف من بنى آدم لعلمه ان ذلك بنا في متانة الرجل وما يجب عليه من وقار واتزان ، وان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، اما فى عاجلة الدنيا واما فى آجلة الآخرة والمراد بصبره حيث لا يستطيع الانتقام مباشرة لنفسه هو سكونه عن السعى الى المقتدرين عليهم يأخذون له بحقه وينتقمون له من ظالمه و الداعى الى ذلك هو ان تحمل منة الاغيار فيه مشاق روحية لا تنكر والله لا يريد لعبده المؤمن به أن يذل ما دام للمعزة طريق وحيد الاقل من تلك الطرق تظاھرہ بالمتانة و ان غضب حقه ، نفسه منه فى عناء ، لاندفاعه الى ميادين العمل المقرب لله سبحانه .

والناس منه فى راحة ، لكف نفسه عن كل ما يؤذى الناس او يخدش عواطفهم أتعب نفسه لاخرته ، حتى يحرزها حيث النعيم المقيم والهناء الدائم والجهود التى يبذلها العاقل يجب ان تكون وراء الاهداف العالية و لا اعلا هدفاً من تحصيل الفضل الدائم والحياة الباقية . وأراح الناس من نفسه ، لقبضه على زمامها وانصرافه بها الى شؤنه الخاصة به حيث لاتزاحم الاغيار ، بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ، اما زهده بالمعاشرات وكثرة الارتباطات فلعلمه انها تقوده فى الاعمال الاغلب الى ما لا يرضاه لنفسه ولا لغيره واما نزاهته فهى للترفع بنفسه عن مظان الاذى الذى يلحقه من الغير او يلحق الغير من طريقه بسبب كثرة الارتباطات والانغماس فى المعاشرات ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، بالمدون منه ولطف به لانه انسان قد راض نفسه على خلال الخير فلا يكون منه ما يؤذى ، ليس تباعده ، عن الاغيار ، بكبر ، عليهم واعتقاده فى نفسه انه أعظم وأجل من ان يعاشرهم ، وعظمة ، لشخصه بترجيح نفسه على من سواها اعتباراً مجرداً كما هو يدن ضعفاء النفوس ، ولادنوه ، من غيره ، بمكرو وخديعة له ، حتى يستدرجه بذلك و يجعله قنطرة لتنفيذ مقاصده :

وفى خاتمة هذا الشرح نشير الى نکات :

(١) ان ما ذكره على عليه السلام من اوصاف المتقين ليس هو بشعرو لاخيال كما يقوم الشعراء بدورهم في تجسيم اشياء لانحقيق لها من العيان و قدلا تتحقق اصلا : وانما هو عرض لصفات معقولة في نفسها قابلة للتحقق في الخارج بل هي متحققة في كل جيل ضمن افراد قلائل :

(٢) ان هذه الشروح المفصلة في الاخلاق العالية على ما تقتضيه من رياضات مهمة واجهاد للنفس مقبولة بل محبوبة لكل انسان عندما يتصورها مقرونة الى الحياة السعيدة و لكن ضعفه عن مقاومة ميوله النفسية الساقطة هو الذي يقعد به عن الاستشعار لها والتلبس بها :

(٣) الفرق بين على عليه السلام وهمام في ان علياً لم يتأثر بما سرده من هذه الشروح العالية بل كان في سرده على رسله وعاداته المستمرة معه وان هماماً متأثر بها بمجرد فهمه لها واساغته اياها هو أن علياً عالج هذه المشكلات الاخلاقية منذ صغره وتلبس بها من آما د بعيدة فكانت عادية له واما همام فقد جوبه بما لم يسبق به بهذه الصورة فتأثر بها هذا التأثير الحاد :

(٤) ان لحالات النفس آثاراً فعالة تاتي بالعجائب والغرائب فكما أمات الخوف جباناً والحب انساناً وما الى ذلك :

(٥) هل كان موت همام اثرأ لتأثره بما سمع او كان بأجل صادف فان كان الاول لم يصح قوله عليه السلام في جوابه للقاتل - ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه - وان كان الثاني لم يكن لموت همام في هذه المصادفة اي اثر ووزن بل يكون موته كموت السائرين :

(٦) هل ان الاسباب الطبيعية اعدادات فقط وان المؤثر في النهاية هو ارادة الخالق او ان الاسباب الطبيعية هي كل المؤثر بعد جعلها من الخالق اسباباً لمسبباتها و الاول مخدوش بان مثل نزول البرد الثقيل على مزرعة قد حان حصادها يؤثر من حينه ولا تبقى مهلة للارادة في الفناء او البقاء و الثاني مخالف لما جاء في الشرائع من القضاء والقدر وان النتائج مرتبهة بهما او نقول بالتفصيل فيها فبعضها يكون اعداداً و بعضها يكون علة تامة : وتكون مسألة همام من قبيل الاعداد فان قلت كان من

نظرك ان الطبيعة لانا موس لها وانما هي اعداد خالص قلنا نحن الان لم نجد عن ذلك فان مثل نزول البرد الثقيل لا نعتبره سبباً طبيعياً خاصاً وانما نعتبره سبباً وجهه الله الى المحل الذي اراد اصابته وصرفه عن المحل الذي لم يرد اهلاكه فهو ان اعتبره الناس سبباً طبيعياً ففي ظاهره و العلة الفعالة هي ارادة الله به وقد جاء تعزيز هذا المطلب في كتاب الله حيث يقول (سورة النور الآية ٢٤) وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء : وبعبارة اخرى نفس نزول البرد في ظاهر الطبيعة سبب صوري للافناء وباعثه ارادة الله لنزوله والاهلاك به فهو من اول نزوله الى آخر تدميره مسوق بارادة الله :

ونجمع فيما يلي ما ذكرناه في النكات الآتية ونقول لاريب ان ما بسط شرحه عليه السلام في حق المتقين من اعلاما يمكن تصويره في الانسان الجامع اصفات الخير والمعروف كما ان كل انسان يود بفطرته السليمة ان يعجى على الوصف لما فيه من اخلاق عالية يسعد بها صاحبها في حياته المادية والمعنوية ولكنه لا يرى ذلك سهلاً لاستدسائه الرياضات العالية والمغامرات المهمة وعلى هذا فلا استبعاد ان يصعق نظيف الباطن من استشفافه لهذه الصفات لمزيد حبه لها وعلوق نفسه بها : وللحالات النفسية من جبن وشجاعة وحب وبغض وما الى ذلك آثار مدهشة على النفس ومن جعلتها الفناء من طريقها : والفرق بين على وهمام حيث هجمت عظمة التمثيل عليه فأردته صريعاً ولم يتأثر على بأكثر مما كان متأثراً به وان علياً راض نفسه من الصغر على هذه الفكر فلم يفاجأ بها واما همام فقد فوجيء بما لم يهتد فآثر عليه هذا التأثير لكن يعجىء الكلام في قوله ع المقاتل له فما بالك يا امير المؤمنين ويحك ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزوه فان موت همام ان كان لاجل محتوم لم يعد اى وزن لتأثير كلام علي عليه السلام فيه بل يكون موته كموت اى انسان آخر في اجله المحتوم عليه وان كان موته لشدة تأثره بما سمع لم يكن للاجل بما هو اجل موضوعية تنسب اليه هذه الموتة : فما هو المنطق الفصل في المقام : فهل ان الاسباب الطبيعية اعداد و تقدمه القضاء المحتم و يكون التأثير النهائى للقضاء والقدر : فمثلا يكون التبخير وملاقاة البخار للهواء البارد اعداداً المطر ولا يكون المطر الا بأذن الله وقس على ذلك نظائره : او

أن الآثار المترتبة عليها آثارها وان ارادة الله في جعلها الاولى وخلقها بما هي عليه من خصوصيات لا تحتاج الى تعقب ارادة منه أخرى في مقام التأثير مثل الله الذي خلق النبات السام اراد به لما خلقه ان يفعل مفعولاه من دون أن يتوقف على ارادة ثانية منه في تأثيره : لكن هذا التصوير ينافي معنى الآجال المحتمة لانها تفيد اناطة التأثير بها لا بالاسباب الظاهرة ومهما كانت فعالة : ثم ان تصوير الاعداد في الاسباب الطبيعية معقول في جملة من صورها نظير ما مثلنا به من التبخير وتعقب المطر له نارة وعدم تعقبه أخرى لكن هناك اسباباً لا يعقل فيها تخلف آثارها عنها كنزول البرد الثقيل على الزروع المستحصدة واتلافه لها بمجرد نزوله عليها فكيف يتعقل في هذا ونظيره انه اعداد والاتلاف للآجال المحتمة او بعبارة أخرى للقضاء المبرم نعم انما يتعقل القضاء المبرم في أصل تقدير نزول البرد الثقيل وتكون نسبة اثر الاتلاف الى البرد نسبة حقيقية : امامسألة همام فهي تنطبق على الاعداد انطباقاً تاماً لان الطبيعة الانسانية قابلة لان تتأثر بتأثيرات واسعة الاطراف وقد تصل بالانسان الى أن يكون جنازة ولكنه يبقى مع ذلك حياً فيتعقل حينئذ ان يكون الموت منسوباً لاجله الخاص :

وقد اخذ المرحوم الشيخ حسن الدعستائي البحراني رحمه الله جملة مما أورده امير المؤمنين عليه السلام في خطبته هذه ونظمه في قصيدة تخلص فيها الى رثاء ابي عبدالله الحسين عليه السلام فقال :

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| لم يدرك المنجيان العلم والعمل | من يله المردبان المال والامل |
| بها الرذائل والتاوت بها العلل | من لى بصيقل الباب قد التصفت |
| بالوهم من قبل ان يفتالك الاجل | خذ رشد نفسك من مرآة عقلك لا |
| والعمر منصرم والدهر مرتحل | فالعقل معتصم والوهم منهم |
| الى الحمام وان حلوا او ارتحلوا | مطى الانام هي الايام تحملهم |
| يحدوبه للمنايا سائق عجل | ام يواد المرء الافوق غاربها |
| افق فانك من خمر الهوى ثمل | يامنفق العمر في عصيان خالقه |
| من العقاب ولا من منه خجل | تعصيه لأنت من عصيانه وجل |

انفاس نفسك ائمان الجنان فهل
 تشح بالمال حرصا وهو منتقل
 ما عذر من بلغ العشرين ان هجعت
 ان كنت منتهجا منهاج رب حجى
 الا ترى اولياء الله كيف قلت
 يدعون ربهم فى فك عنقهم
 نحف الجسوم فلا يندى اذا ركعوا
 خمص البطون طوى ذبل الشفاه ظما
 يقال مرضى وما بالقوم من مرض
 تعادل الخوف فيهم والرجاء فلم
 ان ينطقوا ذكروا اويسكتوا شكروا
 ولا يلم بهم من ذنبهم لهم
 ولا يسيل لهم دمع على بشر

تشرى بها لهما فى الحشر يشتمل
 وانت عنه برغم منك تنتقل
 عيناه او عاقه عن طاعة كسل
 فقم بجنح دجى لله تبتهمل
 طيب الكرى فى الدياتجى منهم المقل
 من رق ذنبهم والدمع ينهمل
 قسى نبل هم ام ركع نبل
 عمش العيون بكى ما غبها كحل
 او خولطوا خبلا حاشاهم الخبل
 يفرط بهم طمع يوما ولا وجل
 او يفضبوا غفروا او يقطعوا وصلوا
 ولا يميل بهم عن وردهم ميل
 الا على معشر فى كربلا قتلوا



ونحن قد أعرينا فى موشح مبسوط عن جملة من محتويات ما تعرض له الامام

عليه السلام. فقلنا تحت عنوان .

فكرة وعبرة

ليت فكرى لم يبارحه الجمود
 واستحالت بيض ايامى سود



انا من تجوال فكرى فى عذاب
 نهب القوة منى والشباب

فترانا فى مطاويه وجوم
 بأهاليه وفى اخرى يعوم
 كسان مبعوث عقول وفهوم

لعب الدهر بنا منذ الازل
 مرة يركب اعطاف الجبيل
 اترى الداعى الى هذا العمل

فجرت تقعد طوراً وتقوم
وان استجمع انواع العاوم
وبه قدا دركوا حتى النجوم
بل تمشى فى مجاريه العموم
فقصارى حظه بؤس وشوم
وانمجت من بعده حتى الرسوم
وبه دسوا الدواهى والسموم
انكرت سيماه احداق الشهود
وكفانا السوء فى هذا الوجود

ام ترى الدنيا ناعما طتها الحيل
لا يرى الحربها غير الفشل
فاز فى لذاتها اهل الدجل
وعلى هذا مشيت كل الدول
واذا عفت كريم فاعندل
عاش فيها بائسا حتى ارتحل
فمتى يصدق تاريخ الاول
بل متى يثبت للسمع كتاب
نور الله لنا نهج الصواب



كل ما الانسان نالته يداه
دسه فيه انقياداً لهواه
لم يكدره بشوب و اشتباه
ليس تشكومه حمقاً و سفاه
ضاحكاً من زعمنا جرماً أناه
ان أطاع الدين فى درك مناه
فى نظام العقل او شرع الاله
تاركاً كل التواميس و راه
غير تأمين هواه لا هداه
فى المجالى بالذى فيها جناه
عن هوى النفس و تحطيم القيسود
بالغاً فى غيه اقصى الحدود

فلقد عانت يد الانسان فى
هل ترى حقاً خلا من سخط
او ترى المنطق منه قد كفى
ام ترى الدنيا مشيت فى شرف
فغرت اشداقه فى صلف
يحسب الدنيا مجالاً لا يفى
عيشه فيما يراه منتفى
فجرى مستهتراً فى سرف
لا يرى فى سيره من هدف
فجنى شر الجنى لا يخنفى
داعياً فينا بتمزيق الحجاب
فهفا الكلك اليه وأجاب



مالها اخنت على كل البقاع

صرخة العصر الجديد المزعجه

وأطارت نير العقل شعاع
 و لاهليها غدا منها التبعاع
 دهمتنا بقوى لا نستطاع
 فأطعنا و المقاييس نطاع
 صادفت عجماً رناعاً ورعاع
 ليس يدري هل له فيه انتفاع
 وضعته العارى لستر لـ و يباع
 ضيعوا الرشد على النشأ فضاع
 ديه كفو و دنياه ارتجاع
 فاشل الامال مكذوب الوعود
 و عليه وحشة البؤس تسود

هدت الدين و اوهت منهجه
 و غدت دنيا المعالي حرجه
 كيف طرنا لاخيول مسرجه
 ام ترى المنطق أدلى حججه
 لم يكن للقوم غير البهرجه
 و جهوا النشأ لدرب فاتجه
 سلبوه الصون حتى احوجه
 هم بهذى الحركات السمججه
 عاش في بؤس لاقصى درجه
 و جرى يسبح في بحر سراب
 و اذا ابن النور في واد يباب



من بناء شامخ قد جلاوه
 من جمال في جسوم و وجوه
 من رقيق النور فيه موجوه
 لحظى مثل ما يحظى بنوه
 واصف الوضع بما قد لاك فوه
 و بأتعاب نويه رفعوه
 نال منها فاقد المال ونوه
 و على الوضع جنى مستعمروه
 وانبروا للعظم حتى طحنوه
 فمتى يخبو ضرام اججوه
 ونزا الناس بها نزو القروود
 وعدوا شتى المجارى والقصود

كم بهذا العصر ملهى للحدق
 و به للحسن مآدق ورق
 والى ما شئت في طول الشقق
 فترى العصر بوضع ما سبق
 قال لكن ليت شعري هل صدق
 انرى هذا البنا قام بحق
 وهل الدنيا التي عنها نطق
 لا لعمرى وضعا صار أشق
 أكلوا اللحم و نشوا بالمرق
 انضجت اكبادنا نار الحرق
 ما الدنيا نا غدت دنيا ذئاب
 شهروا في نيلها ظفراً و ناب



يمطف النفس الى الخلق الجميل
ويريه العيش فى الممرعى الوبيل
واسع الفسق لتبريد الغليل
و تريح النفس بالعيش الجليل
عمل السوء و تشويش السبيل
و به افتى الورى كـل نبيل
ان يبيحوا ماله النفس تميل
ان يبيعوا الناس عن كل مقيل
فتمى نسعد و البوضع عليل
فى الورى بين خفيف و ثقيل
و بخت النفس جاوزنا اليهود
فهو بالشوك غذا لا بالورود

عجبا كيف غذا الانسان لا
ما الذى يثنيه عن كسب العلا
أترى الشهوة زجته الى
فمجارى الحق تروى الاملا
ليس فى الدين حرام ما خلا
و بهذا قال كـل العقلا
و متى العلم اجاز فضلا
و ثبات النفس تدعو الجهلا
و اذا سرنا فكنا هملا
و كذاك اليوم صرنا مثلا
د أبنا فحش و قذف و سباب
و اذا من ربنا اخضر الجنباب



فمشى يخبط فى كل طريق
لائقاً فيه الهوى اولايلىق
يحرز اللذات و العيش الانيق
ورعاً الا من العقل العتيق
فاسترقوا العيش فى العصر الرقيق
بعد طول التيه للرشد يفتيق
فعدت دنيا اولى الدين بضيق
فى عباب الهم والبلوى غريق
وأراهم سوءه هذا العشيقي
من بدا للناس فى وجه صفيق

شدّ عصر النور فى اخلاقه
لا يرى الا هوى احداقه
زاعماً أن هدى اشواقه
ما صدوف المرء عن أدواقه
حزر العصر بنى آفاقه
مرض الكل فهل من ناقة
و كم استشرى خنا فساقه
بل غذا الكون على اطلاقه
حرب الوضع على عشاقه
وكذا يعرب عن أعراقه

من قضى العمر بكفر وجهود
نحسه قوض عنهم بالسعود

ومحال ان يرى حسن العآب
ان ذا العصر لاهليه عقاب

✧ ✧ ✧

ومتى تسعد هذى الامم
ورأينا ملاكنا يعصم
فوجدنا الوهم فيه يحكم
كفر الناس به واجترسوا
فوجدنا العيش فيه ينعم
أعربت عن ذاك فيه النظم
غضة والحق فيه معلم
والنمى واميس به تحتسرم
عنده الكل عزيز مكرم
وبه العرض مصون والدم
من اخير النفس بالخير يعود
فلان الجرم للبلوى يقود

ليت شعرى ما الذى يصلحنا
لم نجد فى كل ما قيل لنا
قد فحصنا فى القديم الزمنا
ورأينا عصرنا مرّ الجننا
ودرسنا الشرع درسا متقنا
ليس فيه غير تأمين الهنا
فيه الدين مصون والدنا
ألق العدل به ضافى السننا
لا ترى من انت فيه وأنا
غاية القصد له اللطف بنا
ولكم اعطى جزيلآ وأتاب
واذا شدّد للجاني العذاب

✧ ✧ ✧

فهو فى نظم البرايا لازم
ولسير الوضع فيه ناظم
ليس للشرع عليه حاكم
بالحكومات فقول ظالم
و استوى جاهلها والعالم
وانبرى للحق منه هادم
و مضى و الثغر منه باسم
حاكم عدل وحكم صارم

كل ما فى الشرع من حكم تراه
هو للفرد هداة من هواه
هل ترى يسعد فرد فى دناء
أن تقل قدأحرز الناس الرفاء
هذه الدنيا تولاها السفاه
كم قضى قاض بجور واشتباة
و تعالى بالجنايات علاه
لم يؤاخذة على ماقد جناه

ناعما و الوضـع منه ناقم
بل تولاه مبير غـاشم
بهوى الراوى وتزوير الشهود
وأحـالوه منـاراً للمنقود

وعلى هذا قضى العمر سواء
أسفا لم يدرك الشرع مناه
عاث فيه دجل القوم فعاب
جعلوه سبباً لالتـهاب

☆ ☆ ☆

لـفقت فيه أفاويل جزاف
أوشيوخ للاحاديث خراف
فمشت تفتح ابواب الخلاف
يقضب الاحكام من غير انتصاف
تخذتهم مدركاً للانحراف
تحسب الله دهاها وأخاف
رتعت فيهن ذؤبان عجاف
أن لهى الراعى عن السرح وعاف
فلما ذاخضعت للارتجاف
مذ أعاروا عنقاً للاعتساف
حيث بتنا فى دجى الجهل همود
وجرى من فضله فينا وجود

كم على مر القرون الخاليه
من فقيهه يدعى او راويه
اوقضاة نصبتها الحاشيه
لا تراهم مقتياً بل طاغيه
سخرتهم سلطات جانبيه

فمشت بهم البرايا راضيه
يا لهـالله سواماً ثاغيه

ليس من ذنب الذئاب الضاريه
خلق الله عقولا وافيه
قصر الخلق و حاشا باريه
ما على الله ملام و عتاب
سخر الله لنا حتى السحاب

☆ ☆ ☆

جاء ممن يدعى الدين افتراء
مذ أعاروه نفاقاً و رياء
و به نالوا الثريا و الثراء
لرفاه المرء عيشاً و اعتلاء
ورعاً هدياً و فضلاً و اباء
و تولاه انزواء و ازدراء

ان يكن قل ذوو الدين فذاك
كثر الريب به و الا رتباك
نصبوه شبكاً دون الشباك
و جدوه فى الورى خير ملاك
فجرى بستن من ليس هناك
و بهذا لحق الدين اتهاك

و رأوا في رفعه كل عناء
و جلوه للورى بعد انزواء
و طواهم : لترقيق - الفناء
و أعاروك سموا و ارتقاء
بعد ما غابت عن الغاب الاسود
ليس تخشى فيك غدرأ لليهود

☆ ☆ ☆

بحريم لمبايك العظام
من مرام فيه نحى و نظام
انهم قد حفظوا فيك النعام
رعت فيها و حوش و هوام
واهن القوة ما بين الانام
قدماً في الدهر مرعى المقام
ماضى العزمة مقضى المرام
لك من اتعابهم بيت احترام
فمشوا فيك مغذاً للامام
لحجاز و عراق و شام
ليس تعطو لركوع و سجود
بزحوف و جنود و بنود

☆ ☆ ☆

وسل الاحزاب بل سل خبيراً
هذه الحومات موتاً ممقراً
و جبان فر من اسد الشرى
فارح الخطب اذا الخطب عرا

أين من شادوا علاه للسماك
قوموا اعواده و هى ركاك
اين - يادين - الاولى راحوا فداك
قفلوا عنك و قد أفنوا عداك
أفتدرى رعت فيك الكلاب
رعت ثم اثنت ملأى العياب

كم يد يا دين عانت لو دريت
أفحموا أهوائهم فيما حويت
أحرزوا دنياهم منك وليت
انت ما بينهم جيفة ميت
طوحت فيك الليالى فأتيت

اين - يا دين - الاولى فيهم مشيت
قارعوا فيك المنايا فاغتديت
كرسوا فيك القوى حتى بنيت
كنت من دنياك فى أصغر بيت
كنت فى يثرب نضوا فارتميت
بل لك انقادت على الرغم رقاب
ضيقوا فى وجههم كل الرحاب

سل بذنا بداراً وأحدأ و حنين
كيف ذافت من سيوف كاللجين
كم بها خر شجاع لليدى
و بها يعرف بين الجحفلين

حيدر حين استفزت حيدرا
 كان عنه من له الامريرى
 فى الدفاع المرعن خيرالورى
 و تعدوها الى ام القرى
 و اذاقوهم ذعافاً ممقرا
 مستطيل وشهيد أعذرا
 ومواض كسروا عنها الغمود
 برجال هى لله جنود

✻ ✻ ✻

بجزيل الخير حتى انقلبت
 تلکم الا نجم حتى احتجبت
 سيئات كآثرتها و ربت
 هذه الدنيا و فينا احتربت
 و أعناها على ما رغبت
 صايأ حيث به الدنيا صبت
 بالهوى غالبها فانقلبت
 ووقت لما بها الداء ثبت
 و قد استعصت عليها و أبت
 ان تولى العمر بالمرء و بت
 و تولا جحدود و صدود
 و هو يحتاج الى بذل الجهود

✻ ✻ ✻

ادركوا من وضعها ما هى فيه
 و ان اغتر بما فيها السفية

و قد امتاز بها رؤية عين
 ذاك خواض الميادين فأين
 و بنو قبيلة نالوا كل زين
 أخضعوا كل القرى حين ايين
 وله كالوا العدى ديناً بدين
 ومشى الا صحاب للحرب فبين
 اوقدوا الحرب بنيران الحراب
 فتحوا للمز باباً بعد باب

أسفاً لم نمض هذى الازمنه
 فتسهاوت سنة بعد سنة
 و انت ترهق تلك الحسنه
 كفرت جهراً و كانت مؤمنه
 وغدت بالسوء فينا معلنه
 و اعار الكل منا رسنه
 و أتت ارواحنا مرتنه
 سفلت حتى غدت ممتنه
 اترى الخيرات منها ممكنه
 نعقم اليقظة من بعد السنه
 و محال نيله ما فيه خاب
 ليس يأتى صدقة نيل الرغاب

است ادرى هل بنو الدنيا سواء
 شخصوا ان مجالها رياء

ليس يهوى مكثه فيها النبيه
 بين اهليها تراه أو تريبه
 يبطن القادر حتى بينيه
 وانزوى من عيشها ما ترتجيه
 فأفادوه وصاروا من نوبه
 واليهم ينتمى كل وجيه
 وغدوا ليس لهم فينا شبه
 شاد في اقدارهم حتى الفقيه
 لآباء كرام وجدود
 لا بفضل لم تشيده النقود

☆

في بنى آدم من مجرى صحيح
 و بها مال قديماً كل ربح
 وتمنى قرمها الموت المريح
 زمن في خيره جد شحيح
 مذ غدوا لم يعرفوا معنى القبيح
 ليس في المخلوق محض وصريح
 صاح فيها فطريح و جريح
 و غدا قرداً بتعبير فصيح
 ألسن الناس به جهراً تصيح
 او عفاً تجتليه في صبيح
 قبح السيد منهم و المسود
 او يردهم قال يابش الورود

☆

☆

☆

و رأوا أن البقا فيها بلاء
 كلها غش و غدر و افتراء
 ليس فيها مسرح للضعفاء
 حبس الاحرار فيها الانزواء
 وجرى للعيش فيها اللؤماء
 وبهم دون الورى خص البقاء
 وعليهم دارشعر الشعراء
 فاذا هم عظماء شرفاء
 واذا المعجد بتحسين الثياب
 وبتشيد قصور وقباب

☆



عبثاً حاول من يبغى الشرف

هذه الدنيا تعاطت بالسخف
 قرع الحربها ناب الاسف
 كيف يؤتى العيش فيها بترف
 طاب للناس بها أكل الجيف
 كل من تلقى غناء وحشف
 كثرة تافهة ليت التلف
 سخف الانسان منها فاستخف
 لم يقل دروين في ذلك جنف
 هل ترى فيهم صلاحاً بظرف
 او ترى في جمعهم خيراً يصاب
 من ينقهم يلثمهم سماً و صاب

اننى و الناس فى قيد حياة
 حاكم فى سير كل الطبقات
 تصرف الدنيا لهذى الرغبات
 كل تشريع تعاناه الهداة
 و ان امتازت بها المدعيات
 عنهم الصدق فهم منه عراة
 جاء بدعاً بل عموم النشآت
 ليت شعرى و بما نرجو النجاة
 عاجزاً عن حل هذى المشكلات
 ان ذا الكون مجال للجنة
 و زوى الخبث به دود لدود
 فى صديق هو كالخصم اللدود

انا من دنياى لم أفهم سوى
 قد مشوا من غير شرط فالهوى
 دينهم رغبتهم نسم القوى
 نصروا أهوائهم حتى هوى
 و على هذا بنوا الدنيا سوا
 كذب الكلى عياناً و انزوى
 ليس هذا النشأ فيما قد حوى
 قد عرفنا الداء لكن ما الدوا
 طال بالفكر سراه فى اوى
 و أصاب الرشذ فىنا مذر وى
 رصد النهب به حتى الذباب
 كم حسبنا فتعدانا الحساب



ومن كلام له **عليه السلام** (ج ٣ ص ٤٨ وما بعدها من النهج الحديدى) قاله بعد تلاوته
 الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر: ونحن قبل الورود فى ايراد كلامه و شرح مادته نذكر مقدمات
 تكون رصيذاً للوقوف التام على مقاصده المهمة: فنقول:

الحياة و الموت بين المبدأى و المادى

- اما من الوجة الطبيعية - فالطبعى يرى ان الحياة ظاهرة تطرأ من
 اقتران بعض المواد ببعض بكميات و كيفيات خاصة تحت شرائط معينة فان حصول
 هذا الاقتران عنده يستلزم تلبس تلك المواد بظاهرة الحياة و اما زوال هذه الظاهرة عنها
 فتارة يكون با سباب طبيعية مكشوفة تفقد المواد قابليتها لبقاء الحياة معها و أخرى
 يكون با سباب غامضة من اسباب الطبيعة لكنها مجهولة عنده تفقد المواد - كذلك -
 تلك القابلية:

و اما الحياة عند المبدأى فهى ظاهرة بوحى بها الى المادة باستقلال فى هذا الابعاء

إذا المادة الهامدة لا تقتضى من نفسها شيئاً إلا يجعل شأية ذلك الشيء فى وجودها والشأية وحدها لا تبرز الى الفعل إلا بارادة مبرزة وعامل مؤثر يجعلها منشأ اثر اذن فجعل الشأية يحتاج الى جاعل وهو برز الشأية الى الظهور وهو العامل فاقتران المواد حتى مع كونها ذات شأن لقبول الحياة بمجرد غير كاف لظهور الحياة عليها وقيامها بالتأثيرات الحاصلة من اجلها :

هذا مضافاً الى ان الحياة ليست من مقولة واحدة فى التأثير ولو من ناحية اختلاف قوابلها فتأثير الحياة فى النبات غير تأثيرها فى الحيوان وتأثيرها فى الانسان غير ذينك التأثيرين كما ان تأثيرها فى قوابل كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة متفاوت منشئت و بعض هذه التفاوتات ناشئة من نقص فى القابل و بعضها حاصل عن الكسل فى استخدام القابل لنفسه واستثماره من وجوده. هذا المعنى هو الذى فرق بين النوابع والخامدين ومما سلفناه يستدل على ان شأية كل واحد من الاصناف الثلاثة الموماً اليها القبول ظاهرة الحياة غير شأية الأخرى وان اشعات شأياتها يوجب اشعات اصل موادها طبيعة فتكون مادة كل واحد منها غير مادة الأخرى وان تشابهت فى الظواهر أحياناً :

ومضافاً الى كل ما سلف فان القوم بعد أن توسعوا فى تحليل اهم الاشياء الطالعة فى الوجود و جزئاً موادها تجزئة دقيقة جداً قائمة على تحليلات كيميائية لا يستراب فيها وعرفوا ان الدم مثلامهى هويته وبم تقوّم وجوده حتى صار هذا السائل المخصوص كما عرفوا هوية القلب والكبد والطحال والكليتين وما الى ذلك معرفة لم ينبق وراثتها مجهولاً وان الوجود الانسانى مثلاً كيف يستطيع الاحتفاظ بحياته ولاية نقيصة تعرض عليه يعطيها من يده كان من لازم معرفتهم هذه مع مراعاة ادعائهم الآنف فى عروض ظاهرة الحياة للمواد - تحصيل الحياة بأيسر صورة بعد صف المواد القابلة لها وجمع شرائط حصولها وهم اعرف الناس بالمواد المزبورة وادرى بكل شرائطها كما يكون من لازمهم اعادة الحياة للموتى بعد ترميم النواقص التى سببت فقدان الحياة فان كل ما سلفنا البيان عنه مادى موجود فى محيط المادة وهم اعرف الناس بها كما وكيفا وشرطاً فى الاقترانات والتركيبات والتحليلات فعلام نراهم عاجزين عن تحصيل هذه الظاهرة كعجز الجاهلاء المساكين : اذن فخلاصة المطلوب ان ايجاد المادة و وجودها فى الخارج يحتاج

الى موجد وجعل الشأنيات المتفاوتة فى قوا بلها يدعو الى جاعل وأخرجها من الكمون الى الظهور يقتضى عاملاً مؤثراً وهذا كله يجب ان لا يحصل اذا لم يكن لما وراء الطبيعة وجود : فان قال الطبيعى لم يثبت عجزى نهائياً عن اقتناص الحياة لما أوّلفه من الاجزاء المادية فعسى ان يؤدى بحثى الى استفادة هذه النتيجة كما اننى فى طريقى الى تربية النطفة خارج رحم الام و تصييرها انساناً تام الخلقة حياً يطوى مراحل الحياة كما يطويها الجنين داخل الرحم وبعد ذلك فى خارجه قلنا له على فرض ان توفق لتصنيف الاجزاء التى تراها مادة مستعدة لطروء الحياة عليها ثم تطراً الحياة لا يكون ذلك دليلاً لك على ان المواد بنفسها خلقت الحياة لنفسها لان ذلك امر مبهم مستور لا يعلم مدى ارتباطه بها الامن طريق شأنيها لقبول الحياة لا اكثر و كل ما كان على هذا الملاك لا يكون دليلاً مدعيه: فاذا لم تستطع الطبيعة ان تثبت ذلك لنفسها بالقطع كان عزوه الى ما وراء الطبيعة لازماً اذ لا بد من علة فى اليمين و دعوى ان الطبيعة ازلية كانت بلا مكمون بماطلة ببراين جمّة اسلفنا الكلام عليها آنفاً و يجىء فى ما نستقبله من بحوث تمة ذلك.

مركز تحت كويت علوم دينى

و اما الموت عند المبدأى فهو اعطاء ظاهرة الحياة بايحاء من معطى الحياة: و نعلل المادى بالاسباب الطبيعية المكشوفة التى تفقد المواد قابليتها لبقاء الحياة معها فديقبل منه اما الاعتراف بالموت مستنداً الى سبب طبيعى مجهول فى نفسه انه ما هو وفى تأثيره انه كم مقداره و هل ينتج الموت فى تأثيراته أولاً فهو مأخوذ عليه بانك من اين عرفت ان السبب المميت الذى تجهله تمام الجهل سبب طبيعى ليس غير فعساء يكون غير طبيعى كما انك كيف عرفت انه ينتج الموت بعد أن جهلته تمام الجهل :

نعم حصول الموت مع مجهولية السبب لا يثبت للمبدأى عقيدته بان الذى ازال ظاهرة الحياة هو الذى اعطاها بارادته لزواليا فان كان مدركه السمع فان السمع لا يفاوت بين الموت عن سبب ظاهر وعن لاسبب ظاهر ويرى ان الجميع انما كان بارادة الله وان الاسباب فى ظاهرها الطبيعة اعدادات فقط سواء فى ذلك مكشوفها ومجهولها: مضافاً الى ان السمع لا يقنع المادى الا بعد الزامه باصل الموجد الخلاق الموصوف بصفاته المقررة عند الموحدين كما ان

السمع لا يثبت المطلب الفلسفى الا بعد أرجاعه الى خضوع العقل للفاعل المختار : نعم فى المجارى الطبيعية ما يؤيد السمع بأننا نرى انساناً تلدغه الحية لدغاً قوياً متكرراً فلا يموت حتى مع عدم المعالجة ونرى انساناً آخر تلدغه الحية من ذاك القبيل فيموت مع اقوى المعالجات ومن هذا الرديف شىء كثير فى مجارى الحياة فيجوز لنا ان نستدل من هذا ونظائره على ان هناك يداً فعالة وراء الطبيعة نفسها و لو قصرنا نظراً على الطبيعة وحدها وتعللنا بان هناك معقومات طبيعية غامضة صانت ذاك الملدوخ الذى ام يمت مع عدم تميزنا لهذه المعقومات وجوداً وتأثيراً لا شكل علينا هذا المطلب اشكالا يحررنا عن افئاع انفسنا وجواب سائلنا و هذا المطلب و ان لم يكن برهاناً قاطعاً على اسناد ازالة ظاهرة الحياة الى ما وراء الطبيعة الا انه مؤيد للسمع اتم تايد . هذا كله فى الحياة والموت من نظر المبدأ أى والمادى بالنسبة الى الوجهة الطبيعية: واماها من وجهة المثل والاخلاق فكما يلى :

للموت والحياة مفهومان منفردان عندا لمادى والمثالى فالمادى يرى الحياة ظاهرة حيوانية خالصة لا يستهدف منها اكثر من نيل الرغبة وتحقيق الشهوة ومتابعة الميول والتلذذ بمجارى الاهواء ويرى الموت اعطاء هذه الظاهرة من اليد بعلة من العلل القاضية عليها من طرق الطبيعة كما اسلفنا ان الهيكل العظمى بعد انكشاف ظاهرة الحياة عنه يتلاشى الى الابد بلا ان يستعيد حياته مرة اخرى او ينال جزاء جرائمه او مراحمه غير ما ناله فى حياته الاولى : هذا كل ما ينطوى عليه المادى من عقيدة فى الوجود الانسانى فضلا عن غيره :

واما المثالى فانه وان رأى الحياة فى الانسان بظاها ظاهرة حيوانية الا انها ليست كل الملاك فى هويته فالانسان الحى ليس حيواناً طالعاً بظاهرة الحياة فحسب بل هو فى نفسه خلق ابتدائى لا يرتبط بخلقة الحيوان فى شىء وان وجوده المادى الحى جعل أعداداً لتصرف العقول فيه بحاكمية الشرائع السماوية عليها تصرفاً قائماً على برامج خاصة ليست هى الميول الحيوانية والاهواء النفسية وان موته بأجل مقدر ممن خلقه وأبدعه و ان فناءه بالموت من هذه النشأة من طلائع حياته الثانية التى أعدها

الخالق له ليؤتبه فيها جزاء عمله ان خيراً فخير و ان شراً فشر اذن فكم من فرق بين العقيدتين .

ومن هدف التحوليين فى قولهم ان الحيوان اصل قريب للانسان منه تحول فكان من افراد العقول القهارة النى زعزت الكون باعمالها الجبارة هو ايقاع التقارن بين هذه الموجودات المدهشة والعجماوات من الحيوانات فى فكرة جوهرية استهدفوا من ورائها تحقيق اهدافهم الرمزية و هى ان الانسان لا يجوز له ان يترفع بنفسه على الحيوان الا بمقدار ما يترفع الكلب المعلم على كلب الهراش فكما ان الطغيان الطبيعى فى الحيوان يسوقه الى الافتراس والمغالبة يدعوه ايضاً الى التساقد بين ذكرانه و اناته من دون عقد ولا شرط ولا سابقه معارفة ولا اختفاء فى اجراء هذا العمل فان الانسان يجب ان يكون مثله لانه حيوان بلا فاصلة وان ما يتصوره لنفسه من حدود وفواصل خيال محض لا يشف عن واقع تحته وهذا هو الغلط الذى افترض به هؤلاء التحوليون ووقعوا من طريقه فى مشاكل علمية من ناحية وحيوانية من ناحية ثانية وعلى اساس هذه القاعدة المنحرفة انحرف عن التوازن والاعتدال كل حجر اقيم عليها :

الطبيعة

ان اغنية الماديين بالطبيعة ونواميسها وتفاعلها العظيم ام تزل كما لاتزال وورد السننهم فى كل آن حيث يعتبرون ان كل ما فى الوجود من قليل وكثير وحقير وخطير وهامدوم متحرك فى اى عالم يفرض هو من الطبيعة والى الطبيعة وان نواميسها المنظمة وقوانينها المحكمة قد قامت وتقوم بكل ما جرى ويجرى فى الكون وان ليس وراء الطبيعة شىء آخر كما لاحاجة وراء نواميس الطبيعة الى اى عامل يفرض فالكون كله من طريق النواميس الفعالة فيه يتفاعل فى جميع آتاته من الازل الى الابد وكل ما وجد ويوجد فيه هو من أثر ذلك : ونحن يجب علينا ان نبعد عن معنى الناموس او لائم نفيض فى تحليل مدعىاتهم: اما الناموس فهو القاعدة الكلية التى نمشى على كافة مشتتاتها مشياً واحداً كما يقول النحاة كل فاعل مرفوع و كل مفعول به منصوب وكل ما شد من ذلك شىء فهو

خطأ هذا هو التماموس لكنه لا وجود له في الطبيعة لا بنحو الكلية القاطعة ولا بنحو
الاعم الاغلب ان جوزنا في تطبيق النواميس اعمية واغلبية خصوصاً في الطبيعي منها،
و الافاضة في تحليل مد عياتهم هو ان الانسان بمجرد و روده في البحث عما
يحتضنه الكون من شتات موجوداته وما يحنوى عليه من شؤونه وحالاته يجد الخروج
عن النظام سنة والانفلات على التماموس مطرداً والانشعاث في الحالات والشؤون لا يحدث
ولا يحصر بحاصروكل نظام و تاموس يكونان بهذه المثابة يعطيان هويتهم من ايديهما
فلا يعود النظام نظاماً ولا التماموس تاموساً.

بدليل انا نرى الصلب الواحد والرحم الواحد وما يتنزل من ذلك من مواد وترشح
من هذا من لزيج ومخاط وما يحصل بينهما من اختلاط وتلاقح في اعماق الرحم يجب بحكم
تاموس الطبيعة ان يكون واحداً في النتيجة لامن حيث الفردوا لتوأم ولا من حيث
الذكورة والانوثة وان كان كل من هذين الحيتين محل نظر وبحث بل من حيث الطول و
القصر والوسامة والدعامة والذكاء والبلادة وما الى ذلك من سمات وصفات فانك لا تجد على
الاطلاق اثنين من مواليد هذين الابوين متحدين والعيان اكبر برهان لنا على ذلك فاذا
لم يكن عامل في البين غير الطبيعة التي كثر من بيوض هذين الاثنين افراداً وافررتوجب
بحكم هذه الطبيعة ان لا ينشمر الاولاد عن ابويهما في كافة ميولهما و غرائزهما التي
كانت جارية في مجارى طبيعتهم والحال ان الامر ليس كذلك فباي تاموس نعلل هذا
الانحراف الهائل وعلى اي نظام تطبق هذه الانشعاثات :

على اننا لو توسعنا في ابعاد هذه النظرات وجدنا كل واحد من محتويات هذا
الكون غير الاخر فاي كوكب في السماء يتحد مع الكوكب الاخر والحال ان ام الكوكبين
من المنظومة الشمسية واحدة وهي الشمس وهلم القول في غيرها من المنظومات : بل
واى ورقة من شجرة تتحد مع الورقة الاخرى مع تلاصقهما في المنبت تخطيطاً وهيئة
وشكلاً : وقس على ذلك كل ما في الكون : أمثل هذا يقال له نظام و تاموس :

و نرى ان الاثنين الواجدين لمزايا مشتركة تقريباً يتشبهان بواسطة واحدة
مستوية بينهما فتنتج وساطتها في احدهما وتخفق في الاخر لا لشيء سوى ما يعبر عنه

الناس بالتوفيق : فما العلة في ذلك من مجارى الطبيعة وشؤونها اذا كان كل شيء فيها هومنها واليها :

وليس بمقدور الباحث ان يحيط باشباه هذا ونظائرومهما حاول الاحاطة فاماذا لبت شعري يكون موقف اللبيب بين هذه القضايا أيطرح عليها احجاب الاهمال والتناسى فان عقله لا يجيزله ذلك ولا يهدأ عن محاولة فهم هذه الاسرار : ام يلتجأ في حلها الى الطبيعة فقد صارت في نظره أمّ الطلاس : ام يعزوها الى ما وراء الطبيعة فذلك ما تفرؤه تالياً :

ما وراء الطبيعة

فلما لم يكن في البين ناموس طبيعي ثابت نستطيع من طريقه أن نعزو الآثار المتحصلة اليه مباشرة من غير تأمل لان العلة الطبيعية تأخذ برقبة معلولها من دون أن تخايره و الجئنا هذه الآثار الى ان نعللها بعلة تقوم بها و ليس عندنا من العوامل المفروضة الا الصدفة والصدفة ليست الا ظرفاً لحصول الاثر ولا مساس لها بالتأثير أصلاً - كما ستقرؤه - والا النواميس الطبيعية وهي كما عرفت غير قادرة على ان تجر اليها رقاب المعلولات قهراً لحصول فجوات عقلية بينها وبين الآثار - كما قرأت - الا في قليل نشير اليه : اجبرنا العقل : من طريق حصول الاثر على لزوم تعليله بعلة غير الصدفة وغير ناموس الطبيعة وليس ذلك الا ما وراء الطبيعة فالنسبة الى ما وراء الطبيعة نسبة قطعية الحصول للعقل ان لا مفرد منها :

بتوضيح ان الصدفة معناها حصول الشيء او العثور عليه من دون احتساب نظير أن تخرج من بيتك لمقصد معين او غير معين وبخرج زيد من بيته كذلك وتلتقيان على نقطة و كنت راغباً ان نراه فهذه الملاقاة يقال لها ملاقاة بصدفة والعلة في حصولها هو سيرك من بيتك وسير زيد من بيته ايضاً والصدفة صارت ظرفاً لهذا الحصول لا اكثر : وهكذا يقال في كافة الصدوف سواء علم السبب في حصول الشيء او العثور عليه ام لم يعلم فان الصدفة لا يزيد معناها عن كونها ظرفاً لحصول الحاصل او العثور عليه و انها

ليست من التأثير فيه في قليل ولا كثير :

واما النواميس الطبيعية فقد عرفت الحال عنها جملة وتزيد ذلك توضيحاً فنقول لا يختلف اثنان من القائلين بالنوانيس الموماً اليها بان السمّ مثلاً قاتل او مزعج فان ارادوا بذلك ان السم بشرط التأثير قاتل او مزعج فقد عبروا عن توضيح واضح وبعبارة اخرى فقد اناطوا الناموس الطبيعي بحصول الاثر فمتى حصل الاثر اعتبروا ما عبروا عنه بالناموس الطبيعي علة طبيعية و متى لم يحصل عزلوه عن عرش ناموسيته و هذا غلط مفتضح اذن فليس السم بما هو سم قاتل او مزعج بل بشرط التأثير قاتل او مزعج و هو كما تراه :

وان ارادوا بهذا العنوان مصاديقه المعروف عنها التسميم لتأثيرها ذلك معمولاً فاننا نجدها تعقم مرة و تؤثر اخرى مثلاً هذا الحنظل يأكله بعض الناس فلا يتسمم و يأكله بعض آخر فيتسمم بل يموت ونظيره كثير في السموم وغيرها من المواد : أفيقال هناك موانع وقفت امام تأثيره فيمن لم يتأثر به فنحن لانرى له مانعاً ظاهرياً بل يتناوله من يتناوله بصورة عادية لم يتخذ لها اي تدبير سابق واحالته الى سر طبيعي غامض طفرة عن الميدان وجدل فارغ ام يقال ان العادة كسرت من فعالية السم فنقول اما او لا فان العادة انما تحصل بعد الممارسة فما كان الحائل عن التأثير في المرة الاولى والثانية : واما انما فاننا اذا اعتبرنا في تأثير الناموس الطبيعي عدم العادة وعدم المانع الذي نفترضه افتراضاً سقط هذا الناموس عن ناموسيته وعلى فرض حصول الاثر عند استعماله لا يبقى في النفس يقين يربط هذا الاثر بهذا الناموس لا احتمال ان يكون المؤثر شيئاً لا نعلمه فصادف تأثيره تناول السم و متى كانت النواميس بهذه المثابة سقطت عن العلية المحتملة ولم يبق فيها الاحتمال عليتها وهو غير كاف في الناموس الطبيعي وفي كل علة طبيعية .

اذن فالقدر المسلم من كل ذلك ان الطبيعة اعداد خالص لمؤثرات وراثتها هي التي تقوم بالتأثيرات وان تأثيرات ما وراء الطبيعة اختيارية وليست بقسرية : وبعبارة اوضح : ان عامل ما و راء الطبيعة يجب ان يكون مختاراً في تأثيره لا موجبا حتى يتسنى لنا أن نفهم انه بالارادة شاء ان يموت من مات بأكل الحنظل وباختياره اراد ان

يبقى من أكله ولم يموت وعلى مثل هذا كافة الانشعاعات التي تعرضنا لذكر بعضها وسكتنا عن الأكثر الاوفر:

وهكذا يقال في ما جاء في الشرائع من الامر بالدعاء وانه يستجاب وبصلة الارحام وانها تطيل العمر ونظير ذلك مما رتب عليه اثر وقد يحصل الاثر مرة واحدة واخرى قد لا يحصل فان جميع ذلك من الدعاء وصلة الرحم أعداد خالص فقد يشاء الله ترتيب ما وعد به من الاثر وقد لا يشاء وغايته يأتي الى الميدان أشكال حلف الوعد عليه ولكنه ليس بوارد ان لم يأت في الشريعة صريحاً ان الدعاء بمجرد تمام الاعداد وانه يستلزم الاجابة فقد يكون هو و نظائره بعضاً منه وان ما رتب عليه من الاثر من باب القضية المهمة لا القضية الكلية والقضية المهمة تلازم الجزئية وقد حصل في الخارج اثر لبعض الدعاء وصلة الارحام استدراك : ليس منظورنا من نفي التأثيرات عن الطبيعة ان موادها المتشعبة فاقدة للخواص المجهولة في اعماقها من وجودها وخالقها بل منظورنا انها ليست كل المؤثر فيما تؤثر فلا يستطيع احد ان ينكر ان شرب الماء يروي وان تناول الطعام يشبع الا ان يشاء الله في الآكل والشارب وجود علة تعقم ذلك فيعود صاحبها يشرب الماء ولا يرتوي وبأكل الطعام ولا يشبع : اذن فلا تدافع بين الاعتراف بتأثير الطبيعة وبين ان يقال ان هناك سائفاً لها في تأثيرها هذا او معقماً لها عن فعلها :

فان قيل كيف يصح لنا أن نزع ان الغيب شاء فري اوداج فلان فمات وهو يناقض ما نراه بالوجود ان القاتل المتعمد مختار في فعله وانه بارادة نفسه لداع من الدواعي التي دفعته الى هذا العمل فعل هذا الفعل واذن رتب عليه الشارع القصاص وان يقيد من نفسه وان يكفر كفارة الجمع وان يتوب فاذا كان القاتل المتعمد مسوقاً من الغيب بالالهاء فما هذا الذي يجده من الاختيار ويحس به من تمام الارادة ولم يجب عليه شرعاً ان يقيد من نفسه ولم يجوز لاولياء المقتول ان يقتصوا منه فيقتلوه كما قتل صاحبهم ولم تجب عليه الكفارات الثلاث التي لم تجتمع الا اهمية الجريمة ولم تجب عليه التوبة والاستغفار فان كل هذه المطالب تعود لاغية اذا قلنا ان فعل القاتل بقضاء وقدر عليه وعلى من قتله: فهل أصل موضوع القضاء والقدر باطل وهو تكذيب لشريعة السماء او ان نيك المطالب

الآفة كذب وهي صدق بالوجدان الصريح وأطباق العقول والعقلاء عليها او هناك طريق جمع بما يرتفع به كلالا المحذورين بأن نقول ان مجال القضاء والقدر محدود بالتكوينية واما الامور التكوينية فهي بالاختيار وبعبارة اخرى كل موارد الاحكام الشرعية خارجة عن منطقة القضاء والقدر : و مرادنا بالتكوين كل ما هو خارج عن قدرة الانسان و بموارد الحكم الشرعي كل ما هو داخل في منطقة اختياره فتمام الخلقه و نقصانها والموقفية بالبيع و الشراء و المحرومية فيهما من الامور التكوينية المشمولة لحوزة القضاء والقدر واما انشاء عمل القتل من القاتل المتعمد بما انه من موارد التكليف و لهذا حرم الشارع اقدام الانسان على قتل الانسان بلا مجوز فليس من مجارى القضاء والقدر و هكذا اقدام الانسان على قتل نفسه ليس من القضاء والقدر لانه مورد تكليف وهو الحرمة :

فأن قيل ما تقول فى الموت فهل ترى كل موت بقضاء وقدر او ترى بعضاً منه مشمولاً لذلك دون بعض فالموت الذى لا يكون بفعل الانسان المختار يكون بقضاء وقدر و الذى يكون بفعله لا يكون بقضاء وقدر لان فعل الانسان المختار من موارد الحكم الشرعى وبناء على المبنى كل الموارد الشرعية ليست من وادى القضاء والقدر ولا ترى فى الشرائع القائلة بالقضاء والقدر تفكيكا بين الموتين :

فان قيل ان مورد الحكم الشرعى هو الاقدام المباشرة لعملية القتل وانه هو الحرام واما النتيجة المتحصلة منه و هي الموت فليست من موارد الحكم الشرعى فلا مانع ان تكون بقضاء وقدر قلنا ان تحتم حصول النتيجة مستلزماً لتحتم حصول مقدماتها المنتجة لها فتقع حينئذ بالقسر لا بالاختيار فمن قضى عليه بأن يموت قتلاً كان ايقاع عمل القتل به ضربة لازب فلا يكون هذا الايقاع باختياره موقفاً فلا يكون حراماً الا ان يقال ان عدم التعمين فى الموقع لهذه العملية يخرجها عن القسر والالغاء فيكون القادم على ذلك مختاراً فى فعله وان كانت النتيجة محتمة الحصول لكنه يسأل فيقال أليس هذا من نظائر ان يلجأ انسان الى فعل ما من افعال غير محدودة قلنا هو مثله الا ان هذا الملاك لا يخرج بالانسان عن اختياره فهو من قبيل الشبهة غير المحصورة التى لا قيمة للعالم الاجمالي

فيها لا ادعى العسر والحرج بل لان النفس لاتعتمد به اذا كان بهذه المثابة كما يراه كل انسان وجداناً :

ثم نعيد الكرة على ما اسلفناه من الحديث عن الطبيعة وما وراء الطبيعة بنحو عبارة لهوتحقيق لبحوثه فنقول : وجود اى شىء يفرض ولو بهوية اخرى وحصول شأنية التأثير فيه وظهور اثره الى الخارج كل مرحلة من هذه المراحل يحتاج الى عامل وعلة وبدونهما يكون الحكم بوجوده و حصول شأنية التأثير فيه وبروز اثره اعتبارياً : مثلاً الطعام بما هو لا يستطيع ان يوجد من نفسه دماً و نراه عندما تهضمه المعدة وتجذب خلاصته يستحيل فى جملة منه دماً اذا خلايا حية فعالة متفاوتة فى الهوية والحال ان السنخية بين هذه الهوية وتلك معدومة لان كل طعام مطبوخ وهو الاكثر من الاطعمة يفقد كل خلاياها الحية بالطبخ والاضاج فما الذى أحاله الى مادة اخرى بهوية ثانية ذات خلايا حية وهى الدم وعلام نرى هذا الطعام نفسه يختلف باستحالاته فى الذكور والاناث كما وكيفاً فيكون الدم فى المرأة غير الدم فى الرجل مضافاً الى ان هذا الطعام نفسه تأكله الاسماك الكبار والحيتان فلا يستحيل منه الى الدم الا شىء لا يعتد به لان وجود الدم فى الاسماك والحيتان قليل جداً بالنسبة واغلب ما تحتوى عليه هو اللحم والشحم فعامل هذه الاستحالات المتفاوتة ما هو وموجد هذه الشأنيات فيها هو ومبرز هذه الشأنيات الى عالم ظهور ما هو ايضاً .

فان قيل فاعل كل ذلك هو تطلب هذه الحيوانات بطبيعتها هذه الاستحالات المتفاوتة الى دم مرة والى لحم وشحم اخرى فلنا ليست الطبيعة سوى مواد مشتتة فى أصلها فما الذى صفها بعضاً لبعض وصير منها هوية واحدة لها متطلبات خاصة فهل اصطفت المواد من نفسها بعد انشائها بغريز طبيعية فيها فان كان كذلك كان من اللازم تشكل الحيوان والانسان والنبات من نفسه بدون حاجة الى زرع وتلقيح وطى مراحل جنينية وان صفها امر خارج عنها فما هو ذلك الامر طبعاً يكون الجواب انه امر خارج الطبيعة ووراثتها: ثم نجر الكلام الى هذا الدم الذى يستحيل فى الحيوان الى مادة منوية بهيجان الشهوة الجنسية - على ما يقال - فنقول هل الشهوة الجنسية بتحركها قادرة على احالة الدم وسلخ هويته الخاصة منه الى مادة منوية تحتوى من الخلايا على ما يغير تماماً خلايا

الدم بما هو دم فان فرضناها قادرة على تحويله فما الذى أقدرها على أن توجد فى المادة المنوية هذه الخلايا اللقاحية التى كل خلية منها بذرة يتكون منها حيوان تام الاجهيزات كأحد هذه الحيوانات التى نشاهد ها تسرح وتمرح ولم كانت الشهوة الجنسية : وهى رغبة نفسية تدعو كلا من الذكر و الانثى الى الاختلاط و التقارب بدون أن يتصورا فى طريقها مسألة اللقاح وتوليد المثل : تستدعى افراز مادة فى مقام التقارب والاختلاط ولم كانت المادة التى تتقاضاها هى المنى اما بتحويل الدم اليها او تكوينها ابتداء او احالة مادة اخرى اليها ولم لاتكون المادة هى الودى او المذى او الودى مما لا يكون واجداً للخلايا اللقاح .

ثم كل من الخلية المذكرة والمؤنثة اذا كان واجداً لتمام شأنيات انخلاق الذكر الكامل والانثى الكاملة فما الذى احوجه ان يتحد بصاحبه اتحاداً كاملاً وما الذى أهاب بالخلية المؤنثة بعد ان ترد الخلية المذكرة فى دائرتها ان ترشح من نفسها رشيحاً تمنع به ورود اية خلية مذكرة أخرى حتى لا يفسد ما حصل من اللقاح فان هذه الظاهرة ظاهرة قوية تستدعى شعوراً وافراً و ارادة تامة وخلاقية قوية :

و ان لم يكن واجداً للشأنيات المزبورة بل الشأنيات التامة تحصل من اتحاد المادتين فما الذى يوجب انخلاق الانثى مرة والذكر أخرى على بعد المسافة بين الخليقتين فى كافة الاجهيزات و الظاهر ان كان انخلاق الذكر لطغيان الخلية المذكرة على المؤنثة اذن فما دخل المؤنثة فى هذا اللقاح وهكذا يقال ان كان انخلاق الانثى لطغيان الخلية المؤنثة على المذكرة فما دخل المذكرة فى اللقاح المزبور :

ثم ان الشهوة الجنسية تستمر مع الذكران و الاناث طوال أعمارهم حتى تسقط بناهم الطبيعية عن هذا المحس و فى كل هذه الادوار عند انبعاث الشهوة يفرزان المادة المنوية عند التقارب الجنسى فلم نرى الرجل تبقى خلاياه المذكرة خلاقه اما الانثى فتقف عن قبول اللقاح فى حدود اليأس عن المحيض فلم تياس المرأة وهى تامة النشاط كثيرة الاكل والدم :

ويقذف رحم المرأة الجنين فعلام ينخلق اللبن فى ثديها وهل حاجة الطفل الذى

هو وجود مستقل عن وجود امه تؤمنه بهذا الداعي ان قلنا ان الشهوة الجنسية تحرك طبيعة صاحبها لتحويل بعض المواد الموجودة فيه الى منى فذاك قد يكون له وجه لان هذا التفاعل في وجود واحد مرتبط ببعضه ببعض لكن الطفل وجود مستقل في كل طبيعته منفصل بها عن طبيعة امه فكيف يؤثر احتياجه الى الغذاء في تكون اللبن من وجود آخر منحاز عنه ولم لا يحصل نظير هذا العمل لغير الطفل مع امه وان حصل بين امرة غير والد و بين انسان آخر فشى ولا يعتد به : وهل تؤمن الاحتياجات لذويها ما هم بحاجة اليه وحتى مع السعي في سبيلها والكدح فيها - كل ذلك خلاف الواقع المكشوف - ان الحاجة قد تؤثر من ضغطها الجنون في صاحبها وهو لا يستطيع ان يحل عقدة واحدة من عقدها :

واذا كانت الخلية المذكورة حصيلة نامة من الرجل الذي فصلها عن نفسه والخلية المؤنثة كذلك فلم نرى هذه الحصيلة عندما تطوى مراحلها وتجيء الى الخارج انساناً متفاوتة مع صاحبها في كل اشياؤه الخلقية والخلقية الا في بعض الظواهر العامة التي لا قيمة لها فترى الولد يخالف الوالدين في الوسامة والدمامة والطول والقصر والفتنة والبلادة والحياء والوفاء والشجاعة واللجين وما الى ذلك و ما يشاهد بعد ذلك احياناً من الاتفاق في المشارب الذوقية في الحياة فانه نتيجة التربية والتدريب من الوالدين القيمين على الولد المطيع لهما لامن بواعث الخلقة ونتائج البنوة :

فالطبيعة والطبيعيون بالاسر لا يستطيعون امام هذه المسائل التي هي غيظ من فيض لا يتناهى اقل حراك وجواب للمعجز المحقق منها ومنهم جميعاً الى الابد لان لسان هذه الاسئلة وراء البحث عن المادة بما هي مادة تحلل وتجزأ بالمشاريط الطبيعية وكل ما أبدوه او يبدونه من علوم الطبيعة انما هو بحث عن امور حاصلة لا بحث عن كيفية الحصول واسرارها :

وهذا الذي تحدثنا عنه آثار لان تكون بدون مؤثر والمعجز في الطبيعة يقطعها عن صلاحية التأثير فلا بد من وجود مؤثر ورائها يملك الصلاحية النامة في ذلك : ونسبة ما وراء الطبيعة الى الطبيعة كنسبة النقيض الى النقيض حيث يستحيل عليهما الرفع كما يستحيل الوضع فكما يستحيل ان لا يكون المؤثر الضروري اللزوم طبيعياً ولا غير طبيعي يستحيل

ان يكون طبيعياً وغير طبيعي في عرض واحد من غير التثام بينهما بأن يكون كل واحد منهما جزء العلة على انه مع فرض قيام الطبيعة بكل التأثيرات كما يقول الماديون يكون فرض ما وراء الطبيعة لغواً :

مع ان الطبيعة التي درسنا طرفاً منها في بحثنا السابق لا تبرز نفسها الا بمعرض ماكنة قد صفت آلاتها لتعمل و ان الذي صنعها ورتبها وأشرف ويشرف على عملها امر وراثتها أوجدها وقام عليها يلاحظ حركاتها وسكناتها ان صح لنا هذا التنظير ولا يكاد يصح الا بطور اجمالي ضعيف ذلك لان النوسع والتدقيق في المعارض الطبيعية يعطينا الانشعاع العمومي في كافة مجاريها كما اشرنا الى ذلك مكرراً في هذه الفصول وفي غيرها وبسطنا نماذج منه :

فان قيل ان الجهل بمنشأ هذه الآثار هل انه من قوى ومؤثرات منبثة في كوامن الطبيعة ولا نهتدى اليها او من خارجها لا يجيز لنا أن ننسبها الى الطبيعة لا ننا نجعل أصل تأثيرها فضلاً عن الجهل باصل وجودها كما لا يجيز لنا ان ننتقل عنها الى ما وراءها قاطعين في النسبة اليه وعلى ذلك يبقى المؤثر هل انه الطبيعة او ما وراثتها غامض الهوية علينا و ان لزمنا الاعتراف باصل وجوده : وعلى هذا لاتصل النوبة الى ترك ما وراء الطبيعة ونتيجته سقوط كل ما يقوله الماديون والموحدون :

قلنا ليس الامر كذلك فان الطبيعة ليست الا هذه المواد المطروحة بين ايدينا والعلاقات الموجودة بين بعضها وبعض ومع الفحص الدقيق عن طرف قليل منها يستكفي الباحث في تبطنها : مثلاً : اذا قال فائل ما هو عامل هذه الاستحالات المتفاوتة يستحيل الطعام في جوهره الى دم في الانسان و الى شحم ولحم في الاسماك الكبار و الحيتان لندرة وجود الدم فيها بالنسبة الى اجسامها وما تطعمه ويستحيل الدم الى منى يطلب من الشهوة الجنسية و الى لبن شهى للرضيع و الى غير ذلك فهل الفاعل لجميع ذلك هو تطلب هذه الحيوانات بطبيعتها لهذه الاستحالات المتفاوتة قطعاً يصح للمجيب ان يقول ان الطبيعة ليست سوى مواد متشتمة في اصلها فما الذي صفها بعضاً لبعض و صير منها هوية واحدة لها متطلبات خاصة فهل اصطفت المواد من نفسها بعد انشعائها الجاذبية

قائمة فيها فان كان كذلك كان من اللازم تشكل الحيوان والانسان والنبات من نفسه بدون حاجة الى زرع وتلقيح وطى مراحل جنينية وان صفها امر خارج عنها و نفت في كوامنها امثال تيكك المتطلبات كانت الطبيعة حينئذ مادة مسخرة له ليس لها من الامر اقل شيء وبهذا يؤخذ الماديون الزاعمون بان التحول خلق من الحيوان هوية الانسان فانا نقول لهم اذا كان اصطفاف المواد بعضاً لبعض كافياً في الخلقة و في تنوع الانواع وحصول هذه الموجودات فلم انقطع ذلك العمل فلا يكون الحيوان الا بملاحة ذكره وانشاء الانسان كذلك والنبات كذلك حتى الذي يبرز منه لنفسه .

ولم لم يمرض التحول على طريقه فتستحيل الحيوانات كلها او بعضها الى اناسى اذن فلا بد هناك من صاف يصف ويوجد العلاقات وبذلك شهد الحيوان من نفسه على نفسه انه انما يكون من طريق ملاحة خاصة لا بالتحول وشهد الشهادة نفسها كل اناسى العالم وبمثلها شهدت نباتاته بل وكل اشياؤه :

وهكذا نقول اذا كانت الشهوة الجنسية تقتضى افراز مواد لاطفائها فلم افرت هذا السائل المخصوص - المنى بدون سائر المواد وانما افرت المنى بداعي اطفاء الشهوة فلم افرتة ذا خلايا حية تحمل كل استعدادات الانسان التام الخلقة وان الخلية المذكورة في الرحم تراها تتطلب الخلية المؤنثة فمن وهبها بهذا الالهام كما انه من وهب الخلية المؤنثة عند ماترى المذكورة ان تبرز من نفسها حدة يقصدها المذكور ويلج فيها ومن وهب هذه المؤنثة ان تقوم من فورها بترشيح سائل يمنع ورود اى مذكر الى دائرتها ان هذه الالهامات القوية خارجة عن حدود المواد الطبيعية بماهى مواد طبيعية لانها ليست من نسخها : ثم كما اسلفنا اية رابطة طبيعية بين خروج الجنين من بطن امه وانقلاب الدم فى تدبيرها الى لبن او حدوث اللبن من نفسه بدون تحول من الدم فان الحاجة الى اللبن المنطوية فى وجود الجنين لاتماس لها بدم الام او اية مادة اخرى منها حتى تحركه للتحول الى لبن والدم فى نفسه لا يملك القدرة على تحويل هويته الى هوية اخرى فتارة يصير منياً واخرى لبناً شهباً : وهكذا الاجزاء البيض الدموية التى هى حصيلة من هضم الغذاء وجذب جوهره و تحوله الى دم منتشر فى كافة ابعاد بدن الانسان كيف استطاعت وهى بهذه

الهوية ان تظهر بمظاهر الكمي الحدرا المتيقظ الذي يعمل لمصلحة قومه جهد مقدوره فقد ذكر الطبيعويون في خواصها انها لاتزال ذات حملات عنيفة على الجراثيم والمواد الخارجية فانها تحاصرها و تبتلعها و تهضمها مثلاً على اثر انغماس أبرة في البدن لو تسربت اليه عدة ميكروبات اخذت هذه الميكروبات تتغذى بالمائع المالىء لفضاء ما بين الخلايا ومن طريق تحركها تبعث بسمومها اليه فيحصل من ترشح السموم ورم وأنم وتعفن في المزاج في هذا الموقع تتنبه الاجزاء البيض وتخرج من عروقها الضيقة لتبارز الجراثيم فهنا يحصل هجوم من الميكروبات ودفاع من الخلايا المزبورة بترشح السم من الاولى وترشح ضده من الثانية فاذا قاومت هذه الخلايا مقاومة ناعمة انتهت المنازعة بينها و بين الميكروبات بالقضاء على هذا العدو فتجف الجراحة و يهت الورم وكل ما أصاب الخلايا من نقص وجهد يترمم سريعاً واذا عجزت عن دفاعها اخذت رقم الميكروبات يتكاثر و الورم يزداد وتقرّب الحالة من الخطر فهذه الاعمال التي يعجز اهل الشعور القوى والارادة الحاسمة والقدرة النافذة كيف ملكتها هذه الاجزاء ومن اين جاءت لها : ان هذه الممارك المنظمة قد يجعلها الدهاة من ابطال الحروب :

ان كل هذا ليس من صنع المواد الطبيعية ولا هو من شأنها بل هو مرتين بعوامل أخرى في غاية الدقة والحكمة والقدرة والشعور العظيم والاختيار المطلق والطبيعة ليست بازائها الاعداد أخالفاً وهذه العوامل هي ما وراء الطبيعة الذي اشعرنا به وهذه الاعمال والآثار المعيرة للعقول هي التي الجثتنا الى الازعان بوجوده وهي بنفسها التي حكمت به انه المبدأ الاعلا اوجبت له الوجود الذاتي لان الوجود المفاد يسقط صاحبه عن المبدئية العليا لان كل ما سواها مخلوق والكلام في الخالق للجميع :

و علة العلل اصل كل الاصول الخالق لكافة ما في الوجود لم يخلق ذلك من الاشياء او من العدم كما يعبر به ناقصوا التعبير فان الاشياء والعدم سلوب محض فكيف تكون مادة للخلق نعم خلقه لها بأبداعه ايها وبما ان العقول المأنوسة بصنعة الصانعين تعرف الصنعة بانها تحوير وتطوير لما كان موجوداً في مادته بصورة أخرى الى موجود آخر بصورة ثانية نراها تستغرب الابداع المادى بل لاتكاد تسيغه فهماً ولكن العقول المتحررة من

هذه النظرات العامية لا ترى غرابة في أبداع المادة وإيجادها بعد أن لم تكن لان الميزان العلمي وراء النظر المربوط بالعادات فالتفت الى ذلك حق التفاته :

الموت

وهو اعطاء ظاهرة الحياة من اليدوعلله من الامراض والحوادث كثيرة وما يكون لا بسبب مكشوف ليس بقليل وقد ثبت من طريق الشرائع ان ذلك كله اسباب عاملة لارادة غيبية شاءت موت من تريد امامته في فاصلة من فواصل حياته وأن ليس باستطاعة الطبيعة ان تطفو على حى من الاحياء فتميته قبل حلول أجله او تستمر ببقائه بعد حلوله وهذا المعنى فى نفسه معقول لكنه يحتاج الى كاشف يبرزه :

ونحن اذا فحصنا حالات الافراد مع الامراض والحوادث أقامتنا قيامة العجب حيث نرى انساناً يموت من حمى يوم وآخر يستمر مع الامراض المهمة عشرات السنين : ونرى انساناً تصيبه رصاصة واحدة ولو فى غير مقتل فيموت وآخر يكون هدفاً للرصاص فيبقى مع ذلك حياً ورب انسان يقع عليه بنيان بعظمته فيرضه ولا يميته وانسان آخر يموت من حجر صغير يصيبه وقس على ذلك ما لا يعد ولا يحصى : كما رأينا الانسان العالم الذى لا يشكوا شيئاً يموت وهو يمشى :

ومن استجلاء هذه القضايا نستطيع ان نتردد فى كون هذه الحوادث والامراض هى العامل الوحيد فى الاماتة وأن لا دخل لعوامل وراثتها فى القضاء على الحياة و بما ان الغيب أصبح القاعدة الاساسية لنا فى كل الاشياء وانه العلة الوحيدة فى استخدام اى اعداد يفرض كان لزاماً علينا ان نمشى مع هذا القانون الذى الزمنابه البحث الحر وانقادت له العقول السليمة ولا يضرنا ان نجعل تفسير كل ما يعرض لنا من مشكل فى سائر نواحي الخلقه و الشؤون العامة والخاصة للمخلوقات لعلمنا بمحدودية مداركنا وعدم تناهى الاكوان و ما فيها بعد ما اثبتنا الاحجار الاساسية لكافة هذه النواحي بالدليل القاطع :

وكما وجب علينا أن ندين بالغيب بالنسبة الى عامل الحيوة والموت يجب علينا

ان ندين ايضاً بكل هائيت من طريقه و اما الزوائد المعزاة اليه حيث يستر كتمها العقل الناضج فلا علينا لو الوينا عنها صفحاً :

وهكذا من وظيفة الباحث، البحر ان لا يجيء متزمتاً بحيث لا يدين لا بالطبيعة الناقصة المبتورة كما لا يجوز له ان يعطى مداركه الفكرية و مواهبه العقلية من يده ويلقى بنفسه في احضان القشور والخرافات بزعم انها من قوانين الغيب ونواميسه وعلى هذا فقد أطبقت عامة الشرائع السماوية المحرف منها والحافظ لشرفه على وجود النشأة الثانية الانسان في ظرفها وعلى وجود النعيم والجحيم كلا لمستحقه والافكار السليمة تسيغ ذلك بل تراه ضريبة لازمة للزوم نيل السعادة للانسان مهما استطاع اليها سبيلا بل لان تثبيت هذه الفكرة مما يعين على حراسة كافة الاحياء في هذه الدنيا فان البشر اذا تجافى عن هذه الفكرة عاد حيواناً ضارياً و لا يعود بمسكه قانون بعد أن يكون مدون القانون ومجرى القانون أمثاله في الروحية والانفلات على الواقع والوظائف اللازمة :

فما أهاب به على عليه السلام في خطبته التي تسمع اليها بعد قليل وعشرات سواها وهكذا ما صدح به غيره من عظماء المثاليين الابرار لابدمن تدريب العقول البشرية عليه وتطبيق مجارى الجامعة على وفقه حتى تسهل ملاسة الحياه على الاحياء وينتظم الجميع في نظام صحيح يغنيهم عن الجندى والشرطى والمحاكم والسجون وما كان على وتيرتها ان استطاعت هذه العوامل ان تثمر شيئاً وهيات :

والحق أن ما أفاض به امير المؤمنين في تجسيم حالة الانسان حياً وميتاً صحيحاً قادراً اذا بطش واسترسال في جلب الدنيا اليه وتمتعه بها بصنوف المتع المادية ومصارعته للطبيعة وكافة ما يدب عليها في استحصال ميوله واهوائه و مزاحمته للاغيار على كل ما يؤمن له العيش والراحة والترف : وساقطاً لجذبه على فراشه يعانى الآلام والاسقام جازعا اشد الجزع مما يلاقيه خائفاً ما يستطيع ان يخاف من هجوم الموت عليه ونهب حياته منه : والهلع الذى يشاهد عليه في هذه الاحوال ليس له نظير في كافة حالات الانسان: وجنازة هامة قد اعطت من يدها كل تيك التصرفات العارمة التي كانت تقوم بها

مع الحياة حتى تستذلها الحشرات ايما استذلال وحتى تعود مع العوامل الهدامة فتات رفات ينهار لهاذو البصيرة اذا قارنها فعلا بما كانت عليه قبلا - من أروع ما يمكن تصويره - وتحسينه بما يدعو الانسان ان يزهد بحياة غير الزاهد ويسترخى كل غال من اللذائذ الدنيوية التي يكدر لها الكادحون ويحبب اليه الوقار والاتزان والاعتدال في تحصيل المعاش بل يدعو الى كل خير وفضيلة ويبعد به عن كل شر وذنبة وكل هذا مما يخلق من الانسان موجوداً لا يجنى ولا يتجنى وذلك اقصى ما يرام من الانسان الذي تبنى له المدينة الفاضلة : فحقاً ان امير المؤمنين قد استشف الحياة والموت معاً وعرفهما جهداً ما يمكن من معرفتهما وعرفهما للناس ممثلاً اعظم ما يقوم به ممثل مسرحي موفق في تمثيله وبذلك كان النموذج الاعظم لكافة المثاليين من بنى آدم :

اخطار الاحتضار والموت

لقد تعرض كافة المثاليين الى الشد في هذه النقطة : وهي مسألة احوال الاحتضار والموت وما تستتبعه من احوال: واكثرها ما شأوا من هز العواطف وتحريك الشعور حول هذه النقطة الموماً اليها ونحن لاجل تمحيصها التام نرى من اللازم ان نفصل البحث عنها وعمما يكون قريباً منها في المادة : فنقول :

الكذب بما هو مع غض النظر عن انشعاباته واحتفافاته في متبادر اهل اللسان هو ما كان خلاف الواقع اذن فليس منه ولا من الصدق ايضاً ما لا واقع له يهدف اليه كخبير الهازل المتضح هزله لطرفه و بعبارة أخرى كل لفظ لم يقصد به مدلوله مع اتضاح هذه الحالة للطرف لا يكون من مقولة الصدق والكذب بالمرّة لفقده الواقع الذي يوزنان به وهكذا كل فاقد لهذه الموضوعية نظير قول ابراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فان اخباره هذا وان كان لا واقع له ينطبق عليه لكنه ليس من مقولة الصدق والكذب لان الصنم فاقد اصلاحية الفعل والترك واذا جاء في الروايات ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب في قوله هذا فهو من باب السلب بانتفاء الموضوع سيق لمنظور اصلاحي كما سنبينه :

والكذب بما هو كما يكون في الافوال يكون في الافعال فالذي يقول انا مريض

وهو صحيح كاذب في قوله كمن يظهر حالات المرض من نفسه وهو ليس بمريض فهو كاذب في فعله لانه خلاف واقعه : ثم الكذب بما هو مع غض النظر عن انشعاباته واحتفافاتة كما اسلفناه هل هو عند العقلاء بما هم عقلاء وفي الاديان بخاصة دين الاسلام كما هو في متبادر اهل اللسان وله حكم خاص اولي وبهذا العنوان الاجمالي العام اولا حكم له الابد توزيعه في عناوينه وبعبارة أخرى هل كل ما هو خلاف الواقع على اجمال هذا العنوان العام كذب وحرام ذاتاً وباعتبار طروء العناوين ينحجب هذا الحكم بحكم العنوان الطارئ واذا زال هذا العنوان عادله حكمه الاول :

او ان الكذب له اصطلاح خاص عند العقلاء اوفى الشريعة و انه ليس كل ما كان خلاف الواقع فهو كذب فقد جاء في جملة من الروايات الكلام ثلاثة صدق وكذب واصلاح بين الناس فقد جعل الامام الاصلاح قسيماً للصدق و الكذب مع انه بالنظر الى بعض الاعتبارات من خلاف الواقع كما استقن عليه ونرى العقلاء ايضاً اذا وقفوا على اخلاص المصلح في وساطته لا يقولون في حقه انه كاذب معذور فهل يستفاد من ذلك ان للكذب عندهم اصطلاحاً خاصاً و بهذا الاصطلاح يحمل قبحاً عقلياً و حرمة شرعية او ان ذلك لاجل تغطية العناوين الطارئة على قبح ما هو خلاف الواقع واخفاء حزاياته : فلوان انساناً مع الثغاته الى الواقع عيباً تكلم بخلافه للدواعي سوى ان نفسه دعت اليه دعوة اعتبارية و لو أنه سئل عن داعيه بعد الاطلاع على خلافه لما أجاب بدواعي - ووزون سوى أن يقول اشتهيت ان أقول هذا القول فقلت مثلاً يسأل هل نمت بعد غدائك اليوم فيقول لا عن هدف خاص - لم أنم - مع انه نام ونظير هذا كثير الصدور فهل ليت شعري يقال لمثل خلاف الواقع هذا انه قبيح عقلاً وحرام ذاتاً قطعاً لا مجال لمثل هذا الحكم عليه اذ لا مبرر للحاكم بهو ليس لكل واقع اثر حتى تترتب على خلافه حزاية: نعم رياضة النفس على ترصد الصدق ولو في التوافه من الادب الرفيع والتذبذب بها تسفل و التسفل اذا خلا من الاضرار والمفاسد انما يكون عاراً أخلاقياً على صاحبه بانه غير مثقف ولا يجوز للعقول ان تحكم عليه بانه حرام وجريمة يستلزمان التنكيل والعقاب :

فالحق ان خلاف الواقع اذا لم يستلزم اضراراً و افساداً و ايقاعاً في الجهل المضراً

ليس حراماً ذاتاً ولا قبيحاً عقلاً كما عليه جملة من العلماء نشير اليهم قابلاً وان كان الاولى تركه ترفعاً و الادلة القائمة على حرمة الكذب منصرفه عنه قطعاً بشهادة موارد ما يلوح عليها : ويستطيع ان نقول بصراحة ان كل واقع سحبت المصالح المهمة عليه حجاب الاهمال ثابت واقعيته فلا يعود خلافه القائم بالمصلحة خلافاً فلا يكون مقام على هذا الخلاف كذباً ويكون خروجه عن الكذب موضوعياً لاحكامياً ويصح بالحقيقة قول الامام الكلام ثلاثة صدق و كذب واصلاح بين الناس وهكذا ما جاء في الحديث لا كذب على المصلح :

ادلة تحريم الكذب : اما الكتاب العزيز فهو وان كثر فيه التثديد بالكاذب و المفترى والافاك الا ان اغلب موارد ذلك يدور على محور خاص كالتكذيب بالله و برسله وبآياته وما الى ذلك ومثل هذا لا يكون من الادلة العامة على المقام نعم انما يفيدنا نظير قوله تعالى (الآية ١٠٥ من سورة النحل) انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله : وقوله تعالى (الآية ٣٠ من سورة الحج) فاجتنبوا الرجس من الاوثان و اجتنبوا قول الزور : وقوله تعالى (الآية ٧ من سورة الجاثية) ويل لكل افاك ائيم :

واما الادلة من السنة فكثيرة نظير ما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله عزوجل جعل للشراقة وجعل مفاتيح تلك الافعال الشراب و الكذب شر من الشراب (اصول الكافي باب الكذب) و عن العسكري عليه السلام جعلت الخبائث كلها في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب (المكاسب المحرمة باب الكذب) وغير ذلك : واما العقل والاجماع فأمرهما واضح في هذا الباب :

لكن كل ذلك لا يستفاد منه مثل هذا التثديد والتقييد الوارد في الآيات والروايات السالفة على مجرد مخالفة الواقع بما هي مخالفة و انما يستفاد منه ذلك شدة و ضعفاً فيما لو استلزم اضراراً و افساداً و اغراءً بجهل مضراما اذا عرى منها ولو لم يتلبس بعنوان طارئ ذي مصلحة نظير خبر العايب الذي اسلفناه بانه قال لسائله - لم أنم - وقد كان نام مما لا يترتب على خبره موافقاً للواقع كان ام مخالفاً اقل ضرر ولا نفع بطور مطلق فمن المقطوع به انه غير مشمول لتلك الالسنه كما هو واضح لا قصر العقول دركاً نعم هو

كما اسلفناه من الانحطاط الاخلاقي الفاقد للترفع بالنفس كما يستأنس له مما جاء عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال عيسى بن مريم من كثرت كذبه ذهب بهائه (اصول الكافي باب الكذب) اذ لا ريب ان مفاد قوله تعالى انما يفترى الكذب او ويل لكل افاك اثم او واجتنبوا قول الزور او قول الحجة والكذب شر من الشراب و ان مفتاح الخبائث كلها الكذب انما هو الانحراف عن الواقع لايجاد المضار و ايقاع الفساد و خلق ما فيه حزازات و هنات على الاخص مع مراعاة ان معنى الافتراء هو الافساد و ان المبالغة في الافاك لها اثرها البليغ فيما هو المراد بمخالفة الواقع التي يرتكبها الانسان ولا يستريب عاقل في أن مثل خبر العايب المخالف للواقع الفاقد لكافة المضار و المنافع ليس من تلك المقولات بالمرّة : كما لا يستراب في ان السكران من الشرب قد يعربد و باختلال توازنه واعطاء شعوره من يده قد يرتكب من الافساد الشيء الكثير الا ان جملة من الاكاذيب القائمة على خلاف عميق وانحراف عن الواقع بعيد قد تخلق من الفساد ما يكبر ضرره ويتسع نظاير شره ولذلك يكون الكذب شراً من الشراب غير انه لاعمومية فيه بالحس والوجدان بل رب شرب يؤدي الى افساد عظيم لا يعادله فيه اعظم الكذب: وسيجيء في موارد تسويغه ما ينفتح المقام اكثر مما اسلفناه :

موارد تسويغو كلمات جملة من الاعلام في المقام وجملة مما ورد فيه من الاداة السمعية قال المولى مهدي النراقي في كتابه النفيس جامع السعادات (ج ٢ ص ٣٢٤ من مطبوعة النجف) في فصل مسوغات الكذب : الكذب حرام لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره او لا يجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع فيصير سبباً لجهله الا انه اذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة ولم يمكن التوصل اليها بالصدق زالت حرمة وارتفع اثمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيلها كان الكذب فيدواجباً وان كانت راجحة غير بالغة حد الوجوب فالكذب لتحصيلها مباح او راجح مثلها : كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح و الرجل يقول القول في الحرب و الرجل يحدث امرءته و المرأة تحدث زوجها : وقال صلى الله عليه وآله ليس بكذاب من أصلح بين اثنين: وقال صلى الله عليه وآله لا كذب على

المصلح : وقال الصادق عليه السلام كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً الا كذباً في ثلاثة رجل كابد في حروبه فهو موضوع عنه اورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما اورجل وعد اهله شيئاً وهو لا يريد ان يتم لهم : وقال عليه السلام الكلام ثلاثة صدق وكذب واصلاح بين الناس قال و هذه الاخبار وان اختصت بالمقاصد الثلاثة : اقول يعنى الخدعة فى الحرب والاصلاح بين الناس و وعد الرجل اهله و هو لا يريد ان يتم لهم و الرجل يحدث امرته و تحدثه لكن الشق الثالث و هو وعد الرجل اهله وتحدث الرجل الى امرته وتحدثها اليه باب واسع كما سيجىء التعرض له أخيراً .

قال : الا ان غيرها من المقاصد الضرورية التى فوقها او مثلها فى المصلحة يلحقها من باب الاولوية واتحاد الطريق والاختبار التى وردت فى ذم هتك السر وكشف العيوب والفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع وان كان مطلعاً مع كونه كذباً فلا اثم على احد بصدور الكذب عنه اذا كان وسيلة الى شىء من المقاصد الصحيحة الضرورية له اولغيره من المسلمين - الى ان يقول - ويلحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا لم يرغب فيما يؤمر به من الكتابة وغيرها الا بوعده او وعيد وتخويف كان ذلك جائزاً وان لم يكن فى نيته الوفاء به وكذا لو تكدر منه انسان وكان لا يطيب قلبه الا بالاعتذار اليه بانكار ذنب واظهار زيادة تودد كان ذلك جائزاً وان لم يكن صدقاً .

و قال صاحب الجواهر قدس سره فى كتاب الجهاد بعد قول صاحب الشرايع (ره) ولا يجوز التمثيل بهم وكذا لا يجوز الغدر بهم : نعم تجوز الخدعة فى الحرب كما صرح به الفاضل فى جملة من كتبه بل فى التذكرة دعوى الاجماع قال تجوز المخادعة فى الحرب وان يخدع المبارز قرينه ليتوصل بذلك الى قتله اجماعاً : ثم قال وروى العامة ان عمرو بن عبدود بارز علياً عليه السلام فقال ما احب ذلك يا ابن اخى فقال عليه السلام لكنى احب ان اقتلك فغضب عمرو فاقبل اليه فقال على عليه السلام ما برزت لاقائل اثنين فالتفت عمرو فوثب على فضربه فقال عمرو خدعتنى فقال عليه السلام : الحرب خدعة : و فى خبر اسحاق بن عمار عن جعفر عن ابيه عليه السلام ان علياً كان يقول لان تخطفنى الطير احب

الى من أن أقول على رسول الله ما لم يقل سمعت رسول الله يوم الخندق يقول الحرب خدعة ويقول تكلموا بما أردتم : وقال الصدوق من الفاظ رسول الله الحرب خدعة : وفي خبر أبي البختري المزوي عن قرب الاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي عليه السلام انه قال الحرب خدعة واذ احدثتكم عن رسول الله فوالله لان آخر من السماء اوتى خطفنى الطير احب الى من أن اكذب على رسول الله ان رسول الله بلغه ان بنى قريظة بعثوا الى ابي سفيان اذا التقيتم انتم ومحمد أمددناكم و أعناكم فقام رسول الله خطيباً فقال ان بنى قريظة بعثوا الينا انا اذا التقينا نحن وابوسفيان امدونا وأعانونا فبلغ ذلك أبا سفيان فقال غدرت يهودفار تحل عنهم : وقال عدى بن حاتم ان علياً قال يوم التقى هو ومعاوية بصفين ورفع بها صوته يسمع اصحابه والله لاقتلن معاوية واصحابه ثم قال في آخر قوله ان شاء الله وخفض بها صوته وكنت قريباً منه فقلت يا امير المؤمنين أنك حلفت على ما قلت ثم استثنيت فما اردت بذلك فقال ان الحرب خدعة وانا عند المؤمنين غير كذوب فاردت ان أحرض اصحابي عليهم كي لا يفشلوا ولكي يطمعوا فيهم فافهم فانك تنتفع بها بعد اليوم ان شاء الله وأعلم ان الله عزوجل قال لموسى حيث ارسله الى فرعون فاتياه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد علم انه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون أحرض لموسى على الذهاب - اهـ محل الحاجة :

اقول مورد استشهاده عليه السلام بقضية موسى ليس لانه خبر خالف واقعاً فان جملة لعله يتذكر او يخشى ليست خبرية - وان كانت لا تنطبق على الواقع - بل لان تبيحتها التحريض ونتيجة أخباره هو عليه السلام التحريض كذلك فهو ليس بقاصد لمدلول خبره بل قاصد للتحريض وهكذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة بعثوا الينا انا اذا التقينا نحن وابوسفيان امدونا وأعانونا لم يقصد منه مدلول خبريته لعدم قيام ذلك بنفسه قطعاً اذ لا واقع له ولكن ساقه بداعي تخذيل اعداءه عنه وبهذه الدواعي المشروعة عقلا ونقلًا تخرج هذه الاقوال : قول الله : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : قول علي عليه السلام : عن منطقة خلاف الواقع الواجد للحزاة وتكتسى عناوين الحسن الذي لامراء فيه من عاقل : و يأتي في اثناء البحث ما ينبجج في المقام :

وجاء في اصول الكافي (عليه السلام) الحجة مع حاشية المولى صالح المازندراني عليه (عليه) في باب الكذب : عن ابي يحيى الواسطي عن بعض اصحابنا عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال الكلام ثلاثة صدق وكذب واصلاح بين الناس قال قيل له جعلت فداك ما الاصلاح بين الناس قال تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبت نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه : علق المولى صالح المازندراني على ذلك فقال امثال هذا الكذب ليس بمذموم في نفس الامر بل هو اما واجب او مندوب لان الكذب انما يذم ويترك لله تعالى فاذا كان معه سبحانه انقلب حكمه نعم الاولى ان لا يسمى ذلك كذباً لاشتهاره بكونه مذموماً بل يسمى اصلاحاً فهذا قسم ثالث بين اسمى الصدق والكذب كما نطق به (عليه السلام) :

وعن الحسن الصيقل قال قلت لابي عبدالله ناروينان عن ابي جعفر في قول يوسف ايتهما العيرانكم لسارقون فقال والله ما سرقوا وما كذب وقال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاستأوهم ان كانوا اينطقون فقال والله ما فعلوه وما كذب قال ابو عبدالله ما عندكم فيها يا صيقل قلت ما عندنا فيها الا التسليم قال فقال ان الله احب اثنين وابغض اثنين احب الخطر فيما بين الصفيين واحب الكذب في الاصلاح وابغض الخطر في الطرقات و ابغض الكذب في غير الاصلاح ان ابراهيم انما قال بل فعله كبيرهم هذا ارادة الاصلاح ودلالة على انهم لا يفعلون وقال يوسف ارادة الاصلاح : علق المولى صالح المازندراني على ذلك فقال لعل المراد ارادة اصلاح حال قومه برجعهم عن عبادة الاصنام :

اقول قطعاً لا اصلاح يراد في المقام سوى ذلك لان ابراهيم (عليه السلام) كان مع قومه في صدد اثبات الصانع الجامع لجميع صفات الكمال والجمال والجلال واثبات رسله و تكليفه كما هو صريح الايات المسوقة في هذا المجال فارادة اصلاحه هي ارادة تحويلهم من وضعهم الالحادي الفعلي المملوء بالانحرافات الى الوضع الذي يريد الله بوسيلة رسله القائمين بابلاغ وظائفه وتنفيذها حتى المقدور فأصلحه (عليه السلام) اصلاح عقائدي اخلاقي

عام وليس هو من الاصلاح بين اثنين او فريقين متعادين. واما ارادة يوسف الاصلاح فستعرض لها اخيراً :

عن عيسى بن حسان قال سمعت ابا عبد الله يقول كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً الا كذباً في ثلاثة رجل كاذب في حروبه فهو موضوع عنه اورجل اصلاح بين اثنين بلقى هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما اورجل وعدأهله شيئاً وهو لا يريد ان يتم لهم : وعن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله قال المصلح ليس بكذاب : اه : ما عن اصول الكافي :

و في الوسائل (ابواب احكام العشرة باب ١٤١) عن جعفر بن محمد عن آباءه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعل عليه السلام قال يا علي ان الله احب الكذب في الاصلاح و ابغض الصدق في الفساد : الصدوق في كتاب الاخوان بسنده عن الرضا عليه السلام ان الرجل ليصدق على اخيه فينا له عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله وان الرجل ليكذب على اخيه يريد به نفعه فيكون عند الله صادقاً - اه :

وجاء في احياء الاحياء للفيض الكاشاني (في باب ما رخص فيه من الكذب) اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره : الى آخر ما قال مما لا يتعلق لنا به غرض فعلاً :

وانا ألممت بهذه النقول والآثار أدركت ان مادة الكذب المغروس في النفوس استقباحها لا تكون بهذه الهوية الا لما يترتب عليها من حزازات لالانها خلاف الواقع بما هو واقع وقد عرفت انه كم من واقع لا قيمة له في نفسه ومنه يعلم ان خلافه ساقط عن الاعتبار اساساً هذا مضافاً الى ان شبح الكذب لا يترأى في مخيلة اي عاقل يفرض من المشرعين كان ام من غيرهم في المخلص الذي يتوسط بين اثنين او فريقين لاصلاح شأنهما ومهما كثر خلافه عن الواقع في طريق التقريب بينهما بل يقال في حقه انه نعم الرجل نزيه الباطن مخلص الانسانية مسدد في منطقته مصيب في حديثه مثاب في عمله وسر ذلك - اولاً - ان قبح الكذب المغروس في الازهان انما هو من أجل شيوع موارده المضرة كقبح ارتكاب عمل القتل في حال ان جملة مما يقال له كذب واجب عقلاً وشرعاً

وهكذا جملة من ارتكاب عمل القتل واجب عقلاً وشرعاً فهل ترى يكون هذا الواجب العقلي الشرعي من قماش ذاك المغروس في الازهان بالضرورة لا يكون فان الواجب يستلزم على مخالفة العصيان المستلزم للعقاب و انما اطلق عليه لفظ الكذب توسعاً - وثانياً - الكذب الجائر بمقتضى استثنائه عقلاً وشرعاً ينسلخ من قبضه العقلي و من تحريمه الشرعي فلا يبقى منه الا لفظه الفارغ من معناه القبيح المحرم ويستحيل ان يكون مع استثنائه قبيحاً محرماً واما الكذب الراجح او الواجب فانه فضلا عن ذلك يحمل من طريق هذه العناوين الطارئة الراجعة او الملزمة حسنها العقلي وثوابها الشرعي : - وثالثاً - جاء في روايات عديدة اسلفنا ذكرها قول الرسول ﷺ ليس بكذاب من اصلح بين اثنين وقوله ﷺ ايضاً لا كذب على المصلح و قول ابي جعفر عليه السلام والله ما سرقوا وما كذبوا والله ما فعلوه وما كذب وقول ابي عبدالله المصلح ليس بكذاب وهذه التراكيب كلها وكل ما كان على طرازها تفيد نفي الحقيقة من اصلها الا ان تكون قرينة خارجية تصرفها من نفي الحقيقة الى نفي الكمال نظير علمنا من خارج بان مفاد قوله لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد هو نفي الكمال لانفي الحقيقة بخلاف قوله لا صلاة الا يطهور فهؤلاء الحجج في اقوالهم هذه افادوا نفي حقيقة الكذب عن المصلح لانهم تسلموا حقيقة ونفوا عنه حكمه: وما رسل الحجج هذه الاقوال الاستيحاء عن الواقع نفسه وان ما عبر و اعنه هو الواقع لانهم من خلافه غايته انه واقع يتشخص بهدفه المقصود الذي دعا المصلح الى قيامه بالاصلاح ولهذا صرح الامام عليه السلام بكونه امراً ثالثاً بين الصدق والكذب فان المصلح الذي يقول لكلا المتباعدين كلا على انفراد ان فلانا ليس حيث بلغك عنه بل هو عاتب عليك لا مفندك والعتب لا يكون الا حيث تكون الصداقة العريقة والقرب القلبي ونظير ذلك من هذه الكلمات المليئة للعواطف المذهبة لدنس القلوب المقربة للنفوس بعضاً من بعض فهذه الالفاظ لها واقعان تقاس اليهما الاول هو واقع اللفظ الذي شتم به الخصم خصمه والثاني هو الواقع الذي قرب المصلح الفاظ الخصم اليه ولطفها به وهو ارادته انه ليس بشاتم بل عاتب متوجد ينتظر منك غير ما صدر عنك او ما نقل اليه منك اما الواقع الاول فهو ليس من صدد المصلح بالمرّة لانه لا يريد تكرار شتائم الخصم لخصمه و ان الخصم لم يقلها فان ذلك مما ياباه خصمه

وقبيله لما ثبت عنده من صدور الشتيمة عليه من خصمه قطعاً والواقع الثاني الذي لطّف به مقالة الخصم الواصلة الى خصمه وانها ليست بشتيمة بل عتاب واستنكار هو هدفه .

وما قاله من الالفاظ في مقام الصلح مطابق له لامخالف اياه اذن فالفاظه ليست خلافاً للواقع الاول وهو معزول هنا وانما جعلها الامام عليه السلام قسيمة للصدق والكذب لانها الصدق نفسه لوقوعها بين واقعين اذا قيست الى احدهما كانت خلافاً له والى الاخر كانت وفاقاً له لكنها لما كانت في معزل عن الواقع الاول كانت غير كذب حقيقة وكان المصلح من هذا الطريق صادقاً كما جاء في رواية الصدوق عن الرضا عليه السلام ومن هذا الطريق يكون الصادق المعنت بصدق اخيه عند الله كاذباً لان واقعه الذي يتحدث عنه هو ايجاد العنت في اخيه وهو واقع افسادي يشترك مع الكذب في حزازاته:

- ورابعاً - العناوين الطارئة وهي المصالح المهمة التي تطرأ على الواقع من لازمها القهري انها تغطيه و تسحب عليه حجابها فاذا انحجب الواقع بالعنوان الطارئ صار الواقع الفعلي المنجز واقع هذه العناوين الطارئة فلا يبقى من الواقع الاولى عين ولا اثر فلا كذب مادام العنوان الطارئ مغطياً له حاجباً اياه:

والواقع ان اللذان اشرفنا اليهما آنفاً يتمشيان في وعد ووعد الوالي لمن تولى عليه قصداً لاستصلاحه وان كان حين وعده وو عيده لا يريد ان يحققهما خارجاً وهكذا اهله وزوجته وهذا المعنى هو الذي اخرج هذه الوعود والتهديدات موضوعاً من دائرة قوله تعالى . كبير مقتساً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (الآية ٣ من سورة الصف) واصولاً ان هذه الوعود والتهديدات انما تحمل صورة الخديعة و الهدف الاصيل منها للانسان تركيز اولاده ونساءه وعياله في نصابهم الذي يجب ان يكونوا فيه ضرورة ان الانسان لا يخادع أطفاله ولا عياله لانهم نسخة اخرى لنفسه وهذه المقدمات انما يعملها في سبيل استصلاحهم لا انه يجعلها قنطرة لتنفيذ مقاصده المرموزة كما هو شأن كل مخادع لغيره :

ثم لا ريب ان الحرب التي تجوز المخادعة فيها هي الحرب المشروعة التي

اقيمت لدحض الباطل انتصاراً للحق جهاداً كانت ام دفاعاً فالدم الذي لا يقبل التقية الجائزة الجريان في كل شيء اذا ابيحت اراقتة فضلا عن ايجابها يعود كل شيء معه لاقيمة له فكل ما يوجب تشيت شمل العدو وخذلانه و الافراج عن الحق و انتصاره يكون من القوى التي الزم المكلف باعدادها لدك العدو فالخديعة اذا كانت حربة لتشيت شمل الباطل كانت جائزة قطعاً بل تكون واجبة اذا توقف الانتصار للحق عليها و اذا وجبت انسلخت من قبح خلاف الواقع و تلبست بالمحسنات العقلية و الاثبات الشرعية : هذا ولم يمنع الشرع في طريق ذلك المبطلين من كفار و بغاة الا ما استلزم العبث نظير المثلة بالقتيل كما هو محرر في كتاب الجهاد من الجوامع الفقهية :

والاصلاح والاستصلاح كما يتناولان الاهل والازواج والاولاد والمتخاصمين من الناس بداعي اقرار الصلح والصفاء الداخلي والخارجي و طرد التشويش والارتباك والعداء في المنازل الشخصية و خارجها الاجتماعي شمالان بهذا الداعي و بوحدة الملاك والطريق الاصلاحات العمومية التي تتكفل اقرار النظام الشرعي و حفظ الحرمات و الحيثيات والحقوق بل ولا تعادل في الحقيقة بين اصلاح اثنين و استصلاح الاجتماع بأسره هذا مضافاً الى ما سلفت روايته من قصة ابراهيم عليه السلام :

و نحن نذكر الآيات المتعلقة بذلك او لا لتكون تمهيداً للبحث عن الرواية الواردة في شأنها : جاء في سورة الانبياء (الاية ٦٢ فما بعدها) قالوا عانت فعلت هذا بالهتتا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم اتم الظالمون ثم تكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون :

فقول ابراهيم عليه السلام بل فعاه كبيرهم هذا كلام لا واقع له ينطبق عليه وليس معلقاً على شيء بل هو اخبار جازم وجملة ان كانوا ينطقون شرط لقوله فاسئلوهم كما هو اوضح من ان يشار اليه ولا ربط لها بالجملة الخبرية السالفة من حيث التركيب الاربط استدلال وتعجيز والايات كما ترى مسوقة، في مقام استصلاح ابراهيم لقومه و نقلهم

من عبادة الاوثان التي لا تضر ولا تنفع الى عبادة رب السموات والارض الذي فطرهن
 وارسل الرسل مبشرين و منذرين : و مجوز هذا التركيب الذي لا واقع له من اصله
 لنسبة الفعل الى الصنم هو تنزيله منزلة الفاعل المختار بداعي الفات الاذهان
 الى ان هذا الكبير الذي اتخذه هذا المجتمع المتسفل في شعوره رباً حقيراً جداً لانه
 موجود هامد مسخر تصوره ايدي الصانعين بآية صورة شاؤا و تجسيم مثل هذه المطالب
 الفكرية من اعظم البراهين على تحقيق المطلوب وتثبيت الاهداف العالية كهدف ابراهيم
 عليه السلام وعدم كذبه عليه السلام في عرض ما لا واقع له لانه مهتد به لاقتاً قوياً للاذهان قومه الى انهم
 ضالون عن الطريق الصحيح اشد ضلالة وكان من لازمهم الافلاج عن هذا الانحراف باول
 تصور يستعرضونه وهذا الهدف من اهم الاهداف الاصلاحية العامة : واما ارادة يوسف
 عليه السلام للإصلاح بقوله ايته العيرانكم لسارقون فهي انه اراد أن يجمع شمل ابيه بأولاده
 جميعاً ومنهم هو وان يعيدهم و لنفسه حياة صالحة خالية من شوائب تلك المنغصات التي
 أوجدها اخوته بالتأمر عليه ومن طريق انهامهم بالسرقة قبض اليه اخاه وشقيقه بنيامين و
 كان ذلك فاتحة اجتماع شمل آل يعقوب بقصتهم المعروفة :

فألى هنا قد استحصلنا من منظومات الكتاب و السنة صوراً من خلاف الواقع او
 ما لا واقع له مما يجوز عرض للاهداف المشروعة ما بين جائز مباح و راجح مندوب و واجب
 محتم (١) منها المكابدة في الحروب المشروعة لنصرة الحق و دك الباطل و قد قام بذلك
 عملا الرسول الاعظم ﷺ في قضية بنى قريظة و تواطئهم مع ابي سفيان على امداده و
 اعانتهم متى اصطف في قبائل نبي الاسلام كما سلف الحديث به من طريق صاحب الجواهر (ره)
 عن قرب الاسناد تأليف ابي العباس عبدالله بن جعفر الحميري شيخ القميين و وجههم الثقة
 عند كافة اهل الرجال : كما قام به الامام علي عليه السلام على ما نقله صاحب الجواهر ايضاً من حديث
 عدى بن حاتم الوارد في فروع الكافي و تفسير القمي و الوسائل (٢) ومنها التحريض على
 تحقيق واقع مهم كما جاء عن علي عليه السلام في خطابه لعدى بن حاتم الذي اشرنا الى حديثه
 قريباً و اعلم ان الله عز وجل قال لموسى حيث ارسله الى فرعون فاتياه فقولا له قولاً ليناً
 لعله يتذكر او يخشى و قد علم انه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون أحرص لموسى على

الذهاب : اه : فانه سبحانه لوقال لموسى ان فرعون عصى عني لا يتذكر ولا يخشى ولكن مع ذلك اذهب اليه لصيرمنه انساناً ما يوساً من كافة اقداماته التي يقوم بها والمأبوس يفقد نشاطه بالمرّة ولما استطاع أن يوالى بخطاه الاصلاحية طول عمره وان يستنتج من ذلك تلك النتائج الجبارة في ذلك الفراعنة واستخلاص بنى اسرائيل من اسر الاقباط (٣) ومنها الاصلاح بين المتعادين كما ورد في عدة روايات اسلفنا جملة منها (٤) ومنها وعد الرجل اهله وهو لا يريد أن يتم لهم (٥) ومنها تحدث الزوج الى زوجته و تحدثها اليه كما سلفت رواية هذا وذلك آنفاً (٦) ومنها ارادة الاصلاح العائلي كما في قضية يوسف و اتهامه العير بالسرقة (٧) ومنها ارادة الاصلاح العام العقائدي كما في قصة ابراهيم عليه السلام وقومه عند ما حطم اصنامهم الاكبيراً لهم وقال بل فعله كبيرهم هذا : كما مر حديث هذا وذلك سابقاً (٨) ومنها كل ما ورد تقيية عن اهل البيت عليهم السلام (٩) ومنها ارادة ايقاع الاختلاف العلمي محافظة على بقاء الائمة و بقاء شيعتهم : قال الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني في المقدمة الاولى من الجلد الاول من الحقائق (مطبوعة النجف) فصاروا صلوات الله عليهم محافظة على انفسهم وشيعتهم بخالفون بين الاحكام و ان لم يحضرم احد من اولئك الانام - اشارة الى ابناء العامة - فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة باجوبة متعددة وان لم يكن بها قائل من المخالفين كما هو ظاهر لمن تتبع قصصهم وأخبارهم : فمن ذلك ما رواه في الكافي في الموثق عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال سألته عن مسائل فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي فلما خرج الرجلان قلت يا ابن رسول الله رجلان من اهل العراق من شيعتكم قد ما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما اجبت به صاحبه فقال يا زرارة ان هذا خير لنا و أبقى لكم و لو اجتمعتم على امر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان اقل لبقاءنا وبقائكم : وما رواه في الكافي عن موسى بن أشيم قال كنت عند ابي عبدالله فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الاول فدخلني من ذلك ماشاء الله الى أن قال فيبينما انا كذلك اندخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني

وأخبر صاحبى فسكنت نفسى وعلمت ان ذلك تقية قال ثم النقت الى فقال يا بن اشيم ان الله عز وجل
فوض الى سليمان بن داود فقال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وفوض الى نبيه عليه السلام فقال
ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فما فوض الى رسول الله (ص) فقد فوضه اليه .
اقول يخال القشريون من المتشرعين فى بت المطالب والقضاء فيها ان كلا من
التقية وايقاع الاختلاف المزبورين تعمية للحق واغراء بالباطل خصوصاً وان مصدر ذلك
امام حجة مفترض الطاعة قد نصب نفسه لاراءة الواقع والدلالة على الله وعلى احكامه
ولكنهم عند ارسالهم لهذه الكلمات لا يتورعون فيما يجب النظر اليه من احتفافاتهما :
نعم لاشبهة فى ان وظيفة الامام هى اراءة الواقع والدلالة على الله وان يكون فى طريق
تحقيق هذين الامرين من المتفانين الاشداء الذين لا يؤخذ عليهم اقل تسامح وادنى التواء
لكن هناك ما يجب الالتفات اليه اكثر واوفر هو ان الله سبحانه لما جعل الوظائف التكليفية
على عباده اختيارية لهم و لم يقصرهم عليها قسر تكوين وان كان لو شاء لهدى الناس
اجمعين لكن ارادة المسابقة واتمام الحججة على خبث الخبيث وطيب الطيب تأبى
القسر التكويني لان القسر لا محمودة فيه ولازم - كانت وظيفة الرسول والامام - هو الابلاغ
والايصال والبيان للمكلفين لا اكثر وكانت وظيفة المكلف عيناً وظيفية تلميذ المدرسة من
واجبه ان يسعى فى الاوقات المقررة امدرسته ويهياً نفسه لمحاضرات اساتذته فاذا التوى هذا
التلميذ عن وظيفته كان هو المقصر لا الاستاذ : ولم يلتجأ الائمة عليهم السلام الى التقية الا خوفاً
من انفس المكلفين المنحرفين الذين اعدوا انفسهم للاطاحة بائمة الحق والسعى
بقتلهم او تشريدتهم او اتزوايتهم فى قعور بيوتهم خائفين وجلين كما حصل كل ذلك فى
الائمة انفسهم من طريق المكلفين من المسلمين لا غيرهم : ولا ريب ان مرواغة الشجاع
فى ميادين الحروب لتتسنى له الفرصة الغالبة و الفرجة الغائمة من أبرع صفاته وخير
سجاياه حتى لا يخسر المعركة بتهوره ويخسر روحه واتباعه وهدفه الذى يجاهد من اجله
تبعاً لذلك :

و الائمة عليهم السلام لم يحاولوا فى تقيتهم الابقاء على ارواحهم وارواح شيعتهم من
قابضى ازمة الوقت حتى يواصلوا اجر تلك الانفاس الضيقة التى لاقيمة لها فى الواقع بل حاولوا

وراء ذلك ابداء الواقع في الفرص المناسبة و اراءة الحق في الاوقات المنفرجة حتى لا تنقطع سلسلة العلوم الواقعية والعلماء الواقعيين الى ان تتقشع الغيوم المتلبدة تماماً فحينئذ انك ينتفع من ينتفع بهذا الخير الجزيل الذي تجتمع في الخزانة الضابطة الحافظة من تلك القطرات التي تواترت في الان المناسب بعد الان المناسب الآخر : ولو انهم تهوروا لكان نصيبهم و نصيب علومهم و اتباعهم نصيب كل متهور من الفناء و التلاشي في آفات قصيرة : و كل ما صدر تقيّة فقد نبه عليه و اشير اليه في الفرص السانحة و لم يعد يختلط باطل التقيّة بحقوق الواقع و هذا كله مسجل في الجوامع الفقهية و الحديثية و الرجالية (١٠) ومنها الكذب في الصلاح كما جاء في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال يا علي ان الله احب الكذب في الصلاح و ابغض الصدق في الفساد : و الصلاح اعم من الاصلاح فكل ما فيه صلاح الفرد و المجتمع لا مانع من ارتكاب خلاف الواقع فيه (١١) ومنها ما جاء عن الصادق في كتاب الاخوان بسنده عن الرضا عليه السلام ان الرجل ليصدق على اخيه فينا له عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله وان الرجل ليكذب على اخيه يريد به نفعه فيكون عند الله صادقاً : كأن يقول له ان اباك كان حمالاً وان امك كانت تخدم في البيوت وكان يقول له ان لك عندي جائزة عظيمة متى تركت الكسل و نشطت للعمل يريد بالاول تحقيره و بالثاني حفزه على العمل الذي ينجيه مع انه لا واقع لقوله ان لك عندي جائزة عظيمة :

و بناء على هذه المقدمات نقول ان من يستعرض الآثار الواردة عن حفاظ الشريعة في باب الاحتضار و الموت يجد فيها من تعظيم امرهما و فظاعة حال المحتضر ما لا يرى له اثرأ ملموساً في الاكثر الا و فر ب معنى انه لا يرى المحتضر وهو في سكرات الموت يعالج آلاماً جسمية و اوجاعاً مادية تظهر على حركاته و تصرفاته بنفسه كمن يعالج الوجاع الشديدة و الآلام المهمة بل يرى الاغلب في حالة بسيطة تشبه حالات تعاور الاغماء و الافاقة على المريض و لا ريب انه لو كان الازعاج جسمياً و العلاج مادياً لظهر أثرهما بالقهر على المحتضر و مهما كان ضعيف الاعصاب و العضلات لان الشدائد تجتمع في صاحبها قواه المتحللة و تبعثها الى النشاط و لوالى زمن ما جابة لداعى المقاومة و هذا كما وعزنا

اليه لا يجده الحاضر عند المحتضر في نوع افراده فهل ترى ان المنظور بما ورد في المأثور هي الآلام الروحية التي تعترك بالمحتضر وتسلب قراره فذلك مالا شك فيه فاننا نجد الانسان في مظان تخوفه من الموت يبدو عليه من الجزع ما لا يوصف ببيان ويود انه لو استطاع التخلص من هذا المأزق ولو بكل ما يجد ويمالك من كل ما يقدر عليه لفعل ونراه يضرع لكل من يحتمل فيه التنفيس عنه ضراعة لا يبذلها من نفسه عند جوعه وعرا وسائر الشدائد التي تقترن به وأصولاً عذاب الالم الروحي فوق ما يتصور وهو في الاحياء الاصحاء يكون مبعث آلام جسمية مدهشة : وان كان المنظور هي الاوجاع المادية والآلام الجسمية فقد عرفت ان ظاهر الاحوال يابى ذلك وعليه فهل ترى ان هؤلاء الحجج حفاظ الشريعة والقوام على ضبط الاحياء واقامة النظام بينهم انما هو لو ابذل كل اى وسعوا مستواه الطبيعي وكبروا دائرته المصغرة بداعى اعلان حقيقته الخافتة والجهرب وجوده الضئيل كما قال من قال:

قامت تظللنى من الشمس

نفس اعز على من نفسى



قامت تظللنى ومن عجب

شمس تظللنى عن الشمس

او من قال
مركز تحقيقات كويتى للدراسات والبحوث فى العلوم الإسلامية

قد زرأ زراراه على القمر

لا تعجبوا من بلاغلا لته

ونشروه بين الاحياء ليسمعهم حتى الطفل الصغير فضلا عن المكلف الكبير فيكون ذلك مخوفا له في حياته عن مدانة المعاصى والجرائم وادعأ عن مقارفة المآثم اصلاحاً للحياة العامة واستصلاحاً لهواة الانحراف من الاحياء بلا ملاسة للكذب فيما قالوا لان ابراز الواقع الصغير بما يكبره بداعى التوسع فى الاطلاع عليه ليس من خلاف الواقع نظير تكبير المجهر حجم شىء مثأت المرآت بل آلفها فكما ان المجهر ليس بمزور للواقع بل هو ناشر له معلن به كذلك من يصف الجميل بانه شمس او قمر والجواد بانه بحر والشجاع بانه اسد ملبد : وقد سرح الفقهاء بان المبالغة ليست من الكذب: راجع مكاسب الشيخ الانصارى فى ذلك :

هذا كله بلا لزوم تورية فى كافة الموارد السالفة الذكر فان لسان تلك الادلة آب

عن لزوم التقييد بها واصولا التورية اخت الكذب فيما يترتب عليه من خديعة

ومضار ومفاسد وايقاع للطرف في الجهل المضمر لان المخاطب لا يفهم الا ظاهر اللفظ وهي في نفس الناطق تشير الى خلاف الظاهر من لفظه ولذلك لا تجوز في غير موارد التسويغ لانها تدليس محض لاشك فيه :

وكما اسلفنا التهويل بما لاصله واقع ليس من خلاف الواقع وهو والمبالغة من مقولة واحدة : وقد جاء في سورة الصافات من القرآن المجيد قوله تعالى طلعا كأنه رؤوس الشياطين فان تشبيهه طلع الشجرة الجهنمية المحقق الحصول والوقوع برؤوس الشياطين تهويل احالة للمطلب على ما تركز في مخيلة السامع من صور كريهة بشعة مستنكرة للشيطان وللغول ونظائرهما : وقد جاء في كتب التفاسيرو من جعلتها تفسير الكشاف وشبهه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خيرا فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله : ونظيره قول من قال .

أيقتلني والمشر في مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فكونه يملك مشرفيا ومسنونة زرقا مما لا ريب فيه لكنه جلا هذا المعرض بصورة لها اعظم الاثر في النفوس والاذهان وهي الاغوال : فهذا كله ليس اغفالا واغواء للمخاطبين ومن تبلغهم هذه التراكيب لان الاغواء والاغفال انما دخلا في مقولة الرذائل والقبايح لانها تجعل الطرف قنطرة لتنفيذ ميول المغفل والمغوى والكاذب و في مقام الاصلاح والاستصلاح والتأديب والتربية وتركيز النظام بين الناس واعلان الواقع الخفى لامنفذ لهذه الرذائل والقبايح بل المجال كله يكون لا حقاك الحق و تعديل جنبيات الحياة وما الى ذلك من الاهداف السامية التي هي محط الاجر والثواب والخدمة الانسانية عامها وخاصها :

والوعد والوعيد الجاربان على لسان الله في كتبه ولسان انبيائه واوصيائه في آية نشأة كانا حق وصدق لامرية فيه بل يجب ان يكونا من طريق المنطق العام اثابة للمحسن و تنكيلا بالمسيء نعم الوعد والوعيد تختلف السننهما في التعبير عن اداء

المقصد فتارة يكونان بعبارة مطلقة من تزيينات الكلام : نظير قوله تعالى (الآية ٧١ من سورة الزخرف) وفيها ما تشبيهه الانفس و نلذ الاعين : وقوله سبحانه (الآية ٧٠ من سورة الانعام) لهم شراب من حميم وعذاب اليم : و اخرى بعبارات مزينة بالبديع الكلامية من الاستعارات والكنايات والتشبيهات وما الى ذلك مما هو كثير الوقوع في استعمالات البلغاء فان البليغ تارة يقول فلان جواد ويقف عند تعبيره هذا واخرى يقول هو البحر من اى النواحي انيته فلجسته المعروف والجود ساحله

فهو ان قال انه البحر لم يكذب لانه ليس من قصده انه بحر بالحقيقة الملموسة بل النى تستلزمه من بعض جهاته وتلك هى ان لجة البحر غامرة ومعروف ومدوحه نظير ذلك وساحل البحر دائماً خضل طرى واطراف ومدوحه كذلك خضلة طرية لحدبه على الوافدين والسائلين: ولسان القرآن والسنة من احسن الالسنه البليغة فلا جرم اذا سار فى هذا المسير بما ينزع اليه فى تعبير المقاصد باسلوب ادبى فخم فقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقد أخطأ فى فهم هذا الحديث ونظائره جلان كلاهما حمل الفاظه على المعانى الحقيقية المطابقة فانكره أحدهما وهو المتجدد قائلًا ان جهنم ليست بحيوان حتى تزم بزمام وتقبله الاخر بكل حروفه من دون أن يفهم لها معنى وهو العامى و القشريون الذين لا يزيدون عليه فهما فى حال ان الحق لا هذا ولا ذاك وانما التركيب تركيب استعارى فقد شبهت جهنم لتكالب لهبها وتموج شعلها وتظاير شررها وشدتها زفيرها وشهيقها بالحيوان الشמוש النشيط الهائج وكما ان مثل هذا الحيوان يحتاج فى ضبطه و تعديل حركانه والوقوف امام عرامته الى حبال وازمة فى رقبته و يديه ورجليه فكذلك شأن جهنم لا أنها بالفعل ذات ازمة وملائكة متوثقين من تلك الازمة وقوفا امام ضغوطها وهياجه العارم: كما روى عنه صلى الله عليه وسلم ايضا ان فى النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا و ان فيها اعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا: والرجلان الموما اليهما آنفاً بقعان هنا فى حيص ويص اكثر مما سلف فباخذ المتجدد فى التفتيش عن اكبر حية و اكبر عقرب و رد لهما ذكر فى

قواميس الحيئات والعقارب فقد يجد للحية وجوداً كعنق البختى ولكنه لا يجد للعقرب وجوداً كالبغل الموكف ويقول ان امر اللسيح دائر بين اثنين اما ان يقضى عليه السم فيموت واما ان يفسر عنه اثره فيشفى ولا مجال لخريف واحد مع الذى بيناه فضلا عن الاربعين خريفا واما العامى والقشرى فيكل كل ذلك الى تصديقه الفاقد للتصور والحقيقة وراء ذلك كله وان مساق التعبير مساق كئائى خالص عن شدة العذاب وطول مدته بلامفهوم حقيقى لعظمة الجثة ولا للاربعين خريفاً لانه غير مراد قطعاً بل الهدف المقصود بلاريب هرشدة العذاب وطول ملازمته للمعذب ومع احراز ذلك فلا تكون خصوصية لعظمة الجثة وعدد الاربعين خريفاً كما لا قصد بنفس طول النجاد حيثما يقال فلان طويل النجاد واما المقصود طول قامته وكم أطلق هذا القول على انسان لم ير شبح النجاد حتى فى نومه: وكم قيل ألف - اهلا وسهلا بك - ولم يرد به الاكمال الترحيب ومزيد العلوق بالطرف قطعاً: كما جاء فى (الآية ٨٠ من سورة التوبة) ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم: فان المراد انك لو استغفرت لهم كثيراً لما أفادهم عند الله شيئاً للبعد العميق بينهم وبين الله تعالى: وجاء فى سورة المعارج: سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة: وجاء فى سورة السجدة يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون: وجاء فى سورة الحج الآية ٤٧ وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون: وفسر فى كثير من الروايات الخمسون الف سنة والالف سنة فى سورة السجدة والالف سنة فى سورة الحج بيوم القيامة فأشكل جمع ذلك على غير اهل البصيرة فأخذ كل ، يأتى بوجه للجمع حتى يحصل الوفاق فى حال ان القرآن نفسه حل هذه المسألة البسيطة بما جاء منه فى سورة المزمل فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً: ولاريب ان هذا التركيب كئائى صريح والمراد به شدة الهول والفرع والجزع فليس العدم منظوراً ولا الشيب المتعارف مقصوداً: وقد جاء عن النبى ﷺ واوصيائه ما يرشد الى ما بيناه فى كتب الحديث والتفسير ومنها مجمع البيان قيل يارسول الله ما اطول هذا اليوم فقال والذى نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة

يصلها في الدنيا : فان هذا الحديث صريح بانه ليس المنظور به الزمان و انما المنظور الشدة ولذلك قال عليه السلام ليخف على المؤمن : وعن الصادق عليه السلام لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل أن يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة : الى غير ذلك مما هو صريح في المعاني الكنائية حتى في قوله عليه السلام لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة اي لمكثوا فيه زمناً منطوا لاجداً وقد يزيد في الحقيقة على غير الله بأضعاف على الخمسين الف سنة :

وهكذا لم يقصد غير المعنى الكنائي مما رواه علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعوذوا بالله من جب الحزن او وادى الحزن قيل يا رسول الله وما وادى الحزن اوجب الحزن قال واد في جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة : فان جهنم ليست وجوداً ذالسان يتكلم او حساساً يتألم فتعوذها منه كل يوم سبعين مرة كناية عن شدة هول هذا الوادى وعظيم تموجه بناره حتى ان جهنم لتعود معه خفيفة على أهلها :

وجاء في الحديث ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة : و هو كناية عن ان حراً الموقف وهول القلب والجزع الذي يعتريه يطيل لسانه بشدة اكثر من المتعارف فيما نشهده من الحيوان اللاهث ولا يفهم للفرسخين بالحقيقة اذ ليست بمقصودة حتى يشكل بان لسانه كم هو في نفسه حتى يكون الذي يجره منه بطول فرسخين .

وجاء في وصف الجنة ونعيمها من الحديث : ان رسول الله قال في قوله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضي عما بين المشرق و المغرب : وهذا كما يقال وجهه كالشمس او كالقمر و كما لا استيجاش في هذا لانه تكبير واقع كالمجهر الذي يكبر الجرثومة التي لا ترى بالعين المجردة الى وجود عظيم وليس هو تزويراً له :

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف نيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا : و هذه الاعداد لم يقصد بها مفهومها الحقيقي كما هو شأنها في قول الف - اهلا و سهلا - بل قصد بها تمام لذة الاعين والانفس فان استطاع اهل الجنة ان يقوموا باكثر مما ذكر

في الاعداد الآنفة آتاهم الله ذلك لقدرته على كل مقدور اولا ولا خباره الصريح بان لهم فيها ما تشبهه الانفس وتلذ الاعين ثانيا : ولا داعي مع ما اسلفناه للوقوع في حيص وبيص امام هذه الارقام حيث تؤخذ بمعناها الحقيقية المطابقي :

وعنه عليه السلام انه قال في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان : ينظر الى وجهها في خدرها أصفى من المرأة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضى ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك :

فكل من قوله عليه السلام وجهها اصنى من المرأة وقوله ان ادنى لؤلؤة عليها لتضى ما بين المشرق والمغرب مطلب استعارى قد كبرت واقعد التشبيهات الفخمة واما ان عليها سبعين ثوبا ينفذها البصر حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك فهو كناية عن رقتها ولطافة بدنها والأفروية الاحشاء حقيقة من وراء الجلد فضلا عن الثياب تكون من مشوهات الخلقة لامن محسناتها :

ونحن كما اوصانا الائمة عليهم السلام بحسن الظن بالله نظن بالله فوق ذلك لقيام البرهان على انه قادر على كل مقدور وما ذكرناه آنفاً كله مقدور في حد ذاته الا انه ليس المنظور بذلك ان نحمل هذه الالفاظ على معانيها الحقيقية المطابقة لانها غير مرادة بل يجب ان نراعى الحكمة فيها و مما لا ريب فيه ان اهل اللسان يستعملون الاعداد في جملة من المقامات للتجامل مرة وللتحقير اخرى ولنظائر ذلك مرة ثالثة فيقولون كما اسلفنا لمن يحبونه ويقدرونه الف - اهلا وسهلا - وقطعاً هم في مثل هذا الاستعمال لا يقصدون مدلول العدد كما يقصدونه في البيع والشراء والمعاملات المالية : ويقولون على فلان الف لعنة والف نكال و لا يريدون بذلك قطعاً الا التوغل في ذمه وتحقيره فمثل هذه التعابير في لسان البلغاء اكثر من كل كثير والسنة الديانين في مثل تلك المناسبات لاتعدو ذلك قطعاً اذهم يسوقون كلامهم الى هؤلاء المخاطبين كما يسوقه البلغاء اليهم و ليسوا هم بشاذين عن هذه الطريقة لان شذوذهم عنها يخرجهم عن عالم المحاوراة الدارجة بين اهل اللسان :

ثم المنظور بالنعيم والجهيم قطعاً هو ما يراه العقلاء تنعيماً وتنكياً داخلين في

حدود التصور الصحيح والله سبحانه قد عبر عن ذلك بقوله وفيها ما تشتهيبه النفس وتلذذ الاعين : ولهم شراب من حميم وعذاب أليم : فان غاية النعيم هو ما التذت به النفس وقصارى الجحيم هو ما تعذبت به عذاباً أليماً وليس وراء هاتين الغايتين غاية تقصداً أصلاً ومحققات ذلك انما تكون بالمعقول منها فنحن كما اسلفنا لانمنع من صدق صدور مثل الحديث الذى آنفنا ذكره : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك : عن مصادر التشريع ولا تعقب سنده بانه قوى اضعيف ولكن لانستطيع ان نفهم هذه العبارة بمعناها الحقيقية المطابقي فان جهنم ليست من المنقولات اولاً ولا من الحيوانات التى تزم بزمام ثانياً نعم نفهمها بمعنى استعارى قوى قدمناه آنفاً : وهكذا لانستطيع ان نفهم قوله من الذى اسلفناه ايضاً : ان فى النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفاً وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفاً : بالمعنى الحقيقى المطابقي فانه وان كان لامانع من ان تضخم الحجة والعقرب خلقة فتعادل الحية عنق الجمل البختى والعقرب البغل الموكف الا ان ذلك لا داعى له من طريق الحكمة فبان السموم البليغة فى فعاليتها لاتتبع ضخامة الجثة بل تتبع قوة تأثيرها فى التسميم ولكن هذا التفخيم فى العبارة مبهتن على ان الانسان يهوله منظر ومسمع العذاب المتسع وان كان يغرقه فى العذاب القليل منه مثلاً الانسان الذى يعرض على النهر الواسع العميق لاجل اغراقه فيه لا يتمتع امتعاضه من عرضه على البحر العظيم اذا اوقف على ساحله لاجل ان يلقى فيه مع انه جدعالم ان بعضاً من ذلك النهر يغرقه ويقضى عليه فلاحاجة الى البحر فى اغراقه اذا كان الهدف هو اغراقه لكن من يريد تعذيبه يورد عليه من الامتعاض الكثير مزيداً لا يجاعه ولا نطيل عليك بعداً ان عرفت المقاصد العقلانية ومغازى البلغاء من تراكيبهم التى يسوقونها فى مقام تفخيم المحبة والعداوة والتنعيم والتعذيب فصدق المادة محرز لا كلام فيه والتفخيم فى التعبير لاجل الترهيب والترغيب امر معقول غير انه لا يجوز حمله على معناه الحقيقى المطابقي لانه غير مقصود قطعاً لما اوغزنا اليه آنفاً غير مرة فالتفت الى ذلك ادق الالتفات :

فإذا تركزت هذه المقدمات من ذهنك فقد قال **عَلَيْكُمْ** (ج ٣ ص ٤٨ وما بعدها من النهج الحديدى) بعد تلاوته ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر (ربالهم أراماً أبعد وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفضعه لقد استخلوا منهم أي مدكروا وشوهم من مكان بعيد أفبمصادع آباؤهم يفخرون أم بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم أجساداً خوت وحرركات سكنت ولان يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً ولان يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة وضربوا منهم فى غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والزروع الخالية لقاتل ذهبوا فى الأرض ضللاً وذهبتهم فى اعقابهم جهلاً لا تطؤون فى هامهم وتستنبتون فى أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينكم وبينهم بواك و نوائح عليكم او لكتم سلف غايتكم وفرأط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا كل انسان له فى حياته فكرة من فكرتين فاما ان لا يرى نفسه الاحياء انا خالصا لا يعرف فى مشيه قيماً ولا شرطاً سوى الاندفاع الى ما توحيه شهواته و لو كانت جنونية و نزواته ولو كانت وحشية وهذه الفكرة بشدة او ضعف هى التى تسود على اغلب طبقات الناس فلا تراهم الامندفعين بميولهم وما انطوى على نفوسهم من الاوهام والخرافات: ومما لا ريب فيه ان الرضوخ الى اندفاع الشهوة الفارغة نوع من الوهم والى تمنيات النفس ضرب من الخيال والى المبول العارمة قسم من الخداع فالذى عليه محبوبوا الشخص حتى بالتوافه والحماقات وهواة الترف حتى بالخروج الى صحراء الخلاعة والرقاعات وبقاة الشرف حتى من طريق الخزعبلات لا يشك فى كونه تطرفاً سمجاً بل جهلاً و سفهاً فان ارضاء مواقع الشهوة فى الجسم الانسانى يجب ان يكون محدوداً بعدمعقول وعلى حساب مشخص :

مثلا الانسان المادى يحب الشخص وهو رغبة للنفس الجاهلة وقد يعذر فى اصل هذا الهوى ولكن يجب ان يعمل بطرز موزون من طريق تحسين ظاهره وتجميله فى ثيابه ووقاره فى مشيه واذا كان من اهل الخدم والخول صحب منهم من يكون رده آله لأن يشذ عن ذلك بصورة تعود عليه من المهازل من تزمته الشديد وتبهره البعيد وحرركاته الجالبة وتقيدته

الباهت وقد نجى به الحال الى أن يكون من المضحكات وعلى هذا الشذوذ اغلب المتعطرسين
والمتعنتين من ابناء الدنيا سواء المملوك منهم والسوقة :

وهكذا الانسان المادى يحب التمتع بالماكل والمشرب وهوله حظه من الاعتبار
لكن لا بأن يجيء المسرف المفرط المفسد فى حال ان رحمه القريب منه او جاره اللصيق
به يتلظى جوعاً وعطشاً وحاجة : وكذلك يحب ان يسكن القصر المشيد ويقطنى الرياش
والاثاث و لكنه يخرج بذلك عن حدود العقل و المنطق الى العبث و الهوج و هلم
دوايك فى سائر رغبات النفس و اندفاعاتها الهوجاء وليت أن مادة ذلك كانت لقى بين يديه
لم يزاحم بها نفسه او يفر على غيره وهذا من المستحيل فان المادة لا تنهياً للانسان
الابصرع وعراك و اعمال نفوذ بل قد تؤدى الى الاغارة و ازهاق النفوس : والعيش الذى
مبدؤه امتصاص دماء الناس و آخره العيث و الافساد ليس من العيش الانسانى بالمرّة بل ولا هو
من عيش الحيوانات ايضاً فان لكل حيوان خلقاً خاصاً فى معيشته و حدّاً لا يتجاوزه فى
الركض و راءه : اما الانسان المتهوم فلا حده : و اما اذا جئت الى تشدقه بآبائه و امهاته و
داره و عقاره و خدمه و حشمه و ماله و رجاله و وجدت له من الاسفاف و الهدر و الهديان ما لا يحيط
به وصف ولا بيان :

و اما ان يرى نفسه مخلوقاً خاصاً قدر كز فيه من المشاعر و القوى الحاسة ما يتمكن
ان يمشى به على جادة مثلى و طريقة وسطى فله من المادة ما يقيم أوده و يصلح باله و
من المعنى ما يرضى به و جدانه و ايمانه فلنفسه من وجوده سهم و لعقله منهم قسم و كل
من حكّم فى وجوده هذين العنصرين جاء معتدل الخطّة مرضى الطريقة لا تضجر منه نفسه
ولا يتبرم به عقله و اذا كان كذلك لم يفرط و لم يفرط و لم يجحف بنفسه ولا بغيره فلا تراه
حيواناً ضارياً ولا اهوج معتوها و لا متزمتا ممقوتا و لا مفاخرأ مكاثراً و لا يعتز بذاته و
لا تلهو به الاعراض عن اخذ حظه من الجواهر و هذا هو الانسان المعتدل و ان كان فى طرف
قلة بالنسبة الى ذلك الفريق :

و اما فريق المثاليين الذين طردوا المادة و الماديين عن ساحتهم و خلصوا الى
رياضة نفوسهم و تربية عقولهم فهو كالكبريت الاحمر بين افراد البشر و لا يجوز لنا ان

تتخذهم مقياساً للجامعة الانسانية لوعورة الطريق الذي سلكوه والاشارة بقوله تعالى
 الهاكم التكاثر الى الفريق الاول البعيد عن مرضاة ليهوربه :
 ثم ان قوله تعالى الهاكم التكاثر يظهر منه انه خطاب لكل من يتأني منه الالتناء
 بالمكاثرة والمفاخرة نظير قوله تعالى ولوترى اذ و قفوا على النار في اصح احتمالاته
 سواء كان معتقداً بمبدأ و معاد ام لم يكن لكن التدقيق في ما بعد ذلك من قوله حتى
 زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون الى آخر السورة يشعر بان المخاطب
 الذي توعد الله بأنه سوف يعلم هو الذي يعتقد ان من يخاطبه بهذا التوعيد اهله و
 هذا لا يكون في الجاحد للمبدأ و المعاد بالمرّة لان التوعيد انما يؤثر فيمن لا يعتقد
 بعدم موضوعية المتوعد فيما توعد به : فان الضعيف في الواقع يجوز له ان يتوعد
 من لم يقف على ضعفه و اما الواقف عليه فلا مجال لتوعده : فالظاهر ان الخطاب
 بالهاكم التكاثر له نوع خصوصية بالمعتقدين بالمبدأ و المعاد وانما سبق لهم ليتأثروا به :
 ثم ان الاعتبارات قسمان اعتبارات عقلائية تصلح ان تكون مطمحاً للنظر نظير اتخاذ
 الانسان للمتانة و الرزانة شعاراً له ولو لاجل تركيز شخصيته بين الناس : و اعتبارات قشرية
 لا تشف عن شيء نظير تمجد الانسان بسمن اكله و غلاء ثمن ملبسه و ما الى ذلك : والناس
 بالنسبة الى الاعتبارات الدارجة اقسام ثلاثة (١) قسم سطحي قشري تافه بالمرّة وهم
 الذين يعتزون بما كلهم و مشاربهم و ملابسهم و مساكنهم و ما سوى ذلك من القشور الفارغة
 (٢) و قسم يعتز بالاعتبارات العقلائية الصحيحة كحسن سمته و وقاره و قلة انحشاره
 بالفوغاء و نظير ذلك (٣) و قسم انما يعتز بالجواهر و الفضائل لما فيها من جوهرية
 واقعية و لب أصيل : و القسم الاول هو الاكثر افراداً من كل الطبقات . و القسم الثاني
 له اهل و اتباع وان كانوا أقل و القسم الثالث هو القليل و جوداً في عموم سلاسل الاجيال
 و هكذا قول امير المؤمنين عليه السلام في شرح الاية و التعليق عليها ، ياله مرأماً
 ما أبعد ، يا حرف نداء دخلت على منادى محذوف وله جار و مجرور متعلق بمحذوف
 ايضاً و تقدير هذين المحذوفين في امثال هذه التراكيب يكون بحسب سياق الجملة
 فيقدران هنا بمثل قولنا يا ايها الناس اعجبوا له مرأماً و نصب مرأماً على التمييز للمجرور

ومرجع الضمير في قوله له من هذه الفقرة هو التكاثر و التفاخر بالاسلاف و الاسلاب و ما الى ذلك و ان كان ما توسع فيه **عنه** هو تفاخر الناس بموتاهم و رفات اسلافهم البالية يقول **عنه** اعجبوا ايها العقلاء لتفاخر الناس بالدوارس من عظام آبائهم وهو لو عقلوا مرام بعيد و مقصد سحيق و بعده من ناحية انه لا ينطوى على شيء يكون به الفخر لان الفخر انما يكون بالجوهريات المتأصلة و الحقائق الراهنة لا بالاعظام الدارسة و الرفات المتحطمة .

وزوراً ما اغفله . الزور من الزيارة اسم يقع على المفرد و الجمع فيقال هو زور اي هو زائر و هم زوراي هم زائرون و المراد بزيارة المفتخرين برفات آبائهم و ان كانوا بعيدين عن قبورهم انهم مع بعدهم عنها كالواقفين عليها المشيرين اليها المتمجدين بها في كونهم ما اغفلهم عن الصواب و ابعدهم عن الواقع فان الميت لا يفتخر برفاته كما ان الحي لا يتمجد ببيدته و كل افتخار يكون من هذا القبيل لا قيمة له و الافتخار ان صح من الانسان فانما يكون بالمعالي الحقيقية التي لها اثر محمود ، و خطراً ما اظلمه ، اشارة الى الموت نفسه و انه فظيع شديد مزعج يجب ان يكون طريقاً للاعتبار لا محلاً للافتخار ، لقد استخلوا منهم اي مبدكر ، خلا الشيء اذا مضى و استخلى اذا تحدث عن الماضي و المنظور انهم تحدثوا عن امواتهم بما يجب ان يكون تذكرة و معتبراً و الادكار هو التذكر و الاعتبار ،

و تناوشوهم من مكان بعيد ، التناوش هو التناول من بعد و المراد انهم بافتخارهم من طريق موتاهم ذهبوا الى مكان قد بعد عليهم و كان حرياً بهم ان يفتخروا بالحاضر العتيد اديهم و هو العمل الصالح لو ملكوه :

أفبمصارع آبائهم يفخرون ، المصارع هو المكان الذي يسقط فيه المثنى بالجراحات و استعمل لقبر الميت ايضاً و اصل الكلمة من الصرع وهو الداء المعروف الذي اذا فاجأ صاحبه صرعه الى الارض اي انامه اليها ، ام بعيد الهلكى يتكاثرون الهلكى جمع هالك وهو الميت و المكاثرة : هي قول الانسان لقبيله انا اكثر منك ما لا و لداً و آباء و امهات و اعماماً و اخوالاً و ما الى ذلك و لانكون المكاثرة الا بالماديات فقط :

واما المفاضلة بالمعنويات فهي على انها حق في نفسها لايجوز التظاهر بها اذلا مجال للمفاخرة بالمرّة عند اولى الالباب فان الفضل ما أظهر صاحبه وطلع به من نفسه نعم قد يجنح العاقل الى اظهار نفسه في مقام التعريف بها لمن يعرف عنه ضد ما هو عاينه كتعريف زين العابدين على بن الحسين عليه السلام لنفسه امام اهل الشام الذين أشبعت اذهانهم بان هذا السبى من الترك والديلم لامن المسلمين فضلا عن كونهم الصفوة من آل محمد عليه السلام ، يرتجعون منهم أجساداً خوت، اى هم بافتخارهم بموتاهم يرتجعون الى انفسهم ابدانا بالية قد ضرب الدهر عليها بجرانه فاصبحت حديثاً فارغاً لا يشف عن امر محكم ولا متحدث عنه مبرم ، وحركات ، كانت عند تلبسها بالحياة كذلك لكنها بالفناء ، سكنت وخمدت ، ولان يكونوا اولئك الموتى ، عبراً . لهؤلاء الاحياء ، احق من ان يكونوا مفتخراً ، والعبرة بهم تدعو الى ترك المفاخرة والانشغال بالمكاثرة والالتفات الى صوب العمل الصالح والسعى المثمر .

ولان يهبطوا بهم جناب ذلة الحجى من ان يقوموا بهم مقام عزه ، يريد عليه السلام ان المفتخر برفات الموتى لدى التحقيق انما يتنزل بافتخاره هذا الى فناء ذليل و ظل غير ظليل ولا يترقى من ذلك الطريق الى ان يقوم مقام عزة فان الحى اذا كان فخره بميت كان ساقط الحيشية في نفسه ومهما كان ميتة شريفاً لذاته نعم لا ينكر ان الانسان اذا بنى من فعله ما يزيد في فضله كان شرف أسرته نوراً على نوره ، لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة ، العشوة مرض في العين يقعد بها عن قوى الابصار اى ان نظروا الى موتاهم لاجل ان يفتخروا بهم نظر عليل ولو كان نظراً صحيحاً صادقاً لكان نظر اعتبار لا نظر افتخار ، و ضربوا منهم في غمرة جهالة :

ضربوا منهم اى بسببهم وبحر غامر اى عميق كثير الماء وشبه بذلك كل ما يغمر الانسان من شيء ويستولى عليه والضرب هنا هو السير والمعنى انهم بسبب افتخارهم بهؤلاء الهلكى كالمغامرين في ارض مجهولة لهم لا يتصلون من سيرهم فيها بغاية بل كلما أمعنوا فيها ازدادوا جهلاً بمواقعها وغاياتها فهم الى الابد تائهون ، و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية ، عرصة الدار ساحتها والخواوى هو البالى

والربوع هي المنازل اى ولو أن هؤلاء المفتخرين استنطقوا عن موتنا هم ديارهم التي كانوا يسكنون ثم خوت من بعدهم والربوع التي كانوا ينزلون ثم خلت من وجودهم وهذا حقيقة يصدق في القرى المتداعية والبلدان المتلاشية بالحوادث و الطوارق و بالمجاز و الاستعارة على الاماكن التي كان يسكنها الموتى حال حياتهم ثم خلت من اشخاصهم و استوحش اهلها من بعدهم ، لقات ذهبوا في الارض ضللا ، اى هالكين منسيين مجهولين .

و ذهبتم في اعقابهم ، اى على آثارهم ، جهالا ، في عقولكم ان لم تصيبوا مواقع رشدكم و لم تعملوا الصالحكم ، تطؤون في هامهم ، اى تمشون على هاماتهم اذقل ارض لم تكن مصرعا لميت و قبراً لمقبور ، و تستنبتون في اجسادهم ، اى تزرعون في التراب الذى استحال من رفاتهم و نوع مقابر القرى والضواحي كذلك فانها بعد أن تعطى جدتها تصبح مزرعاً ومستنبتاً عن هذا المعنى اخذ ابو العلاء المعري حيث قال

الارض الامن هذه الاجساد

ضاحك من تراحم الاضداد

من عهود الآباء و الاجداد

فاين القبور من عهدنا

لا اختيالاً على رفات العباد

خفف الوطاء ما اظن اديم
رب لحدود صار لحداً مراراً
و دفين على بقايا دفين
صاح هذى قبورنا نملاء الرحب
سران اسطعت في الهواء رويداً

، وترتعون فيما لفظوا ، الرتع هو الاكل واللفظ هو الطرح من الفم والعبارة كناية عن انكم تأكلون مما تركوا من العظام وتعيشون على ما لفظوه عن غير اختيار منهم ولا رضاً صدر عنهم ، وتسكنون فيما خربوا ، اى في خرائبهم الباقية بعدهم ، وانما الايام بينكم وبينهم ، اى في مرها عليهم حتى ابادتهم وعليكم حتى تبئدكم ، بواك ونوائح عليكم ، تدعو يا اويل والثبور لمصارعكم التي عليها تمر "جون وانتم عنها لا هون ، اولثكم ، اى آباؤكم المتداعون و اجدادكم المتحطمون ، سلف غايتكم ، فان الدنيا مجال سباق والغاية فيها الموت ومن سلف من آباؤكم فقد وصل الى الغاية وارتهن بها و انتم في الدرب سائرون و اليها و اصلون ، وفراط مناهلكم ، الفراط هم السابقون

والمنذاهل هي الموارد اي ان آباءكم و اسلافكم كالطليعة من القوم تذهب
للاستقاء والباقون على أثرهم ، الذين ، وان خنعوا وخضعوا فعلا فقد ، كسنت
لهم مقاوم ، جمع مقوم وهي الدعائم ، العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا ، اي اعم من
ان يكونوا ملوكا في مراتبهم اودون الملوك فان الجميع كانوا متمتعين لعروش العزة
متنعمين بالعظمة واليوم اصبحوا على الوصف الذي آنفناه و السوق لفظ يقال لمن هو
دون الملك مقاماً ويطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما يجمع على
سوق بضم السين وفتح الواو .

«سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فأكلت من لحومهم و
شربت من دماثهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون و ضميراً لا يوجدون
لا يفزعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواحف و لا ياذنون
للقواصف غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون وانما كانوا جميعاً فتشتوا والآفاً فافترقوا
وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كساً
بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً وبالجر كاتسكونا فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى
سبات جيران لا يتانسون و احباء لا يتزاوون قد بليت بينهم عرى التعارف و انقطعت
منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد و هم جميع و بجانب الهجر و هم أخلاء لا يتعارفون
ليل صباحا ولا لنهار مساء اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً شاهدوا من اخطار
دارهم افضح مما خافوا و رأوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلا الغابتين مدت لهم
الى مباءة فانت مبالغ الخوف و الرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا
وما عاينوا :

سلكوا في بطون البرزخ سبيلا ، السلوك هو السير و البرزخ هو الحاجز بين
الشيئين وفي اصطلاح اهل الشرائع هي الفاصلة بين الموت و البعث و بطون البرزخ
كناية عن مسافة هذه الفاصلة اي ان مرور الزمان اخذ يطوى بهم في مضامين البرزخ
سبيلا ، سلطت الارض عليهم فيه فأكلت من لحومهم و شربت من دماثهم ، اي انقصت
لحومهم بالتجفيف حتى أبلتها و دماثهم بالتحليل حتى انفدتها ، فاصبحوا في فجوات

قبورهم جماداً لا ينمون ، الفجوة هي الشقة و الفسحة فان جسد الحيوان بعد الموت بمنزلة الحجارة ليس مظنة للنشوء والنماء و لقد كان قبل ذلك كالفضن الغض يتقاطر طراوة ونداوة ، وضماراً لا يوجدون ، الضمار هو كل ما لا يرجى حصوله من دين او وعد اى ان وجودهم احياء بعد فنائهم امر لا يرجى الا بيعتهم يوم القيامة لنشأة ثانية غير هذه الحياة ، لا يفزعهم ورود الاهوال ، الفزع هو الخوف والاضطراب و الاهوال هي المخاوف الداهية و انما يفزعون لفقدانهم كل وسيلة بها يكون الهول و الفزع من حاسة و قلب و شعور ، و لا يحزنهم تنكر الاحوال ، يقال تنكره اذا بدل حالته معه و أضمر له سوء وانما لا يحزنون لتنكر الاحوال لهمودهم و ركودهم ولقد كانوا : حين كانوا احياء: يفزعهم ورود الاهوال و يحزنهم تنكر الاحوال لتأثير ذلك في مشاعرهم . ولا يحفلون بالرواجف ، حفل به اذا اعتنى منه والرواجف هي الباعثة للرجيف والتزلزل يعنى ان الزلازل ترجف بقبورهم ومناخ اجسادهم ولكنهم لهمودهم لا يعتنون بها وكانوا من قبل يفرون الى طلب السلامة فى اقل من ذلك ، ولا يأذنون للقواصف ، القصف هو الضرب بشدة و اذن له اذا اعاره اذنه و استمع له و انما لا يعيرون اسماعهم للقواصف العادة لعطلة حواسهم عن درك ذلك و كانت آناً تضيق ذرعاً به غيبساً ، جمع غائب ، لا ينتظرون ، قد أيس أهلهم من أوبتهم اليهم و عودهم عليهم ، وشهوداً ، اى تشهدهم الحواس ولكن ، لا يحضرون ، فى المحاضر و النوادى لبطلان ادوات ذلك فيهم .

وانما كانوا جميعاً ، اى مجموعين فى اطار قرية او بلدة واحدة ، فنشتتوا ، كل ، انضوى فى جحر لاربط له بالآخر ولو كان قريباً منه لضخامة الحواجز القائمة بينهما ، والآفأ فافترقوا ، الآلاف جمع آلف كسراق وسارق وهو من يألف الانسان و يصادقه و يسكن اليه و افتراقهم تباعدهم الى الابد ومثل هذا الافتراق ليس من شيمة الآلاف ، و ما عن طول عهدهم ، اى زمان مفارقتهم للحياة ، ولا بعد محلهم ، عن الاحياء ، عميت اخبارهم اى اندرست ولم يعد الاحياء يتحدثون بها ، و صمت ديارهم ، بحيث صارت لا تسمع دعوة الداعى ولانداء المنادى نسب **لنبيهم** الصمم الى ديارهم باعتبار أهلها الذين صموا

بعد الوعي وخفتت حواسهم بعد اليقظة ، و لكنهم سقوا كأساً ، و هي المنية الفاهية للحياة ، بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً و بالحركات سكوناً فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات ، السبات هو النوم يريد **تعالى** ان من يحاول وصفهم على ظاهر حالهم حيث همدوا على وجه الارض من غير ان يحقق فيهم نظره يقول انهم صرعى نوم قد غفوا غفوة عميقة وصرعى سبات مضاف ومضاف اليه .

جيران لا يتأمنون ، تأمن و استأمن به بمعنى واحد اذا سكن اليه و صافاه و انبسط له يقول **تعالى** انهم على تجاوزهم في المضاجع لامؤانسة بينهم بل كل قد انصرف بنفسه عن جاره لا يعلق منه بشيء ، واحباء لا يتزاورون ، في حال ان الاحبة لا يبارحون زيارة بعضهم بعضاً ، قد بليت بينهم عرى التعارف . العرى جمع عروة وهي العقدة التي تكون محلاً للربط و الاتصال والبلا هو الانداس اي ان ما يربط المعرفة بين هذا وذاك من الاحبة قد اندرس بين هؤلاء وروابط المعرفة هي ادامة الزيارة و التفقد و التعهد و مباداة العواطف وهذه كلها مفقودة في ما بين الموتى ، وانقطعت منهم أسباب الاخاء ، واسباب الاخاء هي أسباب التعارف الألفة الذكر و انقطاعها انعدامها ، فكلهم وحيد و هم جميع . اي ان الناظر الى حذب القبور في المقبرة يجدها متقاربة متلاصقة و مجتمعمة متصامدة ولكن أهلها و احدها لارابطة بينهم و شتات لاجامع لهم و افراد لا ناظم لوحدانهم .

و بجانب الهجروهم اخلاء ، اي تراهم على قريتهم متهاجرين و قد كانوا ازمان حياتهم اخلاء متحابين ، لا يتعارفون لليل صباحاً و لالنهار مساء ، اي انهم انما يعرفون ما غمضت عيونهم عليه حال مفارقتهم للحياة فالذي مات بالنهار لا يعود يرى وراءه ليلاً و الذي مات في الليل لا يدرك ان بعده نهاراً لانقطاع حاسته عن تشخيص ذلك ، اي الجديدين ، من الميل و النهار ، طعنوا فيه ، عن هذه النشأة ، كان عليهم سرمداء ، وليس المنظور ان النهار الذي فنوا فيه يبقى عليهم الى الابد نهاراً او الليل الذي توفوا فيه ليلاً بل المنظور ان الذي صحبهم من نظرهم الى دنياهم هو النظر الاخير الذي و دعوا به الحياة فكانه ملازم لهم الى الابد ، شاهدوا من أخطار دارهم ، التي اليها وفدوا ، افطع مما خافوا ، في دنياهم فان الخبر ليس كالعيان ، و رأوا ، المتقون و العاصون جميعاً ، من

آياتها ، اى آيات الدار الاخرى من نعيمها و جحيمها ، أعظم مما قدروا ، لانفسهم
فالمتمنى رأى من اطف الله به اكثر مما زوى فى نفسه والمذنب شاهد من نتائج ذنبه اعظم
مما قدر لنفسه ، فكلا الغايتين ، للمحسن والمسيء من السراء والضراء ، مدت ايم الى
مباينة ، اى الى مرجع ومعاد ، فانت مبالغ الخوف والرجاء ، اى تعدت عن حدود خوفهم
و رجائهم اللذين كانوا ينطوون عليهما ، فلو كانوا ينطقون بها ، اى بتلك الآثار التى
عاينوها المحسن من النعيم والمسيء من الجحيم ، لعياوا بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا ،
على بالشىء وعيى اذالم يهتد الى وجهه ويقال فى الجميع عيوا و عيوا مشدداً ومخففاً و
معناه انهم لو استطاعوا النطق عما يواجهونه لعجزوا عن وصفه بالبيان ولم يهتدوا بوصف
اللسان الى ما عاينوه بالبيان :

ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم
آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضروخوت الاجسام
النواعم ولبسنا أهدام البلى وتكأءنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة و تهكمت علينا
الربوع الصموت فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا و طالت فى مساكن
الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعاً فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم
محجوب الغطاء لك وقدر تسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت أبصارهم بالتراب
فخسفت وتقطعت الالسنه فى افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها
وعاث فى كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستلمات فلا أيد تدفع
ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب و اقداء عيون لهم فى كل فظاعة صفة حال لا تنتقل
وغمرة لا تنجلي : ﴿

ولئن عميت آثارهم ، عمى الآثار تحطمها وانعدامها وتلاشيها بخلاف ما اذا كانت
شاخصة قائمة فانها تشعر باعتدال الحال وقيامها بعمارها ، وانقطعت أخبارهم ، بحيث لم
يعد يتحدث باسمهم متحدث كالفائب الذى يطول سفره و تنقطع عن اهله مراسلته
و مكاتبته ، لقد رجعت فيهم أبصار العبر ، رجوع البصر فى الشىء نكره فيه للتحقق
منه وهكذا عين البصيرة تفعل فى الاشياء لتستفيد منها ما لم تعلم وتقف منها على السر

الخافي ، وسمعت عنهم آذان العقول ، من طريق التدبير في أحوالهم والتفكير في اوضاعهم وتكلموا ، اى الموتى ، من غير جهات النطق ، المعمولة للانسان الناطق و هى لسانه واشداقه ، فقالوا كلحت الوجوه النواضر ، الكلوح هو التكشر بعبوس وانقباض والنواضر النواعم اى ان الموت أحال من تلك الوجوه البواسم النواعم خلقة مفزعة تدعو الى الجزع والتضجر ، وخوت الاجسام النواعم ، يقال خوى اذا ذبل وبلى و الناعم هو الاملس من لينه ، ولبسنا أهdam البلى ، الاهدام جمع هدم وهو الثوب الخلق والبلا الاندراى اى لبسنا - بعدما كنا نتخير اجد الالبسة وأطراها - أهdam خلقة من طريق الموت الذى يبلى كل جديد ، وتكاءدنا ضيق المضجع ، اى ثقل وشق علينا ضيق اللحد ولقد كانت القصور الواسعة تضيق بنا وبيطرنا وتنعمنا ، و توارثنا الوحشة ، اى تعاطيناها ما بيننا بعضاً من بعض حيث كل منافى هجر لصاحبه واعراض عن أليفه وصدوف عن معاريفه ، وتهكمت علينا الربوع الصموت ، التهكم هو الاستهزاء والسخرية و الصموت الساكنة والمنظوران المنازل التى كانت مأهولة بنا ومعمورة بعمهدنا جاءت بعدنا بلسان حالها هازمة ساخرة بناقائلة اين قواكم التى صرفتموها فى هذه المباني وعناياتكم التى بذلتموها فى عمارة هذه المغاني قد استبدلتم بها الحوداً ضيقة وجحوراً مظلمة و طوحت بكم الايام من ترف و نعيم الى ذل مقيم ، فانمحت محاسن أجسادنا ، ولم يبق منها الارفات ، وتنكرت معارف صورنا ، اى ان سماتنا التى بها كنا نعرفون شخص قد تنكرت واستحالت بناانا الى هياكل مطلسة او عظام محطمة ، وطالت فى مساكن الوحشة ، و هى القبور ، اقامتنا ولم نجد من كرب ، وشدة قد حلت بنا منذ ازمان ، فرجاً . ولا مخلصاً ولا من ضيق ، مساكننا ، متسعاً فلو مثلتهم بعقلك ، اى جسمتهم لعقلك بنفون بصيرتك فيهم كما تجسم الرواية على مسرح التمثيل ، او كشف عنهم محبوب الغطاء لك ، اى كشف عن قبورهم و اوصالهم فيها فرايتهم رؤية معين مدقق و فاحص ممحص ، وقد ، الواو للحال ، ارتسخت أسماعهم ، اى تشبعت مسامعهم بالهوام كما تشبعت الارض بماء المطر والهوام جمع هامة وهى الحشرات ، فاستكت ، اى ضاقت من كثير ما دخل فيها ، واكتحلت ابصارهم بالتراب فخصفت ، اى غارت فى رؤسهم .

وتقطعت الالسنه ، ای انفصلت من منابتها، فی افواههم ؛ فصارت أعضاء عاطلة لا يستفاد منها، بعد ذلاقتها، ای حدتها وذراقتها فی النطق، وهمدت، ای ركدت، القلوب فی صدورهم بعد يقظتها، ويقظة القلب حركته للقيام بعمله الجبار، وعاش، العيث هو الافساد، فی كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، ای افسد جوارحهم عن العمل من ناحية وبالتشويه من ناحية ثانية دروس لم يكن ملاسأ لها حتى قبحها وشوه منظرتها ، وسهل، جديد البلى والانداس ايضاً، طرق آلافة، وهى الحوادث والطوارق المغيرة اليها، ای الى نيك الجوارح بعد ضعفها عن المقاومة، مستسلمات، ما بها ان تدفع عن نفسها او تمنع عابثاً يعيث بها، فلا ايد تدفع: هذا البلاء، و لا قلوب تجزع، مما حل بها، لرأيت، جواب لو من قوله **لَتَجِدَنَّ** فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك لرأيت، اشجان قلوب و افذاء عيون، شجن القلب حزنه و قذاء العين ما يزعجها و يسلب راحتها، لهم فى كل فضاة، حلت بهم، صفة حال لا تنتقل، من سوء الى تحسن بل الى أسوأ، وغمرة لا تنجلي، الغمرة هى ما يغمر الانسان من محنة وشدة وانجلاؤها انما يكون بنهاها كالغريق عند ما تسعفه الصدف فينجو من الفرق و يتنسم الهواء ويخرج من ضيق البلاء.

وكم أكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان فى الدنيا غذى ترف و ريب شرف يتعلل بالسرور فى ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه و شحاحة بلهوه ولعبه فبينما هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه فى ظل عيش غفول اذ وطىء الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه المحتوف من كتب فخالطه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجدهم وتولدت فيه فترات علل آانس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفىء، ببارد الاثور حرارة ولا حرك بخار الا هيح برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا امله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومعبير لهم على فقدته يذكرهم أسى الماضين من قبله فبينما هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة

اذ عرض له عارض من غصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبت رطوبة اسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده ودعاء مولم بقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي أفضح من ان تستغرق بصفة او تعتلل على عقول اهل الدنيا.

و كم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذى نرف وربيب شرف ، شبه ~~بالتعب~~ ابلء الارض للجسد حتى يصير رفاتاً بتناول الأكل من اطراف الغذاء حتى يأتي عليه كله او على اكثره و عزيز جسد من باب اضافة الصفة الى الموصوف اي الجسد الذي كان في حياته معزلاً مكرماً وهكذا انيق لون اي لون معجب أخاذ للنظر وغذى فعيل بمعنى مفعول اي غذاء الترف وهو نعمة العيش وهكذا ربيب شرف اي رباة الشرف وحاطه وقام بكفالاته على احسن ما يمكن ، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ، التعلل بالشىء هو تسلية النفس به و صرفها عما يؤذيها اي انه كان اذا عرض له ما يحزنه صرف بنفسه عنه حتى لا يتكدر عليه عيشه و وقته ، ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ، فزع الى الشىء اذا توجه اليه بسرعة ليدفع به محذوراً طراً عليه او يستفيد منه فائدته والتسلي هو الهاء النفس عن المكروه بما يسر ، ضمناً بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه ، الضن البخل وغضارة العيش طيبه و ضراوته والشح والشحاحة بمعنى وهو البخل ايضاً اي انما كان يتعلل بالسرور في ساعة الحزن ويفزع الى السلوان ان نزلت به مصيبة ليفر بطيب عيشه عما ينغصه وليبقى مستمراً على لهوه ولعبه فلا يقطع عن ذلك جزع او فزع .

فبينما هو يضحك الى الدنيا وضحك اليه ، ضحكك الى الدنيا عبارة عن سروره بها لتنعمه فيها و ضحك الدنيا اليه اقبالها عليه ، في ظل عيش غفول ، شبهت النعمة الواسعة بالشاخص الذي له ظل عريض لا ينعدم عن افئيته والعيش الغفول هو الذي يغرى صاحبه بالغفلة حتى لا يتنبه الى امر سواه ، انوطى الدهر به حسكه ، اي أوطأ الدهر على حسكه فثبت شوكة في مترف بدنه وهذا من أعظم غدر الايام به حيث تقطع به ازماناً طوالاً تنيمه فيها على المهاد الوثير ثم تزعجه أزعاجاً فتجر على الحسك والسعدان ، ونقضت الايام قواه . اي بعد ان كانت قواه متصامدة يعين بعضها بعضاً على مقاومة الحوادث

واذا بالايام جاءت اليها تفل من حدتها وتكسر من شرتها و تضعفها عن قوتها والنقض هو الحل في مقابل الابرام الذي هو القتل ، وانظرت اليه المحتوف من كذب ، اى قربت منه المعاطب لتهلكه والحتوف جمع حتف وهو الموت والكذب القرب ، فخاطبه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده ، البث هو الحال والحزن والنجى هو الذى يسارك ويشاورك والهم هو اعتلاج الباطن بما ينقل عليه اى فعاد يرى فى نفسه حالاً ما كان يعرفها من قبل واخذت الهموم تهمس اليه بما لاسابقة له به ، وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته تولدت اى حدثت بعد أن لم تكن والفترات جمع فترة و اضافتها الى العلل تفيد تناوبها عليه فتطفو مرة وتسكن اخرى : توادفيه ذلك حال كونه آنس ما يكون بصحته ، ففزع ، لهذا الطاء الجديد الذى لم يسبق به ، الى ما كان عوده الاطباء ، فى بعض السوانح العابرة التى كانت تمر بهراً ولا يكاد يخلو منها انسان ، من تسكين الحار بالقار ، بما ان الحرارة ذات هيجان فهى تكافح بالبرودة التى تخمدها وانقار هو البارد ، وتحريك البارد بالحار ، والبرودة لاقتضائها التجميد ثم تثور بالحرارة ، فلم يطفى عيبارد ، حاراً ، الا ثور حرارة ، من ناحية ثانية ، ولا حرك بحار ، بارداً ، الا هيج برودة ، من طريق آخر

ولا اعتدل بممازج تلك الطبائع ، اى ولا تناول دواء بسيطاً او مركباً وان كان معتدلاً بمزيج تلك الطبائع حيث حصل من طريق الكسر والانكسار فى نتائجها مزاج معتدل ، الا اهد منها كل ذات داء ، اى الا كانت له مع اعتدالها مثيرة للامراض والاسقام كل ذلك لتأصل المرض فيه وشيوعه فى شراشر وجوده ، حتى فتر معلله ، المعلل هو المؤانس الذى يلزم المريض ليؤنسه والقنور هو بطلان النشاط وانما يفتر معلله لا عراق المرض فيه ، و ذهل ممرضه ، الممرض هو الذى يتعاهد المريض بوسائل راحته من دواء وغذاء وما الى ذلك والذهول هو التحير الناشئ مما يوجب الخوف وشبهه ، و تعابا اهله بصفة دائه ، تعابا اهله اى ظهر عليهم العجز عن وصف مرض مريضهم لموضه واخذته فى الاشتداد ، وخرسوا عن جواب السائلين عنه ، كيف هو وما حال مرضه اذ لا يجدون جواباً لابهام الحال عليهم ، وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمون به ، اى اخذاهل المريض فيما بينهم من دون ان يشعر هو بما هم فيه يتنازعون فى حاله بكلام محزن

لهم یکتموله علیه مخافان یشتد مرضه و تسوء حاله اکثر مما هی علیه .
ثم بین **عقبات** جهة تنازعهم بقوله ، فقاڈل هو لعابه ، ای مفض للمرض الذی فیہ وفان به ،
وممن لهم آیاب عافيته ، ای وبعض یرجیهم بعود صحته له ، ومصبر لهم علی فقدہ ، ای
وقاڈل لهم علی فرض انه لا یصحو من علته هذه فان لكم فی السالفین أسوة ، یذکر هم
أسی الماضین من قبله ، أسی جمع أسوة والماضین الفانین بالموت ، فبینا هو كذلك
فسر **عقبات** لفظ الاشارة بقوله ، علی جناح من فراق الدنیا وترك الاحبة ، یقال هو علی
جناح سفر ای عازم مقارب للحركة ، اذ عرض له عارض من غصه ، القصة هی ما یقف
فی مجرى التنفس والمنظور بذلك هنا حشرة الموت ، فتحیرت نوافذ فطنته ، الفطنة
هی حسن الانتباه لدرك الشیء ونوافذها هی الحواس المؤدیة الیها والتحیر هو عدم الاهتداء
والمراد ان مشاعره اختلت فی اعمالها فلم تقم بالوظيفة التی كانت تقوم بها آنفاً ، ویبست
رطوبة لسانه ، لضعف غدد الترشح عن الافراز بانھیار الحیاة ، فکم من مهم من جوابه
عرفه ، واهمیته من ناحية مسیس الحاجة الیه آنذاك وهی الوصیة بالامور اللازمة ومعنی
معرفة له شعوره التام به ، فعی عن رده ، ای عجز عن بیانہ لبطلان آله انطق فیہ ، ودعاء
مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه ، والمراد بالدعاء الدعاء له بالعافیة واسترداد الصحة ، من
كبير كان ، المحتضر ، یعظمه ، ككونه ولدأ للداعی ، او صغیر كان ، المسجی ، یرحمه ،
لكونه أباً له واطهاره الصمم عن الدعاء معناه تجاهله به حتی لا یجیب عنه والواقع انه
یسمع ولكنه لا یستطیع الجواب فعرض ذلك بمنزلة من لم یسمع حتی یكلف بالرد ، وان
للموت لغمرات ، ای شدائد ، هی أفظح ، ای اشدواكثر ، من أن تستغرق بصفة ، واستعراض ،
او تعندل علی عقول اهل الدنیا ، ای تحسبها عقول اهل الدنیا عند ما توصف لہا وتسمعها
معتدلة مستقیمة قابلة للتصدیق والاذعان والمنظور من العبارة النفی ای هی لا تستغرق
بصفة ولا تعندل علی العقول لان الناس لا یرون من ظاهرا المحتضر الا شیئاً من ذلك لا کل
ما وصف واذلک لا تخضع بالقبول الا تعبدأ ان كانت مؤمنة بالواصف :

وبعد فمأقرأته هو العلم النافع والدرس الناجع وهذا لوی البشر عنه كشحاً ووقع فی

هذه الدیاجی المظلمة والحیاة المبهمة والجهل الذی لا رجاء معه بالسلامة و علی اثر

احتدام طقوس هذه الحياة وشيوع المنكر وكثرة الهناة قلت : من قصيدة بعنوان

سفن الفضاء

يا جهل ته في قرننا العشرين
 قرن به نزت الطبيعة نزوة
 ان ابدعت فيه العقول ظواهيراً
 فيه نواطح للسحاب و انها
 و جيوامع أخاذة بطلائها
 أقصى معارف أهلها أن يعرفوا
 والارض كم عاثوا بها وهي اهم
 عبثاً نحاول كشف اقمار السما
 و مجال ارجلنا يضح "تبرماً"
 خذوا السماء فلا تمسوا قدسها



حارت عقول الناس في أنسابها
 بعض يرى الانسان قرداً ساقطاً
 لكنما الدنيا قضت ما بينهم
 ملاء الوجود مذايحاً وقبايحاً
 هذا هو الانسان في أخلاقه

يا قرننا العشرين تعلمكم غدا
 فيك الخناجعت نوره فلا ترى
 ما فيك إلا الظلم يرغو مزبداً
 اما المحق فلا تسل عن هضمه

منك الوجود بغيه مشحونا
 في الخلق إلا السافل المطعون
 والكفر أصبح في زمانك ديناً
 كم سيم ذلاً حقه و أهينا

بالدين منها العرض كان مصونا
والظلم ما بين الورى قانونا
الآ زفيراً صامتاً و أيننا
واكنض منه مشانقاً وسجوننا
نظماً : و يعبد اهلها دارونا
عبت اسى من عنفه وشجوننا
كان الفناء قرينها الميمونا
كان الوجود بقده مقررنا

باسم التحرركم أباحوا حرة
قرن به الارهاب أصبح حاكماً
خفتت به الانفاس حتى لا ترى
عم الوجود به شقاء شامل
لا بدع فى دنيا : لتين يديرها
سلكم أطاح الا انقلاب بها وكم
وثبت سماسة التوحش وثبة
صاحت بكل مقدس متأله

✧ ✧ ✧

غنا ترى و ترى سواء سمينا
والحق كان لدى الجميع مكينا
فتنت جميع الكائنات فتونا
و ان استطال معارفاً و فنونا
نحتوه من صم الصفا تكويننا
كلا ولا يجدون فيه ليننا

عاشت اوائلنا و فى افرادهم
كل يسير بدربه متأدياً
اما زمان النور فالبلوى به
فيه ترى الانسان وحشاً ضارياً
اننى التفت و جدت وجها عابساً
لا يعرف المعروف فى اخوانه

✧ ✧ ✧

بكرأ بها شهدوا الحروب و عوننا
ترك العيون تفيض منه عيوننا
فى الخلق الا المكمد المحزوننا
كلا و لا چنگيز نابليوننا

يكفى الحضارة سبة ان الورى
كم لزهم منها فناء جارف
و حوادث سود طفحن فلا ترى
لم يبلغ الحجاج مبلغ هتلر

✧ ✧ ✧

مجد الزمان بفضل مرهونا
وامدأها من عقله تمويننا
لسواء لم تتركه يسعد حيننا

ما اضيع الانسان فى عصر غدا
فهو الذى خلق الحضارة كلها
لكنما النار التى قد شهبها

فالقرب عبّ نظيرها سبعينا
هذى الحروب وانقلته متونا

☆

ضمنوا حقوقاً للورى و شؤونا
و حقوقه نسمى بها تأمينا
فيها القوى يطارد المسكينا
لا غابناً تلقى ولا مغبونا
وضع يروق و حالة ترضينا

☆

أعمت بصائر للورى و عيوننا
باسم التحرر فى الشعوب لئينا
وبذاك سل بيض الورى و الجونا
الا دماراً ما حقاً و منونا
و الجوع يطوى من ذويه بطونا
غرب البلاد بشرقها طاعونا

☆

و العلم جاء بجهلنا يغرنا
حب التغلب ان ترى و تكونا
و رجاله حرساً غدوا و عيوننا
دجلا و شادوا فى الخفا صهيونا
تغرى بنا الايام كى تفنينا
و المهتدين الغر رجعيينا
كلا و لا غير الخنا يبغونا
اختال الوجود سخافة و هجونا

ان عب منها الشرق كاسامرة
سل مسعر الحربين كم اودت به

☆

ابن الا ولى اجتمعوا لرابطة بها
قالوا الضعيف له نفوى جانباً
و نقيم للاحرار دنيا لا ترى
ونكف ابدى الجور من بين الورى
و سير بالدنيا على نهج الهدى

☆

لكنه دجل به و اشنطن
اما كرمين فسل عن بطشه
هذا اباد الناس سيف مرماه
عم البلاء الارض حتى لا ترى
هذى الضعاف تضج من قصف القوى
سيل من الطغيان قام يصبه

☆

ما للتمدن قد عراه توحش
ماذا تحاول ساسة اضرى بها
الشرق يعمل كله لنفوذها
جعلوا فلسطيناً مهمة سعيهم
هذى عفاريت السياسة اصبحت
رأوا الهدى رجعية ممقوتة
لا يعرفون تقدماً بفضيلة
هذا هو التجديد فى عصر به

فيه اعتلا الاجلاف منا وانزوى
تسماً لدور فيه حلق ساقط
من كان فينا الصادق المأمونا
و قضي الشريف العمر فيه سجيناً

حقاً ان الزمان دار دورته وارتجت فيه مفاهيم للعقل غير ما يدركه وتحور كل شيء عن حقيقةه اللازمة له وأصبح المنطق وليد الرغبات النفسية والعلم نتيجة الميول الشخصية وانعدمت المقاييس بالمرّة الواحدة فهذا العالم الذي بعدت الشقة بين طرفيه وانتشر افراده انتشاراً فوات الحصر والضبط و جاء كل واحد منهم علامة لنفسه سواء فيه الذكور والانات جاء بصيغة اخرى غير صبغة ما يعهد من الانسان العاقل فاننا عهدنا الانسان يضع كل شيء في نصابه فيعتبر المثالية حقّة و العفة مقياساً من اعلا المقاييس وان كان هو عاجزاً فاجراً فلا ينكر ما للمثاليين من مقام شامخ وان مشى وراء الطبالين و الراقصين و اللاطة و الزناتين لكن عالمنا الحاضر ضرب بكل شيء في عرض الجدار فما عاد يعرف حتى اعظم دكتور فيه الاتمويج زد فيه ورقصه بيديه ورجليه وصياحه في عربدته و انتهابه كل شيء تمكنت منه يداه وكتبته للعواطف واستبداده بجهله وتحكيمه اميوله ما وجد لذلك مساعاً و طريقاً يسلك فيه كما لم يعد يعترف للمثالية بمفهوم و لا للعفة بمعنى وللحق بما وراء لفظه فعنده الحياة كلها سخفت في سخف وان كافة ما يقرر ويحور في المدارس والكليات والجوامع مجرد اصطلاحات و بعبارة اخرى صرف كلم جوفاء وأن لاحقيقة من كل ذلك الا لما يؤمن الشهوة على طول ابعادها و لو كانت جنونية بحتة و انجر هذا النوع من التفكير حتى الى ابناء الروح تائراً بالحالة السائدة التي تشرع من القصر الابيض في واشنطن وتختتم بالاكواخ في اقصى اطراف الاهوار والآجام وطرف من مصاديق ذلك تقرأه في المقال التالي :

صديق لي من ابناء المراجع العليا للدين تعرفت عليه قديماً و كان سلالة طاهرة من أب كريم يعتز بنفسه تأتفا عن الخضوع للمتغطرسين القابضين على زمام المادة من طريق المرجعية لانه نشأ في بيت مصون و على انه كان من بيوت اموال المسلمين لم يبق في قرارته درهم واحد يكون ذخيرة تقوم بيلغة هذا الشاب اذا توفي أبوه: وقد توفي ابوه وهو في سن قاصرة على - لاضمان - كما كان السلف الصالح من علمائنا

على هذه الطريقة يموتون عن لاشيء ويرسلون بعوائلهم الى صحراء جرداء من الحياة
لامظنة فيها! الامظنة التوكل على الله فحسب : وسوف تقرأ في المقالين الآتيين - الشيخ
مرتضى الانصارى - وعظمة المثاليين : ما يشبعك فهماً عن هذه النقطة :

وكان الذى يعين عوائلهم المنقطعين على مغالبة العيش ومنازلة الحياة امرين
اساسيين يهونان عليهم كل الصعوبات و مهما كانت فى شدتها القناعة الى حد الاعجاز
والايمان بقضاء الله وقدره وانهم سيجبرون عنائهم فى هذه الحياة بما أعد الله للبائسين
القانعين المتوكلين فى الدار الاخرة من جميع المتع : وفوق هذا وذاك ان الايمان
بمثل هذه المبادئ كان مائلاً مكانه الواسع من قلوب اناس يومذاك : وان اصبحت قلوب
مواليد اوائك الناس فى عالمنا الحاضر يبدأ بلقع من كل مفهوم وعقيدة يمتان الى تلك
المفاهيم والعقائد : فياسبحان الله مقلب القلوب والاحوال .

كما كانت طرق المعيشة منحصرة بين اهل العلم نوعاً بالاستفادة من الوجوه الشرعية
يتلقونها اما من مراجع الوقت او بالسفر الى المتدينين الواجدين : اما حيث طلعت طلائع
القرن العشرين بأحاديثها بكل المبادئ وبذخها بالمال كل والمشارب وما الى ذلك من
الشهوات وخطتها من مكانة الدين والمتدينين ليخلو فى وجهها وجه العالم بأسره وترفيها
على المتجدين الملحدين بفتح ابواب التوظيف و تسنم عروش العظمة و رضخ
الرواتب الدسمة هناك اخذ اهل العلم يتجلى لهم جفاء الطبيعة وميلها عنهم فان استطاع
ان يثبت الثبت منهم - وما اقله - على جوانب مزالقتها ويتحمل بغاية الصعوبة مرارتها
وقسوتها فان مواليده لا يستطيعون ذلك وفى بدء الامر اشتد العراك بين الرجل الروحى
الصحيح و ولده : الوالد يريد ان يسلكه فى ركبته والواد يريد الانفصال عنه لينظم
نفسه فى قافلة الجدد : لكن جملة من الاباء استطاعوا ان يهيئوا على عواطف اولادهم
ويسلكوهم فى حوزتهم اما الاخرون ففشلوا فى محاولتهم لكن جاء من ابنائهم على مرور
الزمان شخصيات لها وزنها فى الدنيا غير انها عادت وبالا على الدين وعاد آباؤهم عاراً
عليهم فيما يرون :

وهذا الامر هو الذى نمرد من اجله فى المراحل التالية كلولد على ابيه بل حتى

الاناث استنتت في مضامير الذكور فما اكثر اليوم حتى من ممثلى التآترات والسينمات وما الى ذلك فى اولاد الروحيين الان الاباء معذورون ومخفرون من تحميل هذه الهنات عليهم لعجزهم عن مغالبة اولادهم والوقوف فى وجوههم :

وصديقنا الذى فتحنا المقال باسمه واحده من اولئك الذين اصاخوا لارادة آباءهم و سلخوا انفسهم فى نظام المعممين لكنهم لما توسطوا معامع الحياة و وجدوا ان الدهر يتطلب فيها مائة واسعة للمعيشة وان الصبر على التقشف ثقيل اخذوا يفتشون عن طريق خلاص من هذه الازمة لكنهم لم يكونوا على درجة واحدة فى الروية فبعضهم طفر طفرة واحدة لبصيص بارقة لمعت لهو بعضهم اخذ يتنصل شيئاً فشيئاً و هو بعد فى المضمار و الفريق الثالث انسدت عليه النوافذ ووقف وراء الباب بوقار ظاهرى و جزع باطنى لا يعرف مصيره وهل يخنى الدهر عليه حتى يعجى به من اشقى الاشقياء وانه سيكرع من الحياة ولكن فى وشل لابقاء معه الاياماً معدودة : علم ذلك كله عند الله :

اما صديقنا فانه لشخصية ابيه فى طول وطنه انتقل الى العاصمة التى كانت فى دورها الاسلامى الوضاح تعج بالمساجد و المدارس العلمية الدينية حيث بلغت فى عددها عشرات و فى طرز بنائها ارقى الكيفيات ذات تجهيزات و موقوفات و لكن اصابها ما اصاب اهل العلم الروحيين من التسيب و الاهمال و اننى طالما تجولت فيها واحدة واحدة للعبرة واقتناس الفكرة فدخلنى من الحزن عليها و الجزع من اجلها ما يدخل المسلم الغيور على انه يارقومه فى كل ما يمت اليهم من مصل و مسجد و طالب و مدرسة و كتب عريقة فى النسب استولت عليها الا رضة بل ما يدخل المسلم الغيور فى نفسه و اهلها و اخوانه و اخدانها و اهل ملته حين يرى جميع هؤلاء عليهم من الاسلام طلاوة و لكن الاحاد و اخلاقه قد احتوشاهم فأنثر اعلى دينهم فلا دين و على نوااميسهم فلم يبق لهم نوااميس و على اخلاقهم فلا ايمان و لا احسان و لا صدق و لا رفق و لا حياء و لا وفاء و لا اية ظاهرة نفسية سوى الخداع و الطمع البغيض و الدجل و التدليس و الصلافة و عدم الانصاف و اكل اموال الناس بالباطل و كل ما لا يمت الى الدين و اهله بصلة :

فكان يدخلنى من ذلك اعظم ما يدخل الا نسان المسلم عندما يشاهد آثار

سلفه في الأندلس ونظائرها فإن آثار الإسلام في البلد المزبور وغيره ان دخلها تخريب وتدمير وزوال وانذار فلانها وقعت بيد عدومعاند اما الآثار السلامية المنهارة التي رأيتها فهي ليست من تلك المقولة بالمرّة وما استحال المسلمون الى ملاحدة ولاديارهم الى ديار حرب الا بيد قوية من الانتهاز .

وجدت المدارس المومأ اليها على ما وصفت ووجدت عمّارها اناساً بأشباح اهل العلم بزة وأعدادهم روية وعقيدة فالعقيدة دارونية و الهدف الذي يعملون له مظلم و الذي يتوقعونه من كل ذلك و هذا دراهم قد لا تطفئ اوارهم ولا تقوم بشرهم لكنهم تدرعوا بهذه الوسيلة ليتخولوا من و رائها بعض الصلاحيات التي تؤهلهم للاقتناص و الاصطياد حين اصبحت مناضد الحكم في الشرق دكاكين خالصة :

رأيت ذلك فرثيت لحال من وقف هذه المدارس و صرف عليها اموالاً طائلة يبغى بذلك وجه الله لتكون طريقاً الى معرفة الله و عبادة الله كما لم يقتصر على ذلك بل وقف لها اوقافاً ضخمة و اموالاً مهمة لكنها ان هبت طعنة النصابين حتى كانها لم تغن بالامس : استطاع صديقنا الأنف الذكر ان يحاول الحصول على تولية بعض الاوقاف بعنوانه مدرساً في بعض المدارس الدينية فحصل ذلك عن بعض استحقاق لكنه لم يقتصر على ذلك بل راح يحاول الهجرة الى الغرب وهو المسلم الشرقي والرجل الديني تأسياً بالاغرار الذين لا يرون في الدنيا حسنة تذكر الا الغرب وسكناء :

والحال ان الشرق والغرب اثنان وعدوان من قديم الزمان وبين البلدين اوتار و تحاسد : كان الشرق ابا الحضارات ومهبط الديانات ومبعث الانبياء و مقر العلماء و الحكماء كما كان الفاتح الاول في طول سلاسل الفاتحين في العالم الا انه بفضل الدين السائد على شعوبه وهو الاسلام لم يكن في فتوحه الا خادماً للمصلحة العامة فهو في الحقيقة ليس واتراً للديار التي فتحها بل هو محسن و مواس .

و جاء الغرب بعد ان احس بهذا النقص فيه يعمل في الخفاء للنيل على هذه المنصة التي عمل لها الشرق ونالها منذ ايامه الاولى من طريق الاسلام فقط : كما جاء الشرق بعد ارتفاعه يتخبط في شهواته والشهوة ام الامراض فدب فيه الضعف والذلة

حتى تمكن منه مرضه العضال فصره وبذلك انتصر الغربي واخذ يلتقط احسن الفرص السانحة فكان منه ومن قبيله ما يراه اليوم كل شرقي وغربي :

الهجرة الى الغرب و الانحشار بالغربيين جلبا الى الشرق و الشرقيين ويالات و هنات - منها - الالحاد بالمبادئ تقليدياً - ومنها - فقدان النواميس رأساً - ومنها زهدهم بأوطانهم ومواطنيهم تماماً - ومنها - عملهم للاجانب بكل ترحاب و سحقهم لبلدانهم نزولاً على رضاء الاجنبي بدون مواربة : وهذه الطوائع الخمسة هي التي اجترفت الشرق والشرقي وأخلت المجال للغرب والغربي :

ومن طول مذاق هذا الاهوج الهوان واعتاد على الخدمة لم يعد يحسب لنفسه اي حساب امام مواليه هؤلاء : واذ جاء عنوان الغرب و الغربيين بين الشرقيين من افخم العناوين يخضع له الزعيم الشرقي فضلا عن دونه فحساب صديقنا بعد هذا يكون من الواضح بمكان فلاجرم اذا سال لعاب كل ما تصور الغرب او ذكر عنده وطوى على ذلك ايامه ولياليه حتى اتيح له ان يحوز على سمة مذهبية في بعض مدن امريكا فذهب اليها احراً ما يكون قلباً وبقى فيها رديحاً من الزمن و هو في طول سيره التجديدي اخذ يتذوق شيئاً فشيئاً حتى بقي من كيانه الكذي نشأ عليه طرف منزور مبرقع ببرقع شفاف من بزته الروحية :

على انه لم يفقد انصافاً نوع فضائله التي كان يطالع بها فكنت اذا التقيت به احياناً لأراه يتجاهلني كما رأيت الكثيرين ممن لم يكونوا في غير ولا في نفي يتجاهلون حتى بأبائهم وأمهاتهم اذا تلونت بهم الحياة من حال الى حال ولولم تكن الثانية ارقى من الاولى ولكنه ضعف النفس اعادنا الله منه :

التقيت به مرات وكنت أسأله في اكثرها عما رأى و فعل وعما هو رأيه في مضامير ذلك وكنت أترصد من سؤالي أن أقف على دخائل قلبه و ان تلك الظواهر كرم لها من مفعول في بواطنه واعتقاداته وآرائه حتى أوازن بين يومه وأمسه وانخلة من بين هذه الاطباق لاستخلاص جوهر ما كان عليه في ماضيه وما هو عليه في حاضره فساق لي حديثاً طويلاً فيه مؤاخذات مذهبية كثيرة انتقدته عليها في نفس الوقت ولا اذكرها الآن مخافة

ان اغض منه ولا ارى ذلك جائزاً في حق مستر من الناس وانما تعرض لطرف واحد فقط :
 و هو اننى قلت له ان هذه المدارس الدينية عندكم انما بنيت و اقيمت سقوفها
 لطلبة العلوم الدينين وعلى اساس انها تنتج محصلين متدينين يقفون أعمارهم على تعليم
 المسلمين وتبليغ الدين وانا كل من ارى فيها لاراء الا الخفيف الكفة في كل شىء من
 خلقه ومنطقه ودينه ولم يعطفه الى سكنى المدرسة الاغلاء اجور الدور عليه من ناحية
 واقتطافه من ريعها الوقفى في مرحلة ثانية وهو في طول مكثه فيها لا يستهدف الا الحصول
 على وظيفة حكومية يجيء منها كواحد من اسلافه اللذين جعلوا الدين قنطرة لتحصيل
 هاته الوظائف ثم جاؤا في تحطيمهم للدين اشد عليه من الملحدين : ومن يكون هذا شأنه
 كيف يسوغ لكم ان توسعوا له المجال في استثمار هذه المدارس سكنى ومقرراً :

فاجاب ان دنيا الطلبة اليوم استحوالت الى ماترى فلم نر بدياً من توسيع المجال
 لمثل هؤلاء فقلت له في فعلكم هذا معصيتان - الاولى - مخالفة منويات الواقف - والثانية -
 اعانتكم من طريق هؤلاء على الاثم والعدوان فلم يعقب على ما قلت لكنه انتقل الى مسألة
 ثانية و قال ان هؤلاء المتشبهين في ازيائهم برجال الدين انما انثا الواعلى هذه الوظائف
 طلباً للمعيشة المفقودة من طريق الدين هذا اليوم و المعيشة اخست الحياة
 و ما لا بد منه لا تحريم فيه فقلت له هذا خطأ الا باعتبار واحد و هو لزوم تحصين
 وجود الحى لكن الذى يرمون اليه وراء هذا العنوان فان احراز الحياة يحصل بالقليل
 وهؤلاء يحاولون الثراء لا الكفاف والحاكمية على الناس كل بحسب صلاحيته التى تخول
 له لاعن طريق مشروع ومضافاً الى هذا وذاك نراهم شأن غيرهم من اعداء الدين الناقمين
 على الفضائل النفسية يسخرون من كل دين و يحطون من كرامة كل رجل دينى ويتابعون
 خطى الفسقة و يقيمون فيما بينهم معالم الزندقة و ما تهافت الدين بعد قيامه ولا المثاليات
 الوضاعة بعد انتشارها بين الناس الامن تكالب هؤلاء و اشباههم عليه و عليها حتى
 اصبح الدين منجحراً فى زوايا الخبايا لاطئاً من الذلة نضواً من الضعف عاراً على من
 يحب التطلع الى الحياة :

اذن فالمقام و الجاء والمظنة الصحيحة مرهونة بالضبط بمن تمكن ان يكون

مثالياً في دنياه وعلى اثر هذا العنوان نقول :

عظمة المثاليين

يعتبر الناس قاطبة ان العظمة هي ما كانت وليدة مقام وصيت وشهرة من ائمة مظنة حصلت فالزعيم عندهم عظيم والامير كذلك والعين والنائب عظيمان والانباء الذين لهم اشياع واتباع عظام والعلماء الذين لهم صوت ومرجعية عظام وزعيم اللصوص ورئيس قطاع الطريق عظيمان ايضاً والشور الذي تضج من تعدياته ومظالمه الناس عظيم كذلك: وعلى مثل هذا فقس كل من حصل شهرة ومقاماً من اى طريق يفرض حتى لو كان من طريق الفحشاء وبيع النواميس او من طريق التلصص والسرقة او من طريق الشر و ايجاد الفتن او مما هو اسفل من ذلك و اردل فترى طبقات الناس كلهم من يعتد بالفضيلة وينكر الرذيلة و من يمجد الاخيار و يندد بالاشرار يحترمون جانب هؤلاء وان أغرق كثير منهم في السفالة والرذالة والسقوط الاخلاقي وهذا هو الذى أهاب بالناس ان يتطلبوا مواقع العظمة من اى طريق يوفى بهم عليها حتى لو بلغ من الركة مقاماً قصياً : وحق لهم ذلك بعد ان يجد الزعيم ان تحصيله لهذا المقام ولو اقيمت مقدماته على اراقة الدماء وتخريب الديار و ايجاد الوحشة العامة فى العموم يحرزله فضلا عن نيل كل رغبة احترام اعيان من يدعى الفضل والدين له مع انهم فى ظهرا الغيب يعبرون عنه بكل عبارة مادونها فى التعبير عن السقوط وهل يضر الاغتياب انساناً يواجه كل حرمة وتقديس وكل مناعة وتعزيز فى العيان :

و نظير هذا يقال فى كافة اصحاب المقامات كل ذى مقام بحسبه حتى ان زعيم اللصوص لا يعدم احترامه ممن ينعى عليه خطئه و يعده من اردل مخلوقات الله: و كلا الطرفين من العظيم و من يعظمه فاقد للحرية و لطهارة الضمير بهيد عن الحقيقة :

وعند التحقيق لا عظمة الا للمتجرد عن الدنيا بكل ألوانها ذاك الذى يحسب وجوده حساباً يتعالى على مقام الفلك والملك وفعلا يكون هو العظيم بحق بين اطباق الموجدات

على اطلاقها ذلك لان الزعيم وان صفت له الجماهير و عدد نفسه الشاخص الاول في مملكته لا يعدو أن يكون من الجنة الناهيين واصحاب الجرائم البارزين و مثل هذا الانسان لوحا ولنا مقارنته باقى حيوان لما وجدنا له قبلا فهو اذن احظ من كل موجود يفرض و ما تطبيق كلمة العظمة عليه الا كمحاولة تطبيق كلمة الخير على حقيقة الشروبين هذا الملاك نعيد الكلمة حرفيا في سائر حلقات هذه السلسلة :

وهل وقعت عينا انسان على مخلوق حاول الزعامة من طريق التغلب او جائه هذا المقام من طريق الارث و لم يستبح في هذا السبيل دماء الناس الابرياء او الواقعة في حياتهم ونواميسهم او التحدى على اموالهم او غمط حقوقهم وواجباتهم هذا اذا كان معتدلا في مزاجه واما اذا شذ في عقلياته وتغطرس في خطواته وتوحش في تحقيق منوياته فهنا لك الويل والثبور حتى للحجر والمدبر فضلا عن الحيوان والبشر :

وما اكثر الكثير الذى شاهده دنيا الانسانية من العيث والفساد والتخريب والتدمير و تحوير خلقه كل شيء عن مستواها الطبيعى تحوير آشوه منظره العالم حتى عادت من جرائم الحياة لعنة على الاحياء ونكالا لكل موجود ولا يفترق في هذا الوضع الجنونى قديم و جديد او شرقى و غربى فان الجميع يستقى من عين واحدة هى الظلم الجاف والانحراف المشوه :

وهذه الاعمال الانحرافية انما يقوم بها توجيه الانسان النافذ واما عماله على اجراء ذلك فهم كل انسان دونه وما اكثر وقوع ذلك حتى فى عصور الحضارة الرائعة بل كل الويل فيها بالنسبة الى مساواها : هذه العصور التى ادى بها الاحاد الحاد ان لا ترى ناسها الا كما ترى البهيمة بهيمة اخرى و تتميز موقفها منها قوة وضعفاً بل و لاقياس فان شرير البهائم محدود التركاض بشره والانسان المتجرم غير محدود اصلا بعد ان حطم كل قيد فيه واعتبر كلمة العقل والضمير والوجدان من التوافه التى لا تقبل لها من الواقع بالمره : فهل الحياة التى تواجه امثال هذه الغيوم المتلبدة والقساطل الكثيفة يمكنها ان تحتفظ بشيء من مفهومها الطبيعى الساذج ذلك من المستحيل :

ولما وجد احرار بنى آدم انهم فى مجيئهم الى هذه الدنيا مضطرون وان من اضطرهم

اليهالم يشارطهم عليها حتى يقبلوا او يستقبلوا و فاز بهم التوفيق ان يتفهموا مجاريها قبل ان يقعوا تحت نيوها ومخالبها وأمن لازم راحتهم ان يتجردوا عنها جهد المستطاع حتى يحتفظوا احد الاقل بحريتهم وكرامتهم وكذلك فعلوا وادركوا بغيتهم :

ورياضة النفس في دور الشبيبة وان صعبت لانها تواجه نزع الطبيعة وهي جان ضراوتها في كل ما يتطلبه الحيوان النشيط العضلات الا ان الذي يفلح في دور هذه المعركة يكون مفلحاً الى الآخر من غير ان يواجد جهداً ومشقة .

وقد فاز في هذا الصراع العنيف ذوات سخروا من الدنيا بكل ما فيها من قوى وجبروت ولم تستطع ان ترد عليهم اوان تسخر بهم مثلما سخروا منها اوان تسخرهم في مقاصدها نظير ما سخرت الجبابة المتفطرسين وأسرتهم في أحضانها : فالمثالي اعظم من كل عظيم وعرشه فوق العروش ونفوذ في اعماق القلوب فوق كل نفوذ : المثالي لا يابه للقدر الذي يابه له كل شيء ويتغلب على الحوادث التي تقهر الصم من الجبال ذلك لانه ابتعد عن المادة الآسر الوحيد لكل موجود فاحرز الحرية الواسعة التي لا نهاية لامدها واثبت نفسه في دفتر الاحياء حياً وميتاً :

مرآة الحياة

الاسكندر المقدوني ذاك الملك الشاب النشيط الذي وسع اطار همته بل الاحرى نهمته بما يسعه الخافقان من عرض وطول في التغلب على عرصة الوجود والهيمنة على كل موجود تفقد يوماً من ايامه فيلسوفاً روحياً من فلاسفة بلاده فأشعر بمحلله الخارج عن البلد فركب ليزوره بزهو و خيله و رجله فحسب الكبار من شخصياته الحساب لهذه الزيارة وتمنى كل واحد منهم ان يكون هو المزور حتى يفرش خديه لتعل حصانه ورأوا ان هذا الفيلسوف متى وقف على هذه النية تقدم للاستقبال اميالا و فراسخ لتجليل زائره لكنهم كلما تقدموا لم يجدوا مما حسبه عيناً و لا اثرأحتى اطل الملك على الفيلسوف و هو ملق بنفسه على وثير من رمال الصحراء تسهره اشعة الشمس فدنا منه جدياً و الفيلسوف لم يحرك من نفسه ساكناً فدنا و دنا حتى حاذاه راكباً فسلم عليه و ترجل و سأله عن حاله فأجاب بما يقتضيه ادب المعاشرة .

ثم قال الاسكندر له أن تكن لك حاجة فانا حاضر للقيام بها كائنة ما تكون فما كان من الفيلسوف الا ان قال حاجتى اليك ان تنشر انت واصحابك عن شمسى التى اتمتع بها واستمد لوجودى فعجب الاسكندر من هذه العظمة الفاقدة لكل اداة سوى التغلب على النفس فهناك قال لا عظيم فى الوجود الا انا وهذا الفيلسوف لكنه اشبهه بالعظيم هو الفيلسوف فقط هذا الانسان الذى لم يجب بقهر القوة من احد درهما ولم يرق من ذى نفس دماً ولا ارتكب اذى خطيئة ولم يمد يد الحاجة الى اى احد يفرض:

وليست الركيزة للمثالى فى تجافيه عن المادة هى هواه ان يقرب من مولاه ويستميل اليه جانب لطفه ورضاه فان جملة من المثاليين قد لا يعيرون ما وراء الطبيعة نظراً حاداً و المبدء يون منهم يعترفون بان الله لم يحرم زينته التى اخرج لعباده و انما الركيزة ما اسلفناه وان الداعى لهؤلاء الاحرار فى مجافاة المادة هو حبهم للتحرر من سلطانها واحرازهم لشرف حيثياتهم المفقود عند كل مادي :

و لقد فاز بشرف المثالية ذوات فرضت نفسها على الوجود من دون ان تطلبه و اطلعت اعناقها من بين كافة المحاولات التى قامت على اخفائها من دون ان تقصده كجملة الانبياء العظام والاصياء الكرام والعلماء الابرار والمقدسين الاخيار: واهذا السر طاراسم المسيح بن مريم ومحمد بن عبدالله وعلى بن ابي طالب وغير هؤلاء الامناء ممن تاسى بهم واقتفى آثارهم وترسم خطاهم :

وانا فى اوائل عمرى ادرت زمرة صالحه لا نظير لها اليوم فى طول محذب الكرة وعرضها من جملتهم الربانى الاواه الشيخ نصر الله الحويزى والمقدس الشيخ على القمى و الورع الشيخ باقر القاموسى ادرت الشيخ نصر الله الحويزى وانا بين الخامسة والسادسة من عمرى و ادرت القاموسى والقمى وانا اكبر من ذلك سناً: اما الشيخ الحويزى فانا حفيده وادت فى بيته ودرجت فيه لذلك احتفظ من حياتى معه بذكريات خالديات لها قيمتها بما لا قيمة لاي شىء يفرض معها :

ادركت هذا الرجل وانا احمل المصباح امامه فى طرق النجف المظلمة يومذاك وكان من عاداته نوعاً أن يؤدى صلاة المغرب فى رواق امير المؤمنين عليه السلام وبعد ان ينقل من

ورده وناقضته يأتي الى بيته بقصد أن يؤدي صلاة العشاء في مسجد آل كاشف الغطاء المهجور في حينه المظلم الذي لا يوجد فيه حسيس الاللخفاش و الأ لشيخ يفن فارسي قد سكن حجرة فيه ويحفظ رمقه من طريق صناعة المناقل الطينية التي لا يرغب في شرائها إلا من انهكه الفقر والاستئصال فكنت اري الشيخ كل ليلة قبل أن يتناول عشاءه هو وعياله يأخذ من وسط العشاء المهيأ طاسة مملوءة يحملها بيده لذلك الشيخ اليفن النازل في المسجد المتحدث عنه فيعطيا لها بكل سعة صدر وحبور ثم يتوجه الى صلاته داخل المسجد وانا اجلس ازائه حتى يتم ورده و بعد ذاك يتوجه الى مجلسه المنعقد كل ليلة في منزله الشخصي لتجديد ذكرى ابي عبدالله الحسين وهناك ترى العلماء الابرار محتشدين لسماع التعزية ومبادلة الحديث المركز الدائر على محور العلم والفضيلة والاخلاق :

وكان يملك بعض البساتين في الحيرة فاذا جىء بثمرها اليه احتفظ لعياله بقسم ووزع الكثير الباقي على الفقراء وانا كنت اطوف مع الموزع على البيوت وكان يواسي المكدين و الضعفاء الذين يسكنون حواشي الطرق فيحسبهم كبعض من عياله وينبسط لهم كل الانبساط على جلالته ووقاره : وكان بيته مثابة للواردين من مختلف الطبقات في كل وقت على بساطة جميع ما في بيته وقصور ذات يده وكثرة ديونه وان كان آ باؤه تركوا الهضياعاً الا انها لاعراضه عنها ذهبت ضياعاً :

وقد خانه احد ابناء الاسر النجفية بمأتي ليرة عثمانية سلمت اليه في الحويزة على ان يكون اميناً في ايصالها الى الشيخ في النجف فمزقها هذا المؤمن في اغراضه و غاب عن النجف زمناً طويلاً حينئذ من مؤاخذته فما كان شيخنا المقدس يرضى بتناوله او ذكر اسمه من كل انسان و ابرأ ذمته احتراً ماً لجدده رسول الله ﷺ في حال انه كان احوج ما يكون الى الدرهم الواحد و على اثر هذا الحادث باع منزل سكناه ببيع الشرط بمأتي ليرة و بعد وفاته قدس سره ذهب هذا المنزل طعمة البيع السالف ؛ ولقد كان بحق لا يحسب للمادة وللديناي حساب ولمثاليته الجبارة استوى عنده الفقر والغنى والسراء والضراء ومواتاة الامور وتأزمها وكان يحسن الى كل من اساء اليه و يفضي على كل مفض محاسباً من دون ان يظهر عليه اقل اثر ولهذه السمات وجليل هاتيك

الصفات كان مرموقاً بين كافة الطبقات بعين الاكبار والاحترام في حال حياته وبعد مواراته في جدته والى اليوم :

ولم اذكر هذا الشيخ من بين من ذكرت لانه جدتي ولكنني ذكرته لاني كنت أشاهد ما نقلته عنه بعيني كنت اشاهد ذلك ولا اعرف له معنى في حينه و كلما تقدم بي السن ورأيت ما رأيت امس وارى اليوم من سير الدنيا ومسيرا بنائها صرت أحسب لتلك الزمرة الصالحة حساباً يزداد على مرور الايام جسامة و ضخامة حتى توسطت الدنيا في ميدان مادية بعثة و ضراوة جنونية و وحشية ساقطة و رذالة و سفالة منقطعتي النظير على رغم الحضارات المشبوبة و التزويقات الباهرة و الثقافات اللفظية : و نسوق مثالا آخر عن مثالي عظيم من علماءنا الافذاذ : بعنوان :

- الشيخ مرتضى الانصاري -

او- نموذج من علم العالم الامامي وعمله-

ولد الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الانصاري في دزفول سنة ١٢١٤ هـ ق و توفي في مهجره و دار زعامته النجف سنة ١٢٨١ هـ ق

جذوة لاهبة في الاستعداد وبلوغ مبكر في النبوغ ومثالية امام معصوم: حصل في بلده على ابن عمه وكان عالما مبرزاً ولما بلغ العشرين من عمره دخل كربلاء في عهد السيد المجاهد و شريف العلماء و كانا زعيمى حوزة تعج بطلابها فأنا في الاستعداد التام والزماء بالبقاء فيها فبقى اربع سمين حتى وقعت حادثة داود باشا فخرج الشيخ الى الكاظمين وبقى فيها اياما قليلة ثم كرّ راجعا الى وطنه الاصلى وبقى فيه ما يقرب من سنتين ثم حن الى العراق لتمكيل دروسه العالية فأبت عليه والدته فألح عليها فاوكلت أمره الى الثفال بالقرآن الشريف فجاءت الآية لا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك و جاءلوه من المرسلين : فاذنت له فعاد الى كربلاء و اقام فيها سنة يختلف الى شريف العلماء ثم خرج الى النجف فأخذ عن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء سنتين الى ان خرج من النجف عازما على زيارة الامام على بن موسى ماراً في

طريقه على كاشان فبقى فيها زهاء ثلاث سنين حيث فاز بلقاء استاذه الاجل احمد ابن مهدي بن ابي ذر النراقى : ثم ذهب الى خراسان وبقى فيها عدة شهور ثم عاد الى بلاده ماراً بأصفهان زمن الرئيسين حجة الاسلام الرشتى والعلامة الكلباسى فاصراً عليه بالاقامة فامتنع وخرج الى وطنه دزفول فوردتها و اقام فيها زهاء خمس سنين ثم خرج الى العراق للمرة الثالثة وورد النجف سنة ١٢٤٩ هـ ق ايام رياسة الشيخين على بن الشيخ كاشف الغطاء وصاحب الجواهر فاختلف الى مدرستهما عدة اشهر ثم استقل بالتدريس والتأليف وبعد وفاة شيخه صاحب الجواهر انتهت اليه الرياسة العامة فى جميع الافطار الشيعية حتى توفى سنة ١٢٨١ هـ ق :

ماسلف موجز من حياته الزمنية واما المرحلتان الاساسيتان لموضوعنا وهو العلم الناضج والعمل الصادق فيتلخص الكلام عنهما فى المادتين اللاحقتين :

(١) اجل علوم الشيخ الانصارى هو الفقه والاصول الفقهية ولعل ناشئة العصر لاتعرف عن هذين العلمين المنسبين فى الجوامع المرهوقة اليوم فى الولايات المتحدة وغيرها الا كما تعرف عن افاصيص عشرة بن زبيبة والسند باد البحرى ولا ترى رجالهما الا رجعيين يرثى لهم من اغراقهم فى الاوهام واتلاف اعمارهم فى لاشىء والذى ملاء خلايا اذهانهم بهذه الظنون السيئة هو جهلهم الواسع حتى بمفهوم الفقد والاصول وقربهم فقط من العلوم الرياضية والطبيعية ومن الادب اللفظى الفارغ :

وايست هذه الاحكام المقتضية التى يصدرونها على الفقيه والاصولى باول حكم اقتضابى صدر عنهم بل غرور التجدد فيهم دعاهم ان يعتقدوا فى دارون مثلاً انه العقل السالم وحده من كافة عقول البشر فلاسفة وغير فلاسفة وان ماركس هو الذى فهم الرموز الحلاله لمشاكل حياة الانسان وان شكسبير هو الشاعر الفريد لامن سبقه او اتى بعده من شعراء الشرق ولا مجال مع عقول هؤلاء لعقول الفارابى وابن سينا و صدر المتألهين كما لاثار للفقيه الراصد لتحديد وتعديل افعال الانسان و نظام معاشه كالمفيد والطوسى والمحقق والعلامة وعشرات من امثالهم امام آراء ماركس والماركسيين وما ابوتامم و البهترى والمتنبى والمعري والرضى وغيرهم من هذا الطراز فى قبال شاعرية شكسبير :

وانحن لاننكر عقول اربابهم هؤلاء او نضرب بها عرض الجدار كما فعلواهم بالعقول المفكرة سواها بل نقول انها عقول سافرت فى الكون فأصابت فى اشياء واخطأت فى اشياء اخر كما نقول هذا القول فى جميع نوابع الدنيا ويكفى النابغة قيمة ان صوابه سمين ورأيه التاسيسى ثمين ولا يهم الحقيقة عند اهلها اقل شيء ان جامعة اكسفورد مثلا لاتعترف بها لان الالم فى كل هذا وذاك تطبيق معارف الجوامع على الحقائق لار تبال الحقائق من طريق الجوامع :

هذا والفقيه لا يكون فقيهاً مبرزاً معتداً به الا اذا مارس النحو والصرف وعلوم البلاغة ومفردات اللغة وقواعد المنطق ومباني الكلام ونخبة من علم الحساب وموازن الاصول ودرس الكتاب والسنة دراسة عميقة ووقف على احوال الرواة وهوياتهم وطبقاتهم وعلى اذواق الفقهاء و آرائهم و اطلع على السير الزمنى مع الناس و جرى الشريعة معهم و هذا معناه الحصول على جامعية لها حظها من السعة فى أنبه العلوم العقلية والنقلية ففيها دراسة للعلوم العربية لغة ونحواً و بلاغة و للعلوم الفلسفية منطقاً وكلاماً وللعلوم التاريخية احداثاً ورجالا وللعلوم الشرعية كتاباً و سنة واصولا و اذواق فقهاء وآراء مجتهدين و فوق هذا وذاك تحصيل الفقيه على فكر مدرب و عقل مجرب وملكة علمية قوية يستطيع ان يخوض بها اغلب ميادين الحياة مما يرتبط باجتماع الناس واقتصادهم وسياسة امورهم والاخذ بأيديهم الى السعادات العالية و الجامعة البشرية اذا تهيأ لها ذلك فقد حصلت على اركان المعيشة التامة و الامور الكمالية التى ليست من فن الفقه ولا لازمة للفقيه ليست محظورة عليه ولا على غيره كما انها لاترتبط بالحياة الانسانية الا ارتباط تحسين وتزيين :

هذا الذى عرفنا عنه هو الفقيه الاصولى و ليس الحديث عنه كالحديث عن عنتره ابن زبيبة والسندباد البحرى كما يراه المتجددون السطحيون : ودراسة عميقة فى رسائل الشيخ الانصارى فى علم الاصول وفى مكاسبه فى فن الفقه تصحر بجلاء على ان العقلية التى كانت مند مجة فى وجود هذا الاستاذ لو استخدمها صاحبها فى اهم المسائل الطبيعية والرياضية والفلسفية لاجاء منها على صيت وافر :

(٢) العمل الصادق : كان الشيخ قدس سره - كما حدث التاريخ الصادق عنه - زاهداً عابداً جم الفضائل والكرامات عاش عيشة الفقراء على كثرة ما يجبى اليه من الاموال والهدايا وقضى ايامه مقنصداً فى مأكله ومشر به وملبسه وبسطيده على الفقراء والمحتاجين واهل العلم بسطفاً لا مزيد عليه و كان يرسل من خالص ماله الى خراسان فى فكاك من يأسره التركمان من الزائرين ولا يأنس بالعطاء الأسر أو لا يرى لنفسه فضلاً فى ذلك ولا فخراً ووصل به التعفف عن تناول الحقوق درجة انه يوم وفاته لم يكن عنده مصرف لعزائه ولا ما يقوم بكفالة ابنتيه اللتين خلفهما بعده ولم يترك شيئاً من المستحبات مالية كانتام عملية الأجراء به جهد مقدوره حتى ما بارح الكون على الطهارة مع شدة ابتلائه بمرض الاسهال و كتب مصحفاً بقلمه لمحض استحباب كتابة القرآن وكان يقيم عزاء الحسين عليه السلام فى كل ليلة جمعة ويبدل فيه الطعام لمن يطلب حضوره و يقيم الجماعة فى مسجده وتأتى به الجماهير من العلماء الابرار :

وكان رجلاً الى الطول اقرب منه الى القصر يميل لونه الى الحمرة نحيف الجسم ضعيف العينين فى جبهته اثر السجود يخضب كريمته بالحناء و عمامته و قباؤه من كرباس ابيض وعبائته من صوف أحمر : وكان اذا سافر لزيارة ابي عبدالله الحسين عليه السلام يعاد له فى المعمل خادمه الشيخ رحمة الله وتحت كل منهما لحاف بطانته من الكرباس الاخضر بلا ظهارة ومعهما قدر صغير موضوع وسط المحمل لطبخ غذائهما :

واليه والى كتبه يعود الفضل فى تكوين النهضة العلمية الاخيرة فى جامعة النجف وكان يملئ دروسه فى الفقه والاصول صباح كل يوم و عصره فى الجامع الهندى حيث يفتى فضاؤه بالعلماء والمحصلين وقد تخرج به اكثر الفحول كالميرزا الشيرازى والميرزا حبيب الله الرشتى والسيد حسين الترك والشريانى والمامقانى والميرزا ابوالقاسم كلاترو الميرزا حسين الخليلى والآشتيانى وآخوند الخراسانى وعشرات سواهم وانتشرت لاميدته وذاعت آثاره فى الافاق وكان من الحفاظ جمع الى قوة الذاكرة قوة الفكر والذهن وجودة الرأى وكان حاضر الجواب لا يعيبه حل مشكلة ولا جواب مسألة :

و نحن للتدليل على نزعة العلمية ومزيد ورعه ومثاليته نعرض للقارئ نتفاً من

كتابه المكاسب :

(١) فى باب الغناء و حرمة : يرى الشيخ قدس سره ان الغناء الثابت تحريمه هو كل صوت يعد فى نفسه مع قطع النظر عن الكلام المتصوت به لهواً و باطلاً و يستنبط ذلك من امثال رواية عبد الاعلا قال سألت ابا عبدالله عليه السلام عن الغناء و قلت انهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه و آله رخص فى ان يقال جئناكم حيوناً و جئناكم حيوناً نحييكم فقال كذبوا ان الله تعالى يقول و ما خلقنا السموات و الارض و ما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالباطل فيدمغه فاذا هو زاهق و لكم الويل مما تصفون : ثم قال ويل لافلان - رجل لم يحضر المجلس - مما يصف فان الكلام المذكور المرخص فيه بزعمهم ليس بالباطل و اللهو اللذين يكذب الامام رخصة النبى فيه فليس الانكار الشديد المذكور الا من جهة التغنى به فالشيخ لا يعتبر للمادة دخلاً فى تحريم الغناء و يعتبر الغناء هو الكيف المخصوص على سبيل اللهو و اللغو و الباطل و ما كان من لحن اهل الفسوق و المعاصى : قال : و لافرق بين استعمال هذه الكيفية فى كلام حق او باطل فقرأ القرآن و الدعاء و المراثى بصوت يرجع فيه على سبيل اللهو لا اشكال فى حرمتها و لا فى تضاعف عقابها لكونها معصية فى مقام طاعة و استخفافاً بالمقروء و المدعو و المرثى : ثم قال و من اوضح تسويلات الشيطان ان الرجل المتستر قد تدعوه نفسه لاجل التنزه و التلذذ الى ما يوجب نشاطه و رفع الكسل عنه من الزممة الملهية فيجعل ذلك فى بيت من الشعر الممظوم فى الحكم او المراثى و نحوها فيتغنى به او يحضر عند من يفعل ذلك وربما يعد مجلساً بحضور اصحاب الالمان و يسميه مجلس مرثية و تعزية فيحصل له بذلك ما لا يحصل له من ضرب الاوتار من النشاط الا : ساط وربما يبكى خلال ذلك للمهموم المركوزة فى قلبه الغائبة عن خاطره من فقد ما يستحق

القوى الشهوية :

ثم اخذ فى مناقشة الاستاذين الفيض الكاشانى و المحقق السبزوارى حيث استظهر منهما تخصيص الحرام من الغناء بما شتم على محرم من خارج كالمعب بالآلات اللهو و دخول الرجال على النساء و الكلام بالباطل و اللهو فى نفسه غير محرم و لذا ندب ان شرع الى قراءة

القرآن بلحن ورد عليهم ما بان مقالتهما هذه شبيه الاجتهاد في مقابل النص لما سلف واقلوه **﴿١﴾** قد تكون للرجل الجارية تلهيه ومائنها الاثمن الكلب وغير هذا و ذلك من النصوص الوافرة وما معهم من الاثار التي يستشعر منها جوازه لايقاوم اطلاقات المنع الصريحة واما ندب الشرع الى قراءة القرآن بلحن فقد فسرتة جملة من الروايات بأن المنظور به الترتيل بالصوت الحسن ففي رواية عبدالله بن سنان اقرؤا القرآن بألحان العرب و اياكم و لحون اهل الفسق و الكبائر- و في انرا آخر- يرجعون القرآن ترجيع الغناء مضافا الى ان ادلة المستحبات لاتقاوم ادلة المحرمات فان مرجع ادلة الاستحباب الى استحباب ايجاد الشيء بسببه المباح لا بسببه المحرم فانه لايجوز ادخال السرور في قلب المؤمن واجابته اذا طلب المحرمات : والسرف في ذلك ان دليل الاستحباب انما يدل على كون الفعل لوخلى وطبعه خاليا عما يوجب لزوم احد طرفيه كان راجحا فلاننا في ذلك طروء عنوان من الخارج يوجب فعله ثابرة و تركه اخرى كما اذا صار مقدمة لواجب او صادفه عنوان محرم : فأجابة المؤمن وادخال السرور في قلبه ليس فيه من ذاته ملزم لفعله او تركه فاذا تحققت في ضمن الزنا فقد طرأ عليه عنوان ملزم لتركه كما انه اذا أمر به الوالد او السيد طرأ عليه عنوان ملزم لفعله والحاصل ان جهات الاحكام الثلاثة اعنى الاباحة والاستحباب والكرهية لاتزاحم جهة الوجوب او الحرمة فالحكم لهما مع اجتماع جهتيهما لاحدى الجهات الثلاث :

ثم توجه قدس سره لمن منع من صدق الغناء في تلحين المراثي فقال متعجبا ان هذا القائل ان اراد ان الغناء مما يكون لمواد الالفاظ دخل فيه فهو تكذيب للعرف واللغة اما اللغة فقد عرفت ، و أشار بذلك الى ما أسلف نقله عن اللغويين من ان الغناء هو الترجيع والتطريب وما الى ذلك ، واما العرف فلانه لا ريب ان من سمع من بعيد صوتا مشتملا على الاطراب المقتضى للرفض او ضرب آلات اللهلولا يتأمل في اطلاق الغناء عليه الى ان يتميز مواد الصوت الذي سمعه ماهي فان كانت غير قرآن و غير مراثي اطلق عليه الغناء والا فلا وان اراد ان الكيفية التي تقرأ بها المراثي لا يصدق عليها تعريف الغناء فهو تكذيب للحس :

(٢) ومن مثاليته وطهارة نفسه ما ذكره في باب حرمة استماع الغيبة ووجوب نهى السامع للمغتتاب عنها كوجوب رده عليه أيضاً حيث قال و الظاهر ان الرد غير النهى عن الغيبة والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة فان كان - اى ما عاب به القائل من اغتابه - عيباً دنيوياً اتصر له بان العيب ليس الا ما عاب الله به من المعاصى التى من اكبرها ذكرك اخاك بما لم يعبه الله به وان كان عيباً دينياً وجّهه به محامل تخرجه عن المعصية فان لم يقبل التوجيه اتصر له بان المؤمن قد يبتلى بالمعصية فينبغى أن تستغفر له وتهتم لشأنه لأن تعيره فان تعيرك اياه لعله أعظم عند الله من معصيته :

(٣) ومن مثاليته أيضاً تحريه حتى فى دروسه الفقهية العالية لذكر الاخلاق الفاضلة وتطرية النفوس بالصفات الكاملة نظير ذكره فى البحث عن احكام الغيبة لبعض ما ورد من حقوق المسلم على أخيه بمثل ما رواه الكراچكى عن الحسين بن محمد بن على الصيرفى عن محمد بن على الجعابى عن القاسم بن محمد بن جعفر العلوى عن ابيه عن آباءه عن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلم على اخيه ثلاثون حقاً لبراءة له منها الابادائها او العفو (١) يتفرز لته (٢) ويرحم عبرته (٣) و يستر عورته (٤) و يقبل عثرته (٥) و يقبل معذرتته (٦) و يرد غيبته (٧) و يسديم نصيحته (٨) و يحفظ خلقه (٩) و يزعى ذمته (١٠) و يعود مرضته (١١) و يشهد ميته (١٢) و يجيب دعوته (١٣) و يقبل هديته (١٤) و يكافىء صلته (١٥) و يشكر نعمته (١٦) و يحسن نصرته (١٧) و يصون حليلته (١٨) و يقضى حاجته (١٩) و يستنجح مسألته (٢٠) و يسمت عطسته (٢١) و يرشد ضالته (٢٢) و يرد سلامه (٢٣) و يطيب كلامه (٢٤) و يبر انعامه (٢٥) و يصدق أقسامه (٢٦) و يوالى وليه ولا يعاديه (٢٧) و ينصره ظالماً و مظلوماً فاما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه و امانصرته مظلوماً فيعينه على اخذ حقه (٢٨) و لا يسلمه و لا يخذله (٢٩) و يحب له من الخير ما يحب لنفسه (٣٠) و يكره له ما يكره لنفسه : ثم قال سمعت رسول الله يقول ان احدكم ايدع من حقوق اخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه : قال الشيخ و الاخبار فى حقوق المؤمن كثيرة و الظاهر ارادته الحقوق المستحبة التى ينبغى أدائها و معنى القضاء لذيها على من هى عليه المعاملة معه

معاملة من اهملها بالحرمان مما أعد لمن أدى حقوق الاخوة : ثم افاض قدس سره
ببحوثه العالية حول هذه المطالب:

وهذا الذى عرضناه قليل من كثيره ونفحة من غيره و لمعة من تموجات نوره :
فهذا عرض عن حياة رجل روى قصى عمره فى نشر الفضيلة و تهذيب النفوس العليقة و
ترويج سوق العلم النافع و حث الافراد على متابعة خطى كل امين صادق و مؤمن ورع
وانسان كامل فنال من سعيه اقصى حظه حيث كان فى الناس يومذاك كمثل وافاضل
و صلحاء أبرار و محسنون مواسون و نجباء اعفاء لا يحدثون انفسهم بالشر فضلا عن
فعلهم له:

ولما جاءت النوبة الى دارون وبخنروماركس وشبلى شميل وامثال هذا اللغيف
تسرب الالحاد الى القلوب فاظلمت وانظلم لها كل شىء حيث لا ترى صفاء ولا وفاء ولا حياء
ولا ايماناً ولا احساناً ولا صدقا ولا رفقاً بل ولا بصيصاً لاقل الخيرات و كل ما تراء غدر
وخنل و انتهاج لحق وهتك لعرض وهدر لدم محترم وهرج و مرج لم يبقيا ولم يندرا
وكفانا شاهداً على ذلك ما يراه الجميع فى هذا الكون الاسود من تصاريف لا يقر معها
قرار وليس هذا بدعاً بعد أن اوحى عقول هولاء العقاريت بمثل قولهم: لا خصلة محمودة
الاحب الذات و لا سعادة الا التمتع بالشهوات وما الناس جميعاً الابنو الارض فجميع
ما فيها مشاع للكمل والملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد
وما غيرة الانسان على محارمه الامن البخل والحسد وما الشجاع الاميكروب كميكروب
الطاعون: من تعاليم الدكتور شبلى شميل- وبمثل ما ذهبوا اليه واقتوا به من وجوب
اراقة دماء المرضى والضعفاء وابادة القبائل المنحطة من البشر (نقد فلسفة دارون
ج ٢ ص ١٣٠ و ص ٢٣٣) واستقصاء امثال هذا وذاك خارج عن حوصلة هذا المقال.

قللى بربك اى الفريقين يملك الضمير الانسانى وينطوى على الروح الطاهر
مع اى الفريقين تحصل الحياة وتعتمد النشأة ويقبل الحيف والجور : ولاغرابة من دارون
وماركس و من لف لفهما اذا جاؤا من القسوة والوحشية والتهاك والانحراف باللون
الذى طلعت به دنيا اليوم من الانهيار المفضح والتلاعب الموبوء بعدان اقاموا الادلة

والبراهين فيما يزعمون على انهم قزوين بالفعل لان سلالاتهم كانت من القزود و هل يستكثر على القرد سخفه و صلفه و وقاحته و رذالته :

ومن كلام له عليه السلام (ج ٣ ص ٧٧ من النهج الحديدي) قاله عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرّك بربك الكريم : ومقدمة نقول :

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

من اهم ميزات الدين الاسلامي على غيره من الاديان بل والمشارب الاجتماعية هو اعتناؤه الزائد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراد بهذين الاصلين الدعوة الى شرائف الاخلاق ومحاسن الصفات ومحمود السجايا ومستحسن الطرائق والتنديد بالرذائل والمفاسد والاصناف الذميمة والاخلاق المرذولة والسجايا الساقطة والعادات المنحطة وبالاخرة الدعوة الى تربية النفس تربية تعود معها الحياة كما يريد الانسان العاقل لنفسه وغيره والحياة التي يتنافس عليها ملايين الافراد ليس المقصود منها اركاس الاحياء في مشكلاتها ومعاناتهم لصعوباتها و الاعادت هذه الحياة من اوجع الآلام على الحي الحساس و خلقت منه موجوداً اخف صفاته المزاحمة و ادنى سيئاته الجريمة و اقرب ما يصدر عنه الخيانة بل انتت به في وسط المطاف طاعوناً من شأنه التدمير والتخريب واقصى غاياته التنكيل والتعذيب وكل ما يريد خلق الفتن وغاية ما يحاوله الارعاب و الارهاب وبالاخرة التهريج وتمويج الاجتماعات بكل ما يجرح العاطفة ويحز بالشعور ويملاء القلوب وحشة واضطراباً هذا هو الانسان اذا لم تعتدل له مجارى حياته بما يضمن له الاستقرار والاطمئنان :

وانتكات البشرية في اكثر احيائها وليد هذه الروح الشقية ونتيجة عدم التوازن القائم ما بين الافراد ومع هذه الروح وهذه الظاهرة الكالحة لا يعود ينجع شارع معبد وجسر مشيد وقصر فارغ وبرق لامع و حيطان مزوقة كمارأت البشرية ذلك كله واضعافاً مصاعفة فوقه في عصور التمدن التي اغرقت بالنقيضين من ظواهر غرارة وبواطن قدبات على احرق من جمر الغضا بؤسا وشقوة اذن فلا يعود ينجع في عصمة الحياة من الموهنات

والموكلات الاالنظام الصحيح الكافل بتمشية الافراد على جادة العدل مهما امكن حتى لا يغبن انسان بحياته فتثور فيه العقد النفسية لاخذ ثاره وهناك يجيء من اضرى الحيوانات عيثاً وافساداً وقد حصل كل هذا بالتجارب القاطعة :

والشارع المقدس الاسلامى اما استجلى بأحداقه المفتحة هذه الظاهرة على سعتها فى محيطه الذى يعيش فيه وعلم من ضرورة السير الزمنى بنظير ذلك فيما سبقه من الزمان كان أحرّ انسان فى تركيز المبادئ الفاضلة بين الناس حتى تخف عنهم الويلات وتكثر بينهم الخيرات ومن طريق مبارزاته الممتدة المستمرة استطاع ان يحقق مقصوده فى عرصة العيان بعد تركيزه الايمان فى قلوب الناس وان يخلق للاجيال من تلاميذه بعده من يسد الفراغ الذى كان يشغله زمن حياته فجاء فى طليعة من خلف على بن ابي طالب امير المؤمنين ذاك الفحل الهدار الذى وصل به نبوغه أن يكون اعجوبة فى كل شىء على الاخص فى مثاليته التى ماداناه فيها انسان بعده على الاطلاق ولا سبقه بها الا الانبياء المختارون فحسب لذلك تراه فضلا عن طلوعه بأحسن مزايا الاخلاق وافضل صفات الكمال جعل تذكيره للناس واقامة معالم الفضل بينهم ورد لسانه و أطال فيه مديد القول بشتى الصور والالوان على غاية من الفصاحة و البلاغة فى ايصال معانيه الى القلوب بعد كبسها فى الآذان و الاذهان فكم حذر وبشر و قرب الناس الى أشياء وبعدهم عن أشياء آخر وجاءت تعاليمه تشق ركام الاجيال جيلا بعد جيل على رغم الاهواء الفاسدة والروحيات الساقطة من الذين بعثت ضمائرهم عن الحق وخارت عقولهم عن متابعة الرشاد فكم غذى الارواح بجليل وعظه ومتين بيانه : بمثل قوله أدحض مسؤل حجة و اقطع مغتر معذرة لقد أبرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ماجرأك على ذنبك وما غرك بربك وما آنسك بهلكة نفسك أما من دائك بلولام ليس من نومك يقظة أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحى من حر الشمس فتظله او ترى المبتلى بالم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على داءك و جلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهى أعز الانفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات نعمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداوم داء الفترة فى قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة فى ناظره ييقظة وكن لله

مطيعاً وبذكرة آسأ .

أدحض مسؤل حجة ، دحض حجته اذا أبطلها وزيفها وصيغة أفعال منه خبر لمبتدأ محذوف اى هو أدحض حجة من كل من ادلى بحجة ومعاد الضمير هو المكلف المذنب الذى يظن انه اذا القى معاذيره الملققة دفعت عنه المسؤولية والحجة هى الادلة التى يسوقها الانسان بنفع نفسه ، وأقطع مفتر معذرة ، يقال فلان اعتذر فقطع عليه عذره اذا أبطل عذره وضعف والمفتر من الاغترار وهو من عبث به الغرور فصرفه عن القيام بواجب الوظيفة الملقاة على عاتقه ، لقدأ برح جهالة بنفسه ، برح به مضاعفاً وهكذا أبرح مهموزاً معناه شدد عليه وشق بهما وزعجه وجهالة تمييزاً لمادة التبريح الذى اوقعه بنفسه ، يا ايها الانسان ، الذى أغدث بالمعصية واصر على الذنب ، ماجراك على ذنبك وما غرك بربك ، اى ما هو الذى صغر الذنب فى نفسك وصيرك مغروراً بربك ألقدرتك الوافية التى تصونك عن المؤاخذة ام لضعف المولى عن الايقاع بك نكالا على انحرافك وتجرمك ، وما آانسك بهلكة نفسك ، اى وما الذى جعلك تانس بهلاك نفسك أنكذيب بماؤاخذه فلان ترى فى المعاصى هلكة ام اعتماد على من يدفع عنك و كل ذلك من الامانى ، اما من ذاك بلول ، بل بلولا و ابل ابلا اذا شوفى من مرضه ، ام ليس من نومك يقظة ، والمراد بالنوم هنا نوم الغفلة وباليقظة التنبه ، اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك ، اى كيف لا تلتفت الى نفسك كما تلتفت لغيرك ثم بين **بين** ذلك بقوله ، فلر بما ترى الضاحى من حر الشمس فتظله ، الضاحى هو البارز من كل ظل الشاخص فى الشمس والمعنى انك ترى الفارع من كل ظل المغمور بحرارة الشمس فتتأثر له فتنصب له ما يوقع الظل عليه حتى يبرد المتوهج من حرارته ، او ترى المبتلى بالم يمض جسده فتبكي رحمة له ، امضه المرض و امض به اذا اشتد عليه وآلم به ، فما صبرك على داءك ، وانت تبكى تأثيراً لآلم غيرك ، وجلدك على مصابك ، الجلد هو التحمل و الصبر و المصاب ما يصاب به الانسان ، و عزاك عن البكاء على نفسك وهى اعز الانفس عليك ، عزاء اذا سلاه و خفف عليه المصيبة بسرد الاشياء والنظائر ، وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة ، البيات هو الايقاع بالعدول لا على غرة منه اى كيف لا يوقظك

العند من ايقاع الله بك وانت على غرة ، وقد تورطت ، تورط فلان اذا وقع في ورطة وهي المشكلة التي لا منفذ للخروج منها ، بمعاصيه مدارج سطوته ، المدارج جمع مدرج وهو ما يدرج عليه ونصب على نزع الخافض والمعنى انك تورطت بسبب معاصيه في مضائق سطوته و مؤاخذته ، فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ، الفترة هي الفتور خلاف النشاط والعزيمة هي الاشتداد، ومن كرى الغفلة، الحاصل، في ناظر كيبقطة، كرى الغفلة هو الانشغال بالملهيات والناظر كناية عن النفس ويراد بالبقطة التنبه، وكن لله مطيعاً، ممثلاً ، وبذكركه ، قلباً ولساناً آناً ، مسروراً :

﴿ وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله وانت مول عنه الى غيره فتعالى من قوى ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجرالك على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من اطفه مطرف عين في نعمة يهدئها لك او سيئة يسترها عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين في القدرة لكنك اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوى الاعمال وحقاً اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت واقد كاشفتك العظمت واذتكت على سواء ولهى بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق واوفى من أن تكذبك او تفرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك و لنعم دار من لم يرض بها داراً و محل من لم يوطنها محلاً و ان السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحققت بجلائها القيامة و لحق بكل منسك اهله وبكل معبود عبده وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجرفى عدله وقسطه يومئذ خرق جرفى الهواء و لا همس قدم فى الارض الا بحقه فكم حجة يومذاك داحضة و علائق عند منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عندك وثبت به حجبك وخذ ما يبقى اك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير :

وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك ، اى وجسم فى نفسك حال كونك معرضاً

عنه اقباله عليك بهذا المعنى و هو انه تعالى ، يدعوك ، من طريق التوبة ، الى عفوه ويتغمدك ، اى يغمرك ، بفضله ، بسبب الصبح عنك ، وانت متول عنه الى غيره ، من سلطان جور تخدمه او ظالم تركز اليه او هواك الخادع و نفسك الامارة بالسوء ، فتعالى ، الله ، من قوى ، لكن ، ما اكرمه ، وأحلمه فى حال أن غيره من الاقوياء على محدودية قوتهم يبطنون بالبرىء فضلا عن المجرم ويعاقبون على الظنة والتهمة ، وتواضعت من ضعيف ، اى انك مع ضعفت الذاتية فى قبالة تعالى ، ما اجرأك على معصيته و انت فى كنف ؛ اى جانب ، ستره ، عليك ، مقيم وفى سعة فضله متقلب ، يقال تقلب فلان فى النعمة اذا كان فى سعة من العيش قدواته الامور وأمكنته من نفسها يقول **عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَ** جرأتك على معصية مولى انت مقيم فى فناء ستره عليك ومغمور بنعمته المبسوطة بين يديك و مثل هذه الحالة يقضى على العاقل بالادب الزائد و اخذ الحذر التام ، فلم يمنعك: تعالى مع ما انت عليه من المغازى الكبار و ارتكاب الدنيئة والعار ، فضله و لم يهتك عنك ستره ، المضروب عليك من ناحيته يقال فلان هتك عن نفسه حجاب ستره اذا كشف الحجاب عن سوء باطنه بل ، انت مع استمرارك على المعصية ، لم تخل من لطفه ، بك ، مطرف عين ، طرفة العين رمشها وهى كناية عن اقصرا لاقوات ، فى نعمة يحدثها لك اوسية سترها عليك اوبلية يصرقها عنك .

وكل ذلك اطف من الله بعبده : هذا وانت فى حال معصيته ، فما ظنك به لو أطفته ، كم يكون لطفه بك حينئذ ، وايم الله لو ان هذه الصفة ، وهى تجر بك على مولى عظم فى اقتداره بمقدار ما ضعفت فى قبالة و غمرتك بفضله حتى حال تمردك عليه ، كانت فى متفقين فى القوة متوازيين فى القدرة ، متكافئين فى المقام ، لكنك ، وانت الموازن لطرفك فى المقامات ولكنك نسيء اليه ويحسن اليك ، اول حاكم على نفسك بذيوم الاخلاق ومساوى الاعمال ، و اقل ذلك انك لست بوفى ولا حى ولا متعامل بالمعروف ، وحقاً اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ، اى ان الدنيا لم تقصد الى غرورك ولم تعد الى اغواءك و لكن انت الذى تسببت بها للتغريب بنفسك والتطويح بها ، ولقد كاشفتك العظاات وآذنتك على سواء ، العظاات ما يوجب عظة النفس والتفاتنا الى

مواقع الخطأ والصواب والمكاشفة هي الاصحار بالحقيقة وآذنتك على سواء اي اوصات اليك ماهو العدل و الانصاف في مسيرك مع الدنيا ، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقض في قوتك اصدق وأوفى من أن تكذبك او تغرك ، وهذه الجملة اضراب عما يعرف ويقال من فتنه الدنيا للانسان انها بلسان حالها وتواتر تصاريقها وتغير اوضاعها آتيا بعد أن تعد كل انسان بالمرض بعد الصحة و الضعف من وراء القوة وتفعل كل ما تعد به فهي اذن اصدق من ان تكذب واوفى من أن تغرّ و تغدر ، و لرب ناصح ، منسوب ، لها ، اي للدنيا من عبرها و عظاتها ، عندك متهم ، من غير دليل تملكه على اتهامه بل الدليل معه عليك في نصحه و صدقه فيما يقول ، و صادق من خبرها مكذب عندك لا لحصول شبهة فيك توجب ترددك في صدقه وتحمل بك على كذبه ، ولئن تعرفتها، اي تعرفت الدنيا واستجلبتها ، في الديار الخاوية ، البالية من تكرار الحوادث عليها وفناء أهلها ، و الربوع الخالية ، من سكانها و نزالها ، لتجدنها ، اي الدنيا من طريق الديار الخاوية و الربوع الخالية، من حسن تذكيرك و بلاغ موعظتك ، موعظة بالغة اي منتهية في وعظها وارشادها الي الغاية والنهاية ، بمحطة الشفيق عليك و الشحيح بك، اي لا يرضى بأذيتك وتأثرك ، ولتعم ، الدنيا ، دار من لم يرض بهاداراً ، للاقامة ، و ، نعم ، محل من لم يوطنها ، يقال اوطن الدار اذا اتخذها وطناً له ، محلاً ، للسكنى بل اتخذها طريق ممر ، وان السعداء بالدنيا غداً ، غداً ظرف لسعادة السعداء ، هم الهاربون منها اليوم ، و الاشارة بغداً للاخرة و باليوم للدنيا والمعنى ان السعيد بالدنيا من كان سعيداً يوم القيامة حيث اتخذ دنياه مزرعة عمل فاستحصل ثمراتها يوم الحساب ، اذا رجفت الراجفة . اي كان يوم القيامة حيث تتمخض الارض و تتبدل الى وضع جديد وهكذا السموات ، و حقت ، اي ثبتت وكانت و تحصلت ، بجلائلها ، اي بأمورها الجليلة العظيمة والمنظور بأمورها مقارناتها وما يحتف بها و يكون معها ، القيامة ولحق بكل منسك ، وهو محل النسك وهو العبادة ، اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع اهل طاعته ، اي يتميز الناس يومئذ فيلحق بكل معبود ورب عبدته ومر بوبوه ، فلم يجر في عدله ، تعالى ، وقسطه يومئذ ، اي يوم الحساب ، خرق بصرفي الهواء، اي نظر

يوجده الانسان ، ولا همس قدم ، وهو المشى الخافت ، في الارض الآبحة ، و المنظور انه سبحانه دقيق في حسابه جداً حتى ان حسابه العدل يتناول النظرة يرساها صاحبها و القدم الخافت ينقله ويحكم عليهما بدوافعهما التي بعثت بهما في حلال او حرام ، فكم حجة يدلى بها صاحبها ، يومذاك ، فتكون ، داحضة ، باطلة ، وعلائق ، جمع علاقة وهي ما تربط الشيء بالشيء ، عذر ، وعلائق العذر هي اسباب اتصاله بالواقع حسبما يزعم المتعذر لنفسه ، منقطة ، اي يقطعها الله بابطاله لها فتجىء اعذاره لاغية ، فتحر ، ايها الانسان اي تطلب ، من امرك ، والامر كناية عن العمل الذي يتناوله الانسان في حياته ، ما يقوم به عذرك ، قيام العذر معناه رسوخه وثباته وصحته ، و ثبتت به حججتك ، التي تدلى بها امام ربك ، وخذ ما يبقى لك ، وهو العمل الصالح ، مما لا تبقى له ، وهو ما تأكل وتشرب وتلبس و تأنس به شهوتك فان هذه الامور لا يدوم لها الانسان بل لا بد من أن يفارقها مرغماً ، ويسر لسفرك ، اي تهيأ لسفرك من الدنيا القانية الى الآخرة الباقية ، و شم برق النجاة ، شام البرق اذا المحه والعبارة كناية عن التسبب بما يوجب النجاة للانسان من الاعمال الصالحة ، وارحل مطايا التشمير ، يقال فلان رحل مطيته اذا شد عليها رحلها ايركب والمطايا جمع مطية وهي الدابة التي تمتطي للركوب والتشمير هو جمع الانسان اطرافه ليجد في عمله وكذلك العبارة هنا كناية عن بذل النشاط في تحصيل المقصود الصالح :

وهنا يجب ان نذكر وظائف المصلحين للاجتماع ووظائف الافراد في مقابلهم : فنقول في وظائف المصلحين :

كانت جوامع البشر وكان على رأسها في كل عقد من عقود حياتها هواة اصلاح فان التجارب القطعية قاضية بأن ناشئة الانسان ومهما وجدت من معدات النظام الذي خلقت له او الذي لا بدان تسير عليه حتى تستطيع ان تحيي وتعيش فانها فاقدة للتدرب عليه و المشى معه الا بمعلم قد هذبته التجارب وادبه احتكاكه بعقله وقومته موازين العلم الناضج ايمان تقويم : ولا يقوم بهذه المهمة ارباب النفوذ الذين ماشوا الدهر بحب التغلب على الناس وقهرهم على الاذعان لهم من دون أن يشفعوا ذلك بحفظ حقوقهم وضمان السعادة لهم كما أعرب عن ذلك خليفة اسلامي مهم في حينه حيث قال ما قاتلتكم لتصوموا او تصلوا

ولكن لا تأمر عليكم في حال ان الموقعية الزمنية لو أجازت له ان يعرب عما في نفسه جميعاً لجراء عنه من الهنات ما هو اعظم من ذلك بكثير كما جاءت عن سبقه في الحكم قبل ادوار الاسلام وعن لحقه من ملوك وخلفاء :

بل وفوق ذلك بكثير نرى في حكام هذه العصور التي تشدق فيها العلم وأبرقت الصنائع واعدت من هو أسوأ حالا من الطفل العزيز على والديه حيث يدفع به الادلال الى ان يتناول من مدفوعه ويضعه في فمه ووالداه يقهقهان اعتزازاً به وترفيهاً عليه ولو ادى به ذلك الى مثل هذا السقوط: وعليه فنرى الدولة الجبارة المتحضرة ذات العلم و الصنعة تهتد مثلها في العظمت بانها اعدت من الصواريخ ما يكفى لآبادة طرفها و مهما عظم مقاماً وكثر افراداً واجناداً و تعالي رفعة وكثر علومها وصنایع في اقل زمان: فأين عن مثل هذا المفرور عقله العلمى الصنائع حين فاء بتلك الكلمات الموقية المفرقة في التوحش فهلا ردع ضميره المنعقد على هذه الطوية الفاسدة والنية السيئة وقال له ان العلم جاء لخدمة البشر لا لمحقمهم والصنعة انما تدوولت لتأمين رفاهه و تحسن حياته وتقويم اوضاعه لالاتلافه وسحقه واعدام الوجود باسره اذن فليس الاصلاح مما يتوخى من هؤلاء العفاريت بل ولا من كل ذى سلطان الا اذا كان مثالياً وانساناً روحياً و ذلك لم يوجد في افراد البشر الا لتقليل حكموا سنين محدودة من ملايين السنين التي تداولها الحكم البشرى: والمصلحون فرق لافريق واحد وان كانت الغاية من الاصلاح للجميع فذة :

(الفريق الاول) العلماء الروحانيون والوظائف التي أعدوا انفسهم لتحملها تقضى عليهم ان يخدموا جامعة الانسان لان يخدموا انفسهم بتحصيل العظمة لها ولو كانت مصنوعة مرتجلة : وخدمة جامعة الانسان من هذا الفريق لازمها ان يكونوا متقاربين في القلوب وان اختلفوا عقيدة فان الاختلاف العقائدى لا يكون - اولا - الا في الفروع والجزئيات ويستحيل ان يختلف العاقل مع العاقل والعالم مع العالم في الاصول الكلية لان كليات المسائل وامهات المطالب التي هي العضو الرئيسى في مادة حياة الانسان ومعناه غير قابلة للاختلاف الا ان ينحاز عالم بنفسه لههدف الافساد وتشيت الجماعات - وثانياً -

حتى لو حصل فى الفروع لا يجوز ان يكون مولد عدا و فتنة فان العلم من روابط
الاتصال لامن دواعى الانفصال - و ثالثاً - حصل بين العلماء نزاع فى فرع و اختلاف
فى مسألة فما دخل ذلك فى توزيعهم الناس اوزاعاً و جماعات حسب توزع آرائهم فى
المسألة : أليس من المهازل ان نرى مثلاً فى الشيعة الامامية الاثنى عشرية أحزابها
عدواً لاصولها ولا ينظر احدهما للاخر الا بنظر حاقد مكمد فماذا ترى الحال تكون
بين الاسماعيلية و الامامية و بين الزيدية و بينهم و بين السنة و الشيعة و بين المسلم و
النصرانى و هلم جراً فى الباقين :

لكن لا ريب فى ان هذه الحواجز بهذه الشدة الملموسة انما اوجدها القائمون
بالديانات بعد رحلة المشركين عنهم حتى انك لا ترى عالمين من فصيلة واحدة متحابين
ولا بد أن تنهار به نفسه فيخلق للناس مراماً يدعوهم اليه حتى يكون اماماً و صاحب
طريقة فهذا الهوى النفسى هو الذى وزع الناس و صيرهم اشتاتاً :

(الفريق الثانى) الاساتذة و المعلمون و الوظائف التى تحملها هذا الفريق و فرضها
على نفسه بطبيعة مهنته و طابع عنصره هى توجيه الافراد الى منابع الخير و البركات و
هو العلم ، و الوجيهات العلمية و ان كانت كثيرة الا ان الغاية العامة منها واحدة وهى الاستطلاع
الى الخفايا الكامنة فى العقول اوفى الطبيعة لا استثمار تحسن الوضع البشرى منها : و
هذا الفريق لوقام بمهمته كما هو موظف به لما رأيت فى الدنيا هذا الارتباك المزيج و
الانحراف الواسع لكنه جعل هذا العلم الذى به حياة النفوس مدعاة لاغوائها و طريقاً
الى تلفها فأخذ يكثر التعليم فى الرذائل بصبغة انها فضائل و يخلق من طريق العلم
مواد لتلف الجوامع و فوق ذلك كله انه لا يرى مقام عالميته الاكد كان لا يستهدف منه
الا جمع الدراهم :

اما انه اكثر من تعليم الرذائل بصبغة انها فضائل فانه اخذ يحور معنى الحريات
الصادقة الى معنى دنىء ساقط و هو دعوته الافراد الى الاستهتار و الخلاعة و التبذل الممقوت
و يريهم ان ذلك هو الحرية المنشودة للنوع و اول من يبدأ بها عملا هو باعتبار انه استاذ
تأسى به تلاميذه علماء و عمال كما هو ن على كافة مستمعيه امر الله و شرائعه و انبياءه و حبيب

اليهم المادة الجافة فكان من نتيجة ذلك اندلاع وحشية عامة و ضراوة قوية في كافة الافراد كما يراه كل انسان عياناً :

واما انه خالق من طريق العلم مواد لتلف الجامعة فانه جمع قواه وما أوتي من حول علم و قوة عقل في اختراع ما يبئد البشرية بأجمعها و اقرب شاهد عليه تولعه با لذرة بداعى انها افنك مادة في محق البشرية فهو يقوم بهذه الاعمال التي اخذت على عاتقها سحق كل شيء ثم يدعو الناس الى تحريم استعمالها فما أحقه اذن بقول من قال :

الفاء في اليم مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبطل بالماء

وبعد هذا فلا ترى دور المعارف في كافة مما لك الدنيا الامناجم لاستخراج الشر و انتاج الوحشية المطلقة و الا فهذه الكثرات المهمة من كليات و ثانويات ومدارس ابتدائية و كتب متنوعة و تسليحات علمية و افرة لو كان لها مصرف واقعى في عالم المعنويات لرأينا الدنيا اليوم كالوردة اليانعة لا ترى منها الا منظرأ بهجاً ومخبراً نافعاً وانشراحاً وافياً :

(الفريق الثالث) الكتاب والمؤلفون والوظائف التي تحملها هؤلاء هي عين الوظائف التي فرضها على نفسه الاستاذ والمعلم ولكن بصورة ادق و اوسع بل انما كتب الكتاب والمؤلف ليحشرا أنفسهما في زمرة الخالدين فكان من لازم الكتاب والمؤلف ان يفعم كل ما يكتبه ويؤلفه بالحريات الصادقة فكرياً وقلمياً فلا يكتب الاماخذ عن به نفسه المتحررة المتعلمة ولا يهدف في ذلك غير خدمة النوع بما استطاع انتاجه بعدمزاوالات ومحاولات تجريبية علمية فلو كان المتاع الكتبي في الدنيا طبق هذه الصورة لمارأت في أبنائها عوجاً و لا امتاً و لكن يا للأسف لا ترى في الكتب والكتاب الأخلاف ما يفرضه المنطق فعاش جملة منهم على اجارة افلامهم كالتائحة بالباطل لا تقول القول الا عن رغبة غيرها و على مما شاة الهوى النفس المنحط كما في نوع الكتب الروائية المغرية بالجهل او على الانتصار للزرعة الطائفية البغيضة كما في جملة من الكتب الحديثية والكلامية او على نصرة الانتهازيين وتحقيق خطتهم او نزولاً على حكم الوهم والخيال

كما في كل الكتب الخرافية و هلم دواليك فلم يبق من ملايين الكتب والنشرات الا عشرات ايدها العلم واقرها المنطق واستفاد منها نخبة من افراد الجامعة ونوهت عنها الافكار الحرة والافلام الثرة .

(الفريق الرابع) الشعراء : الشعر ابلاغ وسيلة اضبط افكار الناس وضم شوارد عقلياتهم وهو احد سلاح للحكيم الذي يحاول تركيز دولة فكرية صحيحة مكان دوله قشرية متفككة لان جيده يحفظ لاول مرة من سماعه وتتاثر به النفس دفعة واحدة ولا تزال الاشداق تكرر مضغه كما تكرر الاضرار سحق الطعام الشهى فهذه الحربة القوية يجب ان تقع بيد حر - اولا - عالي النفس والتفكير - ثانياً - همه وهدفه الاصلاح وايقاظ الهمم واستفزاز العواطف الانسانية - ثالثاً - وان يكون مقصده النهائي خلق جامعة مثقفة ترود الحقائق خدمة للحق وتطلب المعالي بالعمل الصالح والفعل البريء عن المظالم و الاهواء - رابعاً - الا ان صدف سوء كما اخلفت ظنوننا في جملة من مجارى الرجال اخلفت ظننا في هذا المعجزي ايضا فنرى الشاعر الملهب اما اجير اللاجلاف والظلمة او شهويًا ساقطاً بالمرّة او هجاء خبيثاً لا تهدأ فورتته ولا تبوخ نهيمته الابعيب الناس وقرض أعراضهم ولم ترفى رعييل الشعراء على تراص صفوفهم في مجامع الزمان ما ينجع في القضية الاخلاقية العامة الاطرافاً منزوراً تلقته الجوامع المثقفة اكثر مما تلقت به آراء الفلاسفة العظام اخفته على الروح وقبول النفس له بمرح وفرح متكاثرين :

(الفريق الخامس) الوعاظ والخطباء : الوعاظ اذا كان على طبق الشرط وهو أن يخلق من الناس ارواحاً حية بالعلم طرية بالمعارف مشبوبة الحرية نزاعة للخير المطلق والعدل العام كان أعظم من كل مصالح يفرض لاتساع هدفه وقيمه في نفسه واناطة السداد والخطأ بسداده وخطأ اذ هو يواجه الجميع ويلقن العاجز حجته والعامي مذهبه وطريقته ويعرف القديم و الجديد بمالهما من حسنات وما عندهما من سيئات كما ينبه الازهان الى ما فيه سعادة البشر من كافة الجنبات. ولهذا اتسع نطاق الشرط في الوعاظ المصلح فكان من لازمه :

-اولا- العلم المتنوع على اساس الدراسة المثقنة حتى لا يجرجه الموقف من متعرف

بدينه يسأله عن المسألة الفقهية او الكلامية او الحديثية او عن آية قرآنية او فصل من فصول الكتب المنسوبة للديانات ككتب المهديين و نظيرها او باحث يحاول افحامه في المحافل المكتضة بطرح مسألة عقلية او طبيعية او رياضية و ما شا كل ذلك فان لجميع ما سلفناه دخلا في تقويم بنيته الخطائية الا ان الاجتهاد في ذلك كله ليس بشرط بل يكفيه الامام المتقن:

- ثانياً - الاعتقاد الجازم بما ينطق عنه ويدعو اليه فان المناق لا تأثير لدعوته ولا بقاء لخطئه و سرعان ما يفتضح ومن لازم هذا الشرط ملازمته للعمل بما يقول و اصراره الجدى على ما يدعوا اليه و صموده امام فكرته و حريته البالغة حتى في الحروف المعدودة من منطقته :

.. ثالثاً - ان يكون اميناً مع الناس فلا يحاول الاصلاحهم ولا يريد الانفعهم ولا يتوخى الا تحسن اوضاعهم و اعتدال اخلاقهم و تمشيتهم على الجادة التي يريد الله والمنطق :

.. رابعاً - ان لا يكون متاجراً بوعظه فيسبغه هواه الى تحصيل الدرهم بل يعد نفسه من خدم الجامعة و سديتها حبا لاحقاق الحق و تعميم العدل و نفوذ الانسانية المطلقة في العموم وهو حتماً من وراء ذلك ينوش رزقه و يؤمن احتياجه المادى :

- خامساً - ان لا يطلب بمنطقه و نهج دعوته رضاه العامة و مماشاة ميولهم فيجعل الحقائق محكومة لاهامهم بل يجعل وجهته الحقيقة فقط و يختص بالدعوة اليها و يصر على تركيزها بشتى الاساليب في ادمغة العوام مكان الخرافات و الاوهام :

- سادساً - ان يبين لهم ان الدين كما هو الشرط الاساسى و القاعدة الثابتة للحياة الصحيحة بحيث لا يستطيع ان يعيش الفرد عيشة هادئة ضامنة للسعادة و احترام الحقوق بدون حكومته كذلك يلزم ان تكون رعايته و القيام عليه و السهر على صالحه من وظيفة الافراد لامن و وظيفة الله فقط : نعم الله في عون العبد مادام العبد جاداً في طريقه: فهذه الشرائط من اوامير الواعظ : ولكن مع كل الاسف لم نجد في جملة الوعاظ من جمع شرطين او ثلاثة من هذه الشروط ولذلك قلنا النتائج عنهم و لائح اثر الهمال على الناس

- ونقول في وظائف الافراد في مقابل المصلحين-

ان الاصلاح من المعانى الاضافية فكما عرفت ما هو اللازم في طرف المصلح لا بد أن تعرف ما هو الضرورى في طرف الافراد الذين يواجههم المصلحون فان من المستحيل ان يواجه المصلح فرداً لطلب اصلاحه وطرفه فار منه بعيد عنه وشرط الفرد الذى يرام اصلاحه عدة امور :

(الاول) ان يكون حاضراً لتلقى المعارف من حكيم يزوده بها لاجل حفظ حياته وتأمين بقاءه وصون حقوقه فان الذى يهوى ان يعيش لا بالياً شأن الطريقة والسفلة الذين يعتمدون الى الاهمال والتسيب ويقصدون مواقع البؤس والشقاء والتذبذب لا يكون بصدد التفهم عن المصلحين و التعلم من الاسانذة المدربين الا ان هذا الفريق فى الناس قليل جداً لان التذبذب لا حياة معه والانهيار لا بقاء فيه وجملة الناس يريدون حياة منظمة وعيشة راضية :

(الثانى) ان يساند العقليات الصحيحة بالعمل الصارم والانقياد الجالب للتوجه حتى يبعث اساتذته الى الشوق فى سبيل التعليم والمغامرة فى طريق التوجيه ويعطى من نفسه امارات مكشوفة لهواة الانحراف والدجل واستغلال بنى آدم انه لا يجعل على نفسه مساعماً لكل من يريد به سوءاً وللحقيقة هضماً فان الذى لا يهتم من هذا الشرط شيء يستحيل عليه ان يحتفظ بحياته التى يرومها لنفسه كما يروم ذلك كل حى عاقل لان تساهله يدعو الى انهياره لتقلص ظل الاستاذ عنه وتكالب هواة الانحراف والدجل عليه وعلى امثاله ممن لا يلمسون فيهم همة الدفاع عن حقوقهم وحيثياتهم :

(الثالث) ان يدرك ان هضء الحياة محاطة بابتلاآت جملة منشأ الغالب فيها نفس الافراد المنشعثة أهواؤهم المختلفة ميولهم وان احراز الحياة الصحيحة لا يكون الا بعاملين قورين العلم والعمل به وبدون ذلك لا تيسر اية حياة تفرض والقيام بكلا العاملين من ناحيته سهل عليه بعد أن يرصد لهما نفسه ؛ اما العلم الذى يراد له ولا مثاله فلا مزاحمة فيه لاوقات كسبه بل وكافة أشغاله فان كل انسان بعد أن يجد المعدات جاهزة لديه فى اصل الخلق لا يعود فى حاجة الا الى تنبيه خاطر والفتات نظر واما التمرين والتوسع

فى المعرفة فهو موكول اليه لسهولة الاستنتاج من هذه المقدمات عليه فان نوع العلوم النظرية طبيعية كانت ام رياضية ام اجتماعية و اقتصادية مأخوذة عن تكرار التجربة و معاودة النظر فى الشئ و ان كانت العقلية لها الدخل فى ذلك الا ان دخلها فيه بطور نظارة عليه و تكبر العقول و توسع دوائرها انما يحصل بالاستمرار على الفحص و المثابرة فى التجسس عنه : و ليس عندنا من العلوم ماله منبع آخر سوى السمعيات على ان تشقيقها و تطبيقها مرجوع به الى العقل ايضاً و قد عرفت كيفية ارتباط العقول بالمواد الخارجية التى هى المنشأ لنوع العلوم بخفارة المشاعر و الحواس الموجودة فى الانسان عفوياً بلا كسب و منة بلا بذل مؤنة :

وقد ألفت القرآن نظر الانسان الى ذلك حيث يقول : قد خلت من قبلكم سنن فسروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين - آل عمران - أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها و آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار لكن تعمى القلوب التى فى الصدور - سورة الحج - هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و اليه النشور - سورة الملك - الى غير ذلك مما هو كثير فى الكتاب العزيز على انه الفات نظر الى طرف من منابع الاستفادة و الاعتبار فان جميع زوايا الكون فى السماء و الارض فى الحيوان و الانسان و النبات و الجماد و جميع ما يمت الى ذلك من حركة و سكون، و فعل و انفعال و خلق و عادة محشوة بمبادئ التعلم و المعرفة للمتجسس الذى ينظر الى الشئ نظراً مستفيد متميز لانظر عابر مستطرق و كل ما يراه الانسان فى مضامير القرن العشرين من علو فى الصناعات و الانتاجات و دقة و كثرة فى العلوم كالفيزياء و الكيمياء و الهندسة و الحساب و ما الى ذلك فانه نتيجة التبحر و حسن الالتفات الى ما فى بطون الطبيعة و ظواهرها و ليس ابداعاً صرفاً او ايجاداً من غير سابقة وجود :

واما العمل فان العلم باى شئ يفرض لافئمة له الا بالعمل بل العلم اصولاً من المقدمات التى يتطرق اليها بداعى العمل و استحصال النتائج فاذا لم يصدق الانسان فى قوله و لم يرفق باخيه و لم يخجل مما لا يليق بالعاقل و لم يعن على النوائب و لم يعن عرضه و عرض غيره و لم يتخذ الادب خطة له فى حركانه و سكناته كان اول شقى يفرض

واشخص بائس يتصور حتى لو كان علامة في علمه :

ولم تسترذل الامم البائسة لنقص في قوانينها وعوز في معارفها ولكنها استرذلت حيث فقدت الاجراء والعمل بالقانون وتكفي مواد قليلة لاقامة امة مستطيلة اذا كان سائقها الاجراء ومحققها التنفيذ : وانك لا تجد مزيداً على ما تتجهز به هذه العصور من كتب ملاءت رفوف البيوت ومجلات كثيرة الانتشار وجرائد ونشرات وناطقين ووعظة الى ما هو رديف ذلك لكنها لما تحرفت ذلك للتشدد وتلبست به للتعاضد وفقدت جنبه العمل رأيت فيها ما يسوء كل انسان فلا اعراض بريئة ولا نفوس شريفة ولا اوضاع معتدلة ولا خواطر هادئة بل كل ما تراه نهب وسلب واعنات وارهاب حتى لا يستطيع المتحذران يؤمن نفسه ويصون عرضد ويقطع اوقاته بشيء من الهدوء فأفة الانحراف العملى هو ذاك وفوقه بكثير :

فالأفراد اذا لم يتخذوا من وعظ الواعظ واصلاح المصلح وهدى الهادى برنامجاً عملياً يسرون عليه في عاداتهم واجتماعاتهم ومعاملاتهم لا يعودون حافظين لوجود المصلحين - اولاً - لان المصلح انما يفض النظر عن اتعابه اذا استثمر منها اماراً تهون عليه المشاق فاذا فقد الثمرة اخلد الى الراحة : ولا واجدين الرفاه الحيوى - ثانياً - فان الحياة لا تيسر الا بالعمل المطابق للبرنامج العلمى :

و لنختم ما اسلفناه بالكلام على علل فساد الجوامع وطرق اصلاحها : فنقول : يعتقد جملة من الاغرار ان فساد الجوامع واصلاحها منوط بالله تعالى وانه اذا شاء ارتفع الفساد وتركز الصلاح وحيث لم يشألم يبق مجال لتوجيه اللوم على الافراد فى انتهاك جملة منهم على الحق مع تشخيصهم له وقبوع جملة آخرين فى خبايا الزوايا يكبرون و يسبحون حاسبين ذلك أحد سلاح لهم فى مبارزة الظلم والانحراف : كما وان جملة آخرين من الاغرار ممن لا يعيرون وراء الطبيعة نظراً عالياً يعتبرون ان الصلاح والفساد من آثار النفوذ المسيطر فقط وان النافذ اذا صلح صلح الناس تبعاً له و اذا فسد فسد الناس كذلك وان تحرق الاحرار والمتنورين لاقيمة لهم مع فساد النفوذ المسيطر وصلاحه :

لكن الحقيقة وراء ما يعتقد هذان الفريقان والدليل على خلاف ما يعتقد الاول منهما ان نرى الانبياء على طول سلسلتهم مع الزمان وعلى انهم موظفون من ناحية الله خاصة

فى ارشاد الناس وتركيز احكامه فيهم ام يدرجوا مع الحياة الامدرجاً عادياً شأن غيرهم ممن يعالج امراً ويروم تحقيق مرام فيجدون الجد كله فى تركيز حقيقة مكان وهم وحق مكان باطل وتخفق مساعيهم جلها او كلها اذا ابى الناس اصاخة لهم و اذا حصلوا طائفة مؤمنين حاربوا بهم كحرب الناس بعضهم لبعض فتارة ينتصرون وفى اخرى ينكسرون وليس فى مسيرهم على طول الخط ما يلفت النظر من طريق ماوراء الطبيعة بحيث يكون هو المعزز لهم لا السيف وهو الفاتح لا التصميم الجدى :

وهذه سيرة نبي الاسلام اقرب كل حديث منّا وكل حر كاته و سكناته شاهدة على ذلك فى التصميم الجدى من اصحابه ينتصرو فى نخاذ لهم ينكسرو فهو قضى عمره فى غزواته مرة له واخرى عليه حسب المقاييس الموجبة للانتصار و الانكسار فى سائر بنى آدم بلا ادنى فرق ولو كانت القوى الغيبية لها دخل ظاهرى فى ذلك لامتاز على غيره بفروق واضحة فى حال انه ليس من ذلك شىء بحسب الظاهر المكشوف :

والدليل على خلاف ما يعتقد الثانى ان القوى المسيطرة ومهما فرضناها معتدلة الخطة ليس بها ان تحقق الحق لكافة اهله وان تبطل الباطل فى جميع ماتحت سيطرتها لعدة نواحي (الاولى) انها فاقدة للقوى المتغلغلة فى كافة الافراد وذلك لعجزها المالى عن استخدام ما يسد هذه الثغرات كلها حتى فى القرى الصغيرة (الثانية) ان ذلك يحتاج الى تركيز المحاكم فى كل مكان حتى فى البوادي و ذلك متعذر عليها لمحدودية الصالحين للقضاء اولاً ولعجزها ايضاً عن استخدام ما يقوم بهذا التكافؤ (الثالثة) ان احقاق الحق وابطال الباطل لا يكون جزافاً بل يحتاج الى شهادة شهود واقامة بينات واستفادة من اهل الاطلاع و اذا كان الناس فى الاعم الاغلب فاسدين وعن الفضيلة منحرفين لم يكن للشهود وزن ولا للبيننة قيمة لتسرب التهم القوية اليهم فلا يعود القاضى يعرف صدق الشاكى من صدق المدعى عليه حيث ينكر الى ما سوى ذلك من علل كثيرة : اذن فليس صلاح القوى المسيطرة وحده كافياً فى صلاح المجتمع و ان كان دخيلاً كل الدخالة فيه ولا فسادها مميتاً لروح الانسانية من الناس اذا كانوا صالحين و ان كان كسابقه موثراً فى سير المجتمع قطعاً :

فالحق ان منشأ الفساد والصلاح هم الناس بما هم ناس من دون تشقيقتهم الى امة و حكومة فان افراد الحاكمين من آحاد الامة و مسيرهم حتى في دوائر استخدامهم مبعوث عن كوامن اخلاقهم لا عن القانون الذى يظن انه محدد لحركاتهم وسكناتهم و انه ملزم لهم بالسير على طبقه فان القانون الصحيح فى حاجة الى مجر صحيح و الا وقف فى مكانه من دفتى الكتاب الذى حرر فيه لا يحق حقوا لا يبطل باطلا

هذا ولا نقول للفريق الاول ان الله مهمل لامر عباده - كما يدعى ذلك بعض الفرق البائدة من المسلمين - بل نقول ان الله مع قدرته الكافية على ان يجعل الناس كلهم مهتدين بالقرآن والاجراء لم يعمل قدرته فى ذلك بل انشأ هذا الكون كمدرسة للكائنات وجعل انتخاب معلميها والاعدادات القوية لتلاميذها على عهدته فارسل من وسط الناس افاضاً فى طهارة ضمائرهم وعفة انفسهم وحبهم للخير المطلق لمطلق الانسان وكدهم فى طريق التعليم خدمة للمعلم واهله ونزولاً على مرضاة الخالق الذى ائتمنهم وحملهم عبئاً ثقيلاً حملة عظيماً شرفه كما ابدع فى كافة البشر مدركات باستطاعتها فهم كلما تعامله واعضاء يهون عليها القيام بما تنجزه تلك المدركات وهذا المعنى غاية فى تدبير الخلق وتعيين مصيره ومستقبله: اذن فلنبحث عن علل الفساد وطرق الصلاح : اما علل الفساد فهى امور جملة اهمها.

(١) الاعتناء بالنفس وتهوين حقوق الاغيار وهذه النفسية هى التى زرعت البغض فى الناس بعضاً لبعض وشتتت العناصر و خلقت الطائفيات و قامت بالاختلاف الطبقاتى الفاحش وهى التى جعلت الانسان لا ينظر الى اخيه النوعى الا انظر استغراب واستيحاش بل هى التى جعلت كل انسان - الا ما شذ - غير مهتم الا بخاصة نفسه و لا طالب نفع الا لذات يده وفى هذه الروح من الضراوة والسبعية والحقد ما لا يوصف:

(٢) عدم الاعتناء بالقانون العام القائم بحفظ النظام فترى من مهونات اللصوصية واقتراف الجرائم على الانسان وجود من يتشبث به فى الشفاعة عند المسؤولين: وهذا هو الذى خلق الاشرار فى الناس وجراً أهم على ارتكاب الخطيئات :

(٣) الانكال على اللباقة والحيلة والخداع فى كل امر من الامور ومع كل احد

حتى الزوجة والاولاد وفي هذا من عدم الاعتماد واخذ الحذر من كل انسان في قبال اي انسان يفرض ما نرى اثره في عموم الافراد:

اما طرق الاصلاح فهي موقوفة على ان يعلم الانسان بالتأمل والدقة ان ما يحاوله من طول عمر في هذه الحياة واحراز سلامة في المزاج وسعة في ذات اليد و مصونية شرف وعال مربوط تمام الربط بالنظام الصحيح و انه اذا تخلى عنه هذا النظام وقع في خرج شديد ومهما اوتى من حول و طول فلا تراه الا خائفاً على حياته مشكوكاً من ناحية سلامته مرتبكا في حفظ امواله متعباً في المحافظة على شرفه وناموسه قلق الوساد مضطرب الفكر كثيراً التخوف :

فاذا كان النظام الصحيح هو الرابط الوحيد لحياة الانسان والحجر الاساسي لاصل الحياة جاء لزوم تهذيب النفس الى الميدان اذكل نظام يفرض اثر من آثاره وقبس من ناره : ولتهذيب النفس مقامات والتفاوت الذي بينها عظيم جداً قرب تهذيب لها يؤهلها لمقام النبوة الا ان هذه الرياضة غير متأتية لعموم الطبقات لما فيها من مماثلة النفس ومحاولة القدرة عليها بما لا يقوم له الا البطل المغوار في جهاد النفس :

واللازم من التعلم قبل التعرف بكل فن هو درس الاخلاق و الآداب و الفضائل باتقان ومضغ مفاهيم السوء من الاخلاق والحسن مضغاً جيداً : وكما لا يجدى التنسك والتشغف من غير معرفة كذلك لا تجدى العلوم الاخرى من منطق وفلسفة و طبيعيات و رياضيات من دونها : اذرب باقعة في علوم الطبيعة ساقط في أخلاقه جلف في حركاته و سكناته ولا بدع في ذلك اذ لا قربى بين علم الاخلاق والهندسة ولا ربط للفضائل النفسية بالعلوم الطبيعية : واقوى دليل على ذلك ان اكابر المكتشفين للمواد المدمرة لو كانوا اخلاقيين لتخرجوا من اكتشاف كل ما فيه خطر على البشر تورعاً واحتياطاً : لكنهم لما انطوا على ارواح فضلة وعواطف متحجرة وانفس مظلمة وجدوا من الغبطة ان يقال في حقهم انهم اخترعوا من القنابل الذرية ما يكفي لآبادة النوع كله وقلب الوجود الى العدم واستئصال الحياة بحذاقيرها.

و من هذا النفق المظلم تسربوا الى ضعفاء بنى آدم يا لتغلب عليهم و اذ اقروم

من طريقه كل ويل وثبور بالرغم على ما اكتنفت به ممالكهم من دور معارف و افذاذ في انواع العلوم : هذا بعض الحديث عن علل الفساد في الجوامع وطرق اصلاحها :

كيف يجب ان يكون الزعيم المخلص

السلطنة على اى شىء يفرض تستلزم مسؤولية السلطان فى قبالة فالسلطنة على المال تقتضى حسن النظر فيه وبذل العناية فى صونه ورعاية الاستثمار الصحيح من طريقه وبذله فى مصارفه الجديرة به حذراً من صرفه فى التوافه او امساكه و تجميده لؤماً و خسة اذن فلا الاسراف والسفه بمستحسن ولا التقير والامساك بأمر حسن وكلاهما خلاف ما تدعوا اليه السلطنة المعقولة المقبولة :

والسلطنة على العيال توجب حذب العائل عليهم وتدييره لهم و حسن قيامه عليهم بما يتكفل مصونية كل واحد منهم و مقتضيات القيام على الزوجة غير مقتضيات القيام على البنت : وعلى الولد الذكر غير ذلك : وهلم دوايك ، والغاية تسيير كل واحد من هؤلاء فى حياته بما يضمن له السعادة حسب المقدور حتى يخرج العائل من عهدة المسؤولية اللازمة فى قبالة من يعول به :

و السلطنة الشرعية على الناس خطرهما عظيم و مسؤوليتها على المتصدى لذلك مهمة وعبأها عليه ثقيل والخروج من مسؤولية وظائفها أعظم و أهم ذلك لان المسيطر الشرعى يعول بجميع من يدخل فى حوزة سلطانه و من وظيفته ان يراعى الامن فى الجميع والعدل بين العموم والنظام الكافل بمصالح الافراد والجنبة الاقتصادية للقريب والبعيد والخامل والناهب والنشيط والعاجز وصيانة الجميع من تعدى الاجانب عليهم ومن تعدى بعض على بعض حتى يتخلل نظامه هذا الى بطون البيوت والقرى و الاطراف و الثغور والحدود : تصوير هذا المعنى صعب ثقيل شاق فى نفسه فضلا عن تطبيقه بحقه ولم يمش على هذه الشريطة جهد المستطاع الا الانبياء وخلفاؤهم الاعاظم حيث نيت لهم وسادة الحكومة بين الناس والسلطنة عليهم واستطاعوا ان يهدوا عروش الطغاة ويتسلموا ازمة الحكم بأيديهم و لم يتم لم ذلك الا بعد سلسلة مبارزات عنيفة و اجهوا بها المتعنتين

من المتغلبين ورياضات شاقة قاموا بها تجاه أنفسهم فجردوها عن كل راحة و صرفوا كل عناياتهم في راحة الناس و استقلالهم و لا تسئل عن أتعابهم في سبيل ذلك و تحملهم المشاق المجهددة لتسهيل الحياة على الناس و لا يقوم بفضلهم على المجتمع شكر بلسان اوحب غامر لحيات الجنان او تعظيم و تجليل بالجوارح والابدان .

و قد اعرب امير المؤمنين عليه السلام في الفصل اللاحق عن طرف مما قدمنا له فقال (ج ٢ ص ٣٧٠ من النهج الحديدي) فتأس بنبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وآله وسلم فان فيه اسوة لمن ناسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسى بنبيه والمقتص لاثره فضم الدنيا قضاوالم يعرها طرفاً هضم اهل الدنيا كسحاً واخصصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فاي ان يقبلها وعلم ان الله تعالى ابغض شيئاً فابغضه و حقر شيئاً فحقره و صغر شيئاً فصغره ولو لم يكن فينا الاحبنا ما ابغض الله ورسوله و تعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاً قاله تعالى ومحادة عن امر الله تعالى ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويردف خلفه ويكون السر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى أزواجه غيبه عنى فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياساً ولا يعتقدها قراراً ولا يرجو فيها مقاماً فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئاً ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبدك على مساوى الدنيا و عيوبها انذجاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فليتنظر ناظر بعقله اكرم الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ام اهانته فان قال اهانته فقد كذب والله العظيم بالالفك العظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قداها ن غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص أثره وولج مواجهه والا فلا يامن الهلكة فان الله جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم علماً للساعة ومبشراً بالجنة و منندراً بالعقوبة خرج من الدنيا خميصاً و ورد الآخرة سليماً لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعى ربه فما اعظم منة الله عندنا حين انعم عاينا به سلفاً نتبعه وقائداً نطأ عقبه والله لقد رفعت مدرعتى هذه حتى استحييت

من رفاعها ولقد قال لي قائل الاتمبذها عنك فقلت اعزب عنى فعند الصباح يحمد القوم السرى /
 فتأس ، التأسى هو الاقتداء والمتابعة ، بنبيك الاطيب الاطهر عليه السلام ، فان التأسى
 بالنبي من لازم الاعتراف بنبوته والتصديق لدعوته والافصاف الاعتراف به لساناً يكون
 من الالفاظ المجردة التى لا قيمة لها ، فان فيه ، من جميع وجوه الخير والصلاح ، اسوة
 لمن تأسى وعزاء ، اى تسلية ، لمن تعزى ، فى الامور التى لا تهضم الامن طريق التسلى
 و صرف النظر ، واحب العباد الى الله المتأسى بنبيه المتقصد لاثرة ، اقتصاص الاثر ان
 يكون مشى اللاحق على آثار مشى السابق وهو عبارة اخرى عن المتابعة و الاقتداء ،
 قضم الدنيا قضمًا ، القضم هو الاكل باطراف الاسنان للمأكولات اليابسة و انما
 يفعل ذلك تخففاً وزهادة والخضم هو الاكل بكل الفم للمأكولات الطرية وباعثه نوعاً
 الشره والنهم والمنظور من الفقرة انه (ص) انما تناول من الدنيا الشيء اليسير بمقدار
 ما يقيم الصلب ويدفع الحاجة :
 وليس الهدف من الدعوة الى الزهد هو تحقير الدنيا وحرمان ابن آدم منها الا لشيء
 يعقل او ان ما كان عليه الانبياء واتباعهم المثاليون من التقشف كان عن اختيار منهم للخشونة
 للدواعى صحيح كما انه ليس المنظور بدعوة المكلفين الى التأسى بالانبياء والمثاليين
 هو ان يكونوا مثلهم فى كل حركاتهم و سكناتهم فان ذلك شاق على اكثر الناس صعب
 التحمل على النوع بل الهدف من دعوة الافراد الى الزهد هو الوقوف امام ميولهم
 العارمة و شهواتهم المتنزية حتى لا يكونوا فى اوساط الحياة أضرى من الحيوانات
 الكاسرة فان الانسان اذا ترك و هواه جاء شبيه المجنون و نظرة عابرة فيما كان عليه
 اللاأباليون فى السابق وما عليه اناس هذه العصور فى اللاحق كافية لاستعراض الفرد الانسانى
 بصورة حيوان مهمل يضرى به الناس من كل جانب فلا تراهم فى الشوارع والمعابر الاهاثما
 طائشاً لا تحدد خطواته بشيء اصلاً:

والهدف من نخشن المثاليين ورياضاتهم العالية هو نصبهم لانفسهم اعلاماً يهتدى
 بها فان المقتصد لاثرا القدوة انما يترسم بعضاً من خطواته ويتأسى بشيء من اخلاقه هذا اذا
 كان ما لكأ لزام نفسه والألا كان اقتداؤه به بتمجيد سيرته وتجليل شخصيته لا اكثر كما عليه نوع

الناس الذين يعطون الحقيقة حقها من التقدير لساناً واما اعمالهم فلا تنطبق على براجمها أصلاً: وجميع ما يقرؤه القارئ من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والآثار العلووية في الزهد وتحقير الدنيا والدعوة الى الاعراض عنها لا يراد منه إلا المماثل والبيان عنه وهو تحديد نزوات النفس والتوجه الى دعوة العقل والتمسك بشيء من المثل والافتداء بالمثاليين العظام مهما أمكن: وهذا الاصل مما يطبق عليه عقلاء الاجتماع اعترافاً وان كانوا في مراحل العمل متناقضين عند الامن اوتى حوصلة واسعة والتفاتاً الى معنوياته اكثر من المعتاد، ولم يعرها طرفاً: يقال أعاره طرفه اذا نظر اليه قاصداً بمعنى في قبال النظرات الخاطفة والمنظور بذلك انه ~~والله اعلم~~ اتخذ الدنيا معبراً تناول منها قدر حاجة العابر المستطرق لا المماكث المتمهل، اهضم اهل الدنيا كسحاً، الكسح هو الجانب وهضم الكسح نحوله من طريق الاعراض عن تربية البدن وعدم التوجه الى موجبات السمن، واخصصهم من الدنيا بطناً، خميص البطن ضامرها بعلة التقلل من الطعام، عرضت عليه الدنيا فابى أن يقبلها، لان المقبل على دنياه لاحظ له من ضميره ولامن المعالي التي تراد لكبار العقول والاضامير، وعلم ان الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه وحق شيئاً فحقره وصغر شيئاً فصغره، بغض الله للدنيا وهكذا تحقيره وتصغيره لها لانه لم يعتبرها بالمره لان ذلك نقض للغرض الذي خلقها من أجله لكنه تعالى اعتبرها سوقاً يستطرقه الانسان لاجل أن يتزود منه حاجاته و يخرج منه لغاياته الاخر نعم حق الله وهكذا اهل العقول أكباب الانسان عليها والاخلاد اليها لما في ذلك من الانجرار الى انواع الجنائيات والجرائم كما هو شيمة كل دنيوى من القديم السابق الى الحديث اللاحق، ولو لم يكن فينا، نحن البشر السائر، الأحبنا ما بغض الله ورسوله و تعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاً لله تعالى ومحادة عن امر الله تعالى، ولا ريب ان الانسان اذا أقبل على دنياه اقبال الشره المنهوم كما عليه القسم الاوفر من الناس كان محبباً لما أبغض الله ومعظماً لما صغر الله ورسوله لانشغاله عن الحقائق بالتوافه من ناحية ولانسياقه من طريق ذلك الى الجرائم والمعاصي من ناحية ثانية والشقاق هو وقوع كل من الطرفين في شق عن الآخر وهكذا المحادة هي وقوع احداً الموجودين في حد والآخر في دأخر ويراد من كل منهما

البعد الشاسع بين المربوب وربّه والمكلف ونبيه ﷺ :

واقْد كان ﷺ يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويردف خلفه ، المراد بالاكل على الارض هو التواضع بالجلوس عليها ليكون كأحد المعوزين من اتباعه وليس للعبد جلسة خاصة به كما يقال ولكن روحه المهنقرة عنده لاحتقارها عند المتفرعين تاجمّه ان يجلس جلسة خافتة خالية من كل ابهة وتقيّد وكذلك كانت جلسته ﷺ خالية من كل ما يشعر بالعظمة والتزمت وخصف النعل ترقيعه و يترفع المعتدون بانفسهم عن استعمال المرقع لكن المنكرين لذواتهم المادية لا يرون في ذلك عاباً ولا ريباً ان من تصدى لخصف نعله قدأ بعد في التواضع واغرق في هضم النفس وهكذا يقال في لبس الثوب المرقع و تصدى لابسهُ لترقيعه بيده و كان المتبخثرون يعدون لانفسهم المراكب الفارهة ولكن المثاليين اكسر نخوتهم لا يترفعون عن ركوب الحمار العارية ولا أن يرد فوا خلفهم اعلاناً منهم المجامعة بأن الشرف لا يتأتى من طريق هذه التواضع وانما يكون بالمعالي الحققة من حسن المؤاخاة وبذل المواساة وشريف التفقد للضعفاء وجميل الاحسان الى الفقراء وما الى ذلك ، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبه عنى فانى اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها :

لاشبهة ان من وظيفة العاقل ابعاد جوارحه عن ما يوجب تهيجها فان الانسان حيوان فى نفسه فاذا اكثر من حشرها فى المغريات شق عليه كبتها و اخضاعها و هذا من النبى (ص) تعليم لامته و خير العلم ما كان تعليمه من طريق العمل والا فما اكثر الالفاظ المزوقة تساق ولا يكون لها اقل اثر فى الروح ، فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رباشاً ولا يعتقدّها قراراً ولا يرجو فيها مقاماً وكذلك من ابغض شيئاً ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده .

لاشك ان تهذيب النفس وتحصيل شرائف الاخلاق و خدمة النوع وبسط الخير العام فى العموم موقوف على اعتبار الحياة مجال عمل و استثمار منه وذلك ما يوجب ان لا يزن الانسان شهوته الابما يتقاضاه قيام البنية و احراز المشاط للقيام بالوظائف

اللازمة و ما دام الانسان بصدد اكله و شربه و التنوع بفنائه و طعامه و ملبسه و مسكنه و شهوته و زغبته لا يعود يرجى منه خير اصلاحه ولا اصلاح المجتمع و اذا فسد الافراد في انفسهم انهار الاجتماع بلكه و عاد الراعى و الرعية اسمين مجردين عن كل حسنة فلا ترى سوى الجانى المتجرم و لا الرعية الا ظالماً و مظلوماً و غابناً و مغبوناً و لا حياة مع هذه الروحيات و كل ما جاء عن المقدسين من هذا القبيل فهو لتعديل جانب النظام العام والحياة الكلية العامة ، ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدل على مساوى الدنيا و عيوبها ، في نفسها من ناحية لاقتنائها بالحرادث والكوارث و من افساد الناس لها بشتى الصور والالوان من ناحية ثانية ، اذ جاع فيها مع خاصته ، لم يجمع رسول الله ﷺ لقصر باعه عن تناول من حطامها و لكن لحاظ المواساة و واجب العاطفة بالتفقد للضعفاء هو الذى اجاعه و اخلى يده و اختصاه بالله هو الذى جعله جائعاً اكثر مما جاع غيره ، و زويت عنه رخارفها مع عظيم زلفته ، لم يزوها عنه الا الاعراض عنها بالا نشغال بما سواها من تربية اجتماع صحيح و تحكيم اخلاق فاضلة بين الناس وكما قلنا آنفاً قربه من الله هو الذى أحال منه انساناً ذائباً في الحق فانيافى الله ، فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمداً ﷺ بذلك أم أهانه فان قال أهانه فقد كذب والله العظيم بالافك العظيم .

لان الله يعز كل تقى و يبر بكل وفى و يعظم كل مثالى فكيف يتقصد بالاهانة انبى عظيم من انبياءه كما ان الزاهد و العابد لا يريد ان يزهدهما و عبادتهما ان يحطما من كرامة انفسهما بل يريدان سموها و علوها من طريق صحيح بالا استغناء عن كل اشياء الناس ما استطاعا الى ذلك سبيلا و بخدمة الناس ما وجدوا ذلك طريقاً ، وان قال أكرمه ، لان من وظيفة الله اكرام عباده المتقين و خاصته المقربين ، فليعلم ان الله قدأهان غيره حيث بسط الدنيا له و زواها عن اقرب الناس منه ، ليس المنظور انه تعالى تقصد بالاهانة لمن بسط له الدنيا و قسم له النعيم لان ذلك توهين من غير حقه و لغير مستحقه و لكن المنظور انه سبحانه باختباره بعض عباده بالغنى المغوى لمن تهتك من طريقه و النعيم المغرى لمن استجهل بسببه قدأهان ذلك العبد اذ لا ريب ان كافة الاختبارات

مقدمات السعادة و الشقاء و لكن باختيار الانسان نفسه لواحد منهما ، فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مواجهه ، هذه الجمل بمنزلة شرطيات محذوفة اداة الشرط و التقدير ان المكلف اذا تأسى بنبيه و اقتص أثره و دخل مداخلة فقد أحرز النجاة ، و الا فلا يأمن الهلكة فان الله جعل محمداً ﷺ علماً للساعة ، اى شاخصاً يستدل به على يوم القيامة ، ومبشراً بالجنة ، المطيعين ، ومنذراً بالعقوبة المعاصين ، خرج ﷺ من الدنيا خميصاً ، اى ضامر البطن لزهده بما لا ذها ، وورد الاخرة سليماً ، من أدرايتها وسيئاتها ، لم يضع حجراً على حجر ، اى لم يبن فيها بناء له قيمة ليتمتع بسكناه ويلهو بدنياه ، حتى مضى لسبيله ، وهو الموت الذى هو سبيل كل حى ، واجاب داعى ربه ، و هوداعى المنية ، فما أعظم منة الله عندنا ، اى علينا ، حين أنعم علينا به سلفاً ، سابقاً وقدوة ، تتبعه وقائداً نطأ عقبه ، اى نقص أثره ، ولا ريب ان القائد المحنك والمرجع المهنذب والمقتدى المؤمن والزعيم المخلص من أعظم المواهب فى الحياة على بنى آدم لو التفتوا لذلك وعقلوا غايته :

ثم توجه ﷺ الى ان متاع هذا النبى العظيم لم تذهب سدى بل أمرت ثماراً لها قيمتها فى المثل العليا وتعرفت من ﷺ لنفسه خطفة بانهم من خريجى هذه المدرسة العامرة بل هو لى التحقيق فذ لا ند له فى الاقياس منها والتمسك بتعاليمها والعيان الذى أصعر به يكفينا عن اقامة البرهان ، والله لقد رقت مدرعتى ، المدرعة لباس بمنزلة الدرع للابسه ، هذه ، اشارة الى ما هو لابسه فعلا حين كلامه ، حتى استحييت من رفاعها ، اى ترقيعها الكثرته ، ولقد قال لى قائل الاتبذها عنك ، اشعاراً بانها الاشياء ، فقلت اعزب عنى ، اى ابعد ، فعند الصباح يحمد القوم السرى ، مثل يضرب للمقدمات التى بلوح عليها اثر التعب والمشقة ولكنها تأتى بالنتائج المهمة و المطالب المثمرة و ما قاله ﷺ حق لامية فيه وأحسن شواهد هو ﷺ فقد أصبح قبلة انظار العالم موحد ومملوحد من جليل أعماله نيك واما جزاؤه عند الله فنحن قاصرون عن توصيفه وما أعد الله له والحديث عن زهده ﷺ خارج عن حدود الاحصاء :

ومن سوء الحظ ان تذهب تعاليم هذا الاستاذ العربى ضياعاً على اهميتها فى رشد

الاجتماع وتصبح المادة السوداء التي هي ام الرذائل و الخطايا المقياس العملى الذى يسير عليه الناس حتى اجترفهم حب المادة فى المعاش الى اتخاذها معبوداً فى المبادئ العقائدية فأصبح العالم الاماخذ منه مادياً فى معتقداته ومادياً ايضاً فى معنوياته : وفى تفصيل هذا المجمل نقول : البشر المتمدين اليوم مادي من ناحية بمعنى انه لا يرى فى الوجود مؤثراً سوى المادة ومادى ايضاً بمعنى انه لا يرى للمعنويات معنى راها وان ما يعرفه الاخلاقيون للناس صرف اتخاذاات وعادات : وقبل كل شىء يلزم ان ننظر ان هذا المرام علمى واقعاً بمعنى ان العلم هو الدافع للقوم الى ذلك اوانه أمر آخر يرتبط بالعرض الشخصى والهوى النفسى :

لاشبهة ان البشر فى اولياته كان قليل التشخيص المحققة لقله تدرجه فى الكون والكونيات و بساطة ادراكاته لغاية بعيدة ومن هنا كان يستطيع المشعوذ ان يهيمن بنزعبلاته على امة بأسرها فيتزعم عليها أخلاقياً وعلمياً وهذا المعنى نراه جلياً حتى فى هذا العصر فى الامم التى وصلت حديثها بقديمها كالعشائر الشرقية ونوع العناصر الهندية ومن كان على هذا المنوال فان الذى يزاول هؤلاء الناس و يتعرف بماهم عليه سواء أكان مرتبطاً بعالم أديانهم ام برسومهم و عاداتهم يدهش اماهم عليه من مبدأ وعقيدة وعادة لا يتخلف عنها الاشاذ فى نظرهم منحرف فيما عندهم :

و بأتمس من هذه الصورة كان الغرب والغربيون فى عقائدهم وعاداتهم وأخلاقهم ونفسيانهم والثقافة كالأوحشية ايضاً قديمة فى الكون فان الذى يقرأ عن الامم البائدة ويرى آثارهم الشاخصة بعدهم اعم من ان تكون آثار صنعة ام آثار علم ومعرفة لا يتخاوجه شك فى ان الثقافة عريقة فى الوجود اصيله فى الامم السابقة ومع ذلك فهى فى طرف ضعيف بالنسبة الى فشو التوحش و قوة نفوذها فى العناصر والعصور مضافاً الى أن الثقافة فى الصنائع لاتنافى التوحش فى العقائد و الاخلاق فرب صانع ماهر من حيث الصنعة لكنه فى العلميات العقائدية والاجتماعية و الاخلاق بربرى لدرجة وبالعكس ربما تلاقى استاذاً خريئاً فى علوم جممة لها قيمتها بين العلوم النظرية لكنه عامى صرف فى تفسير الصنائع يعجب اشد العجب من أثر صنعة يلقى بين يديه كقفل ظريف او باب جميل :

والشرائع التي قام بها دعائها حتى لو اغفلنا النظر عن سماويتها وانها صادرة عن مبدأ علم فياض واعتبرناها شرائع اخلاقية نهض بها رجال مثاليون اتحفت بهم الفرص المناسبة أعصارهم ومعاصريهم فانها لم تبق بعد موت الدعاة على ما جاء به الدعاة بل نراها متحللة ذائبة في جملة اوهام تزيد عليها اضعافاً مضاعفة ويكفيها في التذليل على ذلك ما تجده من الانحراف الواسع فيما هو منسوب لليهودية والنصرانية وغيرهما حيث ينبوعن النسبة الى الخالق من كثير تفاهته كما ينبوعن النسبة الى العقل لبعده عن محيط العقل وادراكه وعن الفن لتكذيب الواقع له فتمحيص العقول لهذه الاوهام سواء أكانت منسوبة للديانات السماوية ام الفلاسفة العقلية والفنية وطرد هالها عن ساحة الصدق ووقوفها على جملة من أسرار الطبيعة هو الذي ألوى باهلها عن الحقائق الشرائعية والاخلاق الاجتماعية مرة واحدة فراحت تنكر السماء الامن طريق شمسها واقمارها وتنكر الارض ايضاً الامن حيث ما يدب ويدرج عليها ويكون وينبت فيها : فمن هنا حكمت المادتان في دنيا اليوم المادة في قبال الله و المادة في قبال المعنويات وسمى العالم الراضح تحت اعبائهما عالماً متمدناً وبذلك شطب بقلمه الاحمر على كل عقيدة وخلق فاضل و أقبل بكل ضراوة يلتهم الارض والسماء مرة بالاغفال و اخرى بالقصف العنيف:

لكننا يجب علينا ان ندرس هذه الاوضاع درساً متقناً حتى اذا تميزنا ألغث فيها من السمين اخذنا بالسمين ونجافينا عن الغث حتى نكون قد خدمنا انفسنا بذلك خدمة صادقة:

يقول الماديون بمعناهم الاعم ان كل ما في الكون من مواليد و حوادث لا ربط له بما وراء الطبيعة بل هو من المادة و الى المادة و أطالوا الكلام في هذه القضية كل بما يتزعمه و يراه لكن وقوف بحوثهم في نهاية المطاف على الصدف و الاتفاقات مما فضحهم في هذه الدعوى لعقم ارجاع ذلك كله الى فعل الطبيعة وفيه من الاختلافات الجوهرية بين الفرد و الافراد عن النوع منسوبة الى نوع آخر وعن الجنس بالنسبة الى جنس ثانى وهام دوايك ما لا يخفى مضافاً الى عجز نظرياتهم و بحوثهم

عن تعليل كل ما فى الكون من انسان وحيوان ونبات وجماد وشموس واقماروما الى ذلك بل و اعترافهم بالعجز صريحاً و التجائهم الى قوى اخرى غير ما يدركونه من المادة والطبيعة :

فكون هذه المواليد على تشتتها الغريب وتنوعها الفائت عن حد الاحصاء وتناقضها فى الجوهريات فضلا عن الاعتبارات والقشور مما لا بد فى تعليله من قوة قاهرة وان المادة من صنعها غايته ان هناك تشكيلات للقوم بالنسبة الى مقدار حكمة تلك القوة لانهم يرون اموراً تخرج عن الضبط منافية بظاهاها للصدور عن وجود حكيم يضع الهناء مواضع النقب ويمشى الكون على المصلحة اللازمة بما ينفع ولا يأتى عنه اقل ضرر: لكن هذا المطلب قد أجبنا عنه مراراً فى الحلقة الاولى من هذه السلسلة فلا تعرض له بعدما اسلفنا بيانه وفصلنا قرآنه :

ويزيد الكمونيست مضافاً الى تقبلهم لقول الماديين ان كلية ما فى الكون من سياسة وحقوق واخلاق وصنعة وادب ومذهب ودين وعلوم وافكار تابعة للوضع الاقتصادى المبتنى على المعامل والعوامل المولدة للمال باستخدام منابع الطبيعة و هذا الكلام بلونه هذا زائف لدرجة لما فيه من الاقراط والتعدى عن حدود المنطق فان الماديات وان كان لها نفوذ فى اعماق البشر لتوقف معائشهم عليها الا انها ليست بهذه المثابة بحيث تكون منطلق كل شىء فى الدنيا والمحور الوحيد لاجميع ما عليه الانسان من نفسية وخلق وغريزة فان الالباء عن تحمل الضيم بما يرجع الى الناموس او الحيثية من الغرائز المندكة فى الانسان المتبطنة اشراش وجوده وليس باعتهاحب المادة كما انها ليست من مقولة الاقتصاديات بالمرّة وهكذا التعاضم بالنفس والتعزز ونظيره الالتزام بخط الورع والعفة والصدق والامانة والعدل والانصاف وغير ذلك مما لا ربط له الابترية الروح تربية بعيدة عن المادة والماديات :

فالترام الكمونيست بان صلاح الدنيا بخافقيها بل قوام العالم موقوف على الاقتصاد وحده التزام زائف لا قيمة له : ومهما يكن من شىء فان الاعتزاز بموقف الاقتصاد من الجامعة لا يسوغ التهجيم على الاديان وعالم الاخلاق وان يكن فى الاديان موضوع الملك

الشخصى وتقريره فذلك من ضرورات العقل والفطرة كما يسوغ انكار الاخلاق الفاضلة وموقفها من صلاح الجوامع وتأمين حقوقها الداخلية والخارجية بل هي نعم العون على ترعرع الاقتصاد وتحسنه .

ويجب علينا ان نتعرض للقول عن مدارس الفلاسفة فان فى شرح ذلك تقوية لما سلف وتمهيداً لما يجىء من بحوث فكرية عقائدية : فنقول : مدرسة الامان باليسم الديالكتيك : بمعنى المادية على أساس التغير والتحول يقول (هرقليط) مؤسس هذا المسلك ان جرى العالم بمواليده واوزاعه نظير جرى الماء فى النهر فكما ان الانسان المستحم فيه لا يستطيع الاستحمام فى ماء واحد الا مرة واحدة لان المرة الثانية والثالثة وما بعدها قهراً تكون بماء جديد غير الاول وغير الثانى كذلك حوادث العالم واوزاعه غير قابلة للتكرار : وعلى ان هذا الفيلسوف قائل بتعميم هذا التغير والتحول بكل مادي يفرض قائل ايضاً ان على رأس هذا الكون المتصرف المتغير عقلاً الهياً - ثابتاً لا يتغير :

والتحوليون يعتقدون ان حوادث العالم وموجوداته على تحركها وتحولها مربوطة بعضاً ببعض والقوانين العلمية و الافكار و الصور الذهنية والناس جميعاً مشمولة لهذا المعنى التحولى وهذا المعنى مسلم للجميع على انه بديهي ايضاً لكن الكلام فى ان هذا التصريف والتحويل بيدى حاكم مسيطر عند هذه النقطة تشعبت الطرق والآراء :

فيقول الفلاسفة المعنويون اننا لانرى وراء الروح المجرد والصور الذهنية حقيقة اخرى وكل ما يعبر عنه بالمادة مما هو خارج الذهن ليس الا خيالاً مجرداً عن الحقيقة وينظرون لذلك بأن الانسان يرى فى منامه سلاسل من القصص والرؤى وهو فى عالمه النومى بحسب كل ذلك حقيقة مع انه ليس فى الواقع الا نقوشاً و صوراً ذهنية ونحن فى عالم يقظتنا نظير النائمين فيما يرون ولاهل هذه العقيدة أتباع ولهم عليها استدالات :

- منها - ان الذى يدعى الوجود للمادة يستدل عليه بما تدركه حواسه الظاهرة فى حال انها تخطأ كثيراً فتحكم السامعة بانها سمعت كذا صوت والحال انها تخيلت ذلك خيالاً وترى الباصرة شخصاً فتحكم بانها كذا شيء والواقع خلافه وانما الذى رآته فحسبته

فلان شيء هو ما خيلته لها المخيلة و هكذا في بقية الحواس مضافاً الى أن الخيال والصور الذهنية لها كل الاثر في انعكاس المحسوسات : مثلاً :

اذا جاءك انسان وحدثك عن آخر اسوأ الحديث و انت ممن تطمئن الى من حدثك ولا تعرف عن المحكى عنه شيئاً سوى ما دخل عليك من طريق هذا المخبر فبعد استقرار حديثه في نفسك اذا صادفك المحكى عنه يوماً وعرفته انه هو فلان ترى نفسك تنظر اليه الا كما تنظر الى البهيمة الضاربة الفاتكة وتجد منظره في حاستك منظر قبيحاً تتجهم له انت في نفسك :

و نعكس هذا المثال فترى المحدث نفسه بعد ازمان يحدث عن هذا الانسان بانه تاب وتحسنت حاله حتى صار مثالي زمانه في كل حسنة ويصادفك الانسان المزبور بعد تشبع روحك بالحديث المذكور فلان ترى حاستك تنظر اليه الا كما تنظر الى ابهج المناظر وأحلاها فناظر واحد الى منظور واحد ترى رؤيتين متضادتين في حال ان السحنة واحدة لم تتغير و ذلك كله من تصوير الذهن و الا فالخارج واحد لم يتغير ان ثبت للخارج واقعية وعلى هذا فليس جميع ما يتفوقه المحبون من طريق حواسهم الظاهرية من محبوبيهم وهكذا جميع ما يكرهه الحاقدون من طريق حواسهم الظاهرية ايضاً ممن يكرهونهم :

ومنها : أن من المسلم كون الموجودات الخارجية لا تتركز بخارجيتها في مناطق اذ هاننا و متى تركزت في اذهاننا فهي ليست بوجودات خارجية لان الذهن لا يوسع الموجود الخارجي الذي ما وسعته ملايين الكيلومترات فالرابط بيننا وبين ما يدعى له وجود خارجي هي النقوش الذهنية التي هي الدرب الوحيد لنا في اتصالنا بما يقال له الخارج اذن فاتصالنا وارتباطنا انما هو بالنقوش والصور الذهنية فقط ولا طريق لنا الى الخارج سواها فمن اين نعلم ان في الخارج وجودات محكية لما في اذهاننا من نقوش وصور نظيران يعطيك انسان أفلاما يدعى انها ملتقطة عن وجودات متركرة في الخارج فتقول في نفسك ما الداعم لصدق ما يدعيه فقد تكون هذه الصور محررة بريشته مخلوقة لخياله :

هناك عدة منطوق المعنويين واكثر ما حرروه صحيح الا انه لا يهدم المادة ووجودها الخارجى قطعاً لاننا استدلل على المواد الخارجية بانارها القطعية نظير احتراقنا بالنار و غرقنا بالماء و استظلالنا بالجدران الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى والنار الذهنية لا تحرق وتصور البحر لا يفرق والخيال لا يمنع حرارة الشمس الحادة وهلم دواليك :

ويقول الماديون : اننا لا نرى خارج محوطة الطبيعة وجوداً لما سواها وكل وجود اوقوة يفرض خارج الطبيعة فهو مزعوم لا اثر له فالعالم كما كنهة يحرك محركاتها سلسلة علل فاقدة للشعور والمهدف مع ان الماكنة المصنوعة لم تصنع الا على خارطة قبلية منقوشة فى الذهن قد أجهد صاحبها اقواه فى انجازها واستهدف منها الطحن او الخياطة او جر الماء الى ما سوى ذلك و لكنهم يعتبرون ما كنهة الطبيعة التى ليس اعظم منها شىء بل لا يحاذيها اعظم شىء وجدت جزافاً بلا صانع حكيم ولا مستهدف عليم بل انما صارت و تحركت محركاتها من طريق الصدفة والاتفاق واخذت تعمل عملاً جنونياً لانعمد فيه الى غاية لان الغاية انما تقال لمصنوعات العاقلين : المادة ازلية ابدية لا اول لها ولا آخر ولا فرق بين الانسان والحيوان فى كافة الفروض : والادراكات الانسانية وليدة ارتعاشاته العصبية ليس غير : و لا ريب ان نفس تقريرهم السابق الذكر يزيف جميع مدعياتهم الا خيرة لان الذى يعترف ان ما كنهة الخياطة على بساطتها بالنسبة قاضية من نفسها على نفسها ان لها صانعاً عاقلاً قد استخدم أفكاره ازماناً للتوصل الى انشائها و استهدف بها هدفاً معيناً كيف يجوز له ان يهمل عالم الكون والكونيات على ما فيه من عجائب وغرائب تفوت حد الاحصاء ويدعى فى وجوده وحالاته وبرامجه العظيمة مجرد الصدفة والاتفاق لعمرى ان ذلك قول لا استطاع هضم القليل منه فضلاً عن كثيره :

وفلاسفة ما وراء الطبيعة كما انهم يعترفون بوجود المادة فى الخارج يعتبرون خارج هذا الوجود وجوداً للعقول والافكار و الارواح المجردة فهم باعتقادهم هذا قد حذفوا افراط الماديين فى المادة و انه ليس فى الوجود شىء غيرها وتفریط المعنويين المنكرين للمادة بالمرّة وان كل ما هناك نقوش ذهنية وصور فكرية ليس غير : اعترض الماديون على القائلين بما وراء الطبيعة ان الامر المهم الذى يقودكم الى الاعتراف بما

وراء الطبيعة فضلا عن موضوع الخالق و انه يجب ان يكون مجرداً عن المادة و
الماديات بعيداً عن كل ما يوجب الاحتياج و التركيب هو ادعاؤكم لوجود العقل و
الفكر وانهما ليسا ماديين في حال ان الفكر له ارتباط مستقيم بالمادة الرمادية الموجودة
في المنع وان الامور التي يتداولها الفكر مأخوذة عن الخارجيات :

مثلا اعتراف العقل بان مضروب اثنين في اثنين ينتج اربعة في التصور
لان منشأ ان البصري يرى في الحس ان مضروب عددين خارجيين كرماتين مثلا في
مثلها ينتج اربعة وان البياض ضد السواد وان يستحيل اجتماعهما في الخارج في آن
ومورد متحدين لان البصر يدرك كذلك ان الشيء الواحد بكلمة في آن واحد يستحيل
ان يرى اسود ابيض : وان الظلم قبيح والعدل حسن لان الحقوق التي يراها الانسان من حقه
في طول ما هو مكتشف به من الماديات و من جماتها الحرية التي معناها عدم الضغط
عليه ان حصلت له من الاغيار عد ذلك عدلا وحسناً لان فيه ترفيهاً عليه وان منع منها
عد ذلك ظلماً وقبيحاً لان فيه تضيقاً عليه وعلى كل حال هذا ونظيره مما يسمونه مستقلات
عقلية مأخوذة عن الخارج وطريق اتصالها الى المنع هي الحواس و القوى الموجودة في
مادة الانسان :

ونحن نقوى قولهم في كل حكم للفكر له مادة في الخارج من طريقها استفاد
حكمه الايجابي او السلبي على الشيء اما الاحكام الفكرية التي لا مادة لها في
الخارج و لا استفادتها جاءت الى الفكر من طريقة فلا يجوز نسبة تولدها و انبعاثها
الى المنع والمادة الرمادية التي فيد ان لا طريق من المادة في نسبتها الى المنع الذي
هو مادي و ذلك نظير القضايا الفرضية و حكم الفكر عليها باحكام منطقية كقوله صدق
الشرطية لا يتوقف على صدق طرفيها مثل ان نقول لو كان الاشياء شيئاً لكان مفهومها
موجباً و كقوله المفهوم اما ان يكون واجب الوجود او ممتنع الوجود او ممكن
الوجود وآلاف سوى ذلك من احكام المنطق و الفلسفة فان الدوافع التي تدفع الفكر
الى ان يحكم بهذه الاحكام ليست في الخارج المادي ولا هي قريبة الافق منه :
نعم لا شبهة في أن المواد الخارجية والمنع والمادة الرمادية وسائر منابع الحس

فى الانسان من الاعدادات القوية لتوليد المباني المنطقية والفلسفية العقلية واما ان هذه المباني على طولها و عرضها نقوش عن الاجسام والاحوال الخارجية المادية ترتسم فى الدماغ و تتفاعل التيارات العصبية الدماغية فيها فنتج منها تلك النتائج فذلك ادعاء جنونى محض لا قيمة له : اذن فما وراء الطبيعة الملموسة له وجود عرضي :
 اللا أدريون : قوم يهوون التفلسف و لكن قصور معلوماتهم و ارتباك أفهامهم يوردانهم فى حيرت و يوقعانهم فى ارتباكات يكونون من جراءها كفاقد الشعور بالمرّة و منشأ ذلك فيهم انهم يرون الحواس الظاهرية كثيرة الخطأ و كثيراً ما توقع فى خلاف الواقع و يرون ما يسمونه معقولات كثيرة التضارب و التهافت فالفيلسوف الموجب للشئ من طريق العقل فيما يدعى يرى من معاصره الفيلسوف الاخر نفيّاً لما اوجب من طريق العقل ايضاً : و يرون اصولاً عقلانية مسلمة فى دور يأتى عليها دور علمى آخر يزيحها حتى عن احتمال الصحة و يدفعها عن العلم الى الجهل و هم لما ايسوا من تحكيم مشاعرهم استراحوا الى اللا أدرية المطلقة :
 و يجدر بنا ان نوازن بين مبادئ الاسلام الذى هو شريعة سماوية و بين مبادئ الانسان الذى يجيز لنفسه ان يجيء مقنناً للنوع البشرى بما هو عاقل مفكر و نقول تحت عنوان .

الاسلام والمبادئ الارضية

لا بد لنا ان نتجا فى فى بحوثنا الآتية عن مراعاة ما وراء الطبيعة مبدء و معاداً و نختمس بهاعما يلزم الحياة الانسانية من سلب و ايجاب بمدرك العقل الناضج والاعتبار الصحيح و التجارب القاطعة لتلتقى بالافراد بماهم يعقلون لا بما هم اناس مبدئيون : ثم بعد ذلك يتجلى موضوع الموازنة بين مبادئ الارض و مبادئ السماء :
 فنقول منذ كان الناس و الى ما يقدر لهم من بقاء كانوا اوزاعاً فى العقيدة فرعيل و هم الاوفر عدداً يرون وجودهم و ما يحيط به فى قبضة ما وراء الطبيعة و ان تصر يفهم فى كل شئ منوط به و رعيل لا يرون انفسهم الاموجودات تتفاعل على نيل الحياة كل و ما يتفق

له من دون ان يكون في البين منشأً لذلك اولا اقل من التشكك فيه غاية ان الالحاد في القديم كان منشؤه ما يرى من منافيات الحكمة بظاها اما الالحاد في دوره الاخير فانه لم يقتصر على ذلك بل دعمته نظريات علمية فيما يقال كنظرية النشوء والنماء و تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي ومالي ذلك مما اسلفنا شطراً و افر آمنه في الخلقة الاولى من هذا الكتاب لكن البحوث العلمية ابطلت هذه المزاعم وحدّ الاقل بايقافها على حد غير منتج ولا مثمر في تعليل الحياة والاحياء والارواح و العقول بل وحتى الجمادات ايضاً على ان هذا المعنى ان حاول ان يقوم بشىء فانما هو ايجاد الحيرة امام عالم الخلقة على انه مفند بما اسهبنا البحث عنه آنفاً ولا يسوغ لنا ان نعتبر الاخلاق الفاضلة من الحياء والوفاء والصدق والرفق والعفة والورع ومالي ذلك ناشئة عن ضعف النفس وان الانسان القوى الارادة لا يابق به ان يكون حياً وفيأ صادقاً رقيقاً عفيفاً ورعاً كما لا يابق الحيوانات ان تكون كذلك وان كل ما في الوجود مشاع لبني الارض لا يختص منه بانسان ما يزيد على حق انسان آخر وان الحروب الشعواء فضل على البشرية لانها تنفى وجود الضعيف و تبقى القوى - كما يرى الماديون ذلك كله - بل ادنى اعتقاد بما اسلفناه عنهم مما يشوه منظره الدنيا ويحيلها الى اضطراب مستمر وقناء دائم وانشعاث غير قابل للتم:

وبعد هذه المقدمة يلزمنا ان ننظر الى الاسلام بالنسبة الى مبادئه الحيوية ونقابل بينها وبين ما يرومه الماديون: فنقول موجزين الاسلام جمع كافة قوانينه وتكاليفه تحت عناوين اربعة: العبادات: العقود: الايقاعات: الاحكام:

واراد بقسم العبادات كل عمل أنيط بالمكلف مشروطاً عليه ايقاعه متقرباً به الى الله خالصاً اوجهه وقد اضطمت دفنا هذا القسم على عبادات فردية نظير الصلاة فرادى و الصوم وعبادات اجتماعية نظير الطهارات والصلاة بجماعة والزكوة والخمس والحج و الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

اما القسم الاول الذي سميناه عبادة فردية نظير الصلاة فرادى والصوم فهو في نتائجهم وثمراته قد لا يقل في رشد الاجتماع عن القسم الثاني فان المصلى عن معرفة بصلاته يستحيل عليه ان لا يتأثر بمضامين ما احتوت عليه من تذكير وتنبيه وعظة وارشاد اذا تركز في

فيه هذه الروح المطمئنة كانت نتائج معاشرتها كل فضل وخير وهذا ما يعود الى الجامعة قهراً : وهكذا اذا كان صوم الصائم عن تعرف به وبأسباب تشريعه فانه يخلق من المكلف انساناً محسناً ملتقناً الى ضعف الضعفاء وبؤس الاشقياء من بنى نوعه :

واما القسم الثانى الذى سميناه عبادة اجتماعية فدخله وفائدته فى الاجتماع غير خفية : اما الطهارات من الاحداث الكبرى والصغرى ومن الاخبثات على تنوعها ففائدتها فى الاجتماع تركيز النظافة فى داخل البيوت وخارجها ودخل هذا فى الصحة وترعرع الحياة ودفع الوباء والامراض مما الاسترة عليه واما الصلاة جماعة والحج ففائدتهما فى الاجتماع تركيز الاتحاد ويجاد الوحدة والالفة بين الافراد وطرده الانانيات الموجبة للامتياز وجلب التحبب والتعرف بين بعض وبعض وكثرة المواصلات وشيوع المعارفات فى جامعة القرية والقصبة والبلدة و العاصمة وفى مثل هذه الاجتماعات تيسر الخطب البليغة الاخلاقية والمواظب الارشادية وجمع الاعانات للضعفاء والمساكين وتعريف الضوال واللقطات و تحصيل مثل هذا الهدف مما يبذل له المتجددون كل وسعهم ولا يصلون الى طرف منه :

واما الزكوة والخمس ففوائدهما فى الاجتماع بمعاونة الفقراء والمساكين و ابناء السبيل والمغاريم والعجزة والاشراف الاعفاء الفاقدين للبضاعة والمرضى و المقعدين والارامل والايتام واهل العاهات والمبتلين والقيام بالمصالح العامة من مدارس ودور ايتام وجسور وسدود وعشرات سوى ذلك ما لا يحصى :

واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدخليا فى الاجتماع من طريق الارشاد الى فعل الخير وترك فعل الشر باللسان والقلم واليد والدرهم والقدم و بكل وسيلة يمكن الاتصال من طريقها باشاعة فعل الخير فى الجامعة وتقليل فعل الشر ما لا يعادله شئ مثله :

واما الجهاد فهو قاعدة حفظ الافراد و الجماعات و احراز حرياتهما وحيثياتهما و اموالهما ونواميسها وعقائدها ومائتها و ترابها وماغزى قط قوم فى عقردارهم الاذلوا وقلوا وهانوا وباروا وبطلت كافة حقوقهم وصاروا طعمة للاغيار ولقمة باردة تسيفها بأدنى مضغ : فهذه الامور التى رصد لها الشارع ووظفها على عاتق المكلفين فيها كل العز و كل الاحترام و كل صون لكل حق و امامت فى بادئها احوالت من الدنيا امة ذات عدة و عديد

واحترام واکرام وسعة يحكمها افراد لا يعتزون بانفسهم ولا يرون لها تفاوتاً على الغير وعلى اثر ذلك بذخ هذا الاجتماع ما استطاع وانحصرت دولة الدنيا به في كل شيء :

نعم لما أهملت هذه المشاريع الجبارة جاء الى الناس الظلم والزور والضغط وتنزل الحيثيات وتفكك الاواصر والذل والهوان من كل جهة ومكان وصارت الدنيا من ملاعب الاراذل والمتهتكين :

واراد بالعقود كل امر يرتبط بمعيشة بني آدم ويتوقف تقريره وثبوته على ايجاب طرف وقبول آخر كالبيوع والقروض والرهن والهبات والعواري والودائع والاجارات والوكالات والمزارعة والمساقات والشركة والمضاربة والوصية والنكاح والسبق والحرامة والحوالة والكفالة والضمان والصلح وما الى ذلك واشترط في ذلك كل شرط يؤمن حقوق الطرفين قائم بكل ما يمكن اخذ التدبير فيه بالنسبة الى احقاق الحقوق واراد بالايقاعات كل امر يرتبط بمعيشة بني آدم ايضاً ولا يتوقف الاعلى طرف المصدر للعمل كالطلاق والجماعة والتحرير والوقف ونظير ذلك واشترط فيه كل ما يؤمن حقوق الناس كالسالف:

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

واراد بالاحكام ما يعود لمطاعم الناس ومشاربهم وصيودهم وذباحتهم ومواربهم ورفع الخصومات بينهم وما يرتبط بالشهود والشهادات وحدود التجريات كالزنا واللواط والقيادة والسحق وشرب المسكرات والسرقعة وقطع الطريق ومحاربة الامام والقصاص والديات بما يحفظ للناس نظامهم ومعيشتهم وهدوتهم واستقرارهم بما لا يشذ عنه قليل ولا كثير:

هذا هو الاسلام وهذه هي مبادئه التي جاء بها منذ اربعة عشر قرناً والتي تكفلت بحياة البشر احسن تكفل وصدق هذه الدعوى منوط بمراجعة الفروع الفقهية المتسام عليها والمشهورة بين فقهاء الاسلام:

و اما المبادئ الارضية التي تفرغنت في وجد الديانات ورأت انها خير ناموس لتمشية الحياة البشرية فهي شتات أفكار غير متحدة المأل اوحث بها مطامع انتها زية وحملت بالاعنات على عاتق الجوامع فأصا خوالها بقهر القوة لاختصوا للمنطق واذعاناً

بالحق ولا يرتبط بما ذكرناه ما شاهدناه من زينة العصور الحاضرة و اختراعاتها الجبارة فانها ان تكن بظاهرها جللت اليها الانظار فهي عملاً أركست الجوامع في هوات عميقة لا مخرج منها والدليل عليه انك تأتي اليوم الى ارقى مدينة مثقفة محكومة بحكومة مقتدرة ذات قوانين و محاكم و ادارات مبسطة على آخر نهج استطاعه العصر فتجد فيها من الشحاذين والعيارين واللصوص والزناة واللوطه والمعربدين والمنحرفين علنا و جهاراً ما لا يقوم حساب باحصائه:

وتجد الناس عاشرين المقتدر بنفوزهم والصالف بصلافته والمتمول من طريق رضخه للرشا والضعفاء بكل شقوة ليس بهم استطاعة دفاع اي حادث يتاح لهم : تجدهم عاشرين بلا برنامج بل على صدف انفراجات الاوقات و ضيقها ولا خصوصية لهذا باهم الشرق وان استرذات اكثر فان اعم الغرب لا تقصر عنها غايته ان الغربي لم يعد يرى للمفاسد عيباً فالزنا عنده كالعفة واللواط كالبس فعل عادي و شرب المسكرات كشرب الماء والعريضة كالحالات الاعتيادية و قس على ذلك غيره و لذلك لم يرقه التكلم عن النكات المشار اليها ورضى عن كافة اوضاعه الا ما يضايق معيشته المادية : واما هذه القعقعات من جامعة الملل وعدلية لاهاى ومنشور حقوق البشر فهي بالانتهازات المرموزة اشبه منها بالواقعيات و ان تكن القضية حقاً فاين صد القوى عن الضعيف و احقاق الحق لمستحقه : فالتحول الذى من لازمه الطبيعى هو الترقى من نقص الى كمال نجده فى هؤلاء معكوسا بتمام مفهوم هذه الكلمة : ولذلك فلنقرأ قولنا عن .

الانحطاط في عالم التحول

فنقول : يعتقد علماء الطبيعة على تنوع آرائهم ان كافة موجودات الكون لم تتدرج بالوجود - اولاً - و لم تترق من نقص الى كمال - ثانياً - الا بالتحول و بقاء الاصلح من طريق انتخاب الطبيعة : ونحن لانحاول فى هذه الكلمة ان نبسط آرائهم فى ذلك لترامى اطراف القول فيه ولا ان نغندمزا عنهم بالنسبة الى كثير مما ارتأوه لقصور حوصله هذا الموضوع عن تحمله :

بل نحب ان نبين لعقلاء البشر العائشين في القرن العشرين ان ما يحاوله التحويون
انما نجح في عكس مدعيانهم وهو انهيار الانسان لا تقدمه وتطوير الاجتماعات الفاضلة
لاخذها في النمو والنضوج وارتكاس البشر في الحيونة لا تشبع ارواحهم بالانسانية :
- وذلك - انا نرى فريقاً من جوامع اليوم حيث يعتبرون انفسهم في طليعة الناس
علماء وفهماً و درساً للحقائق و تعترف لهم بذلك ناشئة العصر خضوعاً للمقامات التي
تسئموها لاوقوفاً على غامض الحقيقة ودرراً لما يوجب الخضوع لاهل المعنويات الصادقة
- لا يزالون يتشدقون - باغراق الماضين في العمى والجهل و التوحش و ان الفضائل و
الكمالات التي كانت اسماً مجرداً لم تتناول مفهومها الصحيح وصاديقها الواقعية الا في
زمانهم و افرادهم فقط :

- ذلك - حيث درسوا شؤون المنظومات الشمسية والطبقات الارضية درساً متقناً
لا يعرف زيفاً ولا انحرافاً وجزوا الطبيعة تجزئة ما عليها مزيد حتى انهم استخلصوا
من السائل الواحد عدة عناصر تميز بخصائص جوهرية فضلا عما البسوا أجزاء الطبيعة
التي اكتشفوها حللاً اضافية بسرت على الانسان العيش بل كثرت الرفاه عليه و جمعت
اسباب الراحة و وسائل الارتفاع له حين لم يكن من هذا اثر في السالف : يقولون
هذا و زافة العصور القصيرة في آفاق فهمها و دربتها تسجد لهم اكباراً و تصديقاً :

لكن الواقع الذي لا يصانع نفسه لا يعطى صفة المباينة للقوم جزافاً بل راح
يصدقهم في بعض وينكر عليهم في بعض آخر وازرى بعقولهم في الجنبات المعنوية اذراء
يتفق مع تدهورهم الاخلاقي و ارتكاسهم الفضائل و أفلاسهم من شرائف الروحانيات
اما الذي صدقهم به فهو انهم في ضيلة هذه القرون الاخيرة بذلوا جهودهم في البحث
عن الطبيعة و تجزئتها اكثر من اللازم لكن الجادة التي استنوا عليها لم تكن وليدة
اختراعهم واكتشافهم فحسب فانه ما من شيء بحثوا عنه الا والسلف فيه جولات وصولات
وآثار لا يستطيع حتى المكابرا انكارها فالبحث عن المنظومات الشمسية والطبقات الارضية
كان ولم يبطل العلم المسلح جملة ما قالوه في ذلك بل اجمع ما في العلم الحديث من
حقائق ملموسة اشياء ونظائر أدلى بها جملة من علماء السلف بعد كد عقولهم وأبدانهم في

سبيلها : نعم توجد اشتباهات وفيرة لجملة آخرين منهم وهي نتيجة فقدان السلاح الذي اخترعه الجديد وكماله و هذبه واستعان به استعانة قوية على كشف المخبثات : غير ان الجديد من طغيان الغلوفيه اخذ لا يهاب من المجازفة في كثير ما قاله في شؤون الارض و السماء مما لا وسيلة تحقق له مدعاء لامن قوى الحس الظاهر ولو بالواسطة ولا من ناحية المقياس العلمى المتزن : فهو في اندفاعاته الجزافية هذه لا يقل عن انداعات بعض القدماء في الجرأة على خلق الخرافات :

وهكذا الطب والكيمياء كانا ولم تنسخ العلوم الحديثة فيهما ما تركه الاولون بكله بل فيه من قسم السمين ما صار قاعدة لاستنتاج المتأخرين وهلم دوايك في سائر الفنون الطبيعية والرياضية : وان في آثار الصنعة الشاخصة لحداليوم بعدم رر عشرات القرون كفاية للتدليل على وجود الثقافة البشرية في العصور الخالية وجوداً قوياً : و اما وصول هذه المعارف الى حد عالى من الكمال في العصر الحاضر فهو قائم على سنة طبيعية سنة التوسع بعد الضيق والكمال بعد النقصان في كل محاولة ومزاولة تفرضان وليس الاعجاز الصناعى الذى واكبه من خصائصه بل وصوله الى حد الكمال النسبى صادف دورته وزمانه فله من موجبات الفخر سهم من سهام ولا داعى لهذه المغالاة اصلا :

على أن كل متاع يكون لاي كمال يفرض لاموضوعية له الا اذا قام بالمصلحة ذات النفع وتلبست به العوائد المتوخاة : ففي الحقيقة لأثر لعلم الهيئة بالنسبة الى المجتمع الانسانى وما يحاول له من أمن وأمان و اوضاع هادئة ومعاش مرفهة وسير متزن وكمال اخلاقى : اذ لا يعود يؤثر في اقل طرف من حياته المادية والمعنوية كون الشمس هي الدائرة حول الارض او ان الارض هي التي تدور حول الشمس : و كون عطارد من السيارات او الثوبت وكون القمر اكبر من الارض او اصغر وما الى ذلك مما صرف في سبيل تحصيله طائل مال وأرخصت للاطلاع عليه أعمار وأجيال وتكدست في طريقه قوى رجال أبطال : وأقصى ما يستفاد من البحث فيه هو ما يستفاد من القضايا الفرضية المحضة البعيدة عن التطبيق كل البعد : وهلم القول في اكثر ابواب علم الحساب ومسائله وعلم الهندسة ومسائلها فان حاجة البشر ومهما عظم مقاماً لا تتوقف الاعلى طرف محدود من

ذلك وقس عليه علم طبقات الارض وما وقع على هذا الخط من العلوم القليلة النفع الى درجة الصفر أحياناً:

ولقد أصاب محز الواقع من قال : لابي حنيفة وقد رآه وسط حلقة واسعة من الكتب فسأله عنها ما هي فأجاب بانها في احكام الطلاق : تكفيتم في ذلك آية من كتاب الله - عن هذا الفضول الفارغ :

و كل ما يراد للبشر ما يتصل بحياته المادية و يكون من اثره تأمين سلامته و سائر متطلبات بقاءه وما يقوم بحياته المعنوية التي بها كيانه و وجوده و لها دعوى الانبياء و الرسل و عنها بلغ المبلغ و نطق الناطق و ألهم بعارضة الشاعر و اليها انزوى المؤلف و الباحث و عليها تدور رحى الجوامع الفاضلة :

والهدف الاقصى منها تركيز الاخلاق العالية و الاداب السامية و رياضة النفوس عليها رياضة تستحيل بعد مديد التربية ملكات منطبعة تجاذب اليها الفضائل من دون مؤنفة و تتباعد عنها الرذائل من دون مجاهدة و بذلك يعود الناس اغنياء عن الحكم و المحاكم و ما اليهما : و هل هناك هدف اسمى من هذا الهدف و غاية يرمى اليها وراء هذه الغاية :

و التحوليون الذين يرون ان الانسان لم يحرز كما له الفعلي من الحريات المشرقة و الثقافات الوضاعة و المعائش الرغيدة الا بعد ان قطع عقبات مجاهدة من التوحش و الانهيار لا ندري هل انهم يغالطوننا بما يقولون او يغالطون أنفسهم به :

فان ابواب الوجود مفتوحة على مصاريعها لتناولهم فأين مكان الحرية التي يدعون وجودها للمعوم و هل يرون الحرية قائمة بتعطيم القيود عن الاعتزاز بالنواميس و الاعراض و المحيثيات و الكرامات فذلك هو عين التوحش الحيواني او انها قائمة بالتجاوزات الانتهازية التي أهابت في القرون الاخيرة بكل ضعيف فعبثت به عبث الرياح العواصف برقائق العصور فلم تبق عليه ولم تذر .

واين مكان المنمة بالثقافات التي تغنوا بها الناشئة هذه العصور فهل المنظور بها هو الا لحاد الحاد و انكار كل ما ليس بما كول و مشروب و ملبوس و ما الى هذه

الشهوات فهذه الظاهرة ليست بدعاً في هذا الزمن بل هي شارة الانسان منذ عهده الحجري حيث لم يكن يعترف بشيء سوى ماتدعو اليه ضرورته الطبيعية و هي رجعية مفتضحة و خزي لا اعتذار عندو انحطاط يستغرب في طريق التحول من نقص الى كمال وتوحش الى تمدن :

كان الناس على ماكان فيهم من حملات الاوبئة والطواعين وظلم الولاة وعسف النافذين و شيوع الخرافات وكثرة الارجيف يتمتعون بمثاليين كباروعلماءأطهاروزهاد اخيار و متدينين ابرار لهم مكانتهم المرموقه و تأثيرهم البليغ في جملة من الناس و بتوجيهاتهم اهتدى فريق ائرفريق و تطوع للذب عن الحقيقة رجيل تلورجيل فكان المجتمع محتوياً على الغث والسمين والسخيف والشريف والمعوق والمبطل والوحشي والمهذب والعصاة والتقاة والكل وجهة هو مواليها :

اما اليوم حيث صرخ بوق الالحاد بكافة المبادئ المعنوية و اعتزت الطبقات الراقية بالخلاعات و صرف العلماء المرموقون في دنيا تمدن اليوم كل همهم في اغواء الناس وتضليلهم وتحبيب اللهو واللعب والاستهتار اليهم فلامجال لايمثالي يفرض الافى جحر بيته ولا لاى متدين يكون الا بالشروء بنفسه الى زوايا الخمول واما سائر الاوساط فقد انجرفت بالرغم عليها الى مما شاة هذا النشأ المستهتر المعجون في هواه و تمكن هذا الداء الدوى من تخوم الافراد قاطبة فلاجرم اذا اضيعت الحقوق و تمزقت اشلاء الضعفاء والتايط الكون بما لاأمل باستصلاحه من طريق النقد الفارغ والعتاب اللاذع وان كان اليأس لامجال له مع ارادة الله وهو المستعان :

ومن وصية له عليه السلام : لولده الحسن (ع) سبحان الله ماذا يعطى النبوغ صاحبه فهذا امير المؤمنين اذا حاضر في التوحيد وتحليل العقائد وجدته الفيلسوف المتأله الماهر واذا نطق في شأن القرآن الفيته اعظم فنان في علم التفسير والتأويل و اذا أفصح عن مزايا الاسلام والجهود التي بذلها نبيد في سبيله وجدته اعظم متبطن له لا لانه سبق الى الايمان به فما اكثر السابقين الى اعتناق هذا الدين وكانوا فيه أناساً أشباه عوام بل لانه درسه دراسة عميقة جاءت به اول ديان و اذا وعظ و ارشد انقطع عن الملحوق به كافة الناس و اذا

تكلم عن عالم الخلقة بشتى شؤونه وفنونه بذّ السابقين واللاحقين فيه و اذا ادار لسانه في فمه ناطقاً وجدته كأن الله اختصه باعلا مزايا المفردات والتراكيب ومحاسنها و اذا أعرب عن حقيقة أصاب صميمها حيث غيره عنها بمسافات و اذا استجلبته في الطافه الانسانية وجدته ابا رحيم بكل مخلوق و اذا تحسست عنه في الخيرات والاميرات وجدته محض الخير و صرف المعروف و اذا قارنت النسبة بينه و بين الشر وجدته يتأثر من مفهومه الذهني حيث لا يتأثر من ارتكابه الخارجي أكابر الناس: هذا كله الى جانب زهده العظيم و عبادته الفائتة حدود الوصف و شجاعته المضروب بها المثل واصاخته بالتفويض الى الله على الحوادث المزعجة والخطوب المؤلمة فما اعظمه انسانا و ارفعه شأننا واجله ربانيا نسلت القرون قبله و بعده فلم تأت له بنظر الا في الانبياء اولي المقامات العالية و انت تفرؤه في وصيته هذه ابا معلماً و استاذاً مهذباً و حكيماً بارعاً و دياناً كبيراً لم يوص ولده ليحضه على تحصيل المراتب العالية و لو بدك الباقي كما يفعل الناس و لكن او صاه للانسانية المطلقة و دعاه للسعادة العامة و اراد منه ان يكون اخا للباقيين و حبيباً للعالمين قريباً من الخير والاختيار بعيداً عن الشر والاشرار و بذلك تراه انه اوصى و ائده بالناس جميعاً و لم يوص اليه بنفسه فحسب

الحسنان وعناية النبي (ص) والوصى (ع) بهما

أشاد نبي الاسلام بمقام الحسنين عالم يشد بمثله مقام اي أحد يفرض ماسوى على وفاطمة ومن بعض ما استفاض بل تواتر عنه في شأنهما انهما سيدا شباب اهل الجنة وانهما امامان قاما ام قعدا وليس ذلك من علوق بعض الآباء بأولادهم وأرحامهم فكم للنبي ﷺ من بنت سوى فاطمة وكم له من رحم قريب غير علي بن ابي طالب مضافاً الى جلاله قدره عن أن تميل به العواطف عن مقالة خلاف الواقع : ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى:

فان تشكك مشكك فقال ما محقق هذه العناوين في الخارج حتى تطمئن النفس الى مداليل هذه الاقوال من طريق التطبيق الخارجي وراء التعبد بالعقيدة قلنا اصل

هذا التشكك وارد في كل قانون منسوب الى السماء فان فريضة الاعتراف بالله وانه الواجب الوجود الواحد لكافة صفات الكمال والجمال والجلال لا تلازم لزوم الاعتراف بكل ما نسب اليه من قول او تشريع: وبين مقام العبد والمعبود فجوة واسعة تفقد الرابط الآمن طريق الانبياء والانبيااء ﷺ وان كانوا معززين من ناحيته تعالى بالمعجزات التي تكون قاعدة صدقهم فيما يخبرون عند الآن ذلك وحده لا يقنع النفس بما سوى التعبد المحض اذالم تقف على مستوى الواقع نفسه لتفهم عنه بغيتها التي تحاول كما تفهم عن الاستاذ الحكيم من طريق المنطق ما يحاول تركيزه من حقيقة يدلي بها :

وهذا المعنى في الشرائع يتجلى من طريقين (الاول) من نفس الالمام التام بهوية الرسول المبلغ وان هذا المتاع الذي أدلى به ليس من كيسه لبعده مستواه العلمي عما أصحربه (الثاني) من التبحر التام فيما نسبه للسماء من قوانين و نظم فان وجدته العقل الناضج خصوصاً مع مراعاة زمان المصدر بعيداً عن مستوى العقول النوعية عزيز الاختراع الأعلى مقنن قد لا يسأل الواقع نفسه ولم يأخذه من الطرق المتداولة التي يخطأ اكثرها عن الاتصال به كما انه ليس من اهل التحيز والعواطف التي تجرف صاحبها الى عنصر خاص وجانب دون جانب ولم يدعه الخوف والتأثر الى أن يقول مالا واقع له في نفسه : كان لزاماً عليه ان يعترف بسماويته : ونحن نستطيع تطبيق هذين الطريقين على نبي الاسلام ودعوته باعتبار أنهما آخرنبي وآخر دعوة في الشرائع السماوية فنقول :

أما الطريق الاول فكل مستعرض للتاريخ ليستشف منه حياة محمد بن عبدالله يعلم بالعلم الجازم انه انسان كواحد من قريش من حيث البيئة التربوية والمعيشية لم يستند لنفسه خارج محيطه الذي درج فيه هو واهله ومعاشره ومعاصروه من اهل بلده اكثر مما هو متداول بين مهديهم وكملهم وليس ما جاء به بعد اربعين سنة من عمره من قماش ما تعارف بين معاشره ومعاصريه ولو فرض أن عقله كان يكتض بذلك فلم لم يترشح منه قبل البعثة حتى حرف واحد مما ترشح عنه بعدها على ان زمان بعثته لم يكن فرصة سانحة لابراز مافي نفسه حتى كان بانتظاره فلقد جوبه بالخلاف الشديد لمبدء ثلاثة

عشر عاماً لم يصدقه خلالها الا افراد لا يتجاوزون عدد الاصابع وما استطاع نشر قوانينه
الابعد هجرته الى المدينة حين اتسع له بعض المجال : فمن هنا تدعن النفس ان ماجاء به ليس
من بضاعته وانما هو في قبالتها كآلة مسخرة لاكثر :

و مثل هذا يقال في علوم الائمة الذين كثر عنهم نقل العلم والرواية كالصادقين فان
مستشف حياتهم يحصل له القاطع بانهم ما قرؤوا على انسان ولا اخذوا الرواية عن محدث
أصلاً مضافاً الى ان المعارف الكثيرة الواردة عنهم لا تعرفها ادمغة معاصريهم الا بشيخ
لا قيمة له و اذا انسد طريق اكتسابهم لذلك بالتلمذ والتعلم وجب الاعتراف بان هناك
جنبه غيبية أمدتهم بالالهام فكانوا من طريقه علماء من الطراز الذي ظلموا به :

واما الطريق الثاني فنفس أعمان النظر في مواد قوانين الاسلام ونظمه يشبع روح
الانسان بان ذلك ليس من مخترعات عقول البشر لمجزها عن ابداءه لما فيه من أحكام
وأصابة لمحزّ الواقع بما لا يوجد في اعظم التشريعات حتى بعد مرور آلاف السنين على
تهذيب العقول و تديريتها : والذي ألوى بالتجدد و المتجددين عن الالتزام بها نظاماً
احيانهم هو انجراف هؤلاء صوب المادة الجافة في كل اشيائهم وانكارهم للشعور الانساني
بالمرّة و اصرارهم على انهم لا يريدون على الحيوانات من حيث الطبيعة بشيء و تلك
المنظم انما قررت للانسانية ولم تقرر للمحيوان العامر :

فاذا احطت بذلك علماً فاستمع عن الواقع الذي طالع بالحسنين بما اهلهم ما لان
يكونا امامين قامام قعدا : من سوء الصدق ان النبي ﷺ لم تغتمض عيناه بموته
الا وتكالب الوضع على آل محمد بصورة ما كانت بحسبان اى مسلم يفرض فلم تكن
الاذهان تستسيخ ان يحاصر على في بيت فاطمة و ان يحشد الحطب على باب هذا البيت
لا حرافه وان يطحنى بعلى ركضاً لاجل اخذ البيعة منه لخليفة الوقت : واستمرت امثال
هذه التوهينات بافراد هذا البيت حتى آخر ساعة من حكم عثمان بن عفان ولم تصل خلافة
الوقت لعلى الأبعد ان استرذل هذا المقام واعتورته مئات الهينات من كافة جهاته بشتى
الصور و الالوان ولولم يكن على بطل الابطال في كل اشياء الرجال اما استطاع ان
يحفظ نفسه في هذا الميدان الشائك شهراً واحداً بالروح التي اراد فرضها على المجتمع

الذى حكم فيه :

واذا كانت الافتراءات بهذه الصورة مع شخص على الذى مارس الخطوب والحوادث وكانت له شخصية لا يستهان بها حتى فى حياة رسول الله فاجدر بشخصية الحسين الناشئة ان لا تقاوم هذه الشدائد المتظافرة الملحمة بالاعنات بها والتظاهر عليها : ومع هذا كله فقد حدث التاريخ عن محاسن هذين السيدين فى كافة الوجوه المعنوية الا يؤمل منه لان قلم التاريخ فى كل دور وطور واقع بين محاذير رئيسية فانه اما ان يكون اجيراً او قدبرى شقه التعصب واجترفته الميول العاطفية واما ان يخاف سلطة الوقت حكومة ومراماً : وكل هذه التارات الثلاث لا تعرف احقاق الحق والاشادة بفضل المحق قطعاً فاذا فلتت الحقيقة من بين هذه الاطباق فقد حصلت لها فرصة غير محتسبة وما اقل الفرص غير المحتسبة فى امثال هذه النقاط :

واما مقالة بعض المتحمسين من الشيعة للحسن عليه السلام فى صلحه لمعاوية يا مذل المؤمنين فهى صادرة عن عاطفة جوفاء فان الحسن لما سار بجيشه الى معاوية لم يملك من افراده الأعداء الاصابيح من المخلصين والباقون منافقون او اشباه منافقين ولم يكن يعلم بهم وهؤلاء هم الذين ارادوا ان يؤثقوه كتاباً فى المدائن ويسلموه لمعاوية اسيراً وكانوا قادرين على ما نوا : ولا شك ان من تخذله الحوادث و الافتراءات يعود مسيئاً مهملاً تتجافى انظار البشر عنه الا من اعار الحقيقة نظراً واقعياً وجوده فى الجامعة الانسانية اعز من كل عزيز : ولم يحرز الحسين شخصيته الا بمقتله المعروف كما تقرأ ذلك فى المقالين التاليين .

١ - شهداء الطف

- القيم الروحية - قال شاعر المعانى

انى لافتح عينى حين افتحها على كثير ولكن لأرى أحدا

نحتضن الاكوان على طول أبعادها كثرات من الكوائن الحية فيخال الناظر فيها

لاول مرة ان تفاعلها مع الحياة لهوزنه المرموق لكنه اذا جاس خلال الوجود ليقف

على كوامن أسرارها وجد أكثرها تافها لامطمع فيه ومبتذلاً لامجال للتوقف عنده نعم قد يطفح لاحداقه في استعراضه العام من رشد فكراً ونضج عقلاً وقوى قلباً واشتداسراً وحسب للحياة حساباً غير ما يحسبه الشراء المبطان وذلك الحساب هو ان يعيش حراً كما خلق حراً وأن يحترم عقيدته و يفرض وجوده كديناميتاً متأصل في الدار يتصرف بنفسه كما توحيه عقلياته الناضجة وافكاره الحرة ومقاييسه الصائبة .

وهذه القيم الحية لم تتجسد في العالم بصراحة لم يشبها تحريف وتشويه الآ في عناصر خاصة تربع الايمان بالقيم الروحية منها في شغاف قلوبها وصميم عقولها فطلعت على الكون تلمع لمعان الكوكب المشرق و من هذا الافق المتموج بانواره الرفافة انبثقت الدعوة الحسينية :

فدعى الايمان اصحاب الحسين **عليه السلام** ان يجيبوا صرخته ويلبوا دعوته التي وجهها الى مسلمي عصره بأن الاسلام وان اعترافاً بعد النبي **صلى الله عليه وآله** وهن و خلل في النظام الشرعي على مرور الزمن الا ان الدولة بظاهرها كانت تنفعه وكان القائمون بها يتظاهرون بالصلاح حتى تصرمت حلقات من ظلام الليالي وبياض الايام جاء على اثرها دور على الذي خلق الافاضل البواسل على ما اعتورته من هزات وحروب حمراء انت على النفوس التهاماً وعلى اتلاف الوقت عاماً فعاماً : ثم اغتيل على في محرابه فقطت بموته روح الانسانية والبطولة وكل خلق فاضل وتجنسى معاوية على الحق وأهله وكان مع ذلك خيراً من يزيد :

اما اذا جاء الدور الى كل مهتوك السر والعلانية واستخدم بطبيعة السنخية بين الحاكم وولائه كل رذل متسفل فالسكوت عن مناهضة الوضع من اهل الدين والغيرة على الاسلام والمسلمين حرام لعدة دواعي اهمها سقوط وزن الدنيا و انعدام الدين بالمرّة فان الاعتقادات الدينية انما تفعل و تؤثر اذا كانت في خفارة و زمام و اما اذا عدت في صفوف الخرافات والرجعيات واحتقر صاحبها من أجلها وابتذل سوقها فلاريب في تقلص ظلها وقلّة أهلها وتلاشيها شيئاً فشيئاً حتى من كوامن القلوب وهذا امر شاهده جميع الناس في جميع الادوار عند تقلب الدنيا بنفع الدين والمتدينين مرة فيقوى الدين وأهله وتتوفر الدواعي الى اعتناقه والتظاهر به وبضرره أخرى فيهن ويضعف و يتستر عن اظهاره حتى

المتدين من الناس :

- النهضة الحسينية - فلما هاب ابو عبدالله بهذه النظرية الصادقة في زمن يزيد الفهود والقرود والخمور والفجور ودعى اليها موطناً نفسه وبند كل ما يستطيعه في سبيل صرخته امام جموع الباطل بعد أن صارح المجتمع ان الوضع الحيوى اذا ارتنه امثال يزيد فترة من الزمن عاد الكون الى أتعس ادوار الوحشية ففضلا عن انعدام الدين بالمرّة تنعدم الاخلاق الفاضلة من بين الناس وتعود الحياة كابوساً ثقيلاً على الاحياء ولاريب في وجوب انقاذ البشرية من هذه المخالب الفاتكة : غير ان الناس كما قيل أجناس فمنهم من لا يزن الانسانية الا من طريق المادة والشهوة فلا يعرف العزة معنى ولا للنماموس كياناً ولا للاستقلال ثمناً ولا للحثيات مقاماً : ومنهم من يعترف بالثقافة وكيان العزة و الاستقلال لان وجدانه يدفعه الى ذلك ولكنه انما يريد ان يتهيا له من نفسه وانفرج الزمان لصدفة عنه ولا يكلف نفسه في سبيل ذلك ينقل قدم او بذل درهم او تحمل اقل اذية وهذا أب جمهور هواة الثقافة في نوع الامم :

لكن هناك من لا يرى الحياة الا بالعزة والحرية الا بالاستقلال و مصونية الحقوق الا بتركيز الحثيات وان هذه الحقوق اذا لم تنهيا لاهلها تعود الحياة معها عبأ ثقيلاً ومنشأً للعقد النفسية وارتباك المعيشة وقلق المنح واضطراب الاعصاب وتكاثر الويلات : واول انسان أعمل هذا الرأي بعد النبي والوصى وحققه في الخارج هو الحسين بن على بن ابي طالب ومنه اندلعت روح المفاداة في الاجيال اللاحقة لجيله فنار التوابون ونهض المختار واستسلم الى الموت يبدأ آل الزبير وآل المهلب واجاب هذا الصوت زيد بن على وتدرع به العباسيون وابومسلم وانتدب له اصحاب فنج والهوز جان بل كل معارك آل ابي طالب دارت على هذا المحور وتغنى بأنشودة الطف كل نائر بعد الحسين لهذا اليوم من انقلابين ونوريين وأباة ضيم :

اذن فواضع الحجر الاساسى لهذه البطولات القائمة في اصلااب الزمان هو اعظم شخصية دينية ودنيوية : ولوان الحسين عليه السلام جنح للسلامة وخضع ليزيد وامثال يزيد لتهافت كل شىء على سفوحه و لما رأيت وجه الزمان كما تراء و لقد تلقى الثقافيون

الاحرار على انشعائهم فى الاهواء المبدئية حركة الحسين حركة غاية فى التقديس و
التجليل ولوان اهل كل دور قاموا بوظيفتهم كما قام ابو عبدالله لما رأيت فى الدنيا
طاغية ولا جلفا يتحكم فى ابشار الناس واشعارهم .

- ليوث الحمية - هذه شمة من القول فى بيان الدوافع التى دفعت بالحسين
بن على الى نهضته المرموقة: واما الكلام فى اصحابه ففى اول الامر . كما هو المشهود
فى اول كل دعوة - كثر اصحابه ومجيبوه الى دعوته حتى بلغوا عشرات الالوف فى اقل
زمن يتصور لان جميع الناس يومذاك الا من يستمد الدنيا من خلافة الوقت كانوا فى
حرج وضيق وكره لتلك الحكومات الاتهازية فلا بدع اذا انسوا بخلاف الحسين على
يزيد و تمنوا نهضته ضد الوضع السائد الا ان نوع الناس كما اسلفنا يقدمون العافية
ولو كانت طفيفة على كل شىء فلا يهمهم من امر دينهم و حريتهم و استقلالهم ما يهمهم
ان يكونوا اشباحاً تنفس تنام فى الليل و لو على فلق و تسرح فى النهار و لو على وجل :
ولا شك ان حكومة الوقت لا تخضع لدعوة الداعى ولو وجدت معه كل القلوب
بدون ان تبذل كل ما لديها من قوة و دفاع فبمجرد أن رأى الناس العيون الحمر من
الولاة نكصوا على أعقابهم و خفتت اصواتهم : اما الحسين فلم يثنه ذلك عما هو عليه و
عما يريد بل جد فى اعمال منوياته على ميزان نفسيته البارعة و لذلك قل انصاره حتى
تحلل من افراد اكثر من كان معه فى سفره الى العراق بل حتى عزت انفس التوايين قبل ان
يعرفوا بهذه السمة عن الخروج اليه من الكوفة الى كربلاء على ان الجميع كانوا بدو
عزت انفس الجميع فى سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل وهو بين ظهرانيهم : و انما شجعوا
بعد وقعة كربلاء التى بلغ دويها الافق الاعلا فاستحيوا ان يكون لجون العبد اسم يخفق
فى اطباق الملا و يكون نصيبهم الخذلان لمن استقدموه فخذلوه :

نعم ثبت مع الحسين و تسلسل اليه من عاف نفسه راغبا و بذلها ازهد ما يكون بها
اعزازاً بمكانة القائد و تعظيماً لدعوته و تحطيماً لكل جبان و ارضاء لله وللرسول لعلمهم
ان الثائر من لا يشك بدينه كما لا شبهة فى صدق دعوته فاحتفلت بقعة كربلاء بكل صادق
الوعد طاهر الضمير خالص الايمان حر الشيم وهذا المعنى لم يحصل حتى فى مسلمى بدر

و باقى غزوات النبي ﷺ و حروب الامام على لان حضار حروب النبي و الوصى لم يدخل جمعهم من منافق بطور قاطع و لان تلك المقابلات كانت اعتيادية او شبه اعتيادية تحتل فيها السلامة و الغنيمة بسعة شائعة فى كافة المناوشات و الحروب اما حضار بقعة كربلاء فهم لا يزيدون على السبعين انساناً ما بين غلام لم يبلغ الحلم و شيخ يفن قد تجاوز التسعين و فى مقابلهم جموع متراسة تمدهم دواة جبارة عظيمة و العدد و الدنيا كلها معهم :

اما السبعون فكلهم قاطعون بانهم لا يزيدون واحداً و ان الدنيا كلها عليهم و ان الموت يتفرق بين لهواتهم و ان كل ما يوجد عندهم و عليهم سوف يعود غنيمة للطرف يعبت بها كيف يشاء فهل يقاس موقف بموقف و اصحاب بأصحاب مضافاً الى ان الوضع الذى اراه اصحاب الحسين من انفسهم لم يحدث به التاريخ عن اى انسان يفرض :

يحدث التاريخ العمومى ان الحسين **عليه السلام** لما نزل ارض كربلاء قبل على اصحابه فقال: الناس عبيد الدنيا و الدين لعق على سنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فاذا محموا بالبلاء قل الديانون : **اعز بعد فقد نزل بنا من الامر ما قد ترون و ان الدنيا قد تغيرت و تنكرت و ادبر معروفها و لم يبق منها الاصابة كصابة الاناء و خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الى الحق لا يعمل به و الى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء ربه فانى لأرى الموت الاسعاده و الحياة مع الظالمين الآ برما :** فقام زهير و قال سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك و لو كانت الدنيا لنا باقية و كنا فيها مخلصين لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها : و قال برير يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك اعضاؤنا ثم يكون جددك شفيعنا يوم القيامة : و قال نافع بن هلال فيما قال سربنا راشداً معافى مشرقاً ان شئت او مغرباً فوالله ما اشفقنا من قن الله و لا كرهنا لقاء ربنا و اننا على نياتنا و بصائرنا نوالى من و الاك و نعدى من عاداك :

وصاح الشمر بأعلاصوته ابن بنواختنا ابن العباس و أخوته فأعرضوا عنه فقال الحسين أجيئوه و لو كان فاسقاً : قالوا ما شأنك قال يا بنى أختى انتم آمنون لا تقتلوا انفسكم مع الحسين و الزموا طاعة امير المؤمنين يزيد فقال العباس لعنك الله و لعن

أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لأمان له وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء واولاد اللعناء:
 وجمع الحسين أصحابه قرب المساء فقال فيما قال أمّا بعد فاني لأعلم أصحاباً أولى
 ولاخيراً من اصحابي ولا اهل بيت ابرّ ولا أوصل من اهل بيتي الا واني اظن يومنا من هؤلاء
 الاعداء غدا واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام وهذا
 الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي وتفرقوا
 في سوادكم ومدائنكم فان القوم اندا يطالبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري:
 فقال له اخوته وابناؤه و بنو أخيه وابناء عبد الله بن جعفر لم نفعل لنبقى بعدك لأرانا
 الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس بن علي وتابعه الهاشميون: و التفت الحسين
 الى بنى عقيل و قال حسبكم من القتل بمسلم ان هبوا قد اذنت لكم فقالوا
 اذن ما يقول الناس وما نقول لهم انّا تركنا شيخنا وسيدنا و بنى عمومتنا خير الاعمام
 ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نصرب بسيف ولا ندرى ما صنعوا لا والله لا نفعل
 ولكن نفديك بأنفسنا و اموالنا و أهلينا نقاتل معك حتى نرد دمورك فقبّح الله العيش بعدك:
 وقال مسلم بن عوسجة أنحن نخلي عنك وبما نعتذر الى الله في اداء حقك أما والله
 لا فارقك حتى أظعن في صدورهم برمحي واضرب بسيفي مائتة قائمه في يدي الى
 آخر ما قال وتكلم باقي الاصحاب بما يشبه بعضه بعضاً :

فهذه الاستماتة القاطعة والمفاداة المنقطعة النظير والصدق الذي بلغ أقصى حدوده
 لم يوجد من كافة الناس في كافة الحوادث و لذلك خأد هم الدهر تخليداً يتجدد كل ما طال
 الزمان واستطالت الاجيال :

٢ - سيد الاحرار ابو عبد الله الحسين

- (١) سيد الشهداء
- (٢) روحياته المشرقة
- (٣) علمه بمسيره ومصيره
- (٤) خططه البتاءة

(٥) أهل بيته وأنصاره

(٦) خطبه وارشاداته

(٧) بطولاته ومواقفه

(٨) شهادته وسبى عقائله

(٩) اصحاح السبى بجرائم الحاكمين

١- سيد الشهداء

سيد الشهداء من اشرف العناصر البشرية فجده رسول الله خاتم النبيين و أبواه امير المؤمنين على وسيدة النساء فاطمة واخوه الحسن الزكى وأعمامه حمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن ابي طالب ادرك خمسا وستا من حياة الرسول وشاهد الوضع الاسلامى الخالص حينذاك وتناول من قريب تاريخ بطولاته وابطاله وحديث المؤمنين به والذائدين عنه وعاشرا باه واخاه الحسن معاشرة طويلة تشفى فيها ما شاء له الله وجده وأبواه واخوه الزكى ومارس طبقات الصحابة وأعظم التابعين ممارسة بدقة وحضر حروب ابيه جمعاء وغامر فيها ودرس من هذا وذاك دروسا عالية فى الايمان الصادق والعلم الناضج والاخلاق الفاضلة والمفاداة فى سبيل المقاصد العالية وتشبعت روحه بالحقائق من هنا وهناك ومواهب الله فى خفارتة على طول ايامه حتى عاد ابن بجدتها فى كل شىء فجمع من الملكات نظيراً لما جمعه أبوه فكان مؤمناً حقاً عالماً ورعاً حقيقياً بالضعفاء كريماً بما يجد عزيزاً منيعاً ما رأى هو انأقط ولا جوبه بذل و كان قوياً فى ارادته صلباً فى منوياته نزيهاً فى كل ما يمت اليه الى أبعد غاية شجاعاً بليغاً مهيباً تحسر العيون عن أن تلم به خير خلف لخير سلف :

٢- روحياته المشرقة

ولا بدع لمن كان بهذه الحيثيات وتيك الصفات وتلكم السوابق المشرقة ان يتنكر لاقبل ما يراه من البدع فى خلافة يزيد فان بين هذا الدور و دور جده رسول الله الذى

شاهد طرفاً منه فرقاً كالفرق بين الايمان والكفر وأن ينزعج من ذلك انزعاجاً عاصياً وأن يرى حياته مع يزيد ومؤازريه برماً وان يسترخص عمره العزيز فيصرفه في ذلك هذا العروش الخائنة الظالمة وان يحيل على نفسه الخضوع لجلف وغد وساقط سخيف ولذلك تأثر لأول كلمة ألقيت على مسامعه من قبل والى المدينة بالبيعة ليزيد وعد ذلك من العظام التي لا تصيح لها نفس المؤمن الحرف كيف بنفسه الموصولة بذات اعظم لاهوتى فى الارض ذلك هو مخلص الانسانية محمد بن عبدالله عليه السلام .

٣- علمه بهمسيره ومصيره

وهو عليه السلام ان كان عالماً بان من كاتبه مجيداً لقدمه الى العراق ليكون امام الناس لا يعدم الضمير النزيبه فى جملة من أفرادة فقد كان لا يتخالجه الشك بان هؤلاء لا يقومون بواجب هذا المرام من نهضة وقيام والا مر لا يتم بدونهما قطعاً لان فى قبيل هذه المنويات دولة منعقدة بأهلها وجيوشاً جاهزة بعددها واعواناً تمددها خصوصاً بعد ان وطئ معاوية مقدمات كل ذلك لولده من تصفية الجرح له بكثرة الاعوان و تقوية الاركان وادخار الرجال والاموال وسحق كل من يحاذر القيام فى وجهه من مقدسين و أفاضل و شيعة و شخصيات مرموقة و انه لم يبق فى سواد الناس الا الغناء و كذلك كان الامر حقاً وهو بمنظر ومرأى من الحسين وغيره ولذلك توجه كل من ابن عباس وابن الحنفية وغيرهما لصرف نظر الحسين عن مقصده و قالوا له انت فى قيامك هذا واحد فقط و لا اثر لواحد و مهما كان : و هو عليه السلام جد معترف بظاهر رأيهم و لكن نفسه لا تستطيع السكون على مواجهة الوضع الجديد لما فيه من هنات و آفات و رأى من واجبه أن يضع اول حجر اساسى للمفاداة والتضحية حتى يتعلم الاشراف المؤمنون منه ذلك فى قبيل كل وضع مرموز فكان ما وضعه من حجر اساسى مباركاً الى الابد وعايه استنت جماعات و بنيت طبقات :

وبما انه عليه السلام كان يريد تحقيق مستقبل وانشاء تاريخ جديد و اقامة سنة مهمة تبقى على طول الاجيال و سلاسل الزمان لم يبعد فى مجرد اباءه عن البيعة ليزيد كفاية

فان ذلك ما لا يذكره الا الذاكر الواحد في عصره وهذا ما لا قيمة له في التاريخ بعد ان تمنعد الخلافة لغيره من دون مجابته بخلاف عملي واسع : كما لم يرفى اسارته او حبسه لامتناعه وتخلفه عن البيعة اثرأ وهكذا لم يرفى نشرده لاطراف اليمن او غيرهما من الافاق البعيدة الا ذلك الاثر العادي : واذا جالد في نفس المدينة وقتل لم يكن لفعله دوى عال قطعاً :

نعم هذا كله لا يثمر النتيجة المقصودة. فان النتيجة المتوخاة تتوقف - اولاً - على التشهير بالخلاف في سائر البلدان والبقاع لافي بلد واحد فان الدولة المسيطرة تخفى الصوت الواحد و مهما صدر عن حنجرة عظيمة وتحتكر المكان الواحد و مهما بعدت ارجاؤه - وثانياً - على توسيع نطاق المبارزة حتى لا تكون خافتة : واذا كان أبو عبد الله لا يجد لنفسه اعواناً على القيام بهذه المهمات فأجدربه ان يلم شعثه بافراد بيتدواقربائه الاذنين بما يصير منهم كوكبة عسكرية حادة واذا انضم الى ذلك خاصة ومشايعون فنعم المطلوب في توسعة النطاق وابعاد صدى الأصوات : ولم يقتنع بهذه الخطة الجبارة وحدها دون ان شفع ذلك بحمل اهلهم و نساؤه معه لعلمه بان الحالة السائدة بعد ان تقضى عليه تسبى نساءه وذراريه الى خليفة الوقت روماً لاخضاع من يحدث نفسه بخلاف او معصية الا انه عليه السلام رأى ذلك له لاعليه لان السبى يحتوى على نساء كرائم قد اناجبتها احضان النبوة وقامت بتربيتها رسالة السماء فهن يعرفن كيف ينطقن فيصبن محزواً الواقع ويفضحن الدخلاء وابناء الطلقاء بالمنطق الصائب فيكون في ذلك من توسيع نطاق الحادثة ما لا يحاذيه اعظم شيء .

٤ - خطته البنائة

ولاريب ان هذه الخطة المتربعة في حنايا صدره لم يحب ان يبديها لابن الحنفية اولابن عباس اولغيرهما حتى يبديها الوضع عمال من نفسه فكانت نتيجة مارسمه من الخطة عظيمة جداً سدت فراغاً واسعاً لا تقوم بسده الجحافل الجرارة ولا الهتافات الملتهبة ولا المظاهرات العنيفة : فكثيراً أبو عبد الله نفسه الواحدة باخوته وابناءه و عمومته و بثقله

وركائبه ونسائه وذراريه فكان موكبهم من المدينة الى مكة موكباً له سواد وسعة وبقي ردحاً من الزمن في مكة ظاهراً بين الناس ومكة ام القرى يرد اليها القاصي والداني والجميع علموا بمبدهه و ماهو عليه و ما يروم فتحادثوه ووصل حديثهم الى اقصى ما يمكن وصوله :

٥- اهل بيته وانصاره

ثم زم بركبه نحو العراق فتعرف به في طريقه الزاهب واليابس وصرح مراراً للجميع من يسمعه انه لم يذهب لغنيمة وليس امامه ولا معه الا نأيد الحربة وتشديد ميا نى الانسانية فتفرق عنه من همه الدنيا ثم حط رحله في كربلاء وفي طول مسافة خروجه عن المدينة الى يوم قتله لم يزل يشفق الخطب اللامعة اللصيقة بموضوعه ويعرب فيها عن محتويات نفسه بمثل قوله في مكة :

٦- خطبه وارشاداته

مركز تحقيقات كويتى علوم دينية

خطب الموت على ولد آدم مخط الفلاة على جيد الفتاة و ما أوأهني الى اسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف وخيرلى مصرع انالاقية كانى بأوصالى تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكر بلا فيملاءن منى اكر اشأ جوفا واجر بة سغباً :

ولما نزل البيضة (وهى ارض واسعة لبنى يربوع بن حنظلة) خطب اصحاب الحر فقال فيما قال ايها الناس ان رسول الله ﷺ قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله. وهذا كله من اتمام الحجة وابعاد صدى المخالفة وتوسيع نطاق الحادثة .

ولما نزل كربلاء فى الثانى من المحرم سنة احدى وستين اقبل على اصحابه فقال الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم - الى ان يقول - ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله : فلما دنت المطالب الى الجدى الذى ما عليه

غباراً صحراً بالحقيقة الواضحة وصرح بمكنون نفسه :

ففى يوم عاشوراء دعا راحلته فركبها و نادى بصوت عال يسمعه جانيهم : ايها الناس اسمعوا قولى ولا تعجلوا حتى اعظكم بما هو حق لكم على وحتى اعتذر اليكم من مقدمى عليكم فان قبلتم عذرى وصدقتم قولى واعطيتمنى النصف من انفسكم كنتم بذلك اسعد ولم يكن لكم على سبيل وان لم تقبلوا منى العذر ولم تعطوا النصف من انفسكم فاجمعوا امركم وشركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمّة ثم اقضوا الى ولا تنظرون ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

ثم خطب ثانية بعد ان ركب **عنه** فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه و وقف بازاء القوم وقال بعد ان سألهم عما اقدمهم على قتله فقالوا طاعة للامر عبيد الله بن زياد تباً لكم ايها الجماعة وترحاً احين استصرختمونا و الهين فأصرخناكم موجفين سلتم علينا سيفاً لنا فى ايمانكم وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم البأ لاعدائكم على او ليائكم بغير عدل افشوه فيكم و لا امل اصبح لكم فيهم فهالكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجاش طامن والراى لم يستحصف ولكن اسرعتم اليها كطيرة الدبا وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نفضتموها فسحقاً لكم يا عبيد الامّة وشذاز الاحزاب ونبذة الكتاب ومحرفى الكلم - حتى يقول **عنه** - الاوان الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يا بى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون الاوانى زاحف بهذه الاسرة على قلة المدد وخذلان الناصر: ثم انشد ابيات فروة بن مسيك المرادى : وقال اما والله لا تلبثون بعدها الا كرىثما يركب القرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده الى ابي عن جدى رسول الله .

٧ - بطولاته ومواقفه

وحدث التاريخ عن بطولاته فقال عبدالله بن عمار بن يغوث ما رايت مكثوراً قط قد قتل ولده واهل بيته وصحبه اربط جاشاً من الحسين بن على و لا امضى جناحاً ولا اجراً مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه اذا شد فيها و لم يثبت له احد :

و قال هلال بن نافع كنت واقفاً نحو الحسين و هو يجود بنفسه فوالله ما رايت قتيلاً قط مضمخاً بدمه احسن وجهاً منه ولا انور ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله:

٨ - شهادته وسبى عائلته

و لما سير ابن سعد الرؤس الى الكوفة - بعد قتل الحسين و انصاره - اقام مع الجيش الى الزوال من اليوم الحادى عشر فجمع قتلاه و صلى عليهم و دفنهم و ترك سيد الشهداء و من معه من اهل بيته و صحبه بلا غسل ولا كفن و لا دفن تسقى عليهم الصبا و يزورهم و حش الفلا:

٩ - اصحار السبى بجرائم الحاكمين

ان اختراق السبى للمدن و القرى و دخوله للمحافل العامة على طول مسافة المسير و وجود الشعور الوافر فيه و العلم الناضج عنده و الا لسنة النصيحة فى ثناياها و الوقار و الهيبة و الصلاح و الورع فى جملة اهلها مما اقام القيامة على آل ابي سفيان و اتباعهم و فضحهم شرف نصيحة فقد استرسل السجاد و عماته و اخواته بانواع الخطب فى شتى الامكنة و ابانوا فيها من اسرار الواقعة و فضائل اهل البيت و ذائل آل ابي سفيان و حزبهم ما جعل يزيد و ابن زياد نادمين على ما فعلا ندماً قل نظيره لا خوفاً من الله : اذ لم يكونا يعتقدان به - ولا تكربة لمحمد و آل محمد - اذ كانا يبغضان هذه الاسرة من تخوم قلوبهم - و لكن للافتضاح الذى دخل عليهم فى سلطانهم باختيار منهم فكانت حادثة كربلاء من بدئها الى ختامها ابرز مثال لتحدى الحق و مجاولته للباطل حتى دكدت و رفعت لنفسه مناراً لا يطفأ ابداً :

و من هنا تشيع لعلى و آل على الصفوة من رجال الاجيال لما وقفوا عليه من حقيقة صادقة فيهم معدومة فى غيرهم بالمرّة: و دونك فأقرأ عن التشيع حتى تشيع به

التشيع

شعار اسلامي يتحلى به المسلمون المترسمون لطريقة امير المؤمنين باب مدينة علم الرسول الاعظم والاولى بالمؤمنين من بعده : وطريقة اهل بيت الرسالة كتاب الله الناطق بين المسلمين والنقل القائم باعباء النبوة بعد النبي : حيث يلتقى في علي والصفوة من آله القديم بالجديد والموحد بالماحد والعقول المتحررة بالضمائر الانسانية والعلم الصادق بالعمل والنزيب والقرآن بالسنة والحقائق الراهنة برواد الحقيقة .

دين قام على أساس الدعوة الاسلامية والمثل الدينية والمقاييس العلمية والمكاشفات الحسية واستوثقت اركان مدينته الفاضلة بما شاده على من العلم السماوي غير المرتجل والعمل الذي لم يقصد به غير وجه الله وتولاه بنوه الربانيون بالرعاية والصفوة من آله المتألهون بمزيد العناية حتى طفحت الدواوين العلمية وصدور الرجال الرحبة بالموازين التي لا تعرف الهوى النفسي والغرض الشخصي وارتجال الاحكام بالتشهي واصدار الفتوى عن الرأي المجرد والاستحسان المزيف .

ولولا النزعات النفسية والشناشخ الاخرمية من اموية وغير اموية وبيع الدجالين انفسهم لارباب السلطة الزمنية لما رأى الناس لغير امير المؤمنين عليه السلام راية منصوبة وعلما قائما وعلما يؤخذ به - كيف - وهذا عمر بن الخطاب مازال يقول لولا على لهلك عمر ولا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن ولا يفتين احد في المسجد وعلى حاضر و لولاك لافتضحنا (١) الى غير ذلك وعمر من لا تخفى مكانته عند الناس :

و روى ابو نعيم (٢) عن عبدالله بن عطاء انه قال ما رأيت العلماء عند احد اصغر علماً منهم عند ابي جعفر (الباقر) وقال ابن الصباغ (٣) نقل الناس عن الصادق من العلوم

(١) مقدمة ابن ابي الحديد لشرح نهج البلاغة

(٢) الحلية (ج ٣ ص ١٨٤)

(٣) الفصل السادس من الفصول المهمة

ماسارت به الركبان وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان: وسوف تقرّ أما يشبع نفسك أكثر من ذلك :

ولقد تفانى أهل الحقائق و القابليات من صحابة و تابعين و تابعي تابعين وهلم دواليك في حق هذا البطل اللاهوتي الذي اكتضت جوانبه بالمثل السامية و كانوا يكبرونه اكباراً لا ينحط عن مقام النبوة الا بقايل وكيف لا يكون كذلك ورسول الله نزله من نفسه منزلة هارون من موسى كما يرونه بالشهود الحسى مجمع الفضائل والكمالات والرجل الوحيد الذي جمع الله العالم فيه :

روى الحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ١١٤) فقال لما بويع على بن ابيطالب على منبر رسول الله قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر :

أبو حسن مما نخاف من الفتن
إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا
أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وجدناه أولى الناس بالناس انه
إذا ما جرى يوماً على الضم البدن
وأن قريشاً ما تشق غباره
وما فيهم من الخير كله
وما فيهم كل الذي فيه من حسن

وذكر ابن عبد البر (ج ١ ص ٣٠٦ من الاستيعاب) عند تعرضه للمحارث بن غزيرة الصحابي ان المحارث هذا هو القائل يوم الجمل يامعشر الانصار انصروا امير المؤمنين آخرأ كما نصرتم رسول الله اولان الآخرة لشبيهة بالاولى :

وذكر اليعقوبي (ج ٢ ص ١٥٥ من تاريخه) عند تعرضه لبيعة علي فقال وقام قوم من الانصار فتكلموا وكان اول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري وكان خطيب الانصار فقال والله يا امير المؤمنين لئن كانوا تقدموك بالولاية فما تقدمرك في الدين و لئن كانوا سبقوك امس فقد لحقتهم اليوم و لقد كانوا و كنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى احد مع علمك : ثم قام خزيمة بن ثابت الانصاري وهونوا الشهادتين فقال يا امير المؤمنين ما أصبنا الامرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب الا اليك و لئن صدقنا انفسنا فيك لانت اقدم الناس ايماناً واعلم الناس بالله واولى المؤمنين برسول الله لك مالهم وليس لهم مالك : ثم قام صعصعة بن صوحان فقال والله يا امير المؤمنين

لقد زينت الخلافة ومازانتك ورفعتها ومارفعتك واهى احوج اليك منك اليها:
وقال الشارح المعتزلى (الشرح الحديدى ج ٣ ص ٥٠٦) و قالت الانصار اولاً
على بن ابي طالب فى المهاجرين لانفنا لانفسنا ان يذكر المهاجرون معنا اوان يقرنوا بنا
ولكن رب واحد كالف بل كالف :

وقال ايضاً (ج ١ ص ١٣٢ من الشرح الحديدى) وروى ابو بكر احمد بن عبد العزيز
بسند من عن ابي سعيد الخدرى قال سمعت البراء بن عازب يقول ام ازل لبنى هاشم محباً فلما
قبض رسول الله تخوفت ان يتمالء قريش على اخراج هذا الامر عن بنى هاشم فأخذنى ما
ياخذ الواله العجول - الى أن يقول - فخرجت الى القضاء فضاء بنى بياضة فأجد نفرأ
يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفونى وما عرفتهم فدعونى اليهم فأتيتهم
فأجد المقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسى وابانذرو حذيفة و ابا الهيثم
بن التيهان واذا حذيفة يقول لهم ليكونن ما اخبرتكم به والله ما كذبت ولا كذبت و اذا
القوم يريدون ان يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين : والحديث فى هذا اكثر من الكثير:
وما كان الافاضل الذين قوموا الاسلام بسيوفهم و مديد مبارزاتهم و حفظوا حقيقته بالعلم
الصادق والعمل النزيه يعرفون غير على احداً يوازيه اويقف فى صفه ولا يعرفون السقيفة
والشورى الا كما يعرفون الانقلابات السياسية التى لا تعرف فى طريقها المنطق وتدمر كل
من وقف فى سبيلها كائناً من كان وهذه الحقيقة يستجاليها كل من وقف على هذه القضايا و
نظائرهما فى تاريخ الاسلام .

واما اسفاف الأجورين وجهلة المتعصبين فأمروراء الحقيقة بمراحل ولا مجال
له فى هذه العسارت ولنختم هذه الكلمات بما رواه ابن عبد البر فى ترجمة على من الاستيعاب
قال قال معاوية لضرار الصدائى يا ضرار صف لى علياً قال اعفنى يا امير المؤمنين قال
لتصفنه قال اما اذا لبد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم
عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها
ويستأنس بالليل و وحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر
ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا ينجبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبئناه ونحن والله

مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له يعظم اهل الدين و يقرب المساكين
لابطمع القوى فى باطله ولايبأس الضعيف من عدله وأشهد لقدرايته فى بعض مواقفه
وقدارخى الليل سدود لو غارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ المسليم ويبكى بكاء
الحزين ويقول يادنيا غرى غبرى الى تعرضت ام الى تشوقت هيهات هيهات قد باينتك
ثلاثاً لارجعة فيها فمرك قصير وخطر كحقيير آء من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فبكى معاوية وقال رحم الله بابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال
حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها :

وما اكثر عشاق على من ابناء البشر ولو لم يتبطن ابن ابى سفيان روحاً مظلمة
لتهافت على سفوحه امام هذه النسخة المنحصرة بفرد من اللاهوت الاعلا ولم يكتف من
تأثره بالبكاء وحده .

وعلى أساس هذا التفانى الغريب فى حق على و آله من كافة الافاضل الذين
ما استطاع انسان ان يسمهم بادنى بادرة حتى من المتعصبين الالاء اخذت سيوف بنى
امية من لدن عثمان بن عفان الى آخر ايامهم تحصد رقاب الشيعة فى كل مكان وابتدأت
حلقات هذه السلسلة بابى ذرا الغفارى حين شر دبه ومات بقاع جرداء وعمار بن ياسر حين
كسرت أضلاعها و بظاهرة الانتقاد لسياسة الوقت ثم اخذت الارض تموج بالدماء الزواكى
فى مرج عذراء وغيره من يد معاوية وحزبه حتى ظهرت بصورة صاخبة فى عرصة كربلاء
والحرقة و استمرت كذلك بقية ايام يزيد وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف بن يوسف بن
عمر وهلم جرا بظاهرة كالحجة ووجه متجههم وام تأخذ سيوف هؤلاء المنحرفين اللؤماء الأرقاب
كل فقيه معروف ومفسر مشهور ومثالى يتبرك بأثار اقدامه وشخصية حرة لها وزنها
فى بنى الانسان وعلى هذه الخطة الخشنة مشى الزمان عابثاً بارواح الاجلاء وحيثيات
الافاضل النجباء حتى مطلع الحرب العالمية الاولى حيث استراح الناس من انتهازات
هذا التهصب البغيض ولو ارادتم توسع ان يكتب فى هذا الموضوع سلسلة كتب اجاءت موسوعته
حافلة بما يشوق ومنظرة الانسانية وبندى منه جبين البشرية :

وقد لا يستكثر على ابن آكلة الاكباد ونغله زياد بن ابييه ونسله والحجاج ومن

كان على شاكلته ما فعلوه واجترحوه لبعدهم عن الدين و لؤمهم في ذات انفسهم و مناجزتهم في سبيل سلطان عظيم وهكذا قد لا يستكثر على ابي هريرة وسمره بن جندب وعروة بن الزبير وامثال هذا اللئيف جنوحهم الى سياسة الوقت التي اعطتهم من نفسها اكثر مما يرجون واعظم مما تنتظره نفوسهم الصاغرة واقالات السننهم في الدفاع عنها وتحبيب الناس اليها لكن هلم الخطب فيمن فاته هذا اللحم و المرق و شرع بعدقرون بل و أجيال قلمد لتأييد هذه الخطط الخشنة والحركات الرعناء المثيرة لغضب الله والمتحدية للطعن برسول الله والهادمة لمباني الانسانية والمطيحة بشرف البشرية و لكنه السقوط واللؤم اعاذنا الله واعاذ كل انسان منهما :

ان يكن سيف بن عمر اخنلق عبدالله بن سبأ ليجعله قاعدة لمزاعمه و يتصل من طريق ذلك بان الشيعة من اتباعه كما اخنلق غيره وغيره لاشباع نهمته و استيفاء تمام أجرته فعلام جاء الشيخ محمد الخضري صاحب محاضرات تاريخ الامم الاسلامية يترسم هذه الخطوات غير متخط عنها ولا يعرف الشيعة للناس الا بانهم السبأية الجهل منه بميزان هذه النقول اذن هوليس بمورخ ولا محقق في التاريخ بل مسف متحكم و لا يجوز لمثله ان يحاضر او يؤلف على ان كشف هذه المزورات لا يحتاج الى مؤنة بحث وتدقيق عميق بل الدارس لتاريخ الطبري في عرض ما يقف على روايات سيف بن عمر يقف من طريق غيره على ما يكذبها ويقلمها عن صفحة الوجود : و لقد تتبعنا نحن مزاعم الخضري في كتابه هذا قبل ١٨ سنة فنقضنا ها في مجلدين باسم الحياة الروحية : كما تعقب السيد الجليل السيد رضى العسكري هذه المقتريات في كتابه عبدالله بن سبأ : ومائة وخمس صحابة مختلفون :

نعم جاء ما جاء عن الخضري لتحيزه بغيب و تعصب ممقوت وشق لعصا المسلمين : ولو كان الامر في هذه الاواخر مقصوداً عليه لهان الخطب ولكن انرى افراداً و جماعات أسفوا بمزاعم هي اوهى واوهن من بيت العنكبوت والصق بالجهل من افاصيص عنتره بن زبيبة والسند باد البحرى اولئك الذين يرون ان عقيدة الشيعة خليط من تعاليم مجوسية ويهودية وما الى ذلك لكن نسبة الشيعة الى امثال هذه النسب تبرهن على جهل الناس واسفافه لان

أمره يدور بين ان يكون قال تلك المقالة عن شهوة نفس وانحياز الى رموز او تهيباً للمجازاة العميقة حتى تعود الحرب سجالاتاً بين المسلمين انفسهم في زمن هم احوج الى الائتلاف فيه من اى زمن يفرض والافعال المناسبة بين عقائد الشيعة وعقائد المجوس واليهود وهل ذلك الا كما قال الشاعر في قضية استلحاق معاوية لزياد .

واشهد ان قربك من زياد كقرب الفيل من ولد الاتان

وهنا يجب علينا ان نتعرض الى عدة مراحل .

(١) ان علياً هو الاولى بالمؤمنين من انفسهم بعد النبي ﷺ وانه باب مدينة علمه واخوه دون كافة الناس ووصيه وخليفته وانه منه بمنزلة هارون من موسى :
(٢) وانه **عليه السلام** هو والعفوة من آله احد الثقلين العظيمين و المطهرون دون كافة الناس .

(٣) وان الشيعة هم النخبة الصالحة من المسلمين :

(٤) وان عقائدهم المتلقاة عن ائمتهم الصق العقائد بالدين وبالواقع :

(٥) وانهم السابقون في المراحل العلمية : كل ذلك بطور متوسط بين

الايجاز والاطناب .

١- المرحلة الاولى

التعرض لفضايا علي وآله في شتى مراحل الفضل والكمال امر تتقاعس عن بسطه مفصلات الكتب فضلا عن مختصراتها و قد تخصص فطاحل من علماء الفريقين لدراسة ذلك وتدوينه وقد طبع وانتشر الكثير منه على الاخص ما دونه العلامة الجهد المتتبع السيد حامد حسين الهندي في كتابه القيم عبقات الانوار المطبوع في سلسلة حافلة باللغة الفارسية وحقاً ان هذا الرجل اعطى الموضوع كل ما يستحق من بحث وتنقيب فجاء آية في فنه ولاغرابة فقد انفق هو وولده قدس سرهما اعمارهما المدينة عليه مع توسع خزائنها بانواع الكتب الاسلامية التي يقل وجودها في الشرق والغرب و لو ان هذه السلسلة لخصت وعربت لاجاءت آية بارعة ليس لها نظير ولا مثيل : ثم سد

فجوة واسعة من الفراغ الذي شغله هذا الكتاب الجليل كتاب العلامة الاميني بعنوان الغدير في الكتاب والسنة واما الذين تناولوا أطراف هذا الموضوع قديماً وحديثاً من شيعة وسنة فكثيرون جداً لا مجال للتعرض لاسمائهم وأسماء مؤلفاتهم فضلاً عن النقل منها غاية انا نلم بأطراف الموضوع اماماً على سبيل التذكيرة ثم نوميء الى جملة من المصادر ليستقرأ من أحب الاستقراء والتوسع :

فنقول حديث الغدير حديث صعدت روايته الى ما فوق حدود التواتر بكثير واعترف بتواتره جهابذة علماء الاسلام حتى المتعصبون منهم وقد تعرض له صاحب العباة والغدير بتوسع واف لامزيد عليه ونحن نذكر طريقاً واحداً من طرقه لعرض مادته فقط قال ابن كثير وهو المتعصب المعروف بتعامله في تاريخه البداية والنهاية (ج ٧ ص ٣٤٦) وما بعدها عند تعرضه لفضائل علي عليه السلام : حديث الغدير : قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد وابو نعيم المعنى قال حدثنا فطر عن ابي الطفيل قال جمع على الناس في الرحبة ثم قال لهم انشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدیر خم ماسمع لما قام فقام كثير من الناس : قال ابو نعيم فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون اني اولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا دولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له اني سمعت علياً يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله يقول ذلك له - اه -

وأطال ابن كثير في هذا الباب من طرق هذا الحديث : واكثر طرقه المزبورة بما يربو على التواتر متكفل لمفاد هذه المادة التي ذكرناها : وما اقتصر منها على قوله من كنت مولاه فعلى مولاه فهو مخفف هذا التفصيل : و اولوية النبي بالمؤمنين من أنفسهم مفاد قرآني صريح (الآية ٦ من سورة الاحزاب) النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم : ولا ريب ان المراد بهذه الاولوية هو كون المؤمن في قبضة التكليف ليس له ان يتصرف بنفسه الا في حدود الشريعة فاذا أزمه النبي بشيء لم يكن له التخلف عنه واذا نهاه عن شيء لم يكن له فعله (الآية ٣ و ٤ من سورة النجم) ما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى : والنبي بمقامه التشريعي جعل هذا المنصب - الاولوية بالمؤمن من نفسه - لامير المؤمنين

على وهو أعلاما يتصور في البيان عن مقام الخلافة الشرعية : واما الذين حاولوا تشويه هذه الحقيقة فمشاغبون امام نص لا يقبل التأويل على ان مفاد : من كنت مولاه فعلى مولاه - بمفرده عين المفاد الآنف ولا معنى له سواء :

حديث المنزلة : وهو من المتواترات القطعية عند ابناء العامة فضلا عن غيرهم وقد تعرض لسرد طرقه صاحب العباقيات بتوسع وصاحب الغدير بنظير من ذلك ونحن نذكر طريقاً واحداً منه للتعرف على مادته : قال ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٧ ص ٣٣٩ وما بعدها) ثبت في الصحيحين من حديث شعبة ان رسول الله قال لعلى أما ترى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي : و الطرف المذكور في متن الحديث من طرفي القياس صريح في معناه لا غبار عليه فلا بد من استعراض الطرف الآخر المقاس عليه ومن حسن الصدق ان الاحالة به على القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل فقد قال سبحانه (الآية ٢٤ وما بعدها من سورة طه) مخاطباً موسى عليه السلام اذهب الى فرعون انه طغى قال ادب اشرح لي صدري ويسر لي امرى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشهد بما أدري واشركه في امرى - الى ان يقول - قال قداوتيت سؤلك يا موسى : وقال تعالى (الآية ٥١ وما بعدها من سورة مريم) واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً - حتى يقول - ووهبنا له عن رحمتنا اخاه هارون نبياً : و قال (الآية ٣٤ وما بعدها من سورة القصص) و اخي هارون هو أفصح منى لساناً فارسله معي رده يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما : وقال (الآية ١٤١ من سورة الاعراف) وواعدنا موسى ثلاثين ايلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى ل اخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين .

فالطرف المقاس عليه بصريح هذه الآيات هو كون هارون فضلا عن مقام نبوته لنفسه وزيراً ل اخيه موسى وقوة وساعداً وخليفة على قومه وشريكاً في أمره ونبي الاسلام جعل علياً من نفسه بالمنزلة التي جعل الله بها هارون من موسى فهو اذن وزيره وقوته وعضده المساعد وخليفته على قومه وشريكه في أمره خارج النبوة : وبما ان هارون كان نبياً ولا

نبي بعد نبي الاسلام استدركه بقوله غير انه لانبى بعدى ولو لم يستثن ذلك لوجب بعموم التنزيل ان يكون على نبياً كما كان هارون نبياً وتنزيل هارون من موسى لم يخصه القرآن بزمان ولا مكان ولم يقيده بحال دون حال والنبي لم يتصرف بهذا التنزيل بل أبقاه كما جاء في القرآن لهارون من موسى :

وهذا هو معنى الخلافة الدينية والامامة الشرعية : وقول من يقول ان موسى اراد بقوله لهارون اخلقني في قومي مدة ذهابه الى ميعاد ربه ورجوعه اليهم لاعموم الخلافة يبطله طلب موسى من ربه ان يجعل اخاه هارون شريكاً له في أمره من اول الامر وأجابة الله سؤاله في ذلك والشريك في الامر مسيطر على كل حال والذي اراده موسى بقوله اخلقني في قومي ان يكون هارون في غياب موسى عنهم بلون من اخذ الحذر والتدقيق في المراعاة حتى كان موسى حاضر فيهم لما يعلمه من شدة اضطراب قومه وسرعة انحرافهم وتخليفهم عن الخطة المرسومة لهم ولا يريد موسى بوصايا هذه ان يعرب عن جهة نقص في أخيه حاشا فان موسى هو بنفسه عند ما دعى للقيام بأعباء الرسالة من ناحية ربه تقاضى منه ان يعززه ويؤيده به واخذ يقرظهم ويثني عليهم ويراه من اهل الصلاحيات والقابليات لهذه المهمة والقرآن صريح في كل ذلك :

ومن يدع ان خلافة هارون كانت مقصورة على زمن غيبة موسى فقد ناقض نفسه باعترافه له الشركة في نبوة أخيه منذ ابتمت الى أن مات فيستحيل اذن قصر الخلافة عليه زمناً معيناً فكما هو شريك لآخيه في حضوره شريك له في غيابه بالجعل المطلق المصرح به في نص الكتاب : نعم لا يطاق لفظ الخلافة الا حيث يكون المستخاف اما غائباً او ميتاً فخلافة هارون لموسى في غيابه عن قومه من جزئيات حقوقه الموظفة له وهي الشركة المطلقة الشاملة للتصرفات الموقوفة على النبوة وغيرها : والنبي لم يستثنى عن على من هذا كله الأعتوان النبوة فقط وكل ما سوى هذا العنوان مما لهارون ثابت لعلى بعموم التنزيل الصريح وفي ذلك من المعاني العظام لعلى ما لا شوب منه في اي مسلم يفرض : - مرحلة العلم و الفهم والفضيلة - أصحرت الضرورة من تاريخ الاسلام ورجاله أن علياً اعلم الناس بعد رسول الله وأن جميع الناس احتاجوا الى علمه حتى الخلفاء الذين

سبقوه الى الخلافة ولم يحتج مع علمه الى اى احد سواه والحديث الوارد عن النبي ﷺ انه **عليه السلام** باب مدينة علمه وأبصر الناس بالقضية واكثر اصحابه علماً فوق حدود التواتر وهكذا شهادة أعظم الصحابة وجهابذة اهل العلم فى عامة الادوار بنظير ذلك مما لا تحتاج الى اسهاب فى بيان او اقامة برهان والعلم الوارد عنه يحقق ذلك ويشبهه :

و نحن نذكر صفحة مما عرضه التاريخ و نحيل بالباقي الى مصادرہ السكثيرة المنتشرة : قال عبدالبر فى ترجمة على من الاستيعاب : وزوجہ رسول اللہ ﷺ ابنته فاطمة سيدة النساء ما خلا مريم بنت عمران وقال لها زوجتك سيداً فى الدنيا والاخرة وانه لاول اصحابى اسلاماً واكثرهم علماً واعظمهم حليماً : وضرب رسول اللہ بيده صدره وقال اللهم اهد قبله وسدد لسانه فماشك بعدها فى قضاء بين اثنين : وانه **عليه السلام** قال انا مدينة العلم و على بابها فمن اراد العلم فليأته من بابي : وقال **عليه السلام** اقضى اصحابى على بن ابي طالب : وقال عمر بن الخطاب على اقضاناً وكان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن وكان عمر يقول لولا على لهلك عمر : وعن سعيد بن المسيب انه قال ما كان احد من الناس يقول سلونى غير على بن ابي طالب : وقال ابن عباس كنا اذا اتانا النبي عن على لم نعدل به : وعنه انه قال والله لقد اعطى على بن ابي طالب تسعة اعشار العلم وايم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر : وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قلت لعبدالله بن عياش بن ربيعة يا عم لم كان صفوا للناس الى على فقال يا ابن اخى ان علياً كان له ما شئت من ضرر قاطع فى العلم و كانت له البسطة فى العشيرة و القدم فى الاسلام والصهر لرسول الله والفقہ فى السنة والنجدة فى الحرب والجود فى الماعون : وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له على بن ابي طالب فلما بلغه قتله قال ذهب الفقہ والعلم بموته : وسأل الحسن البصرى عن على فقال كان على والله سهماً صائباً من مرامى الله على عدوه وربانى هذه الامة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله لم يكن بالنومة عن امر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسروقة لمال الله اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونتقة - اه . ملخصاً

٢ - حديث الثقلين واهل البيت

حديث الثقلين بالغ في الاستفاضة الى ابعد حد وقد سرد طرقه الوفيرة اهل الموسوعات الكبيرة حتى ان دار التقريب بين المذاهب لعدم اطلاعها التام على ذلك ذكرت في مجلتها «رسالة الاسلام» انه من رواية الاحاد فجرد احد وعاظ قم نفسه وكتب جزء لطيفاً عن طرقه وارسله اليها وهي بدورها انصافاً عرفت الحق وعملت به وطبعت الجزء بعنوان حديث الثقلين باسم الواعظ الذي جمعه ونشرته نشرأ واسعاً واذعت بتوفر طرقه وصحة متونه ونحن نذكر من متونه وما هو مضاه لها اربعة احاديث لاستحضار القارئ ثم تتعقبه بكلمة موجزة:

روى الحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ١٤٨) عن مسلم بن صبيح عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه واقره الذهبى فى تلخيص المستدرک: ورواه كثيرون كما اشعرنا بذلك .

و روى احمد فى المسند (ج ٥ ص ١٨٩) عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله انى تارك فيكم خليفتين كتاب الله واهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض جميعاً .

وروى المتقى الهندى فى كتابه منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٩٢) مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق: البزار عن ابن عباس وعن ابن الزبير: والحاكم فى المستدرک عن ابي ذر .

وروى ايضاً (ج ٥ ص ٩٤) نحن اهل البيت لا يقاس بنا احد ، الديلمى عن انس . ولا مجال للاطالة فى هذا الموضوع لانه يخرج بنا عن الحد الذى تجبرعايته .

فاهل البيت بهذه النصوص الصريحة عدل الكتاب الذى لا يأتية الباطل من جميع جوانبه فهم اذن لسان الله الناطق و حجته البالغة على خلقه كما ان القرآن كذلك والعيان منهم قد عزز هذا البيان .

واما اختصاصهم عليهم السلام بالنظير دون كافة الناس : فقد روى الحاكم في المستدرک (ج ٢ ص ٤١٦) عن عطاء بن يسار عن ام سلمة انها قالت فى بيتى نزلت هذه الآية - انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فأرسل رسول الله الى على وفاطمة والحسن والحسين فقال اللهم هؤلاء اهل بيتى قالت ام سلمة يا رسول الله ما اتانا من اهل البيت قال انك على خير وهؤلاء اهل بيتى اللهم اهلئهم أحق : هذا حديث صحيح على شرط البخارى و لم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي : ورواه الحاكم بعدة طرق أخرى فى مستدرکه : و اعترف بنزوله فى خصوص هؤلاء نفر كل المفسرين و المحدثين وان حاول بعض الانتهازين تعميمه فقد فشل وقد صحت الرواية عن عائشة وهى من لا تنكر فى مثل هذه المواقف بان اهل البيت الواردة فيهم آية التطهير هم هؤلاء الخمسة فقد روى الحاكم فى المستدرک (ج ٣ ص ١٤٧) عن صفية بنت شيبة قالت حدثتني ام المؤمنين عائشة قالت خرج النبي غداً وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن و الحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معها ثم جاء على فأدخله معهم ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : وأقره الذهبي كما هو :

وليس وراء تطهير الله اياهم وازهاب الرجس عنهم غاية فى النزاهة والعصمة فقد استجمع اهل البيت مقارنة الكتاب فى الشريعة و خلافة النبي فى الامة والنزاهة والعصمة فى النفس وليس بعدهم غاية لم يتصلوا بها :

٣- ان الشيعة هم النخبة الصالحة من الناس

قد قرأت فى اوائل هذه المقالة ان الاجلاء المرموقين الذين لهم وزن خاص فى الصحابة كسلمان و ابي ذر و المقداد و عمار و خزيمة بن ثابت و حذيفة بن اليمان وعشرات سواهم من الذين لهم المكانات السامية كان لهم هوى خاص بامير المؤمنين و كانوا لا يرون به بديلاً من كل انسان و قرأت كلمة الانصار آنفاً انه لولا على فى المهاجرين لانفنا لانفسنا ان يذكر المهاجرون معنا وان يقرنوا بنا لکن رب واحد كالف بل كألوف :

وبعد هذا تعلم ان شيعة علي كانوا من هذا النمط الصالح ولا يضر عالياً انحراف الغناء عنه بل ليجل مقامه عن أن ينسب اليه اهل العاهات و خفيقوا الكفة عند الله : وقد جاء على لسان النبي ثناء وافر لشيعة علي واهل البيت فمن ذلك ما رواه في المناقب و الفردوس و ينابيع المودة و غيرها من كتب الفضائل عن النبي انه قال علي وشيعته هم الفائزون يوم القيامة والاطالة في هذه الابواب تخرجنا عن الموضوع وهذا كله ما لا ريب فيه .

٤- ان عقائد الشيعة المتلقاة

عن أئمتهم هي الصق العقائد بالدين و الواقع

فالعقيدة الشيعة بالصانع : انه تعالى موجود مجرد حي حكيم قادر مختار عالم أزلي ابدى خالق كل شيء وان صفاته عين ذاته وهذا الملاك عين ما توحى به العقول السليمة ومطابق لما جاء في نصوص القرآن الكريم : اما العقل فمدركه علي ما حكم به شتات المشاهد الكونية الحاكمة بالحقيقة التي أمر بنا عنها وما جاء في القرآن نسخة طبق الاصل لما أوحته العقول ونظرة عميقة في قوله تعالى (الآية ٩٥ وما بعدها من سورة الانعام) ان الله فلق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي فلق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباً وهو الذي جعل لكم النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر وهو الذي انشأكم من نفس واحدة وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم بديع السموات والارض انى يكون له ولد ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير: تكفى للاصهار بتطابق العقيدة المزبورة للمقادير الصريح المذكور.

وجاء في فصل من خطبة لامير المؤمنين في التوحيد (ج ٣ ص ٢٠٣ من النهج الحديدي) ما وحده من كنهه ولاحقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواء معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بهول فكرة غنى لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفدهم الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازاله الذي لا يحول و لا يزول و لا يعجز عليه الافول

لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة النساء لا تذال الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتلمسه ولا يتغير بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام: الى كثير سوى ذلك مما طفحت به خطب نهج البلاغة :

وجاء عن ابي عبدالله الصادق ان احدا من نادقة سأله فقال له دلني على معبودي فقال ابو عبدالله اجلس فاذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال ابو عبدالله ناولني يا غلام البيضة فناوله اياها فقال ابو عبدالله هذا حصن مكنون له جلد غليظ و تحته جلد رقيق وتحته ذهب مائة وفضة ذائبة فالالذوبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة والالذوبة تختلط بالذهب المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن اصلاحها ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن افسادها لا يدري للذكر خلقت ام للانثى تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبراً فساطرق ملياً ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله وانك امام وحجة من الله على خلقه: وعن ابي الحسن الرضا انه دخل عليه رجل فقال له يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم فقال انت لم تكن ثم كنت وقد علمت انك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك :

- وعقيدتهم في العدل - انه تعالى عادل في الخلقه : اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق (٨ - سورة الروم) الذي احسن كل شيء خلقه (٧ - سورة السجدة) وعادل في الحكومة : ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون : و خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون : ولطيف في تسيير الانسان حيث لم يعنف به فيقره على الفعل او الترك ثم يحاسبه عليه ولم يهمله لنفسه حتى يذهب ضحية اهوائه وشهواته بل اطف به اللطف الخفي مع تمام اختياره وقد يزداد هذا اللطف الى درجة العصمة حيث يزداد اقبال العبد على ربه وانقطاعه اليه كما قد ينحط الى درجة الاعراض عنه تعالى من المتمادين في غيرهم كما ورد ذلك في قوله سبحانه

(الآية ١٣ من سورة الكهف) انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى : وقوله عز وجل (الآية ١٠٠ من سورة الاعراف) تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين :
وما أعربنا عنه هو معنى ما جاء عن اهل البيت لاجبر ولا تفويض ولكن امرين امرين
وسئل الرضا عليه السلام في مجلس المأمون سائل فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون قال ان
الله أعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده
ويكمله الى نفسه :

- وعقيدتهم في النبوة - لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع وضرورة عصمة البعثة
حتى يحصل القطع للنفس بان ما يخبر به عن الله حتمى الصدور وان فعله وتركه حجة
وان الرسول في نفسه يجب ان يكون من الافراد الطاهرين المثاليين حتى تكون سابقته
بين الناس معينة على تصديقه ويضاف الى ذلك كون لطف الله بها اكثر من كل احد سواء بما
يعود معه قريباً من الطاعات بعيداً عن مزاولة المعاصي مع بقاء الاختيار وهذا هو معنى
وجوب العصمة : كما ان عقيدتهم بالنسبة الى سائر الانبياء الاجلاء و دياناتهم في حينها
طبق ما نطق به الذكر الحكيم (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة) آمن الرسول بما أنزل اليه
من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا و اليك المصير :

- وعقيدتهم في الامامة - انها تلوا النبوة ولا تفرق عنها الا بانقطاع الوحي وتأسيس
الشرائع وكل ملاك كان في النبي فانه يكون في الامام وان الامامة لا تحصل الا بالتنصيب
ذلك لان الدواعي الموجودة في ارسال الرسل بنفسها موجودة في لزوم حفظ الشريعة
وصونها عن التلاعب بها وقيادة امور الامة على الحق الذي لا تشوبه الميول والاهواء:
ولاريب ان تشريع الشريعة وحده لا يقوم بأدنى طرف من تطبيقها على المجامع :
وفضلا عن ان الافراد العاديين ليس بهم ان يقوموا بواجبها حتى لو اتخبو للقيام بأعبائها
فان اصل الانتخاب الصحيح مستحيل التحقق من الناس لامام يؤمهم وقد أصحرت الحقائق
التاريخية عن دجل انتخابات الدنيا بأسرها على ان مؤتمر السقيفة لا يجوز ان يعبر عنه

بالانتجاب او ما هو من شبهه .

(١) لتخلف الاجلاء المرموقين من اعيان الصحابة كعلي وسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وحذيفة بن اليمان وعشرات من طرازهم حيث بعد كل واحد من هؤلاء بألوف من غناء الناس :

(٢) لاستعمال الاعنات والارهاب في طريقه فلم تمض على انعقاد المؤتمر الساعة حتى خرج المجتمعون يشقون الازقة والطرق لفسر الناس على البيعة فكان يؤخذ بيد الرجل ويمسح بها على يد الخليفة شاء ذلك ام ابى :

(٣) للهجوم على بيت علي وفاطمة واخراج من فيه يطحن بهم ملبين حتى يبايعوا ولهنات أخرى لامجال لذكرها الان قد فعمت بها حوادث السقيفة ولت ذلك تم بلا أحداث حدث في الشريعة او ابداع بدعة لكن الامر وراء ذلك بمراحل حيث جاءت الاوليات وانتجال الاحكام عن ولاة الامور تحدث في الساعة بعد الساعة لاعن مدرك سوى الرأى المجرد والاستحسان المزيف وكما اعترف معترف منهم بان اصل البيعة كان عن فلتة وان هاسنه وحكم به كان على خلاف عهد الرسول وكما الفت نظره الى واقع الحقيقة من هو أعلم وأبصر فقال قولاته المعروفة : لولا علي لهلك عمر : ولولاك لاقتضحتنا : ولا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن : ولا بدع اذا مشى الدين بعد ذلك آلة صماء تتلاعب بها الميول والاهواء من محدث دجال وخليفة متحكم وقاض يمشى على وفق المصلحة الوقتية ويعامل بالدين على سعر الوقت وفقه اتخذ الاستحسان مدركاً للحكم الشرعى فوق ما اتخذ الكتاب والسنة :

ومن بعض الشواهد على ذلك ما رواه ابو نعيم (ج ٢ ص ١٩٢) من حلية الاولياء : عن ابن ابى ليلى قال دخلت انا وابو حنيفة على جعفر بن محمد فقال من هذا معك قال هذا رجل له بصرونفاذ في امر الدين قال لعله يقيس أمر الدين برأيه قال نعم فأقبل على ابى حنيفة فقال يا نعمان حدثنى ابى عن جدى ان رسول الله قال اول من قاس امر الدين برأيه ابليس قال الله له اسجد لادم فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فمن قاس امر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس لانه اتبعه بالقياس : ثم قال له ايهما أعظم قتل النفس او الزنا قال قتل النفس قال فان الله تعالى قبل فى قتل النفس

شاهدين ولم يقبل في الزنا الا اربعة ثم قال ايهما أعظم الصلاة او الصوم قال الصلوة قال فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة فكيف ويحك يقوم لك قياسك اتق الله ولا تقس الدين برأيك :

فهذا كله وكثير من امثاله يؤيد عقيدة الامامية في ازوم نصب الامام الشرعى من صاحب الشرع وكونه معصوما كالنبي المرسل :

-وعقيدتهم في المعاد- انه جسمانى كما صرحت به نصوص القرآن المحكمة وان هناك ثواباً وعقاباً بعد الحساب وجنة ونارا كما هو مشروح فى الكتاب العزيز وصحيح السنة-وعقيدتهم فى القرآن- انه الكتاب السماوى الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم معجزة لهو شريعة لامتة وانه الميزان الذى توزن به السنة فما وافقه منها اخذ به وما خالفه ترك وطرح: ومن تمجيد القرآن على لسان اهل البيت عليهم السلام ما جاء عن امير المؤمنين عليه السلام فى نعته (ج ٢ ص ٥٦٥ وما بعدها من النهج الحديدى) جعله الله ريباً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء ومحتاج اطراق الصالحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلاً وثيقاعروته ومعقلامتيفانروته وعزالمن تولادوسلاماً لمن دخله وهدى لمن اتهم به وعذرا لمن انتحل به وبرهاناً لمن تكلم به وشاهداً لمن خاصم عنه وقلجاً لمن حاج به وحاملاً لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجنة لمن استائم وعالماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى

ويقول عليه السلام (فى فقرة اخرى ج ٢ ص ١٠٥) واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش والهادى الذى لا يضل والمحدث الذى لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى و نقصان من عمى الى ان يقول - فكونوا من حرثه واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم وانهموا عليه آرائكم واستغشوا فيه أهوائكم عليهم السلام وكم له عليه السلام من قبيل هذه النعوت الجليلة فى حقه: -ومن عقيدة الشيعة فتح باب الاجتهاد- وهو امر ضرورى فى الشريعة لان كل مكلف

مخاطب بالفروع كما هو مخاطب بالاصول غايتان الاصول لما كانت تدور مدار العقليات لم يكن فيها طريق الى جواز التقليد لان معرفة الامور العقلية لا تحتاج الى ازيد من

الغات النظر اليها ومثل هذه المعرفة كافية في التكليف بأصول الدين : اما فروعها فلما كانت توقيفية من ناحية وذات مدارك شرعية كثيرة من ناحية ثانية و استفادة الحكم الشرعى منها مبتنية على معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص و المطلق والمقيد والمجمل والمبين وعلاج المتعارضات وما الى ذلك مما هو كثير فى نفسه ودقيق فى معناه كان امر المكلف فيها دائراً بين ان يكون مجتهداً او محتتماً او مقلداً لمجتهد : ويقال عنوان المجتهد لمن يتعرف بالمواد التى أشرنا اليها تعرفاً قائماً على تمحيص واستدلال حتى يجعلها ممهدة لاستنباط الحكم الفرعى الشرعى منها : ويقال المحتاط لمن به قدرة على تشخيص احوط الاقوال فى المسألة : والمقلداً من معروف ولا بدله على طول تسلسل الاجيال من مجتهدين يستمرون مع بقاءه ليقوموا بواجبهم الشرعى امام كثرات المكلفين الذين ليس باستطاعتهم ان يكونوا مجتهدين او محتاطين ولا بداهم من العمل بالشرعية التى هم موظفون بها : كما لا يجوز لهم الاكتفاء بما ينقل اليهم من آراء المستنبطين الاسبقين للعلم القاطع بخطأ جملة من الآراء الصادرة فى حينها اما لعدم تشبع اذهان أهلها بالمقاييس العلمية او لخطئهم فى التطبيق مضافاً الى حدوث حوادث مستجدة فى كل زمان لم يكن فى السابق منها عين ولا اثر ولا بد لها من حكم شرعى يضى عليها : والمجتهد الاسبق مع بذله لوسعه فى استنباط الحكم الشرعى وهكذا من قلده فى وقته معذوران لان غاية ما عليهما هو ذلك : ولا يعنر بعدهما من يستطيع الاستنباط الصحيح بنظر اذقولا من المقلدين من لم ينصرف الى فتوى المتأخر عن فتوى المتقدم :

وقد كشف سير العلم باهله ونضجه بالبحث ان اجتهاد المتأخر اقرب للمنطق من اجتهاد المتقدم فى كثير من الاحكام هذا وراء الحوادث المتجددة التى لم تسبق لها فتوى ولا بد من اجراء مقاييس العلم عليها وليس ذلك الآمن شأن المجتهد :

و نحن للان لا نعقل الملاك الذى سد باب الاجتهاد بعد المراجع الاربعة على كل احد سواهم بعد ما كان مفتوحاً حتى لغير اهل العلم كخالدين الوليد ونظرائه حينما كانت تعال بوادرهم بانهم اجتهدوا فيها وتأولوا فأخطأوا فهم معذرون :

وعقيدتهم فى الصوم والصلاة والخمس والزكوة والحج والجهاد الامر بالمعروف والنهى

عن المنكر اعلاما يمكن اعتقاده في وظائف الشرع وهكذا في سائر الابواب الفقهية من عقود و ايقاعات وأحكام نعم يختلفون هم واخوانهم من ابناء السنة في شتات فروع الابواب الفقهية اختلافات فرعية لا تمس بجوهر العقيدة الاسلامية ويوافقهم على اكثرها امتازوا به من المذاهب الخلفية جملة وافرة من صحابة وتابعين وأبرزتيك النقاط:

(١) المسح على الرجلين في الوضوء

(٢) استمرار اباحة النكاح المنقطع

(٣) عدم صحة العول والتعصيب في الميراث

(٤) حرمة العمل بالقياس والاستحسان

(٥) وجوب التقية في مقام الخوف من ظالم متهجم في حدود مخصوصة :

ونحن نبحث عن هذه النقاط بحثاً خفيفاً ينكشف به الاشكال وتحقق به اصابة

الخاصة دون العامة في ذلك :

١- المسح على الرجلين في الوضوء

جاء في آية الوضوء قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و ايديكم الى المرافق و امسحوا برؤسكم و ارجلكم الى الكعبين : فان ايقاع المقارنة بين الوجوه و الايدي في الغسل قاض بلزوم مراعاتها بين الرأس و الارجل في المسح ولو كانت الارجل مما تغسل للزم في مراعاة التناسب ان يقال فاغسلوا وجوهكم و ايديكم الى المرافق و ارجلكم الى الكعبين و امسحوا برؤسكم و اما ايقاع الممسوح بين مفسولين فهو من التشويش غير اللائق بمقام البليغ قطعاً بل من الموهوم لخلاف المقصود حتماً وذلك مما يجب ان يحترس عنه دفعاً للايهام جزماً : و يؤيد ذلك فضلاً عما ذكرناه قراءة الارجل بالكسر : قال الشوكاني في تفسيره عند تعرضه لقوله تعالى و ارجلكم الى الكعبين قرأ نافع بنصب ارجل و هي قراءة الحسن البصري و الاعمش وقرأ ابن كثير و ابو عمرو و حمزة بالجرو الى المسح ذهب ابن جرير الطبري وهو مروى عن ابن عباس قال القرطبي روى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان و مسحتان

قال وكان عكرمة يمسح رجله وقال ليس في الرجلين غسل وانما نزل فيهما المسح و قال
 عامر الشعبي نزل جبرئيل بالمسح قال و قال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين: و في
 احكام القرآن للجصاص قرأ ابن عباس والحسن وعكرمة وحمزة وابن كثير و ارجلكم
 بالخفض ، و قال الطبرسي في مجمع البيان و قد روى القول بالمسح عن جماعة
 من الصحابة والتابعين كابن عباس وانس و أبي العالية و الشعبي و قال الحسن
 البصري بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب الطبري والجبائي وروى عن ابن عباس
 انه وصف وضوء رسول الله ﷺ فمدح علي رجليه وروى عنه انه قال ان في كتاب الله
 المسح و يابى الناس الا الغسل و قال الوضوء غسلتان ومسحتان و قال قتادة فرض الله
 غسلتين ومسحتين و قال الشعبي نزل جبرئيل بالمسح ثم قال ان في التيمم ان يمسح ما
 كان غسلاً ويلقى ما كان مسحاً و قال يونس حدثني من صحب عكرمة الى واسط قال فما
 رأيت غسل رجليه وانما كان يمسح عليهما ولا ريب ان قضية غسل الرجل وليدة اوليات
 ومن مرتجلات الاحكام :



٢- نكاح المتعة

لم يختلف اثنان من المسلمين في اباحة هذا النكاح في عهد الرسول ﷺ
 وقامت جملة من الاثار على استمراره حتى اواسط خلافة عمر: فروى مسلم في الصحيح
 (ج ٤ ص ١٣٠ و ما بعدها باب نكاح المتعة) عن عطاء قال قدم جابر بن عبد الله معتمراً
 فجيئناه في منزله فساله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد
 رسول الله و ابي بكر وعمر: وعن ابي الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا نستمتع
 بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله و ابي بكر حتى نهى عنه عمر في شان
 عمرو بن حريث :

وفي منتخب كنز العمال (ج ٦ ص ٤٠٤) عن سعيد بن المسيب قال استمتع ابن
 حريث وابن فلان كلاهما ولد له من المتعة زمان ابي بكر وعمر - ابن جرير - وقال ابن
 حجر في الاصابة في ترجمة سلمة بن امية بن خلف الجمحي واستمتع سلمة بن امية من سلمى

مولاة حكيم بن امية بن الاوقص الاسلامي فولدت له فوجد ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة وقال ابن حزم في المحلى ثبت على تحليل المتعة بعد النبي ﷺ من الصحابة ابن مسعود وابن عباس وجابر وسلمة والمغيرة ابنا امية ابن خلف و ذكر آخرين : وفي بداية المجتهد لابن رشد واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبع ابن عباس على القول بها اصحابه من اهل مكة واليمن ثم قال وروى عنه انه قال ما كانت المتعة الا رحمة من الله عزوجل رحم بهامة محمد ولولا نهى عمر عنها ما اضطر الى الزنا الا شقى : وعن عطاء قال سمعت جابر بن عبد الله يقول تمتعنا على عهد رسول الله ص وابي بكر ونصفا من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر الناس - الى غير ذلك مما هو كثير -

واما ادعواؤهم نسخ ذلك زمن الرسول ففيه من الغبط والخلط والتزوير ما لا يخفى أمره وقد تعرضنا له مبسوطا في (ج ٤ ص ٢٧٩ وما قبلها وبعدها من نتائج الفكر) فراجع هذا والاركان الرئيسية في النكاح الدائم موجودة فيه بالاتفاوت والاختلاف بينهما في بعض الجزئيات لا يؤثر وقد ألب القول بحليتها امير المؤمنين علي وبنوه حتى عرفت المسألة بهم في حال انها اسلامية عامة :
 مركز البحوث والدراسات الإسلامية

٣- العول والتعصيب في الميراث

ان من يراجع الفقه الاسلامي غير المشوب بجذان لاعول فيه ولا تعصيب اما عدم التعصيب فبقوله تعالى وارلوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله (آخر سورة الانفال) واولوية القريب تمنع البعيد وتقطعه عن الارث بالمرّة : وكل ذى شعور يعلم استحالة أن يشرع الله في تركة ثلثين وثلثا وربعاً كما في البنّتين والابوين والزوج فلا بد ان يكون في البين امر يروع هذه الحزازة و الفقيه المتدبر في الفرائض الواردة في كتاب الله يراها على قسمين قسم منها فرض ينزل الى فرض آخر كالزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن و الام من الثلث الى السدس و قسم منها فرض اذا تنزل لا ينزل الى قدر معين فالاستيناس الفقهى قاض بان الفرض المتنزل الى فرض أدون كالنصف الى الربع و الربع الى الثمن و الثلث الى السدس لا مجال

بعد تنزله الى ادخال النقص عليه اذن فيكون النقص وارداً على الفروض التي اذا تنزلت
تنزل الى غير معين وقد وردت بذلك السنة عن اهل البيت ومن طريق الصحابة ايضاً
اما اهل البيت فمذهبهم تخطئة العول والتعصيب بالمرءة : واما ما جاء من طريق الصحابة
فروى الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٣٤٠) عن محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب عن
عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس ان قال اول من أعال الفرائض عمر وايم الله لو قدم من قدم الله
وأخر من أخر الله ما عالت فريضة فقيل له وايمها قدم الله وايمها أخر فقال كل فريضة لم
يهبطها الله عز وجل عن فريضة الا الى فريضة فهذا ما قدم الله عز وجل وكل فريضة اذا زالت عن فرضها
لم يكن لها الا ما بقى فتلك التي أخر الله عز وجل كالزوج والزوجة والام والذي أخر
كالاخوات والبنات فاذا اجتمع من قدم الله و من أخر بدأ بمن قدم فأعطى حقه كاملاً
فان بقى شيء كان لمن أخر وان لم يبق شيء فلا شيء له هذا حديث صحيح على شرط
مسلم ولم يخرجاه :

وروى الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٣٣٧) عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس قال شيء
لا تجدونه في كتاب الله تعالى ولا في قضاء رسول الله و تجدونه في الناس الابنة النصف
وللاخت النصف: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه :

وروى الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٣٣٩) عن الزهري عن ابي سلمة قال جاء ابن
عباس رجل فقال رجل توفي و ترك بنته و اخته لاييه و امه فقال لابنته النصف و ليس
لاخته شيء قال الرجل فان عمر قضى بغير ذلك جعل لابنة النصف و للاخت النصف
قال ابن عباس انتم اعلم ام الله فلم ادر ما وجه هذا حتى لقيت ابن طاووس فذكرت له
حديث الزهري فقال اخبرني ابي انه سمع ابن عباس يقول قال الله عز وجل ان امرؤ هلك
ليس له ولد و له اخت فلها نصف ما ترك قال ابن عباس فقلتم انتم لها النصف وان كان
له ولد: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه: وما ذكره ابن عباس هو الحق
الذي لا معدل عنه :

٤. حرمة العمل بالقياس والاستحسان

وقدمر افحام الصادق عليه السلام لابي حنيفة في مسألة القياس وان القياس يمحق الدين

٥- وجوب التقية من خوف ظالم متهجم في حدود خاصة

التقية معناها كتمان ما لو أظهر لاتي على النفس او العرض او المال المعتمد به بالضرر غير القابل للتحمل بما لا جبران له من طريق اظهار ما كتم ولا ريب ان اظهار الامر المزبور مع المحذور المذكور يقع فضلا عن لغويته و عقمه عن الانتاج مضراً بما لا يتحمل وكل ضرر منفي الا ما كان موضوعاً للحكم الشرعي كالجهاد في سبيل الله بشرائطه وما ذكرناه سنة عقلائية لم ينحرف عنها الشرع فنبز الشيعة بها نبز باطل والتفصيل لانسعه هذه العجالة :

الشيعة ومسيرهم مع العلم والفضيلة

لا يرتاب مسلم غير متحيز ان علياً اعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وقد اعترف له بذلك اكابر الصحابة والتابعين وجهابذة المعصلين من اهل العلم فضلا عما شهد رسول الله له به في آثار عديدة: انامدينة العلم وعلى بابها: أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وابصرهم بالقضية: الى ماسوى ذلك مما هو جزيل في طرقه جليل في معناه: وكما قيل في حقه ع انه ما احتاج مع علمه الى احد واحتاج اليه كافة الناس حتى الخلفاء ولقد سارت بعلمه الركبان في شرق المملكة الاسلامية وغربها وبعض من خريجي مدرسته عبدالله بن عباس وعلى هذا المدرج العلمى درج الصفة من آله ولقد روى عن الصادقين وموسى ابن جعفر وعلى بن موسى عشرات الالوف من المعصلين والحال ان واحداً من هؤلاء الائمة لم يتلمذ في طول حياته على غير اهله بالمره: ولقد صدر عنهم عليهم السلام من فنون العلوم العقلية والنقلية ما طفحت به الكتب العلمية من فقد و اصول و كلام و تفسير

وأخلاق وآداب ومناظرات وجدل وفصاحة و بلاغة و من آثارهم في كل ذلك مدونات عريقة في الاصاله و تلامذة لهم وزنهم في الفضيلة و ما كانت اوقانهم على حراجتها في التعصب تنكرهم : وصدفة ان نوع المؤسسين في تدوين العلوم كانوا من شيعتهم المخلصين وقد نصب العلامة الحجة المرحوم السيد حسن الصدر نفسه لتدوين سابقتهم في ذلك فكتب كتابه الحافل بعنوان تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام وهو كتاب متداول مطبوع:

واستمر الشيعة مع اعنات الزمان بهم يلاكمون الدهر في تشكيل الحوزات العلمية من اقدم عصورهم لهذا التاريخ ولقد برعوا في الفقه والاصول والكلام و علوم الحديث و التفسير براعة قل نظيرها والوزن العلمي في آثارهم التحقيقية على الاخص في الفقه و الاصول يرفعهم على كل محصل في مدرسة الاسلام ولا حصر لعلمائهم الاجلاء ولا لضبط ما برز لهم من تأليف وان كان قد تصدى في هذه الاواخر من الف لتراجعهم وضبط مؤلفاتهم وانعب نفسه في ذلك حقاً و جاء بالكثير منه ضمن سلاسل مستطيلة طبع الاكثر منها و انتشر في الشرق والغرب :

ومن حسن الصدف ان علماء الشيعة الامامية على مسيرهم مع الاجيال لم يرضخوا لاية سياسة تفرض ولذلك كان لهم استقلالهم المرموق وقد شخص في مراجعهم من كانت تعول عظمتهم الملوك : وقد اسس كل من هؤلاء بدوره مساجد و مدارس و خزانات كتب و احيى آثراً مندرة وقام بواجب حوزات منتشرة وساهم في مشاريع خيرية جهداً المستطاع ولهم في ايران والعراق والباكستان والهند ولبنان وسائر اقطار الشيعة الوف المدارس و المساجد بين قديم وحديث : ولا يقل وجود الشيعة اليوم في ايران و العراق والقفقاس و تركيا والباكستان والهند ولبنان واندوزيا والافغان وتبت وامارات الخليج والمملكة السعودية وافريقية والمهاجر الامريكية والاوربية عن مائة وثلاثين مليوناً :

الشيعة والمنابر الحسينية

لم تكن واقعة الطف في وقتها عبرة لآباء الضيم والغياري من بني آدم فقط بل كانت مسرحاً روئياً جالباً لشتى انواع الفضائل فكانت معرضاً للاخلاص وساحة قدس وايمان

ومحراب صلاة ودعاء ومنبر وعظ وارشاد ومنصة خطابة وميدان لسن و ذرابة و الشيعة ترى من وظيفتها الدينية ومن شرائط المواصاة لاهل بيت الرسالة اقامة المآتم المتكررة لافى شهرى المحرم وصفر فقط بل على طول ايام السنة لتقوم بدورها من طريق هذه المآتم بعدة وظائف اجتماعية منها تعليم العوام المسائل الدينية و الاحكام الشرعية و منها تأديبها و ثقيفها بالاخلاق الصحيحة و مباني الفضيلة و منها شحذ اذهانها بالعبور والحوادث التي جرت فى الكون على المقدسين من طريق الظلمة المتمهجين و بالآخرة عادت هذه المآتم مجالس تدريس ووعظ وارشاد و سرد قصص واثارة عبر ورياضة للنفوس و من طريق ذلك خلقت الشيعة من محصلها الوف الخطباء المتمرنين الذين يدبرون المجالس العامة ساعة او ساعتين ادارة مرموقة يهدونها و حسن استماعها لناطقها الذى ينحدر فى وجهته انحدار السيل لا يتلكأ ولا يتوقف كل ذلك عن ارتجال لما يقول و حسن صياغة للمفردات و التراكيب و هذه الخاصة معدومة النظير فى سائر المذاهب و الاديان .

الشيعة و الادب

و حظ الشيعة من الادب شعراً و نثراً كما قيل - و هل ترى من اديب غير شيعى - و لقد اتيح كانواون الادب من الشيعة فطاحل شعراء اللغة و كتابها من اول صدر الاسلام الى يومنا الحاضر و قد اوعيت دواوينهم كل معنى عال و سبك مختار و الفاظ تجمّع بين الرقة و الجزالة و ليس بنا الاطالة تحت هذا العنوان لسعة ميدانه بما لا تأتى عليه سلاسل الدواوين الضخمة : نعم يجب ان نشير الى جهة خاصة تخصص لها الشيعة فجاؤا فيها من ابداع الفنانين و تلك الجهة هى توجيه شاعر يتهم فى القسم المرموق من شعرهم الى مدائح و مرثى اهل البيت عليهم السلام على الاخص المدائح التى قيلت فى امير المؤمنين على و المرثى التى رثى بها شهداء الطف فان كل من يستجلى هذه الناحية يجد فيها عرضاً خاصاً لا يوجد فى جميع انواع الشعر فى القديم و الحديث : و لو جمع ما قيل فى هاتين الناحيتين من شعر ضخم لكان فى نفسه فنا رائعاً من فنون الادب و مقياساً عالياً للروحيات الحية :

الانتهاز الغربي وأثره في المسلمين عموماً

كان المسلمون وكان في أطباقيهم المؤمن التقى والعاصى الشقى والمتحلى بالفضائل والمتمایل بجهله الى الرذائل لكن هذا الانشعاع في المشرب لم يكن ليؤثر على الظاهرة العامة للمسلمين فلم يكن بلد من بلد انهم شاغراً من المساجد المعمورة والمدارس الدينية الغاصة بالمفيدة والمستفيد والمحافل الاسلامية المكتظة بناطقتها ومستمعها ولا يكاد يرى الانسان على آفاقها بصيصاً لكفر او منقداً ازندقه والحاد وكان الناس باسره حاكماً ومحكوماً مطبقين على مطاردة من يريد دينهم بسوء :

اما بعد أن أعد الغرب وثبته على الشرق من طريق الحرب العالمية الاولى ففضلاً عن انه اعمل سيفه بكل قوة في عضلاته تسرب اليهم بخلاعاته ووجهالاته من ناحية وباشاعة الزندقه والتشكيك في عقائدهم المقدسة من ناحية ثانية واخذ يدس ذلك في كل شيء من اشياء الناس حتى استغوى ناشئة الامة فاسترسلت معه مخلوعة الرسن حتى من فطرباتها الاولى وخاتل الكهول منهم بشتى الحيل فجاءوا في شيخوختهم واهنين في العقيدة كاسلين عن العمل الصالح وساعد هؤلاء الانتهازيين على تحقيق ميولهم في العالم الاسلامى عملاؤهم الاوغاد الذين جمعوا الى خبث البواطن ميوعة الظواهر فضربوا الامة باسم التمدن ضرباً اتى بها واهنة القوى متفككة العرى قليلة العزم لا يطمع منها بدين ولا بدنيا :

امة لا يقصر عددها عن الخمسمائة مليون انسان ولكنها لا تملك من النفسيات العالية ما يملكه الثلاث مائة مسلم حضار بدر عندما خلقوا من الدنيا لا نفسهم عالماً جديداً ضرب أطنابه في ابعد حدود الشرق والغرب : نعم يملك المسلمون اليوم لانفسهم كثرة ولكنها من التفاهة قد فانت حدود الوصف وضاق عن بيانها فم الواصف فلا تجنح الى عقيدة و لا تتحلى بلباس فضيلة ولا تملك كرامة و لا تبدي من نفسها اقل شهامة يتلاعب بها تيار الاحزاب المدسوسة تلاعب الريح بالغصون وهكذا استمرت في جهلها وتخنثها رامية بنفسها في أحضان القناء :

فاذا أحطت خبراً بما سلف فهمم الى درس وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام (ج ٤ ص ٣ وما بعدها من النهج الحديدى) من الوالد الفانى المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غداً الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام و رهينة الايام و رمية المصائب و عبد الدنيا و تاجر الغرور و غريم المنايا و اسير الموت و حليف الهوم و قرين الاحزان و نصب الافات و صريع الشهوات و خليفة الاموات :

كتب عليه السلام هذا الكتاب بعد أن اخسره أصحابه وقعة صفين فذهبت متاعبه و متاعب اصحابه المخلصين هدرا و تمتع بالموقف من لا يزن قدره فى الكمال جناح بعوضة و أحرز خلافة المسلمين التى ائلف عليها نبى الاسلام عمره و اعمار الوفاء من مخلصيه لنفسه وللطغمة من اقاربه و لا عجب فان الدنيا كلها اعاجيب و هذا من حلقات سلسلتها .

وأصول الامجال للكمال وللكمل فى هذه الحياة والمفاهيم الشريفة التى يقرها العقل و العقلاء لا طريق لها الى الخارج لان التكالب على الحياة المادية يعقمها عن التحقق الخارجى و من هنا يعلم ان الطالبين بالروح القابعين بالروحانية فيما يزعمون انما ام تنجح مدرستهم محصلا يكون منه محصل لانهم فى الحقيقة انتهزيون فدل بسوا الصلافة و جهأ و الدجل و التدليس شعاراً و مشوا من وراء ذلك يقتنصون مواقع الرغبات و الشهوات و من هنا انجرف المتنورون الى صوب الضلال على علم منهم ان جرائم الافراد و مهما تظاهروا بالانضمام الى صفوف الحقائق لا يجوز تحميلها على الحقيقة نفسها . نعم بقى فى الميدان هؤلاء الطغمة الذين لا يميزون بين المداهن و الصريح و وجودهم المنتشر على محذب الكرة هو الذى اغرى المدلسين بالتدليس والانتهازين بالدجل والنفاق وهو الذى كبر محيط العامية وكثر وجود العوام وفتح المجال للخرافات والاهام بشتى صورها سواء فى العادات والرسوم ام فى العقائد والمذاهب ام فى الكتب و الاقلام وعلى هذا فلا غرابة اذا شخص دجال باسم الدين و خرافى من طريق التأليف و محدث من تزويره الاهام الملايسة لاذهان العوام : كما لا غرابة اذا خفت صوت المعحق

و خمل العالم الصدق وقبع في زوايا الخبايا الكاتب الحروب الالهال الراوية الصادق
وعلى مثل هذا وذاك قس كل ما شاهدته من تموجات الحياة العارمة :
كتب عليه السلام ذلك والآلام تعتلج في صدره على ما اضيع من حق واريق من دم
محترم فقال ، من الوالد الفاني ، وان كان فيما يراه من نفسه سالم البنية صحيح المزاج
اذكل من عليها فان ، المقر للزمان ، بانه لا يغالب اذ لا مرد لقضاء الله وان استرت الحمكة فيه ،
المدبر العبر ، لانه عليه السلام كان حينذاك قد تجاوز الستين من عمره والستون ليست عمراً
طبيعياً للانسان لكن الملابس الملتوية التي اقترنت بحياته عليه السلام هي التي انحلت
قواه فصيرته واهن البدن كليل الحد وللحوادث فعلها القهار حتى بالجبال الصم ، المستسلم
للدهر ، لاخضوعاً منه فانه عليه السلام كان من أعز الأباة روحاً ولكن استسلامه انما كان
للقضاء الذي يصرف الدهر ومن في الدهر ، الذام للدنيا ، لايقاعها بكل صالح ومصلح و
اخذا بيد كل جلف ساقط : وليست الدنيا في نفسها وجوداً مستقلاً فعلا حتى تدم و
تحمى من طريق ما تفعل وانما المنظور بها هي هذه الحياة المادية المشتملة على كل
ماهب ودب وما لابس هذين من الاقترانات الناشئة عن التفاعل الحيوي بين الاحياء
وعن تمخض الطبيعة من طريق مسخرها ، الساكن مساكن الموتى ، فان الارض التي
يسكنها احياء كل جيل هي منازل الاسلاف الفانين ، الظاعن عنها غداً ، اي فيما يستقبله
من الزمان وقربه وبعده منوط بعلم الله ، الى المولود ، الالف و اللام عوض عن ياء
الاضافة ، المؤمل ما لا يدرك ، هذا وصف عام لكل انسان ولا خصوصية له بالحسن
عليه السلام فان كل انسان من بروفاجر وروحي ومادى وعالم ومتعلم و رئيس و مرؤس وغير
هؤلاء يزوي في نفسه آمالا ولكن الحوادث المتشابكة تقطعه عن تحقيقها فلا يدركها ،
السالك سبيل من قد هلك ، ان كل حي سالك هذا السبيل ، غرض الاسقام ، وكل حي
هو هدف لها ، و رهينة الايام ، كل بني آدم رهائن بيد الحوادث و الايام ، و رمية
المصائب ، اي الغرض الذي ترمى اليه والانسان محطة الحوادث والكوارث ، و عبد
الدنيا ، ومعنى عبودية الانسان للدنيا انه مسخر لتقلباتها محكوم لشرائطها اراد ذلك
ام ابى ، وتاجر الغرور ، اي يتاجر بغروره وليس كل غرور مذموماً ان بعضه مبتن على

الدقة والمطالعة ولكنهما قد تخفقان بالطوارء غير المحتسبة ، وغريم المنايا ، اى انه
 مدين لها فهى تتعقبه وتطارده كما يطارد الغريم غريمه ، وأسير الموت ، الذى لا فكاك
 له ، وحليف الهموم ، وكل انسان كذلك على الاخص من يبيت على نفس مؤمنة و
 ينطوى على روح صادقة ، وقرين الاحزان ونصب الافات ، اى هو بمنزلة الغرض لها ،
 وصريع الشهوات ، وايس المنظور بذلك ما يسبق من هذه اللفظة الى الذهن بل المنظور
 بذلك هى الرغائب النفسية واو كانت مشروعة مباحة فان نوع الناس صرعى رغباتهم واية
 كانت فى نفسها حتى لو بلغت من عظمة الهدف ما بلغت ، وخليفة الاموات ، الاحياء
 كلهم خلفاء الاموات :

ساق عليه السلام كل ما وصف به نفسه وولده ساق القضايا العامة الواقعية ليكشف
 لولده انه هو و اباة ايضا مهما بلغا فى الاحترام الواقعى فانهما لا يشدان عن السنن
 العامة فى الكون و انشأتهما شأن سائر الناس فى المجارى الطبيعية والاقترانات الزمنية ؛
 اما بعد فانى فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى وجموح الدهر على واقبال الآخرة
 الى ما يزغنى عن ذكر من سواى و الاهتمام بما و رائى غير انى حيث تفرد بى دون
 هموم الناس هم نفسى فصدقنى رأبى و صرفنى عن هواى و صرح لى محض أمرى
 فأفضى بى الى جسد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك بعضى بل
 وجدتك كلى حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابنى و كان الموت لو أتاك أتانى
 فعنانى من امرك ما يعينى من امر نفسى فكتبت اليك كتابى مستظهاً به ان انا بقيت
 لك او فنيت :

اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى ، تبين من الشىء اذا تحقق منه و
 تيقن به بما لا يشوبه اقل احتمال خلاف والامام عليه السلام من اعلم الناس بان الانسان من
 حين ما يضع قدمه فى الحياة فقد استدر دنياه واستقبل آخرته الا أن هذا المعنى وراء
 ما هو ظاهر مكشوف للانظار البدائية من كون الانسان فى اول عمره انما يستقبل حياته لاموته
 وكلا النظيرين الواقعى والظاهرى يتطابقان مع العلل والحوادث الهادة وطلوع الشيوخوخة
 على نهاية حياة الانسان وهو عليه السلام هدف فى هذه الفقرة الى هذا المعنى الطافح لعامة

الانقار المحرز للنفس بالوجدان، وجموح الدهر على، جموح الفرس بصاحبه اذا ماطله بالمسير وتلوى عليه ومعنى جموح الدهر هنا عدم اصرساله مع الانسان بالعلل القابضة او الشيوخه الموفية على الفناء، واقبال الآخرة الى، كأنتى اتناوشها من قريب، مايزعنى، اى بصرفنى، عن ذكر من سواى، من الناس كأنتاً من كان لان ما يوجب الانصراف الى النفس يزغ الانسان عن كل شأن غيره، و، عن، الاهتمام بما وراثى، من كل شىء وان مت الى بنسبة، غيرانى، هذا توطأة لما يقال اذا كان الامر كذلك فاهتمامك بالوصية لولدك الحسن بما يخصه ويتكفل تهذيبه وتأديبه ينافى ما ذكرت فقدم عليه السلام مقدمة تتصل فى نهايتها بأن الحسن ليس امرء سواء وانه بعض منه او هو كله فان اهتم بشأن ولده فقد اهتم بخاصة نفسه: ومن وظيفة الاب بعد ان يتكون من نسبيته الولدان بعده لحياء تحفظه من التلف مهما امكن والأعاد هذا الاب جانباً وكافة المسيبين فى الدنيا الذين جاءت عنهم جرائم لاتعد ولا تحصى انما مشوا فى هذا الطريق المتعثر لاهمال آباؤهم اهم واكتفائهم من ازواجهم بنيل الشهوة الجنسية فقط، حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى. اى كنت فيما سلف اهتم لامور الناس لان ذلك من شريطة الاسلام و من لوازم الوجدان والايمان اما الآن حيث آذنت بى نفسى ان اترك الدنيا كلها! وأصير الى عالم آخر فالوظيفة توجب على الاهتمام بخاصة نفسى دون كل من سواى، فصدقنى، هذا الهم الناشىء عن قرب موافاتى لآخرتى فى، رأبى، الذى رأيت فى الانصراف الى مصيرى النهائى وقد كنت آنفاً فى سعة وقتى اعطى شيئاً من توجهى لغيرى قياماً بواجب الخدمة العامة وصرفتنى عن هواى، لم يكن له عليه السلام هوى كهوى الناس ولكن كان فيه النزوع الى اقامة العدل بين الناس واعطاء المحق حقه ورد المبطل عن تهجمه ومالى ذلك ولكن لما ازف منه الرحيل وقرب ارتحاله الى آخرته حصر نفسه وقصرها على موجبات هذا السفر الذى يشقى فيه من يشقى ويسعد من يسعد، وصرح لى محض امرى، وكذلك لم يكن امره عليه السلام مشتبهاً عليه ولكن نفسه كانت متوزعة بينه و بين غيره لمطالب الدنيا اما اليوم فقد تمحض أمره للسعى فى خاصة شؤنه الاخرية ليس غير، فأفضى بى، اى أوصلنى، الى جد، وهو القصد الذى لا يتشظى؛ لا يكون فيه لعب، ليس ابن ابى طالب ممن يغمز باللعب

ولكن المنظوران الانسان في حياته الاعتيادية قد يطايب غيره ويفاكه ويمزح مزاحاً شريفاً لاغضاضة فيه ويسكن الى الراحة اما حيث تنسلخ عنه الدنيا فلا، وصدق لا يشوبه كذب ، ليس المنظور بالصدق والكذب هنا مخالفة الواقع و موافقته بل المنظور بذلك الجد غير المشوب بالفتور كما يقال صدقه في اللقاء ، وجدتك ، خطاب لولده الحسن ، بعضى لان الولد فلذة كبد الوالد ما كانا متصافيين، بل وجدتك كلى، اى انك نسخة منى وانما عبر عنه بذلك لالانه ولده فقط بل لانه ذخيرة رسول الله وفاطمة عنده ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكان الموت لو أتاك أتاني فعناني ، اى أهمنى ، من امرك ما يعينيني من أمر نفسي فكثبت اليك كتابي مستظهاً به ، يقال استظهرت به اى جعلته ظهيراً أستعين به والمنظور انى حررت لك هذا الكتاب وانا أحاول الاستعانة بما فيه على تهذيبك والفت نظرك ، ان انا بقيت ، وامتدت بي الايام، اوفيت، وفى هذه العبارات من حنان الابوة وشريف المروءة ما لا يساويه شىء آخر :

فأنى اوصيك بتقوى الله أى بنى ولزوم أمره وعماراة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واى سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به أحى قلبك بالموعظة وأتمه بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلك بذكر الموت وقرره بالفناء و بصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالى والا يام واعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب من كان قبلك من الاولين و سرفى ديارهم و آثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزأوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة و كانتك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مشواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وأمسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال .

فأنى اوصيك بتقوى الله ، اى بالخوف منه حيث تحاول الميول والا هواء منك انحرافاً عن جادته التى أمر بسلوكها و طريقته التى وظف المكلفين بالسير عليها فان الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها على المكلفين ليضع كلا من المتجاوز و المتجاوز عليه فى نصابه وليتصل كل واحد منهما بثوابه او عقابه و هو تعالى شديد المحال عظيم

البطش لا يفوته من يطلبه ولا يفات من يده من ياخذه ، اى بنى وازوم امره اى طريقته التى سنها لسعادة مخلوقاته وشريعته التى وظفها للكائناته، وعمارة قلبك بذكره، فان القلب كانون عامر للذكريات وله التأثير العظيم فى توجيه الانسان فاذا عمره صاحبه بالمثل العالية والتعاليم الراقية و الاخلاق الصحيحة فقد حفظ دنياه من أهم المؤسفات و آخرته من لوث السيئات و اذا ابتدل منزلته و أهمل موقعيته و جعله محلا للتوافه و معتركا للشهوات جافت دنياه متصاعدة متنازلة يلتذ يوماً ويشقى اياً ما و على هذا الوزن تكون آخرته فيكون صاحبه من المنكودين فى كل انشأته ، والاعتصام بحبله، كما قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً وحبل الله هو السبب الواصل بينه وبين عباده وهو عبارة عن فعل الحسن وترك القبيح وهذا ما يتقاضاه العقل الانسانى من كل انسان .

واى سبب اوثق من سبب بينك وبين الله أن انت اخذت به ، لان كل سبب يفرض من المال او الرجال او الجاه والسلطان فانه معرض لاخطار كثيرة تاتى عليه ولا تدر منه شيئاً اما التسبب بقوة الله تعالى فلا وسيلة تنصور وراءه، احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة ، اى مهما استطعت فلا تقرب نفسك من الشهوات فانها غرارة تستهويك اولاً وتوثقك ربطاً عند ما تتمكن منك وتقوم بتبريحك والاعانة بك بما لا حول لك معه ولا طول وكم ملك عظيم السلطان استحوذت عليه فجعلته ذليلاً صاعراً لها مقهوراً لاسبابها بعيداً كل البعد عما يراد منه فكيف بالسائرين من الناس : ومهما استطعت أيضاً فنور قلبك بالحقائق حتى تعيش هادئ البال من ناحية ومرموقاً فى انظار العقلاء من ناحية ثانية :

وقوه باليقين ونوره بالحكمة ، اى قرر قلبك بالثبات للرياضة كما يجمع الانسان الشجاع قواه للمبارزة واجعله نيراً مضيئاً بالحكمة وهى التعاليم النافعة و المعارف الصادقة ، وذلك بذكر الموت وقرره بالفناء ، لاريب ان ذكر الموت والفناء مما يقصر بخطى الانسان عن التركاض مع دواعى الشهوة ويعدل به عن الانجراف صوب المنافيات وذلك من اهم موجبات السعادة للفرد والمجتمع كليهما، وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالى والايام ، فان ملاحظة العبر اياها مفعول قوى فى النفس وفى كبح جماحها ، واعرض عليه اخبار الماضين ، من شتى طبقاتهم ، وذكره

بما أصاب من كان قبلك من الاولين ، فهذا ملك اطيع عن عرشه وذاك زعيم تناهيته الايام و عزيز اذنته الحوادث و مترف جر عليه الشقاء اذباله الى ما لا يحصى من هذا القبيل ؛ و سر فى ديارهم و آثارهم ، تجدها خيراً بعد عين كـ أن لم تشيد ولم تصهد ولم تكن مرايع انس و مجالس لهو ، فانظر فيما فعلوا ، و أفاضوا فيه و تركوا ، و عما انتقلوا ، مما حرصوا فى جمعه و ارتكبوا الموبقات فى تحصيله فكان بعدهم غنيمة لآخرين يتناهبونه وربما شفعوه بسبب جامعته و شتمه ، و اين حلوا و نزلوا ، بعد ذلك الترف و الترفه ، فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة و حلوا دار الغربة ، و الامام يعلم ان مصير كل انسان الى ما وصف غايته الفرق بين المحسن و المسىء و المتهالك على حطام الدنيا و المعتدل و من لاحسرة له على ما خلف و الأسف على ما جمع و ترك و هذه الفوارق لها اثرها الفعال فى نفوس الافراد و فى الهيئات الاجتماعية ، و كأنك عن قليل قدصرت كأحدهم ، و انما الزمه بتقليل الامل فى البقاء لان اعتبار مديده يغرى بصاحبه و يغويه ، فأصلح مثواك ، الذى تأوى اليه و محللك الذى لا ترحل عنه ، و لاتبع آخرتك بدنياك ، اى عاقبتك الطويلة بحاضرک القصير ، و دع القول فيما لا تعرف ، فانه حافظ لوقارك قائم بحيثيتك ، و الخطاب فيما لم تكلف ، فانه فضول و اسفاف ، و أمسك عن سلوكك ، طريق اذا خفت ضلالتك فانه ، ربما أدى بك الى مهلكة ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال ، بقصد التخلص منه :

و أمر بالمعروف تكن من أهله و انكر المنكر بيدك و لسانك و باين من فعله بجهدك وجاهد فى الله حق جهاده و لاتأخذك فى الله لومة لائم و خض الغمرات للحق حيث كان و نفقه نى الدين و عود نفسك التصبر على المكروه و نعم الخلق التصبر فى الحق و الجىء نفسك فى امورك كلها الى الاهك فانك تلجؤها الى كهف حريز و مانع عزيز و اخلص فى المسالة اربك فان بيده العطاء و الحرمان و اكثر الاستخارة و تفهم وصيتى و لاتذهبن عنك صفحاً فان خير القول ما نفع و اعلم انه لا خير فى علم لا ينفع و لا ينتفع بعلم لا يعق تعلمه و أمر بالمعروف تكن من أهله ، المعروف هو الامر الحسن الذى تطابق على حسنه العقل و الشرع و انما وجب الامر به مع تهيأ شرائطه لان صلاح الاجتماع موقوف

عليه والشرائع السماوية الحققة انما الزم الناس بها لهدف السعادة والصلاح ليس غير ثم ان الدعوة الى ملابسة الامور الحسنة تستمد حسنيتها من حسن الامور المدعو اليها فهكذا الامر بالمعروف يكون من طريق امره به من اهل المعروف وفاقليه ، وانكر المنكر بيدك ولسانك: المنكر هو كل ما يستنكره الشعور الانساني المتزن ويواكبه الشرع عليه وانكاره هو النهي عنه اذا كان، للنهي القولي مجال ومراتبه كمراتب الامر بالمعروف عديدة حسب الملابس التي تقترن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلاهما يتحققان بكافة الادوات المنتجة لهما من قلم وقدم ودرهم الى الاقبال بالوجه والاعراض به و بالنهاية الى التوجه بالقلب والامتعاظ من طريقه ، و باين من فعله بجهدك، البيوتة هي الانقطاع عن فاعل المنكر فان زمرة المكلفين اذا وطنوا انفسهم على مباحة الجناة و فاعلي السيئات من باب الاستنكار قل فعل الخطيئة والمخطون في الاجتماع لان معاذرة العصاة من البشر اكثر بكثير من معاذرتهم من الله ان كانوا يدينون بذلك لانهم يعتبرون ان ترهيبات الله بعيدة التحقق خلافاً للبشر الذين يماشونهم كنفألى كنف:

مرکز تحقیقات کلمت و علوم اسلامی

وجاهد في الله حق جهاده، المجاهدة بذل الجهد وتحمل المشاق في سبيل الهدف المرصود والجهاد في الله هو قبول تحمل الزحمت في تحقيق كل ما يريد الله تحقيقه من طريق نفس المكلفين و ان كان الله أقدر القادرين والجهاد انواع و اقسام و ان كان الجهاد بالسيف أعلا اقسامه و هو المتبادر منها الى الذهن وحق الجهاد هو الاخلاص فيه ، ولاناخذك في الله لومة لائم ، يقال فلان اخذته اللائمة اذا استجاب لمن يلومه وقبل عنه والاصاخة للوم اللائم في الامور العادية لامانع منها تحبباً الى الناس ونزولاً عند مرضاتهم اما قبول ذلك فيما هو لله فليس جائزاً قطعاً فلا يجوز للمتدين من الاحكام مثلاً ان يعطل حاداً من حدود الله لشفاة اصدقاءه فيمن وجب عليها الحد وفس على ذلك نظيره، وخض الغمرات للحق حيث كان ، الغمرات هي المشكلات والزحمت والعقبات التي تعترض حياة الانسان في تطرقه الى مقاصده و الحق وهو الامر الراهن الذي يلزم تثبيته في الاجتماع يجب تحقيقه واتباعه جهداً مستطاع و باعتبار ان البشر المتفلت على الوظيفة يقع دائماً حجر

عثرة في التطرق الى الحق لانه يعاكس منوياته واراداته كان الاتصال به على هواته عسراً شاقاً لما فيه من المبارزات حتى ينشمر هذا المعترض المتفلت عن الجادة الموصلة اليه و خوض الغمرات للحق هذا معناه .

وتفقه في الدين ، اى تعرف بدينك جهد مقدورك فان من لا معرفة له بدينه لا دين له بالمره ولجهل العوام بدينهم كانوا اتباع كل ناعق ، وعود نفسك على التصبر على المكروه سواء كان المكروه للنفس في الماديات ام في المعنويات فاذا كرهت النفس اللباس الخشن ولا يملك الانسان سواه وطلبت منه الملبس الناعم ولو بتحصيله من طريق غير مشروع كان ازاماً على الانسان المتزن ان يلاكمها في مطلوبها هذا و يجرها الى الاصاخة لما يجده ولو كان ثقيلاً على عاطفتها وهكذا اذا كرهت النفس الاحسان والايمان والصدق والرفق والحياء والوفاء ما طلبها على قبول ذلك حتى يذابها لقبوله وهذا هو جهاد النفس ، و نعم الخلق التصبر في الحق ، فاذا ارتاضت النفس عليه عرفت حلاوته والما تى اللذيذة التى تكون عنه ، و الجىء نفسك فى امورك كلها الى الاهك ، الذى خلق كل شىء و بيده مقدرات كل شىء ، فانك تلجؤها ، حيث تلجأ بها اليه ، الى كهف حريز ، ليس باستطاعة احد هكته ولا التصرف فيه بخلاف الالتجاء الى البشر فان كهو فهم غير حريزة على كل احد ولا جانبهم مخشى عند كافة الطبقات ، ومانع عزيز ، بعيد التناول على اقوى الاقوياء . وأخلص فى المسألة لربك ، ولا تزومعه فى المسألة احداً سواه ، فان بيده العطاء والحرمان ، ولا يجبره على شىء من ذلك الا ارادته له ، واكثر الاستخارة ، فى كافة مظان التحير و قدورد من طريق السنة عدة طرق للاستخارة تطلب من مظانها .

وتفهم وصيتى ، اى أعرها فهما حاداً او قصداً جاداً لتستفيد منها ، ولا تذهبن عنك صفحاً ، يقال أعرض عنه كشحاً واعطاء صفحاً اذا مال عنه والمنظور لزوم تدبر هذه الوصية بمواجهة القلب لها تماماً حتى لا تعود بالاعراض عنها مجافية للانسان بعيدة عنه بعد المعرض صفحاً ، فان خير القول ما نفع ، اى ما اثمر ثمرة واعطى نتيجة والافالقول الجيد وان كان فى نفسه ثمينا الا ان ثمنه الوافى منوط بالانثفاع به ، واعلم انه لاخير فى علم لا ينفع ، فى الحياة الانسانية وان كان فى نفسه فناً من الفنون فالتعمق فى الهندسيات

وغيرها من هذا القبيل. ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه، لقلة جدواه وتوفر الزحمة في تحصيله كما أننا الاشارة الى ذلك :

اي بنى انى لمارأيتنى قد بلغت سنا ورأيتنى ازداد وهنا بادرت بوصيتى اليك واوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى اليك بما فى نفسى او أن انقص فى رأى كما نقصت فى جسمى او يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية مالقى فيها من شىء قبلته فبادرتك بالادب قبل أن يقسو قلبك و يشتغل لبك لتستقبل بجدرأيك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بفيتته و تجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلبة و عوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه :

اي بنى انى لمارأيتنى قد بلغت سنا ، اي عالية تنذرني بالارتحال عن هذه الحياة وبلوغ السن العالية عند العقلاء يحفز صاحبها الى اخذ التدابير اكثر من اللازم حذراً من مهاجمة الموت وعنده تبطل كل الاسباب عن العمل المراد ووصف السن بالعالية استفاد من سياق التركيب.

مركز تحقيقات كويتى علوم دينية

ورأيتنى ازداد وهنا ، حدوث الوهن أو زيادته من اللوازم الطبيعية لبلوغ السن العالية لان الطبيعة بمرور الحوادث عليها تهين وتضعف فى كل شىء وقد تلبس الانسان ملابس اخرى خارجة عن المجارى المتعارفة فتهدده مضافاً الى التقهقر الطبيعى المقرون ببلوغ السن العالية ، بادرت ، جواب اما ، بوصيتى اليك ، الانسان مسؤول امام الاجتماع بطور عام وفى قبال ذراريه بطور خاص فى كافة ادوار حياته ان يرشد وينصح و يسدد ويمهد الطريق للمصالح وطرده الفساد وكل ذلك لا يقال له وصية لكنه حين يشعر من نفسه بمفارقة الحياة التى تبطل فيه كل اسباب العمل ومنها لسانه وبيانه يلزمه ان يصل اداة لسانه بأداة قلمه فيعويض قلمه السيل عن لسانه القوال ويجعله كالنسان متكلم بدلا عنه وهذا هو الوصية و الوصية كما تكون عند مشاركة الموت تكون قبل ذلك با زمان الا انها لا تكون حثيثة ذات وقع مبعوثة عن حرارة قلب الا اذا انذرت الحوادث ملابسها بالرحيل فحينذاك تقوى الدوائى وتتحدف البواعث وهذا هو معنى المبادرة :

وأوردت خصالا منها ، موجبات علو الانسان وهبوطه ورفعة نفسه وخضوعها و
 كماله ونقصانه كثيرة لا تعد حتى ان الانسان لو اراد ان يتوسع في المنجيات والمهلكات
 والفضائل والرذائل وكان قميناً بهذا التوسع لكتب عشرات الكتب فيها ولكن دواعي
 الاختصار ولم المطالب قد تهيب بصاحبها ان يقتصر على امهات المطالب ورؤس الفضائل
 والرذائل فيكتب او يقول ما لا يوجب ضجر السامع ويكون قريب التناول عليه و لذلك
 قال عليه السلام واوردت خصالا منها اي مما يصح ان يوصى به ، قبل ان يعجل بي اجلى ،
 فيخرمنى عنك فلاكون قد قمت بواجبي تجاهك و، دون ان اقضى اليك بما فى نفسى ،
 حيث يطوى معى فى كفى اذا لم افض به يقال افضى اليه اذا اتصل به واتصال كل شىء
 بحسبه فأفضى اليه بسره اذا ناجاه به وافضى اليك الى انما اذا واصلها مواصلة لفاح وفس
 على ذلك ،

اوان انقص فى رايى كما نقصت فى جسمى ، او هنا عطف على قوله عليه السلام ان
 يعجل بي اجلى يقول عليه السلام وعلى فرض ان المنية تاخرت بعمرى فطال فانى اخشى
 مانعاً آخر يقف بي دون تهذيبك وتاديبك والوصية اليك بما ينجع وينفع وذلك ان
 تندوب طبيعتى التى هى اعداى فى كل ما مارس من امور الحياة مادبها و معنويها ومتى
 ضعف المعد قلت قابلياته عن استفادة ما هو من شأنه فالبنية البدنية اذا قلت بركة
 الجهازات القائمة بهالم تعد تعطى ما كانت تقوم به من انتاج ومن جملته الرأى والفكر
 وهذا المعنى لا يتافى مقام العصمة نعم الذى يناقيا قول الهنر والهنديان وهو ليس بالازم
 لكل شيخوخة والذى كان يخشاه امير المؤمنين هو كلل مخه عن متابعة التفكير الطويل
 وهو نوع من النقص لكنه فى الكمية وهو نقص غير شائن بمقام اى عظيم يفرض واتص
 الشائن هو النقص فى التدبر والفهم بأن يعطى الشىء غير صحيح ولا موزون ،

او يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى و فتن الدنيا ، وهذا مانع ثالث، فى نظر الامام
عليه السلام وراء عجلة الاجل وضعف الرأى بالشيخوخة وهذا المانع الثالث هو فوات الفرصة
 من حيث القابل لا الموصى و القائل فان الانسان كالنبات اذا تركت معاهدته وهو طرى
 لهن قابل للتعديل والتهذيب والتشذيب والاخذ من زوائده المضرة عاد غير قابل للتدارك

فالشجرة اذا استعصى اصلها واشتد فرعها امتنعت على من يرومها بتعديل وكذلك الانسان اذا اهل شبابه من التربية والتعليم كان من الصعب تثقيفه و تاديبه لتوحش غواطفه اولا ولا امتلاء نفسه بمطالب اخر ولذلك قال عليه السلام ، فتكون كالصعب ، في قياده اطويل ارساله واهماله ، النفور ، من ملاقة القائد والسائق لما تعود عليه من التسبب .

وانما قلب الحدث ، المقتبل العمر ، كالارض الخالية ، من الحبوب والبذور والغروس ، مالقى فيها من شىء قبلته ، فنبت فيها بلا مزاحمة وترعرع بلا ممانعة ، فبادرتك ، اى سابقت الموانع الآنفه الذكر بالنسبة الى واليك فسبقتها ، بالادب قبل ان يقسوق قلبك ، فلا اعود استفيد من تاديبه ، و يشتغل لبك ، بشاغل يحتل المكان الذى أحاول اشغاله بمواعظي ونصائحى وسوق كل هذه العبارات لا ينافى عصمة من سيقته له لان المنظور بها اعطاء قضايا كلية نوعية عرضت بمعرض النوع العام نظير قول الله لنبيه لئن أشركت ليحبطن عملك ثم علل عليه السلام هذه المسابقة و المبادرة منه لتاديبه و تثقيفه بقوله ، لتستقبل بجدرأبك من الامر ، يقال استقبال الشىء اذا واجهه بالقبول ووجد رأى هو جزمه والبت فيه وكلمة الامر كناية عما ألقى اليه من نصيح وارشاد ، ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته ، فان التجربة فيها من التضحية ما لا يزنه الا المجرب الذى طوح بوقته العزيز وسعيه المتواصل وندبره الكثير فاذا منح المجرب هذه النتيجة مجاناً لانسان فقد أتم عليه بانه أراحه من السعى والكدح ان كانا متيسرين له فانه ليس كل سعى وكدح بميسور لكل انسان ولهداعد المعلم أبانائاً له فكما أن الاب الوالد يجد ويكد للابقاء على حياة مولود كذلك المعلم الساهر على اقتناص الحقائق ثم البازل لها مجاناً لتلميذه يكد ويجد لتنمية هذا التلميذ واما رده الثمر اللائق ، فتكون ، بعد أن تستقبل بجدرأبك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته :

فدكفيت مؤنة الطلبة ، بتسليمك النتيجة يداً بيد من دون أن تتجشم فى تسوية مقدماتها وعوفيت من علاج التجربة ، فان علاجها يأخذ من عافية الانسان ما يراه كل احد فى الكاد الجاد المتعب ، فاتاك ، عفواً ، من ذلك ما قد كنا ، نحن ، نأتيه ، بالدؤوب والسعى المتواصل لا حرازه و ادراكه . و استبان لك ، من طريق التعليم الكافى

القائم على الاختبارات العديدة ، ما ربما أظلم علينا منه ، في صدور أعمارنا ولم ينكشف لنا الا بعد معالجات متكررة وزحمات متوفرة .

« اي بنى انى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى اعمالهم وفكرت فى أخبارهم وسرت فى آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كانى بما انتهى الى من امورهم فدعمرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر جليله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عنانى من امرك ما يعنى الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقبل الدهر ذوقية سليمة ونفس صافية وان ابتدأك بتعليم كتاب الله عز وجل و تأويله وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه لاجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذى التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت تنبيهك لها حبلى من اسلامك الى امر لا آمن عليك به الهلكة ورجوت ان يوفقك الله فيه ارشدك وان يهديك لقصديك فعهدت اليك وصيتى هذه : »

اي بنى انى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى ، معروف عن الاجيال السابقة انهم كانوا طوال الاعمار متبسطين فى الاجسام والاعتبار الصحيح يساعد على ذلك فان الحياة مهما كانت بسيطة كانت الولايات فيها اقل و نحن اليوم نشهد مصداق ذلك فى القرويين و سكنة الارياف على تخشنهم فى المعيشة واعوازهم من مواد الحياة الا الاولى منها وهذا مما يساعد على ضخامة البنى والاحتمال للمشاق والاعتاب والمكاره ويلازمه طول العمر بحكم الطبيعة الملموسة و خارج هذا الوصف كان موجوداً فى على فقد تواترت النقول التاريخية على ان جملة من ابناء السبعين و الثمانين بل والتسعين كانوا ينزلون ساحة الحروب ويخوضون المنايا عن مراس شديد وقراع عنيف ولا يوجد من هذا فى عالمنا الحاضر شيء لانغماس ناسه فى شتى الموهنات للبنية الطبيعية ولذلك نراهم واهنين مخذولين :

وعلى عليه السلام كان من اشداء الاسر الموهوبين بالقوى الطبيعية ولكن عجل عليه انهيار الوضع به واغتياله من متربصى الدوائر والمجلبين عليه ولانهيار الوضع بالانسان

فعل قوى فهيار :

فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم ، و هذا الذى اشار اليه عليه السلام هو نظر الاعتبار الذى حث عليه الله سبحانه كافة عباده فى آيات عديدة من كتابه الكريم حيث قال تعالى : قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين - آل عمران - وقال : أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور - سورة الحج - وقال : قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة - العنكبوت - وقال أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات و لا فى الارض - سورة فاطر - وقال : او لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا اشد منهم قوة و آثاراً فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق - سورة المؤمن - وقال : أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة و آثاراً فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون - سورة المؤمن ايضاً - و هو الذى جعل لكم الارض ذابوا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور - سورة المملك - وجاء فى كلمات امير المؤمنين عليه السلام : وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم و مستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الآمال و شذبهم عنها تخرم الآجال اولستم ابناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم و تركبون قد نهم و تطؤون جادتهم : ولا ريب ان علياً عليه السلام كان فى طبيعة المعبرين ولذلك جاء آية فى الزهد و التقوى والاحتياط واخذ الحذر من كل ما لا يرضى الله و الوجدان ولهذا لم يستطع ان يعيش مع الغناء من الناس الذين بعدت بهم نفوسهم المظلمة عن نور الحق والصراط السوى فالتاطوا بالدنيا والتاطت بهم حتى اوردتهم شر مواردها :

و ليس من شك ان الانسان المتفكر المعتبر يجمع فى دائرة عمره الضيقة دنيا الماضى على طوله والحاضر على سعته ويكون كما قال عليه السلام ، حتى عدت كاحدهم بل

كانى بما انتهى الى من امورهم ، جميعاً ، قد علمت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره و نفعه من ضرره ، و بهذا يكون على من اوسع الناس خبرة و اعظمهم بصيرة و كل من يسمه بانه فاقد للدهاء لم يكن فى حكمه الا مخطئاً اشد الخطأ فان الدهاء الذى يريد من على وأمثاله لا يعرف من معناه الا الدس و التزوير و المكر و الخديعة و الغدر و الانحراف بل كل صفة موبقة و كل هناة و عار كما هو شيمة كل سياس عرفناه و هذا المعنى مما يجعل عنه على و اشباه على و ترفع عنه مبادئ الانسانية و السياسة الصحيحة و ان يكن تنزه على عن هذه المخازى و صمة عليه فما اكثر من يوصم من نبي عظيم و وصى جليل بل كافة من تخرج بمدارسهم العامرة .

فاستخلصت لك : على طول تجاربي ، من كل امر ، يفيد بالمعاش و المعاد ، جليله ، اللائق بالاعتبار ، و توخيت لك جميله ، كما يتوخى الاستاذ الحكيم جميل المطالب لتلاميذته حتى يقبلوا عليها من كليل قلوبهم فان لجمال المادة و المعنى اثراً بليغاً فى النفوس ، و صرفت عنك مجهولاه ، و مشتبهه حذراً من أن يتعمى عليك وجهه و طريق الوصول اليه ، و رأيت حيث عنانى ، اى أهمنى و جعلنى فى ذكرك دائماً ، من امرك ، و المراد به امر تأديبه و تثقيفه و تعديله و اعاده للحياة فاضلة ، ما يعنى الوالد الشفيق ، على ولده الذى يحاول له تحقيق السعادة جهدهما يستطيع ، و أجمعت : عطف على قوله عنانى ، عليه من أدبك ، اى قصدت من كل نفسى و بجميع ما أوتيت من حول و طول تثقيفك و تأديبك ، أن يكون ، مفعول لقوله و رأيت حيث عنانى ، ذلك التأديب و التثقيف ، و انت مقبل العمر اى شاب نشيط ، و مقبل الدهر ، اى فى حال استقبالك للحياة و هو زمن الشبيبة لاستدبارك عنها ، ذونية سليمة ، اى لم تعبت بك صروف الدهر فتحيل منك انساناً متلوناً متناقضاً سىء الظن بكل شىء مظلم الباطن مرموز الضمير متحلل الفطرة ، و نفس صافية ، لانسلاكها مع الفطرة التى خلقت عليها و هى فى هذا الظرف لا تكون الا صافية كما امر آة المجلوة لبعدها عن الملابس الشائنة ، و أن ابتدأك ، من مراحل التربية و التعليم و التأديب و التثقيف ، بتعليم كتاب الله عزوجل و تأويله ، ظواهر الكتاب البينة التى خوطب بها كل احدهم معرفة باللسان لاحتياج الى تعليم وليست هى من قصد امير المؤمنين عليه السلام فى كلامه هذا بل المنظور

بذلك مقاصده المعززة بكشف النبي لها وقيام شوارح السنة بها كنوع آيات الاحكام التي انما اعطتنا ملاكات عامة لا تخلو من غموض في مقام تطبيقها عملا على الخارج و التأويل هو ارجاع الشيء الى اوله والمنطلق الذي انبعث عنه و هذه الصلاحية مقصورة على الرسول القائم بتبليغ الشريعة طبق ارادة الله وعلى امنائه الذين اختصهم بتوضيح ما استبهم وفتح ما استغلق وعلى عليه السلام في طليعتهم وهذا المعنى هو الذي اراد بيانه لولده الحسن ليقف من الكتاب على ظاهره و باطنه وواضحه وغامضه .

وشرائع الاسلام واحكامه ، من كل ما يعود لوظيفة المكلف امام معبوده الذي كلف بعبادته ولوظائف دنياه من عقود و ايقاعات و أحكامه فان شرائع الاسلام تشمل ذلك كله: وقوله عليه السلام ، وحلاله و حرامه ، من باب ذكر الخاص بعد العام لاهمية التعرض للخاص بالخصوص ، لأجاوز ذلك ، اى تعليم كتاب الله و تأويله و شرائع الاسلام و أحكامه ، بك الى غيره ، من العلوم والفنون عقلية وقلبية وذلك لان الحياة البشرية على اطلاقها انما تقوم على دعا متين :

الاولى : تأمين مستدعيات الطبيعة لادامة الحياة : الثانية : مصونية الحقوق و احراز الاستقلال وحرية التصرف في حدود الحق وقيام الدعامة الاولى منوط باستقرار وتركيز الدعامة الثانية فقد اثبتت التجارب البشرية على طول الخط ان الماء المباح مع الفوضى مما يعزتنا وله على الضعيف المستضعف فأحر بغير ذلك ان يكون ممتنعاً عليه ومع هذا الوضع المحزن تنهار حياته قطعاً و ما سوى هاتين المرحلتين من علوم و أعمال مكانها من الحياة الانسانية على هامش الحياة : والدعامة الثانية التي هي الاساس الوحيد لقيام بنيان المجتمع البشرى قوامها وقيامها بالدين وشرائعه فحسب واهم مصادر الشريعة في دين الاسلام الذي هو دين الله القرآن الكريم و تتلوه السنة الثابتة عن الرسول و امناءه وهذا هو ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان ابدأك بتعليم كتاب الله و شرائع الاسلام .

ثم ان الكتاب والسنة الثابتة الورد عن الرسول الاعظم و امنائه الكرام قد احتويا في شتات مواضعهما على نفائس الآداب و الاخلاق و على كيفية النظر والاستدلال وعلى اثبات الصانع وصفاته الجمالية و الكمالية و الجلالية وعلى بعثة الرسل و طريقتهم في

توجيه الناس وعلى امكان المعاد في نفسه ووقوعه خارجاً في ظرفه ما يعود الباحث المثبت معه في غنى عن مراجعة غيره لكن نزعات النفوس البشرية منذ القديم لامتراء وراء الاوهام و الخيالات و خلقت من الشبه والشكوك حول العقائد و غيرها ما كدر آفاق الازهان وشوش عليها الواقع الراهن دعت الحاجة الى ان يتتقف الانسان بالعلوم الفلسفية الكلامية على طرز ما تعارف بين علمائها ليأمن كيد الكائدين ومغالطة المغالطين واذلك قال عليه السلام ، ثم بعد ان صممت تصميمي الاول في تثقيفك وتعليمك ، اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم ، في مسألة الصانع والمصنوع والخالق والمخلوق حيث اتخذ كل من الناس في ذلك سبيلاً وسلك اليه طريقاً ، مثل الذي التبس عليهم ، فجاءوا يخبطون في ظلماء ويصبصون باعين عشواء ، فكان احكام ذلك اولاً ، لانه من غوامض الاسرار ، على ما كرمت من تبيينك له ، لان اطالة البحث فيه لا تعدم مسايرة الشكوك وبعث الاوهام من مراقبتها ، احب ، خبر كان من قوله عليه السلام فكان احكام ذلك ، الى من اسلامك الى امر لا آمن عليك به الهلكة ، ان انا ابقيتك عاطلاً من هذا العلم ورجوت ، بعد احكامي لك ذلك ان يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصديك ، فان اظف الله لازم في نجات العبد من الهلكة وحيازته للموفقية وقربه من الحق ، فعهدت اليك وصيتي هذه ، التي اتابع بقصواها عليك : ولا يقولن قائل ان العلوم الفلسفية والكلامية لم تكن متداولة في صدر الاسلام حتى يكون الامام في حاجة الى فتح ابوابها امام ولده الحسن حذراً من ان يقف امامها وقفة حيران ذلك لان المسلمين بعد ان تناولوا معارف الكتاب والسنة بالتفهم والتدريب وردوا من طريقها الى البحوث المنطقية الفلسفية والمسائل العقائدية الكلامية وفي حياة الامام على كان لهذه البحوث اهل واصحاب من جملتهم الخوارج واهل القدر والارجاء ومن هذا الزمان نشأت فكرة الاعتزال وغيرها وقد كان الحسن البصري وكثير من طرازه ممن جال في هذه الميادين وفي هذا الزمان نفسه كانت تعقد جلسات وتحدث حلقات للافاضة في هذه المسائل ولا مجال للاطالة فعلاً في هذه الابواب

واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به الى من وصيتي تقوى الله و الاقتصار على

ما فرضه الله عليك والاختذ بما مضى عليه الاولون من آباءك والصالجون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا أن نظروا لانفسهم كما انت ناظروا ففكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاختذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان أبت نفسك ان تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلق الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالاهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة أولجتك في شبهة او اسلمتتك الى ضلالة فان أيقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحداً فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتورط الظالماء وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك أمثل :^١

واعلم يا بنى ان احب ما انت آخذ به الى من وصيتى تقوى الله ، كل مثالى انسان يؤمن بالمبادء المقدسة و الثقافة الصحيحة نراه حريصاً فى مقدمة وصاياه على الوصية بتقوى الله - رمز كل كمال - و ملاحظة جانبها والخوف من بأسه و مؤاخذته ذلك لان الانسان اذا لم ينط نفسه بمبدأ القداسة والطهارة والنزاهة و العدالة والخيرات العامة جاء متسغلاً بنفسه لدرجة يعود بهامن أخس الحيوانات الهاملة التي لا يزعجها عن ملابسة الرذائل والسفالات اى وازع يفرض وهذا المعنى مما شهدته الجامعة البشرية من نفسها على طول سيرها مع الزمان اذ لك كان الهم الاول والهمة الاولى للمخلصين من احرار بنى آدم فى تركيز نطفة الايمان فى قلب كل انسان ليعدل سيره مع الحياة حتى تعادل الحياة نتيجة اعتداله و كل ما شققه امير المؤمنين عليه السلام فيما سلف وياتى من وصيته لو ائده الامم عليهم انما استهدف به تاصيل اصل عام لتقييد خطى البشرية بما يصلحها و يعود مدمقة فلاحته منجدة و ايس المقصود به خاص و ائده فقد آنفنا ان علياً عرض خطابه بمعرض النوع العام وانما عين طرف خطابه بالحدس و ائده من باب اياك اعنى واسمعى يا جاره :

والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، من واجب معرفته وكلمة الاقتصار ليس معناها ان التوسع فى ذلك مما يضر تعلمه بالمتعلم فان العلم بالشىء مهما ترامت أطرافه اذا كان على ضوء المنطق والخبرة الفنية يكون من أليق الكمالات بالانسان و ادل على فضله و نبيله بل المنظور بها ان الطريق الى التوغل فى معرفة الله منقطع لان عراقة

واجب الوجود فيما هو عليه من صفات الكمال والجمال والجلال لا تلتئم مع ما يعرفه الانسان من ذلك في باب الوجود والموجود والصفة والموصوف لان الحواس الظاهرة لا منفذ فيها الى تيك الهوية العريقة في التجرد والحواس الباطنة محدودة العقل لمحدودية قواها و غاية ما استطاع العقل في هذا الباب ان يدرك لزوم وجود الصانع من وجود المصنوع ولزوم واجدية الخالق لما هو موجود في المخلوق من فضائل ومعارف واجدية بنحو اعلا وليس هذا المعنى مما يكفى في معرفة الله و درك هويته الا معرفة اجمالية :

نعم استطاع من طريق الكشف والشهود القائم على الاتصال بالله من طريق شريعته القائمة بالانبياء العظام الذين لا ينطقون عن الهوى والذين اختارهم بالتنصيص لتبليغ رسالته و اصال امانته الى خلقه و ليس امر الفناء في الله من هذه الطرق بهين على النفوس البشرية التي تحتضنها الدنيا وتؤثر عليها بمادياتها واعتباراتها كل تأثير و كل من ادعى هذه الدعوى من طريق الخلسة و الجذبة وما الى ذلك من هذه العناوين الاتهازية فهو دجال يريد استحمار العوام والتحكم فيهم وعليهم : نعم الطريق الذي آنفنا الاشارة اليه مقصور بخدا فيره على الانقياد للشريعة بتفهم لها من ناحية و ايمان بمقدساتها من ناحية ثانية و على التجافي عن حباثل المادة واعتباراتها من ناحية ثالثة و كل هذه المطالب قليلة الحصول في خارج البشرية منذ كانت و الى ان تنالشى و اما التظاهر بذلك من اى فريق تظاهر به فهو على طوله في عناصر الناس من صوفى و متزهده و من الى ذلك ليس فيه اقل طائل لدوران امر الغالب من هؤلاء على محور من محورين اما الجهل والبساطة و اما الدجل والتدليس و اما المقياس الذى وزن به على نفسه و من اقتدى به من علماء اجلاء امثال الشيخ مرتضى الانصارى و الشيخ محمد حسين الكاظمى فهو مقياس صعب التطبيق حقيقة : لهذا كان الاقتصار على ما فرضه الله من واجب معرفة بهذا النحو الاجمالى كافياً من ناحية و لازم من ناحية ثانية حتى لا يقع الانسان من تهور في ميادين شائكة تعود به بعد طول السفر مكتضاً بالا لحد الحاد او التشكك و التذبذب :

والاخذ بما مضى عليه الاوان من آباءك ، يحتمل ان يريد بأبائه فضلا عن مقام رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم نبي الاسلام و خانم النبيين الانبياء من اسماعيل و ابراهيم وهكذا - وهو الاقوى - والامام لم يستهدف هنا لزوم متابعيتهم والاخذ بما كانوا عليه بعد تلبسهم بلباس النبوة فان ذلك ينا فيه ما يسوقه بعده من العبارات المربوضة بهذه الفقرات وانما استهدف حالانهم قبل ذلك حيث دعوتهم ضمائرهم المنطلقة الى تحرى الحقيقة من بين اطباق الجهالات السائدة على معاصريهم و معاشريهم وتحريمهم هذا للحقيقة في كافة المجالات هو الذي أعدهم لمقام النبوة والترجع على منصبه فان عهد الله لا ينال الظالمين لانفسهم اولغيرهم بل انما ينال من استرشد بهداه الغريزي و اخذ ينمو على هذه الركيزة حتى تفوق على اقرانه وتوحد فيما بين اهل زمانه و هكذا كان ابراهيم و محمد و كافة انبياء الله العظام : كما يحتمل ان يريد الاذنين من آباءه اولئك الذين تجافوا عن عبادة الاصنام و لم ينبرهم اى احد لتدربهم على مشاعرهم كعبد المطلب و فروعه المعنيين بقوله (ع) و الصالحون من اهل بيتك فانهم ، ضمير الجمع يرجع الى آباءه الاولين و اهل بيته الصالحين ، لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر ، فان مشاعرهم البغائتهم الى ان يسير و افي الافاق و الانفس حتى يتعرفوا بما في هذا الوجود ف عرفوا ما اهلهم ان يكونوا علماء من ناحية و صالحين من ناحية ثانية و لم يهملوا هذه المواهب فيهم كما اهملها نوع الناس حتى جاؤا جهلاء بالمبادئ المقدسة ضالين عن الطريقة الصالحة : وقوله عليه السلام كما انت ناظر صريح في ان ولده الحسن كان في هذا الصد من نفسه لا بهذه الدعوة من ابيه - ولا بدع في ذلك - فان الحسن تربى في بيت على و فاطمة و في حضن رسول الله و شاهد الجميع كيف كانوا في خلواتهم و جلواتهم من توجه تام الى ما وراء هذه الطبيعة الملقاة بين بنى آدم توجهاً قطعهم عنها اليه و كل انسان ابن محيطه الذي يندرج فيه و من هنا حث الشرع الآباء على تربية اولادهم تربية مبكرة على الفضائل و الاداب لتكون هذه التربية لهم ركيزة في الحياة : و من هنا اخطأ العصر الصناعي بل أساء الى اهلته حيث اعتبر الانسان رديفاً للدجاج فكما ان استحصال الدجاج من طريق الصنعة عاد في غنى عن تعشم تلك

المتاعب التي كان يبذلها الاقدمون في سبيله كذلك استنماء النطف الانسانية من طريق هاته الدور التي انشأت لتنمية الاطفال تحت اشراف عدة من الماجورين عاد في غنى عن نجش الوالدين في سبيل استصلاح افراخهما فكانت النتيجة من ذلك ان مسح الانسان عن انسانيته وعن عواطفها وجاء من طريق هذه الدور لا يعرف الا ما تعرفه الحيوانة المسيية من الاكتراش بأية مادة وقع عليها البصر و التساقد حتى في وسط الشوارع و لو بالمغالبة والمكابرة : انذ فلا بدع اذا جاء انسان اليوم حيواناً خالصاً في كل سماته وشاركه في كافة اندفاعاته :

وفكروا كما أنت مفكر، جاء استعراض صور من ذلك في القرآن الكريم كما في الآية ٧٤ وما بعدها من سورة الانعام : واذ قال ابراهيم لاييه آزرأتخذ أصناماً آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين فلماً رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلماً أفل قال اثن لم يهدنى ربي لآكون من القوم الضالين فلماً رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا كبر فلما اقلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات و الارض حنيفاً و ما انا من المشركين : وهذا الطرز من التفكير ضرورى لمن بوجه نفسه الى ما هو حاضر عتيد فى الآفاق التى تحيط به والنفس التى تجول فيه ولا ريب فان مدرسة الكون والنفس من اضخم المدارس مادة واكثرها معرفة والاستان الملقن فيها موجود عند كل انسان ومعه فى كل آن وهو عقله بل كافة المدارس منها تستمد وعاليها تعتمد فان مآل النظريات فى الضروريات والفلسفة البرهانية بنت الفلسفة اليهودية والراسب فى مدرسة الكون راسب فى كافة المدارس وفى جميع الدروس :

ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا ، اى ردهم سيرهم فى الآفاق والانفس بعد طويل التجوال الى أن اعترفوا ما عرفوه بالضرورة وتركوا ما اختفى وجهه عليهم لبعده عقولهم عن اصابته مفوضين به الى من علمه محيط بكل شىء لاحاطته بكل شىء : والامساك عما لم يكلف به الانسان شرعاً كما هو قهرى فى نفسه ضرورى للمتقف

- أما أولاً - فلان الصور الذهنية وشتات الموجودات الكونية مما يرى ولا يرى لمحدودية البصر مجردة ومسلحة في قبالة لا تنهاى وما كان كذلك خرج عن كونه قابلاً للاحاطة به - وثانياً - ان العقل الانسانى لتعددده بمعدده القائم به يستحيل عليه ومهما درّب وهدّب ان يحلل كل صورة ذهنية تعترض له - وثالثاً - ان تمييز البرهان من غيره في تقويم القياسات المنتجة للنتائج التى يجب تسلمها لبرهانية مقدماتها من اشكل المشكلات فلهذا وذاك وذاك لا يجوز للعاقل ان يمتنى نفسه بفهم كل شىء ولهذه الامانى الفاسدة كم جاءت الى الدنيا مذاهب وآراء وفتلت في حينها او بعد حين وكم أدقع النهور و الغرور بالنفس انساناً من مبدأين وماديين فى اغلاط هى أجلا فى السقوط من الواضحات : اذن فليتأدب الانسان العاقل بهذا الادب الراقى الذى ادب به على ولده :

١٠ فان أبت نفسك أن تقبل ذلك، الذى اوصيتك به من الاخذ بما مضى عليه الاولون من آباءك والصالحون من اهل بيتك تقليداً لهم وحسن ظن بهم ، دون أن تعلم ، وجه ما اخذوا به كما علموا فليكن طلبك ذلكك بفهم وتعلم، صحيحين فلا تكون قسرياً تأخذك صور الادلة من دون تحقيق فيها كما لا يجوز ان تكون متعمقاً بما تعود به أجهل ما يكون حتى بالواضحات فان الزائد من اعمان النظر يعود بالعلم الى الجهل وبالاكتشاف الى الانستار والغموض ، لا بتورط الشبهات، فانك تفقد معه حتى معلوماً تكك المحرزة الصادق ، وعلق الخصومات ، العلق على ورن فعل مضمومة الفاء مفتوحة العين جمع علقه وهى الوصلة الماسكة و الخصومات جمع خصومة وهى المجادلات الفارقة للحقيقة و انما يستعملها أهلها حباً للظهور على الطرف :

١١ وابدأ قبل نظرك فى ذلكك بالاستعانة بالاهك، لوجوه - اما اولاً - فان كل انسان قاصر فى نفسه ومهما خدم نفسه وقد اشعرنا بذلك آنفاً - وثانياً - لا ريب ان المخلوق مستفاد من غيره فيجب عليه ان لا ينقطع عن استفادته منه لانه اقدر - وثالثاً - نفس القصور الذاتى فى الانسان يلزمه بالاستعانة ولا اجدر بذلك من الخالق بالتعجب اليه واظهار الاستكانة امام عظمتة وابداء العجز امام قدرته الواسعة فيكون من واجب اللطف عليه أن يسهل على عبده المعترف بقصوره غير المنجافى عنه وقد قص القرآن علينا صفحة مما

اعربنا عنه في قصة اصحاب الكهف حيث قال تعالى (الاية ١٠ وما بعدهما من سورة الكهف) اذا وى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من امرنا رشدا : نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى : وربطنا على قلوبهم ان قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه اله الا القدر قلنا اذا شططاً هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا ياتون عليهم بساطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً : واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقا : وهذا اللطف فائد لحزارة التبويض للفرق الواضح عند العقل بين المعتد بنفسه و مظهر الحاجة الى من هو اقدر منه فاذا تلطفت بهذا دون ذلك كان فاعلا للواجب المحتم لاملوما مفقدا :

! والرغبة اليه في توفيقك ، لما انت بصدده ، وترك كل شائبة ، هو معطوف على قوله آتانا بالاستعانة اى وابدأ قبل نظرك في ذلك بترك كل شائبة اى بالتجافى عن كل ما يخالف نفسك من شبهة وشك وكل باحث يجب عليه ان يجرد نفسه مهما استطاع عن كافة نزعاته المسبوق بها حتى يرد البحث كاتسان اجنبى غير ما نوس ولا مستاء بشىء كائنا ما كان وعند ذلك يمكنه ان يقتنص الحق ولهذا اشترط المناطقة والاصوليون في تأثير التواتر العلم القاطع فيمن وقف عليه ان لا يكون مسبقاً بنزعة تناقض و تضاد مضمونه فانه اذا كان مسبقاً بشىء من ذلك لم يعد التواتر يؤثر عليه اقل تأثير ان لا يستطيع فكر الانسان ان يحمل عقيدتين متنافرتين بالنسبة الى شىء واحد في آن واحد : فالنفس المشوبة بما يخالف منشودها لا تتمكن ان تحصل عليه لهذه العوارث القائمة بها واذا بقى الانسان على هذا الصورة لم يبارحها التشكك فى الاشياء ولذلك قال عليه السلام ، اولجتك فى شبهة او اسلمتكم الى ضلالة :

فان ايقنت ، من نفسك ، ان قد صفا قلبك ، من كافة الشوائب ، فخشع ، و صار حاضراً لتقى المعارف ، وتم رأيتك فاجتمع ، لك ولم يتشطر عليك بين ما انت طالب له وبين اعتلاجات اخر ، و كان همك فى ذلك ، الذى تحاول تحصيله ، هما واحداً فانظر ، حينذاك ، فيما فسرت لك ، من العلم الذى تريد اقتناصه ، وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك من الشوائب ، فاعلم انك ،

في هذه الحالة، انما تخبط، خبط، العشواء، حيث لا تتميز طريقها ومذهبها للآفة في بصرها، وتتورط في الظلماء، والتورط في الظلماء يستتبع المهالك لفقدان النور الذي يميز الوهدة من النجسة والطريق الاحب من التيه المهلكة، وايس طالب الدين من خبط او خلط. ولذلك تشعبت المذاهب والاديان من طريق هذا الخبط والخلط، والامسك عن ذلك امثل، وانيق بالعاقل البصير فان حفظ النفس من المهالك اولى بها وان كانت في حاجة الى السير والسلوك لتحصيل مقصد معتلج في احشائها:

« فتفهم يا بنى وصيتى واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وأن المغنى هو المعيد وان المبتلى هو المعافى و ان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء و الابتلاء و الجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك فانك اول ما خلقت به جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر و تحير فيه رأيك و يضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك : »

فتفهم يا بنى وصيتى ، هذه الكلمة تعرب عن لزوم التثبيت والتبحر في فهم المطلوب حتى لا يكون الاتصال به قشرياً سطحياً و ما منيت الاديان الصحيحة و الحقائق الراهنة بالتشويه و التحريف الا من عدم التروى التام في فهم المطالب الغامضة و عرضها على المقاييس الفنية اللازمة ، واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة ، قد اسلفنا في هذه الحلقة فصلاً مشبعاً بعنوان الموت والحياة بين المبدأى والمادى فليرجع اليه والمنظور من هذه الكلمة هو ايقافه على ان الانسان كسائر الموجودات الاخر لا يملك من نفسه في عالم التكوين قليلاً ولا كثيراً فهو في هذا الدرب مسير لامخبر، و ان الخالق ، اى معطى الوجود والحياة ، هو المميت ، لا ما يترانى من الاسباب الظاهرة للطبيعة ، وان المغنى بعد الانشاء ، هو المعيد ، فى النشأة الثانية ، وان المبتلى ، بشئى انواع البلاء ، هو المعافى ، اذا شاء ، وان الدنيا ، بالنسبة الى كل موجود ، لم تكن لتستقر ، على لون من الوان الشدة والرخاء ، الا على ما جعلها الله عليه ، وقدرها فى حق كل فرد فرد وفى كل حال من احوال الفرد نفسه ، من النعماء ، تارة ، والابتلاء ، اخرى او مزيجاً من هذا وذاك ، والجزاء ، على ما تستتبعه النعماء والبلاء ، فى المعاد ؛ لا يطبق اهل الشرائع على أن جزاء

العمل الديوى انما يكون بعد قيام القيامة وتصفية الحساب ، او ماشاء مما لا تعلم ، عطف ماشاء على كلمة المعاد بمعنى ان جزاء الله طبق ما عرفنا بظرفه هو يوم القيامة وقد يشاء ظرفاً له قبل ذلك مما لا نعلمه فقد يصيب الانسان في دنياه بعض ما يستتبعه نعيمه او يؤسه ويكون ذلك بعضاً من جزائه ، فان أشكل عليك شيء من ذلك ، الذى تراه من نعماء بعض الى حدود الاسراف وبلاء آخر الى حدود الامانة وقس على ذلك كل ما يلوح عليه الافراط والتفريط فى اصل الخلقة وتسيير المخلوقات ، فاحمله على جهالتك ، بدواعيه ومسوغاته ورموزد وخفايا ، فانك ، شأن كل انسان ، اول ما خلقت به جاهلاً ، كجهلك بكل الاشياء الاخر ايضاً ، ثم علمت بالتدريج قدر ما تستطيع فهمه وقد ما يعلمه معلمك ويستطيع افهامك اياه ، وما اكثر ما تجهل من الامر ، بادء بدء ، و يتحير فيه رأيتك ، فلا تدرى ما وجهه وما هو معناه ، ويضل فيه بصرك ، فلا تعرف الهدى فيه ، ثم تبصره بعد ذلك ، ان وفقت له والا فما اكثر الاطلاس التى تبقى غامضة عاصية الفهم على الانسان فى طول حياته :

١ فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك فليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا نبى أن احداً لم ينبىء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه نبينا عليه السلام فارض به رائداً والى النجاة قائد أفانى أم لك نصيحة وانك ان تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى الك :

فاعتصم ، اى اوجد العصمة وهى المصونية لنفسك ، بالذى خلقك ، فانه أقدر من كل قادر على جلب النفع وطررد الضر ، ورزقك ، وان كان سعيك مقدمة تمهيدية فانه ثبت من طريق التجارب المتواصلة ان السعى نفسه ليس سبباً تاماً فى تحصيل الرزق فقد يسعى الكاد سعياً حثيثاً ولا يتصل من وراءه بشيء وقد يتراخى فى سعيه فيأتيه سهم وافر وقد اسلفنا البحث عن ذلك آنفاً ، و سواك ، من التسوية وهى اتمام الخلقة ، فليكن له تعبدك ، اى اظهارك للعبودية وهى كونك عيالاً عليه فى كل شيء ، واليه رغبتك ، اى هو محط اراداتك المشروعة و مناط آمالك الصحيحة ، ومنه شفقتك ، وخوفك لو نهورت فتعدت حدود النظام المقرر :

واعلم يا بنى ان احداً لم ينبىء عن الله سبحانه كما اباعنه نبينا عليه السلام ، الانباء عن الله سوق الحديث عنه فتارة عن ذاته وصفاته واخرى عن نظمه وتشريعاته والنبي فى أبنائه الصانع لنوع الناس لا يعدو مقاييس العقل المتوسطة بين الاثر و موثره غاية هو اقدر على بسطها من غيره نعم هو فى أبنائه عن نظمه وتشريعاته متوحد متفرد بين الناس بعنوان نبوته والذي يثبت نبوته اعجازه ، فارض به رائداً ، الى الله فى كل شىء و اذا كان الرائد من السائرين لا يكذب أهله فاجدر بالنبي المعصوم الا يقول الا الحق ولا ينطق الا بالصدق ، والى النجاة قائداً، من ناحيتين الاولى كونه بعيناً من الله لرشاد عباده :

الثانية : اخلاصه فى دعوته والدليل على ذلك تجافيه عن الاعتبار التى يتطلبها غيره من الزعماء فهو الى ان مات خاشع متواضع وعن المادة الغرارة التى يعترك عليها قاطبة بنى آدم وكفادانه فى بحبوحة رياسته لم يزل يعد ابطنه حجرة المجاعة ، فانى، فيما دعوتك اليه ، لم آلك نصيحة ، اى ام اقصر فى تبطن النصائح لك، وانك ان تبلغ فى النظر الاستصلاحى ، لنفسك وان اجتهدت ، فى نظرك ، مبلغ نظرى لك ، لناحيتين الاولى اننى انسان خارج عنك فاستطيع ان اقف منك ولك على ما لا نستطيع انت ادراكه من نفسك الثانية : اننى ابعد منك فى العمر واكثر منك فى التجارب فانكشاف الواقع لى اكثر من انكشافه لك هذا وراء كونى والداً باراً بك و اباً شقيقاً عليك :

واعلم يا بنى انه لو كان اربك شريك لانتك رسلو رأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضافه فى ملكه احد ولا يزول ابداً ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية وآخ بعد الاشياء بلا نهاية عظيم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لمثلك ان يفعله فى صغر خطره و قلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه فى طلب طاعته والخشية من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يامر بك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح :

الامر الذى ألجأ العقول الى القول بلزوم وجود الصانع للعالم هو اظهر المعجز من نفس كافة الكائنات بلسان حالها عن ان تكون كونت نفسها وهذا المعنى هو الذى اجبر العقل ان يرى صانع الكون موجوداً مجرداً عن المادة والماديات جامعاً لكافة صفات

الكمال والجمال والجلال وحصيلة هذا الداعى لا تعرف التعدد فى الموجد المكون اذ لا معنى له فى الداعى المزبور لان نظر العقل موصول بأصل كل الاصول ومبدأ كافة المبادئ ومع هذه التصوير كما لا يعود معنى للشركة لا يكون معنى لتحرير الدور والتسلسل وقد بسطنا هذه البحوث فى الحلقة الاولى من هذا الكتاب ، واعلم يا بنى انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ، لانه بارادته لاظهار نفسه و امتيازه عن سواه يرسل من ناحيته الخاصة رسلا تعرفه الى الخلق ويحقق رسالتهم بالمعجزات القائمة بصدقهم و لم نرفى طول الاجيال شيئاً من ذلك بل كل ما رأينا من الرسائل المعززة بالمعجز والبراهين يصر بضرر قاطع ان لاله الا الله الواحد الفرد الصمد القيوم على كل ممكن وموجود ، رايت آثار ملكه وسلطانه ، الناطقة بانها اثر لهذا المؤثر الخاص ذى السمة الخاصة وهذا ليس منه شيء ، ولعرفت افعاله ، ممتازة عن افعال خالق سواه ، وصفاته ، المتفرد بها بما تكون علامة فارزة لهويته ، وكذلك ليس من هذا فى البين قليل ولا كثير ، ولكنه ، اى الرب الخالق ، الاله واحد ، ليس بمشترك ولا متعدد ، كما وصف نفسه ، بقوله قل هو الله احد .

مرکز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

لا يضاذه فى ملكه احد ، بما يكون قبيلاً له ، ولا يزول أبداً و لم يزل . لان العقل الزمه بالوجود الذاتى واذا كان الوجود ذاتياً للمشيء كان لا بد من ازليته وأبديته ، اول قبل الاشياء ، الكائنة فى عرصات الوجود ، بلا اولية ، متعارفة وهى ما تكون مسبوقه بالعدم ، وآخر بعد الاشياء بلانهاية ، لان كلمة الآخريه تشعر بالانتهاء ، عظم ، اى تعالى وارتفع ، ان تثبت ربوبيته ، بهويته الكاملة ، بأحاطة قلب او بصر ، اما الحواس الظاهرية فلا تدرك المجردات الا من طريق آثارها فحسب و اما المشاعر الباطنية فهى محدودة الدرك كما اسلفنا البيان عنه قريباً ، فاذا عرفت ، من ذات الله الخالق ، ذلك الذى ابنته لك ، فافعل كما ينبغى امثلك ، وهو المخلوق المحتاج فى كل اشياءه ، ان يفعله ، فى قباله وهو الخالق لكافة الكائنات القائم عليها فى كل اشائها وشرح عليه السلام ما ذكرناه بقوله ، فى صغر خطره وقله مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه فى طلب طاعته ، اى تحرى مظان ما يرضيه ، والخشية من عقوبته ، تأديباً للمنحرف المضر

بنفسه او بغيره ، والشفقة ، وهى الخوف ، من سخطه ، وعدم رضاه لالصالح نفسه فانه غنى عن كل ما سواه ، فانه ، سبحانه ، لم يأمرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح: محاولة لاستصلاحك باختيار نفسك والاوشاء لهدى الناس أجمعين .

١١ يا بنى انى قد أنباتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وأنباتك عن الآخرة وما أعد لأهلها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها و انما مثل من خبر الدنيا كمثلى قوم سفر نيا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيباً و جناباً مريعاً فاحتملوا وعشاء الطريق و فراق الصديق و خشونة السفر وجشوبة المطعم ليا نواسعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون اشيء من ذلك ألما ولا يرون نفقة فيه مفرماً ولا شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وأدناهم الى محلتهم ومثل من اغتربها كمثلى قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا أفضح عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه .

قد أنباء عليه السلام فى فصل آتف من هذه الخطبة عن تصرف الدنيا بأهلها وكيفية غرور الانسان بها وانها ليست محللاً للاغترار بل هى دار تفكر واعتبار و اعلم انه ليس المنظور من الدنيا هو تلبس الانسان بالحياة او انطوائه على روح شهوية او جنوحه الى المادة و الماديات بل كل من الحياة و روح الشهوة و الجنوح الى المادة اذا عمل بطرز موزون مطبق على المقاييس الصحيحة كان مادة خير ولا اثر للشرفية بل المنظور من كل ماسيق مساق الذم للدنيا هو تجافى الانسان عن واجبه الاخلاقى الاجتماعى بما تعود به الحياة على الاحياء شاقة حرجة لاغارة المتجرم على حقوق غيره بما فى نطاق هذه الكلمة من مفهوم واسع و ليس زوال الدنيا عن الانسان بعد ان بقضى فيها المديد من حياته هائلاً هادئاً بمزعج للنفس از عاج ارتباك الحياة طوال الليالى والايام ولا شك ان الآخرة الموعودة من رغبات النفس التى تنشرح لها من مجرد تصورها فضلاً عن ملاستها وباستطاعة كل فرد اذا مشى الافراد على الجادة المعبدة الممهدة ان يحصل السعادتين الدنيوية والاخروية فيحيا فى الدنيا حياة سعيدة ولو بقللة المزعجات فيها و يحرز اخراء من طريق دنياه ولهذا لا تكون الدنيا اذا مشى افرادها على الشرط منزلاً

جديباً ويكون الغصب صرفاً للاخرة وحدها و اذا ساءت الحالة الاجتماعية فضلاً عن كون المنحرف اذا تولى عن دنياه لا يؤم الا منزلاً جديباً لم يعمل له قد لا يكون في دنياه زامناً خصب فكم رأينا من العصاة المنحرفين من هو ابعدى الشقاء من كل شقى واشد بؤساً من كل بائس.

يا بنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازناً لغيرك واذا انت هديت لقصدي فكن أخشع ما تكون لربك : /

طبعاً لا يجوز ان يزن الانسان الناس بما يزن به نفسه اذ قد يكون شاذاً في نفسه منحرفاً في فكرته غالطاً في عقيدته ساقطاً في نزعتة جلفاً في حركاته و سكناته وما اكثر هذا الشذوذ والانحراف والغلط والسقوط في جماعة البشر ويجل مقام امير المؤمنين ان يريد من الانسان مطلقه بل قطعاً اراد منه معتدله اذن يجب ان يكون الميزان هو العقل المعتدل الذي يتخذ معياراً في توزيع المفاهيم فالعقل في سيره مع المجتمع يجب ان لا يرى نفسه فوق غيره فيستهين بحقوق الناس بل يجب ان يحب لغيره مثل ما يحب لنفسه وان يكره له ما يكره لها وان لا يظلم الناس كما لا يرضى ان يظلمه الناس وأن يحسن اليهم كما يرغب أن يحسنوا اليه وان يستبجح من نفسه كل ما يستبجح من سواء : ثم أوصاه عليه السلام ان لا يقول ما لا يعلم لان في ذلك فضلا عن الاضلال والتجهيل الموجبين للعقوبة اسقاطاً للكرامة وتوهيناً بالشرف حيث ينكشف الخلاف ويظهر الخطأ : واما ان الاعجاب والغرور ضد الصواب وآفة الالباب فلان المعجب بنفسه المغرور بمواهبه يقع في مجاهل تمحقه وتسحقه كما فعلت هاتان الصفتان الرديشتان بكل من زاواهما واعتد بهما والكدح هو التعب والمشقة والمنظور بذلك هنا هو ما يستثمره الانسان بكده ومعنى السعي فيه هو انفاقه في وجوهه المشروعة الجالبة للثواب الكاسية للشرف

فان التقصير في الانفاق من لازمه القهرى ان يعود الانسان خازناً لغيره من وارث او حادث ثم قال عليه السلام له واذا انت هديت بتوفيق من الله لقصدي فكن أخشع ما تكون لربك الذى وفقك وهداك جزاء على احسانه بالشكر له :

واعلم أن امامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة و انه لاغناء بك فيه عن حسن الارتياح وقد بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عايك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافقك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمّله اياه وأكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده و اغتنم من استقرضك فى حال غناك ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤوداً المخف فيها احسن حالا من المثقل و البطيء عليها أقبح حالا من المسرع وان مهبطك بها لامحالة اما على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطىء المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعجب ولا الى الدنيا منصرف :

بين له عليه السلام فى هذا الفصل كيفية سعيه فى كدحه و كيف لا يكون خازناً لغيره فقال ان الذى تستقبله من طى المسافة لو طنك الدائم مديد بعيد و فيه من المشاق والمتاعب الجهد الكثير مضافاً الى ان كل عاقل لا يجوز له اهمال ما قصد اليه بالفحص والتفتيش خصوصاً اذا كان فى قصده مشقة وفى استهدافه مؤنة بل لا بد له من حسن الارتياح والقدر المبلغ من الزاد غير المثقل للظهر حتى يعود وبالا عليه واذا حصل له من يحمل عنه هذا الثقل ليوافيه به فى المقصد الذى يتوخى فذاك من أحسن العون له والارفاق به وحساب الآخرة مع الدنيا بالنسبة الى المكلف هو هذا الحساب فى طرف من المقايسة فان الانسان مهما استطاع أن يؤمن عاقبته من عمل دنياه الفانية فلا يقصر فى حق نفسه فان طالب العمل المثمر غداً غير واجد له ولا ريب ان حطام الدنيا و مساعيها فى غير فعل الاحسان ومواساة الاخوان مما ينقل كاهل الانسان بالمسؤولية ومما لا شك فيه ان سالك العقبة الكؤود اذا كان مخفياً خيره مما اذا كان مثقلاً والبطىء فى قطعها أقبح حالا من المسرع وسالك كل متاهة غايته امر من امرين لا محالة اما التلف والعطب و اما

السلامة و الوصول الى المقصد اذن فيجب على السالك ان يتمهل في معرفة طريقه و العبادة التي لا تضل به فليست الندامة مع مشاركة التلف مما تنفع كما لاسبيل و الحال هذه الى استئناف الشقة و العود الى المبدأ :

« و اعلم ان الذى بيده خزائن السموات و الارض قد اذن لك فى الدعاء و تكفل لك بالاجابة و أمرك أن تسأله ليعطيك و تسترحمه ليرحمك و لم يجعل بينك و بينه من يحجبك عنه و لم يلجئك الى من يشفع لك اليه و لم يمنعك ان أسأت من التوبة و لم يعاجلك بالنقمة و لم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة و لم يشدد عليك فى قبول الانابة و لم يناقشك بالجريمة و لم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة و حسب سيئتك واحدة و حسب حسنتك عشرة و فتح لك باب المتاب و باب الاستيماب فاذا ناديت به سمع نداك و اذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك و أبثته ذات نفسك و شكوت اليه همومك و استكشفته كربك و استعنته على امورك و سألته من خزائن رحمته مالا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار و صحة الابدان و سعة الارزاق ثم جعل فى يدك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته و استمطرت شأبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطفة على قدر النية و ربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذاك أعظم لاجر السائل و اجزل لعطاء الآمل و ربما سالت الشئ فلا تؤتاها و اوتيت خيراً منه عاجلاً او آجلاً و صرف عنك لما هو خير لك فرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك او اوتيته فلتكن مسالتك فيما يبقى لك جماله و ينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له :

بين عليه السلام له ان خالق العالم كما هو مكون لاصل خلقته مبدع للقليل و الكثير من مادته كذلك هو مصرف لجميع الشؤون الكونية بلا استثناء حقير منها و لا خطير و من جملة ذلك ان خزائن السموات و الارض بيده و المراد بخزائن السموات و الارض هو كل ما يحسب له الانسان من حساب كالمال و الجاه و الصحة و كافة اعانى النفس التى تدور فى رؤس الناس نوعاً فليس فى ذلك الى من سواء مفرع الا بنحو التسبب و الاعداد و قد اسلفنا ان التسبب المادى و الاعداد الطبيعى لا ينجعان اذا لم يكن لمارء الطبيعة ارادة

حاسمة ويستأنس لذلك بان من المشهود تنجز ادنى تسبب و اقل تشبث و عقم المحاولات العظيمة و التشبثات الطويلة و لا يجوز ايكال كل ذلك الى الصدف كما اسلفناه : وهو تعالى قدفتح لعباده ابواب الدعاء بقوله ادعوني و وعد بالاجابة بقوله استجب لكم لكن هذه القضية تحتاج الى توضيح ماأغلق فيها و تفصيل ماأجمل منها فان للداعى و للدعاء و للمدعو عليه اوله شروطاً لابد من مراعاتها و الاستلزام ذلك الهرج والمرج و التناقض و التصادم اما الداعى فتارة يدعو لنفسه او عليها او للغير او عليه و ما يدعوه تارة يكون مكشوف الحال بان يكون فى ضائقة من ظالم قدضايقه على نفسه او عرضه او حقه الذى لامرية فيه و اخرى يكون ملتبساً بان يدعو لنفسه بطول البقاء او بنيل جاه و مقام و منصة حكم و مرجعية وهكذا دعاؤه لغيره و اما دعاؤه على نفسه او غيره بان يقصر عمره او يزول من يده مقامه و جاهه او يهلك اهله و عياله و ما الى ذلك فذلك فى الكثير منه يكون مبعوثاً عن عواطف مؤقتة تتحول من النفى الى الاثبات و من الاثبات الى النفى فى الساعات حسب تغير الميول و تصرف العواطف و لربما وقع مدعو عليه اوله فى تناقض دعائى من داعين دعى له احدهما بطول البقاء لانه احسن له و ثلثيهما يقصر العمر لانه اساء اليه و على مثل هذا مما لا يعد و لا يحصى اذن فباب الدعاء المفتوح للعبد له شرائط خاصة و ذلك فيما يتجلى من امره و اما ما استر و جهه و لم يعلم مدى انطباقه على الواقع فأمره جداً مظلم لا يعلمه الا الله سبحانه و لذلك كانت اجابة الدعاء مبهمه لابهام مقدماتها التى تعرضنا لشيء منها : و ان امر الله العبد أن يسأله ليعطيه فذلك فيه من القيود و الشروط ما تعرضنا لطرف منه فى الدعاء : و اما سؤال الرحمة منه فذلك موكل به الى المصالح الواقعية التى لا يعلمها الا من احاط علماً بالواقع النافع و كم من سائل شيئاً لنفسه او لغيره لو انكشف له المحجوب لانعكس سؤاله فيه : و اما جعل الحجاب بين الوالى و المولى عليه فذلك يكون بداع من دواعى كثيرة اما الخوف من هجوم السوء عليه من حيث لا يحتسب و اما طرداً للتشويش فى اوقاته و اما ابرازاً للعظمة و حياً للتجبر و واجب الوجود بماله من صفات جلال و جمال و كمال بعيد عن كل ذلك : و اصل الاستشفاع معقول بمجمله حتى مع الله سبحانه فان من يقدم بين يديه ولياً حرياً بالتجليل و التبجيل لما احتوى عليه من شرائط

الأخلاق وجلال الصفات يرتاح إلى نفسه أكثر مما يأتي بمفرده لكن مع ذلك لا الجاء في الشفاعة من كل عاقل عادل فضلا عن الله سبحانه :

ولا يستريب العاقل وان كان غارقاً في المثالية معجوناً في الكمالات الروحية ان الإنسان حيوان ذو ميول وعواطف وشهوات وليس انسلخه من ميوله وعواطفه وشهواته بأمر مستهان لما في ذلك من لزوم رياضات مجهدة وانعاب وافرة و مكابدات جمّة و اذا كان الإنسان كذلك كان من لازمه الاعتيادي مقارفة السيئة إلى جنب الحسنه فمجانبة الله لعبده بمجرد اساءته غير جائزة عليه تعالى اذا تاب العبد و أتاب وخلص من حقوق عباده و تنصله ما يوجب سخط ربه ولذلك كانت التوبة الصحيحة بشرائها اللازمة واجبة القبول على الخالق سبحانه :

لكننا نلفت نظر الإنسان المطلق إلى نكتة اذا راعاها امكن ان يكون انساناً معتدلاً و اذا تجافى عنها اخلد إلى الحيوانية فكان بعيداً عن كل خير يرجى منه حتى التوبة فانها لا تتعقل من الإنسان المنصرف إلى ميوله وعواطفه وشهواته ولذلك نقول تحت عنوان .

الإنسان بين المادة والمعنى

كل احد يدرك باحداقها لناظرة ان ظاهرة لبدن الانساني انما تمتاز عن جملة الحيوانات بشيء طفيف من التخاطيط والشكل الهندسي وتشارك ظاهرة هذا البدن من حيث تأمين الغذاء والقوت ودفع المزاحمات ومبارزة المؤلّمات مع كافة الحيوانات سواء بسواء ومن هنا نعلم ان الإنسان حيوان بيده ومادى خالص من جهة بنيته لكننا اذا وزناه من هذه الجهة وجدناه لا قيمة له بالمرة واذا حاسبناه على ميوله الخاطئة وتصرفاته المنحرفة وجدناه من الحيوانات المضرة التي يجب ان تطارد حتى لا تضرب غيرها هذا هو الإنسان المادى ومهما كان جميلاً في صورته رشيداً في قامته شكيلاً في بزته موقفاً في سعيه المولد للجاه والمال :

واما الإنسان الروحي فان المراد به فكره وعقله ليه وقلبه ضمير ووجدانه علمه

و عمله وكل من هذه الثمرات المعنوية لا يرتبط بالحيوان اى ارتباط ولهذا بحسب الانسان الروحي موجوداً مستقلاً عن كافة الموجودات كائنة ما تكون : ولا يريد بالانسان الروحي الانسان الذى يجرد نفسه من كافة ميوله وعواطفه ومن جميع شهواته ورغباته فان ذلك لم يكلف به اى انسان وقد خاطب الله اشرف انبيائه بقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا للعلم بان الدنيا اعداد للاخرة واعداد ايضاً لنشر الفضيلة واعداد كذلك لاجراء النظام العادل بين الناس فان الذى يفقد دنياه فلا يكون صاحب بدن قوى وعضلات قوية لا يستطيع ان يكون مجاهداً فى الحروب التى تكون بين الحق والباطل وان الذى يفقد دنياه فلا يكون صحيحاً فى جسمه سالماً فى مزاجه لا يستطيع ان يتعلم ولا ان يعلم ما تعلم وان الذى يفقد دنياه فلا يكون صاحب جاه ومقام لا يستطيع ان يأمر بالمعروف او ينهى عن المنكر فان الخاملين بين الناس لا اثر لاكلهم ولو كان حقاً وصدقاً وان الذى يفقد دنياه فلا يكون صاحب مال ولو كان قليلاً لا يستطيع ان يؤمن حاجة نفسه الضرورية فضلاً عن حاجة اخيه ويلزمه الفقر بصرف جميع اوقاته فى العمل الكادح واستنفاد جميع قواه للابقاء على رقبته ومثل هذا الانسان مهما كان ذا استعداد لا تكون قيمة لاستعداده ان لا مجالاً لفعليه هذا الاستعداد وقس على ذلك نظائر ما ذكرنا :

اذن فالمراد بالانسان الروحي هو الانسان الملتفت الى ان وراء جسمه ولذته والمه الحسين عالماً آخر محيطاً بوجوده وذلك العالم المحيط به هو عقلي ومقاييس شعوره وموازين ادراكاته التى بها خطط المدينة الفاضلة وقام بهندستها فى خريطة ذهنه والمراد بالمدينة الفاضلة التى يسيل لمفهومها لعب كل انسان حر هي المدينة التى تسود علمها ظاهرات العدل والانصاف والاخاء والاباء والحياء والسخاء والوفاء والصدق والرفق والاحسان والامان والايمان والمواساة بل المساواة :

وايس تصوير المدينة الفاضلة بفرض مجال يفرض بل هو امر ممكن فى نفسى حقيقه العيان فى فترات قصيرة من الزمان وان مراعاة الفترة المختصرة التى عاشها النبي صلى الله عليه وآله بعد ان توطدت له الامور نسبة فى مدينة هجرته تكفينا بتحقيق المدينة الفاضلة عملاً فى رفعة من الارض هي المدينة المنورة وبين اناس هم الصحابة الاجلاء من على و

ابى ذر وعمار وسلمان والمقداد ونظرائهم وفى زمن لم تكن فيه مدارس وكليات وجوامع و
دكاترة حقوق وعلوم : و هذه الروحىة التى يستشعرها مترسموا خطة اهل البيت عليه السلام
من المعممين وليدة تلك الفكرة التى صدع بها انبياء الله اجابة لارادة الله الذى يحب الخير
لعباده ويبغض لهم كل شر :

ولا يجوز نكران الحق ولا التجاهل بالواقع فان جملة من اهل العلم الدينى الذين
اتخذوا العمائم شعاراً لالتحاقهم بحزب الله اهل بيت رسالة السماء رسموا المنهار من اركان
وقواعد وبنيان تلك المدينة الفاضلة التى امر بتاسيسها الله سبحانه وقام بشادتها انبياءه
الكرام الذين ما طلوا الزمن ولا كموا الجبابرة حتى استطاعوا ان يحفظوا رمق الحق من
بين الضواغط المدهشة التى اخذت منه بالمخنق و اشارة الى ما قام به المجاهدون من علماءنا
فى ترميم هذه المدينة تكفيناً للتدليل على تثبيت هذا المطلب فقد قام الشيوخ والسادة
الاجلاء من العلماء كالفيد والمرضى والشيخ الطوسى و المحقق والعلامة و الشهيدان
وبحر العلوم وكاشف الغطاء الكبير وصاحب الجواهر والمرضى الانصارى والشيخ محمد
حسين الكاظمى و المجدد الشيرازى و الاقارضا الهمدانى وغيرهم بشتى المجاهدات و
راضوا انفسهم بانواع الرياضات المتدعيم عروش الحق ودك مراكز الباطل ولولا ذلك لما رأيت
اليوم اسماً للحق فضلاً عن رسمه ولا خبراً عن المدينة فضلاً عن بقاء اسمها وشخص آثارها :
و نقول ايضاً تحت عنوان :

الحياة بين المادى والمبدأى

للحياة العامة فيما سبق الحرب العالمية الاولى لون واحد بالتقريب وللحياة
بعد هذه الحرب الوان يتصارع عليها أهلها : اما لونها قبل الحرب العالمية الاولى
فقد كانت ظاهرة الدين صبغة عامة للعموم ووجود الملاحدة والزنادقة والمنحرفين فيما
بين طبقات الناس كان معموراً بالظاهرة الدينية فلم يكن يستطيع الاباحى والزندق اصحاراً
حتى بالطرف الضعيف من عقيدته و مرامه ومتى كان المرام بهذا اللون كان الاجتماع
فى امن من تقاضيه ومصونيه من مفسده ولهذا طوت ادوار الاسلام قرونها المدينة مسلمة
فى النزعة من اعلا طبقاتها الى ادناها و كانت الظاهرة العامة للبرامج الاسلامية فى

فى جميع شؤونها العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لكن لما انفجرت الحرب العالمية الاولى والتمت الخافقين بكل عواملها وجاء دور الحريات فيما يقولون اخذ كل انسان سواء أكان يدافع رمزى ام بداع جهلى شهوى يندفع بكل ما فى نفسه ولو كان سباباً وعريضة وجاء العصر يعتز بهذه الحريات التى لا يليق بها الا ان تسمى بالفوضوية والانفلات ولما كان العلم فى كافة ادوار البشرية قليلا اهلها فى تفهم مقاييسه من مكابدة اتعاب روحية و جسمية و كان الجهل فى كافة الاجيال هو الشعار الواضح اللائح على اكثر الافراد فى المجامع البشرية و من جملتهم المحصلون الذين لم ينضجهم للدرس بل حفظوا اشياء قشرية وفاتهم الكثير الوفير من المطالب العميقة جاءت الدواهى ترى الى هذا العالم من طريق هذا التحرر بما يعجز الواصف عن وصفه واللسان عن بيانه

فبعد ما كانت الفحشاء مستودعة الباب بالقوى الراصدة عليها حتى لا تفسد الحياة نراها فى عصور التحرر فقد فتحت ابوابها امام كل وارد بل تجاهرت فأخذت تغد فى المعابر والشوارع وانتهى بها الامر الى ان يجدها الناس فى بطون بيوتهم و الى ان يعودوا عاجزين عن دفاعها :

ونحن لو سألنا كلمة الحرية نفسها عن ما احتوت عليه من مضمون اراده العقلاء منها لو وجدناها تستنكر من هذا المفهوم الذى دخل فى اذهان الناس زاعمين انه مفهومها ومضمونها لان المنظور بالتحرر طبعاً هو اقامة العدل العلمى الاجتماعى الاقتصادى السياسى بين الناس والعدل معناه احقاق الحق و ابطال الباطل و الذى يشخص الحق والباطل هو العقل السليم والمنطق الوزير لارغبات الناس وشهوات الافراد هذا هو معنى الحرية : واما العريضة نتيجة لشرب المسكرات و التهتك من طريق ارسال الشهوات واستباحة الحقوق من أجل الافساح للنزوات والحماقات فهى نقيض الحرية لانها تميت الحق و تحيى الباطل و تشيع المنكرات بين الناس كما يراه الان كل احد حتى فى منزله الخاص فضلا عن الطريق الذى يستطرقه و المعابر التى يمر بها والوسائل النقلية التى يمتطيها فى تجولاته وأسفاره :

نعم كل هذا ليس بحرية وانما هو فوضى وانفلات على كافة القيود حتى الفطرية منها وبلاء الانفلات لا يعرف الا فى المجابين الحاد جنونهم الذين يعيشون بكل شىء تمكنوا منه حتى ترى الناس تخافهم على ارواحهم فضلا عن اموالهم ونواميسهم وتحررنا الحاضر اخو الجنون المطبق بلافاصلة غايته ان كل بلاء عام تخف وطاته على الناس لانتشاره بين عموم الطبقات لكن البلاء ثقيل على العاطفة الانسانية فلما كثر انحصار انتشار باى لون كان وبأى طابع انطبع.

والذى فتح الطريق امام هذا البلاء العام بل الوباء الجارف هو اعتبار كل انسان نفسه انه عاقل مفكر وان عقله وفكره يجب احترامهما من كافة الناس وهو جهل عميق وحماسة عظيمة بدليل أن افكار البشر قد انتهت بهم الى امور متناقضة ومفاهيم متضادة لا يمكن جمعها وفرضها على الوجود فى البشر جماعة الشيوعيين الذين يرون ان كل ما فى الوجود يجب ان يكون مشتركاً بين كافة الناس بلا فرق بين النواميس وغيرها والاموال وما سواها و فى البشر ايضا جماعات اخرى يسخرون من هذا الفكر سخيرة عظيمة ويرون ان فريق الشيوعيين اناس مرموزون فاقدون حتى للمنطق العادى مستبدلين ولهم الحق بان الاحمال الذى بضاعته قوة بدنه وهى موهبة طبيعية مخصوصة به لو صرف قوته فى حمل الاحمال واستفاد من هذا الكسب ما لا كيف تجوز مزاحمته على هذا المال الذى اكتسبه من عرق جبينه وكدميمته واى انسان آخر له دخالة فى هذا الكد حتى يعود شريكاً له فى نتائجه وهذا الاحمال نفسه اذا جمع من كده مجموعة مال وتعاقد هو وامرأة من بنات الناس على ان يتزوجها بمهر معلوم لها وشروط يقوم بها وحقوق يشترطها عليها وهى تجيبه الى هذه المعاقدة شارطة على نفسها الوفاء بها فكيف يجيز العقلاء لها ان تكون مشتركة بينه وبين غيره :

فاذا كان كل فكر محترماً يجوز فرضه على المجتمع وقع الاجتماع من طريق هذه الافكار المتضادة فى خفقان مدعش تستحيل معه الحياة قطعاً اذن فالافكار المحترمة هى الافكار التى قام على تحليلها العلم و الموازين المنطقية حتى صفت من كل خلط و شوب ومن كل جهل وانحراف ومن كل رمز وشهوة ومصالحة شخصية بلا فرق بين القديم منها والجديد فقول المتجددين ان النظم الدينية اصول عتيقة لا تستطيع ان تحكم الاجيال

الحاضرة والقادمة من الاغلاط المقتضعة لان الفكر المحترم اذا كان هو الحقيقة كان الحق هو الذى يجب اتباعه اذ لا فرق فى الحقيقة بين القديم منها والجديد لان القدم والجدة من مواليد مرور الزمان وحدوثه والزمان لا يربطه بالحقيقة اصلاً : ان الحقيقة نظير قولنا الواحد نصف الاثنين والكل اعظم من الجزء وهذا المعنى مسلم للعقول البشرية فى كل آن من آوان وجودها :

ولا يستطيع جماعة العقلاء فى العالم ان يجدوا مجموعة نظم صحيحة بعد عرضها على المقاييس العلمية المنقحة مثل ما يجدونه فى نظم الدين الاسلامى لكن بشرط التدقيق التام فى مفاهيمها والتحقيق فى مضامينها والتأنى فى استعراضها والنظام اذا بلغت حيثيتها الى هذه القمة وجب تطبيقه على المجتمع حراسة لافراده وصوناً لاهله وتعبيداً لطرق الحياة الصحيحة :

وهنا يليق بنا أن نسأل فنقول ما الذى وقف امام تنجيز هذا النظام وتطبيقه على المجامع البشرية حتى تسعد بالحياة وما الذى اربك هذه الحياة العريضة الطويلة حتى جعلها كالموج الهائج تطفو وترسب فى الدقائق فضلاء الساعات وفى هذا الهياج ما فيه من ازعاج وفى الجواب عن هذا السؤال نقول وقف امام تنجيز نظام الاسلام بعد النبى واوصيائه عليه السلام عدة عوائر مهمة :

(١) الاغراض الشخصية القائمة فى اعداء الانسانية الذين لا يهمهم فناء العالم او بقاءه بعد أن يقال فى حقهم انهم عظماء ونظرة الى الحجاج وما اتاه والى جنكيز وما صدر عنه والى تيمور وما قام به والى امين وستالين وما باسراء من اعمال تنبوا حتى عن مذاق التوحش تكفيك فى استشفاف ان هؤلاء ونظرائهم فى السابقين واللاحقين لم يكن يهيب بهم الى التوسع فى التدمير والتخريب حب الامرة والتسلط فقط فان الحاكمة وراء هذه الاندفاعات المخزية والتهجمات العارمة و لكن الذى اهاب بهم هو حجبهم لان يقال فى حقهم انهم عظماء ولا ريب ان هذا الطرز من الشعور وايداعات نفسية وامراض روحية اعادنا الله منها .

(٢) الجهل المركب الذى اختمر فى اذهان اغلب المتجددين الذين وقفوا على

ماطراً على المادة من تحوير وتطور فكان التلفزيون بعد أن لم يكن وجاء المكرفون الى الوجود بعدما كان فى طيات الخفاء او العدم وانتجت المعامل المبردة والمدفئة والرادار والسفن الفضائية والطائرات التى تسابق الصوت فى سرعتها الى ذلك مما شاع وانتشر فقالوا عن جهل واضح ان تصرف الانسان بالطبيعة هذا التصرف المدهش مما لا يجعل للاعتقاد بالله مجالاً وهم لو التقوا وجدوا الحاجة الى الخالق ضرورة على كل حال حتى لو استطاع البشر ان يفلى الطبيعة ذرة ذرة و يحللها و ذرة وذرة فان ايجاد اصل المادة و تسيير أبعاضها هذا التسيير العظيم فى المجرات و المنظومات الشمسية و افاضة الحياة على جملة من الكائنات و اعطائها هداها الذى اقام قيامة العقول فى تنقيتها عن الحيوان بريها و بحريها صغيرها و كبيرها مكشوفها للانظار و محجوبها عنها امثال الخلايا القائمة بينان بدن كل موجود حتى من نبات و حيوان و انسان مما لا يمكن ان يكون جزافاً فان الجراف لا ميدان له فى سوق العلم بالمرّة بل لا بد لكل حصيلة من علة تقوم بتحصيلها :

ثم ان هذا السبب الذى اهاب بهؤلاء المتجددين ان يلحدوا خرج بهم وراء ذلك الى الاسفاف فى كل شىء فانكروا العقل وما يوحيه وكفروا بالشعور الانسانى و جهدوا جميع ابحاث الفطرة فكل شىء عندهم حلال ارتكابه اذا ساعدت القدرة عليه فلا يجدون فى انفسهم مفهوماً للعفة و لا معنى للنجاسة و يهزؤون من التورع و التدين و يتدرعون باللاأبالية شعاراً يلازمهم فى كل حالاتهم و كل ما نراه فى شوارعنا و معايرتنا و اجتماعاتنا من تذبذب و تفسخ و انهيار و ميوعة هو نتيجة هذه الارواح الموبوءة : ان هذا الوباء الاخلاقى اطاح با لمجامع كلها فلا بد من مطاردته بكل شكل ممكن و اهمو سائله حسن التربية المسئول بها كل مرب خولته الصلاحيات تربية غيره :

(٣) عدم قيام المربين بواجبهم التربوى : والمربون اصناف :

(١) الآباء والامهات ومن لازمهم انهم كما يسعون وراء المادة لتحصيل القوت والضرورات الحيوية الاخر لانفسهم و من يعولون به يجب عليهم ان يتقنوا ابنائهم ثقافة صحيحة و يعدوا منهم جيلاً مثقفاً للمستقبل يسعد فى نفسه و يسعد غيره بالتبع وكما لا يجوز

اهمالهم لا يجوز ايكال امورهم الى الفسقة والمنحرفين :

(٢) المعلمون و اشراف المعلم على الاطفال له كل الدخلى فى توجيه حياتهم فكما يستطيع ان يخلق منهم جيلا صالحاً وامة نجبية يستطيع ان يخلق منهم لصوصاً وشحاذبن وفسقة ساقطين وكلا الجيلين شاهدنا الجيل الصالح من طريق المعلم الصالح فقد خلق محمد بن عبدالله نبي الاسلام من وحوش الجاهلية امة لها كيانها المعجيد الذى لا يزال قلم التاريخ يتحدث عن محامدها ومكارمها والجيل المنحرف من طريق المعلم المنحرف فقد خلقت تعاليم دارون وماركس ولنين وستالين جيلا هائجاً بمخالبه ضارياً باظفاره قد أعدّ مخالفه وانيابه واطفاره للاطاحة بكل ما يعترض امامه كائناً ما كان ذلك المعترض ويكفينا العيان شاهد صدق على ما ادعيناه :

(٣) الآباء الروحانيون ان الالب الروحي الذى يمثل الله تعالى و انبيائه العظام و اوصيائه الكرام يجب ان يكون وراء تهذيبه نفسه وعبادته بما ينفع خاصة شخصه مهتماً اشد الاهتمام فى تقريب مستوى الاجتماع الى مستوى الله وممثليه فيجب ان يعرفهم بالله تعريفاً يدخل فى اعماق قلوبهم حتى يؤمنوا به عن ايقان واذعان و البيان الذى يكفل هذا التعريف مما يختلف باختلاف الزمان واهله فلا يجوز للالب الروحي ان يجمد على الالفاظ التى قام الروحانيون قبله للاجيال السافرة بل يجب عليه ان يلبس تلك الحقائق لباساً يواكب ما تعود عليه اهل زمانه من طرز بيان وكيفية اقامة برهان : كما لا يجوز له ان يواجه المنحرفين قبل ان يبأس منهم بوجه عابس حتى لا تبعد الشقة بينه وبين الناس ويجب عليه ايضاً ان يضحى براحته فى سبيل مقصوده الصالح ولا يكتفى بجلوسه للناس حتى يسأله من يريد التفهم عن امره بل من وظيفته ان يمشى وراء الناس فى المناسبات المؤاتية حتى يلفت اذهانهم الى جانب الحقيقة انتصاراً للحق كى لا يستولى عليه الباطل فيحجبه عن القلوب :

والحق ان ممثلى الروح قاموا بواجبهم الذى يتطلبه الواقع منهم فأوصلوا رسالة الله سبحانه الى عباده فيما استطاعوا الوصول اليه من بلاده هذا بقلمه وذاك بلسانه و ذاك بقواه التى مهد بها الطريق للتعرف على الحقيقة نعم لا نستطيع ان ننكر ان هذا المقتضىات

القائمة لتأييد دعوة الحق قد نوهضت بمعققات اكثر منها وعواثر لبّدت الآفاق على طالبى الحقيقة فالتبس الحق عليهم بالباطل و اختلط العلم عليهم بالجهل فما عادوا يميزون المزالق المهلكة من الاعلام الهادية المنجية لكن هذا المعنى لا يجوز ان يؤيسهم من الاتصال بالحقيقة او يقنطهم من رحمة الله بهم فان الله فى عون عبده مادام العبد مجدداً فى طلب مرضاته والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا :

و أتبع عليه السلام قوله ، و لم يمنعك ان اسأت من التوبة ، بقوله و لم يعاجلك بالنعمة ، كما نبت فى علم الكلام أن المجازاة على اعمال الدنيا خيرها وشرها لا تكون الا فى النشأة الثانية ومن هنا اخلد كثير من المتجددين الى اللابالية فى امر الدين زاعمين اننا نرى الارخاء للظالم مما جراً الاكثر الاوفر من البشر على ارتكاب المآثم لما يرونه من سعة المجال وعدم المؤاخذة فكم فوق اديم الارض وتحت قبة السماء من مظلوم فقد الحيلة والوسيلة الى استرداد ظلامته والترفيه على نفسه حتى اصبحت الحياة مجة فى ذائقته كريهة فى حاسته لكن المتدين من الناس فوض بكل ذلك الى ربه انكالا على ما وعد به فى كتبه الممترلة و على لسان انبيائه المرسلين ، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، بارتكاب المعاصى بل ارخى عليك بستره الجميل ، ولم يشدد عليك فى قبول الانابة والرجوع اليه واما شرائط صحة التوبة ووجوب قبولها عليه تعالى فهى ضرورية ولا شديد فيها لان ما كان له سبحانه يسقط بالتوبة الصادقة وما هو لعباده فبعدان جعل لهم السلطان فيما خولهم به احوال به اليهم فلا تسقط حقوق العباد بمجرد التوبة ، ولم يناقشك ، فى مقام التوبة الصادقة ، بالجريمة ، وانها ما هو مبلغها ، ولم يؤيسك ، بعد أن توطد عزمك على الرجوع الصادق اليه ، من الرحمة ، فانه لا ييأس من روح الله الا الملحد به .

بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، لان التوبة من المنجيات وكل منج حسن ، وحسب سيئتك واحدة ، اذ لا مجال لمضاعفتها ، وحسب حسنتك عشرأ ؛ فقد ثبت ان من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و الذى جوز هذه المضاعفة التنشيط لفعل الخيرو حب التفضل لمستحقه ، وفتح لك باب المتاب ، المتاب و التوبة بمعنى واحد و باب

الاستيعاب، اى التكثير من موجبات رحمته ، فاذا ناديت به ، بعالى صوتك ، سمع نداءك
واذا ناجيته ، بهمسك الى نفسك ، علم نجواك ، لان السرو العلن بالنسبة اليه على حد
سواء ومنشأ ذلك احاطة علمه بكل شىء اذن فالمولى الذى يكون هذا شأنه يكون من
عبودية العبد له ان يفضى اليه بحاجته ويبيته ذات نفسه ويشكو اليه همه وينكشف له عن
كربه الذى ألم به ويستعين به على اموره ويسأله من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطاء
مثله موجود سواء فهو الذى يزيد فى الاعمار ويصح الابدان ويوسع فى الارزاق ومفتاح
كل ذلك هو الدعاء : و قد اسلفنا القول عن جملة من خفاياهم : و نقول الان توطيداً
اجواب الامام عليه السلام عن هذه النقطة فان قيل كم دعا داع وتضرع متضرع فلم يحصل من
سعيه على طائل على ان دعائه فى الظاهر اما جلب رحمة او دفع نقمة عن نفسه او نويه
او اخوانه المؤمنين وليس فيه اندفاع الى ضلال او طلب ما ليس بحلال قلنا تعرض عليه السلام
للجواب عن ذلك فقال لا يجوز للداعى ان يقط من ابطاء الاجابة فان عطاي الله على قدر
نيات عبيده فى الخلوص وشرف الطلب على ان تأخير الاجابة قد يكون لداعى توفير
الاجر للداعى واجزال العطاء للامل وربما يسأل الانسان شيئاً فيؤتى خيراً منه عاجلاً فى
ديناه او آجلاً فى آخرته او يصرف عنه مطلوبه لما هو خير له فى واقعه قرب امر يطلبه
الانسان على خاوه ظاهراً من كل محذور ولكنه فى الواقع الذى لم ينكشف لغير الله من
موجبات هلاك دينه او دنياه و ختم له المطلب فى هذا الباب بقوله فلتكن مسألتك لله
فيما يبقى لك جمالاه وينفى عنك وباله بان تقول له الهى اقسم لى ما فيه سعادتى فى
ديناى و آخرتى بما انت اعلم به منى والّا فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له بحيلولة الفناء
بينكما وانما ذكره بهذه النكته لان اكثر الداعين من ابناء آدم هدفهم فى دعائهم توفير
الرزق وتحسن الاوضاع العادية لا اكثر :

واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا والغناء واللبقاء والموت لا للحياة و انك
فى منزل قلعة و دار بلغة وطريق الى الاخرة وانك طريق الموت الذى لا ينجو منه هاربه
ولا يفوته طالبه ولا بد انه مدركه فكمن منه على حذر ان يدركك و انت على حال
سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك و بين ذلك فاذا انت قد اهلكت

نفسك يا بنى اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضى بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرک و شددت له ازرك و لا ياتيک بغتة فيبهرك و اياك أن تفتر بما ترى من اخلاذ اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها و نعمت لك نفسها و تكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية و سباع ضار يذيرهم بعضها على بعض و يأكل عزيزها ذليلها و يقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة و أخرى مهملة قد أضلت عقولها و ركبت مجهولها سروح عاهة بواد و عث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيما سلكت بهم الدنيا طريق العمى و اخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها و غرقوا في نعمتها و اتخذوها ربا فلعبت بهم و لعبوا بها و نسوا ما ورائها و بدأ يسفر الظلام كأن قدوردت الاظعان يوشك من أسرع أن يلحق :

يظهر من اكثر كلمات الافاضل المقدسين و الاتقياء المثاليين ترهيدهم الناس في الدنيا و ترغيبهم في النشأة الاخرى و انهم انما اخلقوا للفناء و كوا نوافي هذه الدنيا للتلاشى لا للبقاء و هذا المعنى مما يولد الكبت في النفوس و الياس في الارواح و يدعو الى الانجحار و الانزواء و نرى النزعة الانسانية و الفطرة الحيوية تخالف ذلك اشد المخالفة: و اما الماديون فهم على نقيض تام لهذه المباني و يرون ان الحياة الدنيا هي الهدف الاقصى للكائن الحي و ان سعادته و شقاهه منوطان بالتنعم بها او الحرمان منها لكن الحقيقة وراء ما يقول هؤلاء و يرمون اليه حتى مع الاعتقاد بالمبدأ المادى الذى يرمون اليه و يدورون حوالبه فى قبال المبدأ الذى يرى الحياة الفاضلة مقصورة على النشأة الثانية فقط :

وذلك لان المثاليين ليس غرضهم من كل ما قالوا هو دعوة الاحياء الى الموت - اهل النشاط الى الكسل و كبت النفس و تحزينها و تحريم التنعم بنعم الله و تحبيب التخشن و التزمت و التشويق الى الانزال و الانزواء و البطالة و الاكتفاء من المطعوم ولو بسف التراب و من الملبوس بالا سمال و من المساكن بالخرائب بل هدفهم الوحيد هو الوقوف امام الطغيان المادى و التيار الخلاعى و الجنون فى الالابالية الذى يجرف معه كل شىء و مهما عظم و ضخم و يؤدى به الى منتهى الضراوة و أخس مهاوى الوحشية و السبعية كما

تراه كل عين في نوع المجدالى الحاضرة فى الشرق والغرب فى الحرب والسلم فى المدارس والاسواق وفى الدوائر والشوارع وفى كل مذهب ودب مما ينتسب الى بنى آدم :

و قد اشار عليه السلام الى طرف من ذلك بالنسبة الى الظاهرة التى درسها بالمزولة يومذاك على ان الفاصلة بين تلك الظاهرات وما طفق به القرن العشرون سحيفة جداً لفقدان نوع المغريات الموجودة الآن فى الامس الغابر بل ولا قياس : واين مكان الربط بين شوارع دمشق فى تلك العهود وشوارع باريس فى هذا الزمان ونساء ذلك الوقت ونساء هذه الآوان و رجال تلك الاعصار وذكران هذه الادوار وملاهى ذلك العهد وهذا العهد المستجد وقس على امثال هذه المقارنات ما لا يأتى عليه تحبير الصفحات وتنسيق العبارات وكلما سار الزمان بجموعه المتراسة الى المستقبل زادهم خبالا وصب على الانسانية من شر موبالا: اذن فالتزهد فى العاديات والوقوف امام عرامة الشهوات وتجنب المعنويات والترغيب فى الكمالات امر لازم لتعديل جنات الحياة وحفظ الانسان من الانهيار الماحق والنظام العام من الارتباك المزعج :

ومن المقذور على الله سبحانه كسب النفوس بحب الفضائل وامانة رغباتها امام الرذائل حتى تعد من اولاهالآخر او من عيشها الدنياوى لعالمها الاخر وى الا ان ذلك يقعد بها عن تناول الحسنة بكسبها ودرك الفضيلة بالسعى فى طلبها والتسبب الى كل محمودة باسبابها فلا تعود بعد محطة لاثابة ولا محلا لمحمدة ولا تستحق من المدح اقل نصيب وقد اجرى الله سبحانه من طريق التسبب الى النتائج كل عوالم خلقته حتى يتمرن الخلق على سلوك هذه الطرق التى ان اثمرت اكسبت مستثمرها حمداً وراء الثمرة التى ينالها ودونك مادوناه تحت عنوان- المولد النبوى- لتقف منه على تشریح هذه القضية .

تولدای مولود يفرض من كافة المواليد انما يعتد به لانه مناط تنعقد الآمال عليه فالابوان كلاهما حتى لو كانا من طبقة المكدين المتسولين انما يفرحان بمولودهما الضعيف على انه كل عليهما وعياً ثقيل على عواتقهما لانهما يرجوان به ان يعود ذخيرة لهما فى كبرهما ويكون عكاز شيخوختهما واذا ساعدته الموفقيات نجاهما من البؤس بمجرد بلوغه ورشده وعلى محور هذا الامل تدور عواطف الابوة والامومة بل عواطف الاجتماع كله بالنسبة

الى كل بذرة يتشقق عنها حبها و ينفلق عنها صدفها فان الاجتماع بطوله وبعرضه وفي كل زمان من ازماته انما يحاول بجهوده التي يبذلها و باعماله التي يقوم بها تحسن حاله و ترقى وضعه و وصوله الى السعادة التي يتمناها لنفسه وللمن يعز عليه من قريب وبعيد وهذه السنة معجونة في خلقه المخلوقات كلها :

والله سبحانه على انه قادر على كل شيء و انه اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون شاء ان يعلم الفرد الانساني بعد تصميمه على تحقيق اي هدف يفرض من الاهداف بخطة اتخاذ الاسباب والتطرق منها الى مسبباتها و ان طال على العاطفة الزمان حتى يكون نشيطاً زاهمة في كافة افعاله وتروكده وهو سبحانه كان اقدر القادرين على اهلاك فراغته مصر الطغاة واستخلاص بنى اسرائيل من نير تحكمهم وتمردهم واستبدادهم بصرف الارادة الحاسمة الا انه تعالى ابي ان يفعل ذلك بل مهتد لهذه النتيجة سلسلة مقدمات مترابطة تؤدي في نهايتها الى المقصود المذكور فالهم ام موسى بعد ان وضعت ان تخبأ في حفاظ وتلقيه في اليم حتى يلتقطه هواة الالتقاط حتى الملوك من هواته وبذلك يكون قد صانه صوتاً طبيعياً من فتك فرعون مصر الذي كان يذبح الذكور ويستحيى الاناث من بنى اسرائيل حذراً من بطش ذكرانهم على تاجه وصواجاناه :

فاخذ هذا الطفل الذي التقطه آل فرعون ليكون لهم قرة عين ينمو ويتدرج في احضانهم حتى قطع الشوط الواسع من عمره و الغيب ينتظر بنموه هذا ان يعود على هؤلاء الطواغيت عدواً و حزناً فكان كما اراد الغيب منه وكان مستهل رسالته حين ذهب يقتبس لاهله ناراً فعاد نبياً قد تحمل اعباء رسالة عظيمة ودعوة كريمة واستفتح مستقبلاً كثير العمل طويل التصرف والتغير حتى انتهت رسالته بما اريد منها :

وهكذا كان سبحانه قادراً اتم الاقتدار على سحق الجاهلية ورعونتها بالارادة الحاسمة ايضاً ولكنه شاء في ذلك ما اراده بالفراغته ومحققهم وبنى اسرائيل والترفيه عليهم بخلق موسى وتدرجه من اول تولده الى آخر ساعة من حياته على المدرج الذي الممنابه فعقد في رحم آمنة بنت وهب من نطفة عبدالله بن عبدالمطلب الموجود الذي اختار له اسم محمد حين عزت امثال هذه الاسماء في دنيا جزيرة العرب يومذاك هذا

الموجود الذي لم يقترن به ما يوجب تعاليه و تساميه من مال ومثال وقدرة و نفوذ و خدم
و حشم سوى التوجهات الخفية الربانية التي لا تعرف الا بعد تحقق مصيرها كما كان شبيه
ذلك في موسى بن عمران :

فلم يتولد محمد في هذه الدنيا الدنيئة الا كان نبراس فضل و مشعل فضيلة يتجلى
نورهما الشيء بعد الشيء حتى عرف بمحمد الصادق الامين على يتمه و املاقه من دنيا المادة
كلها و اخذت روحه تتشعشع بالمعارف و تقف على صميم الواقع حيث لا عارف بين الناس
غيره و لا واقف على صميم الواقع سواء فعرف من الحياة مفهوما لم يعرفه جيله و من الانسان
معنى لم يفهمه معاصروه و من هنا تباعدت الشقة الفكرية بينه و بين قومه و اخذ العدا
الروحي يشتد بينه و بينهم على مسافة الساعات فضلا عن الاعوام و العدا الروحي اثره الفعال
في الجوارح و الجوانح :

و عن هذه الركيزة قال **عنه عليه السلام** ما اوزى نبي كما اوزيت الا انه التصميم الذي لا يتشظى
و الصمود امام المشكلات بدافع حليها و التفوق عليها و هذان العنصران القويان هما
اللذان شقنا اكنف الحجب امام محمد **عليه السلام** فاخذ ينتصر على الباطل و يتقدم بالحقيقة
حتى حطم تلك الافكار السخيفة و الارواح المظلمة و العقلات الشاذة فحرم الظلم و اخذ
بظلامة المظلوم و ازرى بالجهل و لعن الجاهل و بارز الفراعنة و دك عروشهم و ركز المعروف
و طرد المنكر و احوال من جيل الجاهلية جيل امثله على بن ابي طالب و ابوذر الغفاري
و عمار بن ياسر و سلمان الفارسي و عن الى اوائك من افاضل مرت الاجيال تكبيرهم اكباراً
لا عدل له و لا مثيل :

و كما ان ليالى البدر بالنسبة الى بقية ليالى الشهر من القليل النزر في قبال الكثير
الوفر هكذا كان الزمان الطيب من ازمان الاسلام بالنسبة الى ما سواه في غاية القلة
و رجائه الاطياب بالقياس الى من عداهم ممن يحسبون بحساب الاسلام في نهاية النذرة
بالاصبح الاسلام الذي كانت له محققات خارجية و مصاديق واقعية صرف مفاهيم يسردها
الخطيب على صهوات المنابر و يستعرضها بقلم الكاتب في اوراق الدفاتر و لا تحقق لها في
الخارج الاسماء عارية عن الحقيقة :

فنحن المسلمين اليوم انما نملك هذا الاسم المجرد الذي عادت به على الاسلام الذي جاء به محمد و اراده للاجتماع البشرى حاضره وقادمه فان كان محمد خلق الاسلام بعد ان لم يكن فنحن سعدناه ومحقناه بعد ان وجدوا ترعرع وقاموا واستقام وان كان محمد جاء بشريعة غير اعدت مقاييس صحيحة وركائز مهمة فنحن اصبحنا نخلط حقه بباطلنا ومعارفه بجهالاتنا ونتجافى عن الميزان القويم بالرأى السقيم ويرى متجددنا ان كل ذلك ارتجاع وان الحق مع رأيه الآفن و سيرته السقيمة هذه السيرة التى اركست البشرية فى اعماق هوة للضلالة حيث لا منفذ فيها الا للجهل الارعن والعربدات الجافة والخطط العوجاء فلا ترى دنيانا من طريق هؤلاء المتفلتين على النظام الصحيح الا دنيا وحوش يتهجم فيها القوى على الضعيف والغنى على الفقير والشاب على الشيخ الكبير والمتلون على البسيط والمرموز على الانسان الطاهر وهلم دواليك ولا اثر للمعارف التى قامت قيامة اهلها فى هذه العصور الا فى الميوعة والتذبذب والفحشاء واعمال الشرك كلها والمفاسد جميعها: ان الاحتفال بالمولد النبوى معناه هو الاشارة بهذا الشعار العظيم للعدالة البشرية بما فى معنى العدالة من **مقاهيم حسنة ومعاني عظيمة** ونحن الذين ننوّه بهذا الشعار يلزمنا ان نكون صادقين فى تنويرنا واقعيين فى تقديرنا للاسلام و نبيه و رجاله و ابطاله ومعنى صدقنا و واقعيتنا فى ذلك ان نمثل الاسلام فى افعالنا وتروكنا ونعزز موقف نبيه و رجاله و ابطاله باعمالنا الايجابية تعزيزاً يكون اثره الواقعى الخارجى شعار صدقنا و اما لقلقة اللسان وتزويق الالفاظ حول هذه النقطة مما يكرر علينا الكذب ويثبت اننا اناس انتهازيون دجالون نقول بالسنتنا لمصالح مادية رمزية ما ليس فى قلوبنا منه عين ولا اثر.

ان الاحتفال بالمولد النبوى يجب ان يمثله عملنا الجاهر بالصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وبالصيام الذى يذكرنا بجوع الجائع و ظمأ الغمآن و اعواز المعوز و بالزكاة التى ننزه بها اموالنا و نرضى بها وجداننا و ضميرنا و بالصدق الذى هو اشرف الصفات و بالعفة التى هى ملاك الانسان الحر و بالصراحة التى هى وظيفة العاقل و بحب النوع الذى هو ميزان انسانية الانسان و بالاستقامة على الحق التى هى الرمز

الوحيد لشجاعة الشجاع و بالايمان الراسخ الذي لا يتشظى و بحب المعروف و اهله و يبغض المنكر و فاعليه و مؤازرية فاذا طلعتنا بهذه الصفات الشريفة كنا مسلمين بالحقيقة و بدون ذلك نعود لاقيمة لنا بالمرّة ففضلاً عن كوننا حينذاك بعيدين عن الاسلام نكون بعيدين عن كل خير قريبين من كل شر و يكون عدمننا طبعاً ابعد عن الآثام و الجرائم من وجودنا المجهز بكل وسيلة نستطيع تقديمنا الى الامام :

واندرة المقدسين في هذه الازمان وقلة المثاليين في مجموعة بنى الانسان رأيت البشرية في طول محيطها و عرضه ما تشعّر له الابدان و تعجز عن تفسيره محاولات الازهان دنيا قد ضربها الاسفاف من كافة جوانبها و الاجحاف بالمثل من جميع جهاتها و أصبح الانسان فيها اخس من الحيوان على ما يملك فيها من روعة في ازيائه و ترتيب صوري في عموم اشياؤه ولكن ذلك كله تلاوة جوفاء و ظاهرة جافة لا تملك وراثتها باطناً طاهراً و لاحقاً راهناً و كل الناس ادركوا سوء ما وقعوا فيه ولكن قلت الخيط من ايديهم و ارتبكت الامور عليهم فاستسلموا الى البوار الذي لا بد منه : و لهذا السر الذي اعربنا عنه نرى امير المؤمنين **عليه السلام** يبلغ **علي** ولده بالوصية بانه انما خلق ليحظى بنتائج السعي في الحياة لان يأكل ويشرب ويتمتع بسائر المتع المادية فقط فان هذه الاهداف على على فرض سلامة طرقها من الحيف و الاجحاف اهداف قاصرة لاقيمة لها عند العاقل :

و منزل قلعة معناه انه منزل الامام بالمكان و سريعاً يقلع منه يقال أقلعت السفينة من المرسي اذا اتجهت الى مقصدها الذي تهدف اليه : و البلغة ما يتبلغ به الانسان لدفع ضرورته : و معنى قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة انك في ارتكابك المستمر للمعاصي كنت تعمل عقلك بانك سوف تتوب و اذا بالمعنية قد حالت بينك و بين توبتك و اخترمتك عما كنت تزوي لنفسك من بقاء توب في نهايته : و معنى يبهرك بمعجزك لاجل فقدان كافة الوسائل لديك :

وما او مانا اليه من تعرضه **عليه السلام** للظاهرة السائدة على من أخذ من الناس الى المادة السوداء و الحياة الرعناء و اغلب الافراد على هذه الروية الساقطة هو ما اوضح عنه بقوله فانما أهلها كلاب عاروية يعوى بعض على بعض و سباع ضارية قد قذفتها الالهام

الى متاهات لا تدرك أبعادها يحمل فريق منهم على فريق العزيزياً كل الذليل والكبير يقهر الصغير بل هم أشتات نعم قد عقل بعضها العجز والوهن عن المطاردة والملاحقة وأرسل البعض الآخر حوله وطوله فالعقل خانع والجهل شائع والجميع كقطعان وحش قد ضربتها الافات من كل جوانبها ومع ذلك لا تراها تسير إلا في اودية تسيخ فيها القوائم من وعوتها ليس لها راع يحوطها ولا حام يحذب عليها ويلطف بها فيتخير لها المراعى السالمة والمياه العذبة ولا ريب ان هذه الازمة لا تنفجر الا عن هلاك شامل ودمار ماحق :

و اعلم يا بنى ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يساربه و ان كان واقفاً و يقطع المسافة وان كان مقيماً و ادعاً و اعلم يقيناً انك لن تبلغ املك و لن تعدو أجلك وانك فى سبيل من كان قبلك فخذك فخذك فى الطلب واجمل فى المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم و اكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً وما خير خير لا ينال الا بشرويسر لا ينال الا بعسر و اياك ان توجف بك مطايا المطع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذونعمة فافعل فانك مدرك قسمك و آخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه أعظم و اكرم من الكثير من خلقه و ان كان كل منه :

هذا الفصل غزير فى مادته جليل فى معناه عظيم فى وصاياه ولا ريب ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يساربه راغماً وان كان يحسب نفسه واقفاً باقياً و يقطع المسافة الى فناءه وان كان مقيماً على دعة وزاعماً انه فى سعة و ليعلم كل انسان ومهما ساله الزمان انه لا يبلغ امله من الصحة المتواصلة والعيش الرخى والراحة المستمرة والبقاء الطويل و انه على كل الحالات لا يعدو أجله المضروب له فلا النعمة تطيل الاعمار ولا الفقر يهدمها و قدس على ذلك ما شئت من الملابس و انه بدرج على الجادة التى درج عليها ملايين الناس قبله فان الجادة واحدة ومهما اختلفت الاوضاع وتفاوتت الاصقاع و اذا كانت الحياة العامة بهذا اللون كان الحرص على طلب لون غيره سفهاً و عبثاً و تبعاً من غير فائدة و محاولة فاشلة فما احسن بالانسان ان يجمل فى طلبه و يعتدل فى مكسبه بمقدار ما يقطع

بهشقة الحياة ويرفع ضرورة الاحتياج على اندر طالب قد جرد الى ويلو حرب ومنازعات طويلة و مخاصمات ثقيلة فان الاعتراك على المادة لا يسلم فيه صاحبه ومهما أوتى من حول وطول ولباقة وكياسة وفوق كل ذلك انه ليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم ثم توسط به  ميدان شرائف الاخلاق و معالى الشيم فقال لداو اكرم نفسك عن كل دنية تسقط الشرف وتحط بالحيثية وان سافتك الى رغائبك النفسية ونزعاتك الشهوية فان قيمة النفس لا تعادلها اية قيمة وانك ان تعاض بما تبذل من نفسك عوضاً ومهما اشبعت شهوتك ونهمتك ولا تكن عبداً لغيرك وقد جعلك الله حراً بفطرتك واستقلال وجودك و لا قيمة للمال والجاه اذا جاء من طريق المنة والاستخذاء واياك ان ترتحل طمعك عطية في مجارى الحياة فتردموارد الهلكة والبوار واذا استطعت ان تحلى نفسك بزينة القناعة وروحك بسمو المناعة و ان لا تعير طرفك لغير ما يقسم الله لك فافعل فانك تكون بذلك سيداً وان اليسير من غير منة الناس كثير في نفسه وان كان الجميع من الله سبحانه :

« وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء و حفظ ما فى يديك احرص الى من طلب ما فى يدي غيرك ومراة اليأس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من أكثر أهدر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبين عنهم بشس الطعام الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقاً ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح و اياك والانتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب و خير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ايس كل طالب يصيب ولاكل غائب يؤب ومن الفساد اضاءة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير: »

يشتمل هنا الفصل على مجموعة حكم اثبتتها التجارب القاطعة وادركتها العقول

الساطعة وهى:

(١) ان الصمت فى كثير من مواضعه حكمة والكلام فى جملة من مواقعه بلاء لان

الصمت قابل للتدارك في اكثر احيانه والكلام لاجابر لشططه الا سرد الاعذار الجملة والشفاعات المهمة على انها لاتقلع كل آثاره و اليه الاشارة بقوله عليه السلام وحفظ ما في الوعاء وهو الضمير بشد الوكاء وهو الصمت :

(٢) والاقتصاد المعقول خير من التبذير الملقب الى حاجة صاحبه للناس بل الصبر على الحاجة اشرف من تحمل المنه لتحصيل السعة :

(٣) والحرفة : وهي قلة الحظ من الدنيا : يقال رجل محارف بصيغة اسم المفعول اذا لم يكن محظوظا في سعيه : مع العفة البانية للشرف خير من الغنى مع الفجور المسقط للقدر هذا في مرحلة الكمال النفسى فضلا عن مواخذة الله للفاجر بفجوره (٤) والمرء احفظ من كل احد لسره اذا اشفق بالانسان من نفس الانسان فمن المستحيل عادة ان يضيع الانسان نفسه ويتصدى لصونه غيره :

(٥) ورب ساع عن جهل او غفلة و تفريط فيما يضره و ما اكثر من هذا الرديف في البشر .

(٦) ومن اكثر من الكلام ولم يزن لسانه بميزان قاده ذلك الى قول الهجر :

(٧) ومن تفكروا مع النظر ابصروا وجه الرشد فيما تفكروا فيه في الاعم الاغلب :

(٨) ومن قارن اهل الخيرو عاشراهل المعروف كان في صفهم فان الخيرو الشر تابعان للبيئة التي يدرج فيها الانسان وهكذا من باين اهل الشرفى اهوائهم بان عنهم :

(٩) وبس الطعام الحرام لما فيه من المسؤولية الوجدانية والربانية :

(١٠) وظلم الضعيف افحش الظلم لما فيه من الدناءة والسقوط و الامتهان فان الذى يملك روحاً عالية يتجاشى عن ظلم الضعاف هذا فضلا عما فى الظلم بجميع انواعه من مآثم وجرائم محرمة فى الشرع والوجدان الانسانى :

(١١) واذا كان الرفق بالضعفاء يعد حمة و خرقاً كان الحمق فى هذا المجال من الرفق المطلوب :

(١٢) وربما كان ابتلاء الانسان بداء دواء لعله لم يتميزها :

(١٣) وربما نصح عن جد غير الناصح كما قد يصدق الكذوب وربما يفش المستنصح

كما تبدر البادرة من غير اهلها :

(١٤) وليس في الاشياء أمحق للمقاصد الصالحة من الاتكال على الامال و التعلل

بالاماني فانها بضائع النوكى ورأس مال المفلسين العمقى :

(١٥) والعقل كله حفظ التجارب فان الآراء الفكرية اذا لم تطبق على الواقع

الراهن ليست هي الا من رديف القضايا الفرضية وليست التجربة في نفسها كافية اذا لم تكن مصدر اتعاظ وميزان عمل :

(١٦) ولاريب ان الاستثمار من الفرصة غنيمة واهمالها اضاعه اذ ليس كل طالب

شئ يصيبه ولاكل غائب يؤب من غيبته ويرجع الى اهل ووطنه .

(١٧) ومن افساد المرء لنفسه اضاعته زاده الذى به قوامه وغفلته عن معاده الذى

اليه يصير .

(١٨) ولكل امر عاقبة ونتيجة صادفت هوى النفس ام خالفته .

(١٩) وسوف يأتيك ما قدر لك ويوافقك ما هو محتوم عليك .

(٢٠) والتاجر مخاطر ببضائعه التى يؤتيها منقودة ولا يدري انه يستوفى فيها وكل ساع

في الدنيا كذلك وليس الهدف منه تحسين السكون و الخلود الى الراحة بل المقصد ان الانسان يلزمه التبصر فى العواقب مهما امكن و الا فهو معذور لو خسرو لم يحصل على ما قدر :

(٢١) ورب يسير فى حاضره انمى من كثير فى عواقبه اذ قد يصل الى الانسان مما لا

يرجوه اكثر مما يرجوه :

٨ لاخير فى معين مهين ولا فى صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده و لا تخاطر

بشئ رجاء اكثر منه و اياك ان تجمع بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند

صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف و المقاربة و عند جموده على البذل و عند

تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له عبد وكانه

ذو نعمة عليك و اياك أن تضع ذلك فى غير موضعه او أن تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو

صديقك صديقاً فتعادي صديقك و امحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة و تجرع

الغيظ فاني لم ارجعة احلا منها عاقبة ولا الذمغبة و لن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين و ان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بداله ذلك يوماً ما من ظن بك خيراً فصدق ظنه و لا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعته حقه و لا يكن اهلك اشقى الخلق بك و لا ترغبين فيمن زهد عنك و لا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته و لا يكونن على الا سائة اقوى منك على الاحسان و لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرتك و نفعك و ليس جزاء من سرك أن تسوء :

وهذا الفصل كسابقه قد احتوى على حكم كثيرة منها

(١) انه لا خير في الاعانة اذا شفعت بالاحتقار والاهانة :

(٢) ولا في الصديق اذا ضن بنفسه في نفع صديقه :

(٣) كما يجب ان يمشى الانسان دهره في حاوه ومره حتى يستطيع مسايرته و

الاعطاب قبل الوصول الى المقصد : والقعود على وزن فعول بفتح الفاء هو البكر من الابل حين يمكن ظهره من الركوب :

(٤) ولاجل ان يتمتع الانسان بطمأنينته ويستفيد من وجوده يجب عليه ان لا يخاطر

بشيء رجاء اكثر منه فان فوت الرجاء وما اكثره مما يخلق في نفسه عقداً و حزازات وذلك له تأثيره في الصحة والسلامة والانبساط :

(٥) كما لا يجوز للماقل ان يتخذ للجاجة شيمة من شيمه فانها بتست المطية تورد

صاحبها موارد السقوط والانهيار :

(٦) ومن حقوق الاخوة وجميل العشرة ان يوطن الانسان نفسه على صلة اخيه حتى

لوقطعه وعلى اللطف به والمقاربة له حتى لو صد عنه وعلى مواساته حتى اوضن عليه بما

عنده وعلى الدنومنه حتى لو باعده وعلى اللين معه حتى لو اشتد به وعلى عنده حتى لو

أجرم اليه بل من حقوق الاخوة كمال التواضع حتى يحسب الانسان نفسه عبداً لاخيه و

كأنه ذو نعمة عليه لكن هذا كله انما يصح مع احراز الاخوة الصادقة لا المجاملات

الفارغة ومن حقوق الاخوة ايضاً ان لا يتخذ الانسان عدو صديقه صديقاً له فانه مما يغير عليه قلب صديقه ويسلب منه ثقته به كما يجب عليه ان يمحضه النصيحة سواء اكان ما نصحه فيه امراً حسناً عرضه ام مما يستقبح ذكره كالفات نظره الى عورة وقف عليها منه او من حريمه :

(٧) وأوصاه ان يكون صبوراً حمولاً يتجرع الغيظ و يكظمه فانه لاشيء احلا منه عاقبة ولا الذمغبة ونتيجة لانه لا يكون الاحافلا بالسلامة موفوراً بالعافية :

(٨) وان يلين لمن اغلظ له وحد الاقل بالسكوت عنه فان ذلك من دواعي خمود الطرف وسكونه بل تنزله عن جريمته الى الاعتذار والانكسار :

(٩) أن يفضل على عدوه و يغمره بالاحسان اليه فانه ان عدم الانتصار عليه من طريق المعالبة فلن يعدم التفوق عليه من طريق الاحسان اليه :

(١٠) وان عزمته على ان تقاطع أخاك فلا تقاطعه مقاطعة باثة بل يجب عليك ان تبقى له من نفسك بقية تسلك منها اليه ان بدالك ان تراجعته يوماً ما :

(١١) ومن ظن بك خيراً فقص عليك على هذا الظن فصدق ظنه فانه رفعة لك :

(١٢) ولا تتكاسل عن أداء حق اخيك اتكالا على ما بينك و بينه من استحكام الروابط فان ذلك مما يتعود الى نقضها ولا يكون لك اخياً من اضعت حقه و تساهلت في اداء واجبه :

(١٣) ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك فتكون حلوا القشر مر اللب جميلاً في الجلوة قبيحاً في الخلوة :

(١٤) واعتز بنفسك فلا ترغب في من زهد فيك :

(١٥) كما لا يجوز ان تكون مع اخيك على صفة يقوى معها على قطيعتك ولا تكون معها قوياً على صلته ويقدم معها على اساءتك ولا تقوى معها على الاحسان اليه :

(١٦) وأوصاه ان لا يستكثر ظلم من ظلمه و يحسب له في نفسه حساباً فان ذلك مما يضر ببدنه و يؤثر في عاطفته ويدعو الى البعد عن الله :

(١٧) وختم له الفصل بقوله ليس من حق من سرك أن تسوء فتكون من ابعد الناس عن

المحاسن واسحقهم شقة عن الفضائل :

واعلم يا بنى ان الرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطلبك فان انت لم تأته اناك
ما اقبح الخضوع عند الحاجة و الجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما أصاحت
به منواك و ان كنت جازعاً على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك
استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة
الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالآداب و البهائم لا تتعظ الا بالاضرب اطرح
عنك واردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين من ترك القصد جبار و صاحب
مناسب و الصديق من صدق غيبه و الهوى شريك العمى و رب بعيد اقرب من قريب و قريب
أبعد من بعيد و الغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه و من اقتصر
على قدره كان ابقى له و اوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه و عن لم يبالك
فهو عدوك قد يكون اليأس ادراكاً اذا كان الطمع هلاكاً ليس كل عورة تظهر و لا كل
فرصة تصاب ربما اخطأ البصير قصده و أصاب الاعمى رشده أخر الشرفانك اذا شئت تعجلته
و قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من أمن الزمان خائنه و من اعظمه أهانه ليس كل من رمى
أصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق و عن الجار قبل الدار :

و هذا الفصل ايضاً تناول الكلام على جملة من الحكم منها .

(١) ان مجارى الكون ليست مما تعتدل او تعوج امام الانسان بالسعى المجرى
بل هناك وراء الاسباب الظاهرية عوامل غيبية لا يدركها الانسان وليست هي تحت اختياره
و من جعلتها الرزق فانه رزقان رزق تطلبه و قد لا تنوشه و رزق يطلبك و لم تسع له فان انت
لم تأته اناك :

(٢) و ما اقبح بالانسان خضوعه للغير عند حاجته اليه و جفائه له عند استغناؤه عنه فان

ذلك من ارذل الصفات :

(٣) و ليس للانسان من كده و جده الا ما تبلغ به و وصل اليه نفعه مادياً

كان ام معنوياً .

(٤) و انه لا يجوز للانسان ان يجزع على ما فلت من يده الا اذا صح له ان يجزع

- على كل ما تمناه ولم يصل اليه وطبعاً لا يصح له هذا الجزع لانه ليس بمعقول:
- (٥) ويجب على الانسان ان يعتبر بالكائن على ما لم يكن ويستدل بالحاصل على ما لم يحصل فان الامور في اطراف الحياة اشباه وان تفاوتت فبمقدار لا يغير الملاك:
- (٦) ولا يكن واعظك الا يلام والايجاع فان العاقل من اعظ بالادب : وفي المثل:
العبد يقرع بالعصا والحرتكفيه الاشارة :
- (٧) كما يجب ان تتدبر للحوادث بحسن الصبر وجميل الاستقامة حتى لا تثقل على كاهلك اثقال الحياة .
- (٨) وان من ترك العجادة الراشدة فقد طوح بنفسه الى المهالك :
- (٩) وان صاحب الانسان نسيب روحه :
- (١٠) وان صديق المرء من صدقه في غيبه ولم يقتصر معه على المجاملات الفارغة:
- (١١) وان هوى النفس قرين العمى فكما ان العمى يورد موارد الهلكة في جملة من احيائه كذلك الهوى المرسل :
- (١٢) وان لا يدع الانسان للقنوط طريقاً الى نفسه فكثير مما لا يرجوه اقرب تناولا ليده مما يرجوه كما لا يجوز ان يغتر بما عنده فكف من حاضر غاب وصحيح غاب وحاصل زال .
- (١٣) والغريب في بنى آدم من لم يكن له محب يتفقده او قريب يترصده :
- (١٤) وان من تعدى حوزة الحق ضاقت عليه المذاهب فان الباطل ظل زائل:
- (١٥) وان من اقتصر على سعة وقدرته وما يملك من حول وطول ولم يخرج عن دائرة نصابه . كان ذلك ابقى لوجوده واحفظ اشرفه و أليق بشأنه :
- (١٦) وانه لاشي من الاسباب بوثق كالسبب بين العبد والمعبود والخالق والمخلوق اذ كل ما في الوجود متصرف متغير ما سوى الله عز وجل :
- (١٧) وان من لم يبال بك ولا يحسب لك اقل حساب ولا يعيرك اقل نظرة فهو عند الحقيقة عدوك لانه يحمل عليك روحاً مظلمة وباطناً متجهماً وهذا هو شأن العدو .
- (١٨) واذا كان الطمع من اسباب الهلكة كان اليأس الداعي الى الراحة بمنزلة

ادراك المقصود .

(١٩) وليست كل عورة يترصدها الانسان من عدوه تظهر له حتى ينتهزها ولاكل

قرصة اذا سنحت من نفسها استفادها وذلك للعوارض التي قد تقف في طريقها :

(٢٠) وقد تحول الموانع غير المترصدة بين البصير وقصده كما قد تسعف الصدف

الاعمى فيصيب رشده :

(٢١) أختر فعل الشرما استطعت فانك اذا شئت تعجلته لان فعل السيئات نوعاً اقرب

من الانسان وأيسر للتحقق من فعل الحسنات :

(٢٢) ولا ريب ان الجاهل لو قاطعك استفدت من بعده عنك بمقدار ما تستفيد من

صلة العاقل وقربه منك :

(٢٣) ويجب على الانسان اخذ الحذر من سطوات الزمان مهمات يمكن فان الزمان

خائن كما لا يجوز له ان يخافه بما يؤدي به الى استحقار نفسه وانحطاط مكانته :

(٢٤) ليس كل من رمى هدفه اصاب به ولا كل من سعى حصل واستثمر فلا يتأثر الانسان

من سعى لم يحصل وراه على طائل : مرجع ترميز علوم حسنة

(٢٥) ولا ريب ان صلاح الممالك وفسادها وسرائرها وضرائرها وراحتها وعنائها و

خيرها وشرها منوط تمام الاناطة بحكومة السلطان فاذا اعتدل اعتدلت ممالكه و اذا

انحرف جرت اليها كل ويل وثبور ذلك لان رأس الخيط بيده فان شاء نظم وان شاء بعثر .

(٢٦) وسل عن الرفيق المزال قبل ان تعرف على الطريق فان وعورة رفيق السوء

اشد و انكى من حزونة الطريق وسل عن الجار المعاشر قبل ان تسأل عن الدار فان

سوء الجوار قديزم بك عن سكنى الدار ومهما كانت في نفسها رخصة الهواء سهلة الفناء

اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً وان حكيت ذلك عن غيرك و اياك

و مشاورة النساء فان رأيهن الى افن و عزمهن الى وهن و اكفف عليهن من ابصارهن

بحجابك اياهن فان شدة الحجاب أبقى عليهن وليس خروجهن بأشد من ادخالك من

لا يوثق به عليهن وان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز

نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطعمها في أن تشفع

بغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيره فان ذلك يدعو للصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملاً تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودينك ودينك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة والسلام :

وتعرض عليه السلام في هذا الفصل الذي هو آخر الفصول الى عدة وصايا فحذره ان يبدى من نفسه ما يكون به خفيفاً مبتذلاً من كلام مضحك او حركات موهنة فان ذلك مما يحبط بحيثية الشريف ويثلم من كرامة الكريم : ثم نهاه عن مشاورة النساء في الامور الجسام ومزاولة المهام وعلل ذلك بان رأيهن ناقص وعزائمهن ضعيفة وان يجمع ابصارهن عن الشعب في النظر بتخديرهن فان حجابهن موجب لصونهن : و من تخديرهن ان لا يدخل عليهن من لا يوثق بدينه ولا عقله والمقياس الاعلا في حفظهن ان لا يعرفن من الرجال غير محارمهن كما لا يجوز ان تخول المرأة اكثر مما يخص نفسها فان المرأة بطبيعة خلقها متعة وليست بمندوبة ولا مدبرة لها سوى بيتها : ويجب اكرامها واحترامها بما يقيم وزنها وشرفها ولا يجوز اطماعها بقبول شفاعاتها فان ذلك مما يخرجها عن حدودها واوصاه ان لا يتشدد في الغيرة على نساءه فان التجاوز بالغيرة عن حدودها مما يدعو للصحيحة الى السقم والبريئة من العيب الى الشك والريب :

وانه اذا كانت له جهات من العمل يحتاج القيام بها الى عدة من الخدم كان من لازم نظام عمله توزيع أعماله على عماله ليتخصص كل بمسؤولية يعرف فريضتها عليه : ثم اكد عليه بأكرام العشيرة ووصفها له بانها بمنزلة الجناح للطائر وانها المونل الذي يؤل اليه الانسان واليد القوية التي بها يصول : ثم بعد ان اخذ حظه الوافر من اوصائه وارشاده اودع وجوده بجميع ما يمت اليه من دين ودنيا الى الله الذي بيده ناصية كل شيء وسأله خير القضاء لعاجله وآجله ولدنياه وأخراه :

ويجب ان نختم هذه الوصية الحافلة بشرح ما تعرض له عليه السلام من حقوق المرأة فان هذه النقطة اصبحت في دور الحضارة - كما يقال - من اهم النقاط التي اعترك عليها

بنو الانسان بين مفرد ومفرد وبما ان الشرع المقدس الاسلامي يخالف الجدد في نوع رواياتهم على الاخص في هذه المسألة التي اثارها الغيرة القائمة في هذه الاعصار وجب علينا تمحيص هذه النقطة من كافة جوانبها حتى يتضح الحق و يفتضح الباطل فنقول بضرر قاطع ان المرأة والرجل وان كانا من نوع واحد وهو الانسان الآن كل واحد منهما يعد من فصيلة ممتازة عن الفصيلة الاخرى من كافة الجنينات :

اما من جهة الفروق التشريحية فالذي أفدناه من الباحثين (١) ان هناك فروقاً اساسية بين الرجل والمرأة : وذلك :

(١) ان معدل طول المرأة اقل من معدل طول الرجل بمقدار ١٢ سانت متراً
 (٢) ان معدل وزن جسم المرأة ٤٢ كيلو غراماً ومعدل وزن الرجل ٤٧ كيلوغراماً
 (٣) ان الجهاز العضلي عند المرأة اصغر حجماً واقل سرعة وابطأ حركة واقل ضبطاً مما هو عند الرجل بقدر الثلث ما عدا عضلات اللسان التي تكون عند المرأة ابرز مما هي عند الرجل :

(٤) ان قلب المرأة أصغر واخف من قلب الرجل بمقدار ٦٠ غراماً

(٥) ان الجهاز التنفسي لدى الرجل اقوى مما هو لدى المرأة فالرجل يحرق ١١ غراماً من الكربون في الساعة بينما تحرق المرأة (٤ : الى : ٦ غرامات) منه في الساعة ولذلك تكون حرارة الرجل اكثر من حرارة المرأة :

(٦) ان الحواس الخمسة لدى الرجل اقوى بكثير مما هي لدى المرأة فحاسة الشم عند الرجل اقوى مما هو عند المرأة بمقدار الضعف والرجل ادق من المرأة في حاستي الذوق والسمع وكذلك الشأن في حاسة اللمس وقد قرر (لوميروزو - و سيرجي) أن المرأة اكثر احتمالاً للالام من الرجل مما يدل على قلة احساسها به : وقد أضاف (لوميروزو) ان هذا من حسن حظ النوع الانساني لان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل والوضع ولو كانت مرهفة الحس كالرجل لما استطاعت ان تحمل ذلك كله :

(١) المواد الطبية والتشريحية وبعض الفروق النسبية مأخوذة عما كتبه الدكتور

(٧) ان تركيب جسم الرجل اكثر متانة من تركيب جسم المرأة و اكثر مقاومة للطوارة .

(٨) ان منح الرجل اثقل من منح المرأة بمقدار (٦٠ الى ١٠٠) غرام ووجد ان نسبة منح الرجل الى جسمه هي كنسبة واحد الى اربعين وان نسبة منح المرأة الى جسمها هي كنسبة واحد الى اربعة واربعين :

(٩) ان كمية المادة السنجابية (اى المادة الرمادية التى توجد فى المنخ و عمق الشقوق والاخاديد فى الرجل اكثر انتظاما و عمقا مما هو فى منح المرأة و بذلك يكون الرجل اكثر ذكاء و ادراكا و المرأة اكثر انفعالا و تهييجا :

(١٠) ان عظام الرجل اصلب و اثقل من عظام المرأة :

(١١) ان جمجمة الرجل تزيد على جمجمة المرأة بنحو ٢٠ سانت متر أمكعبا :

(١٢) ان حافات عظام الحواجب فى الرجل اكثر بروزا مما هو فى المرأة :

(١٣) ان عظام الحوض فى المرأة اكثر اتساعا من عظام الحوض عند الرجل وذلك

مما يجعلها اقل قدرة على الحركة و الانتقال :

(١٤) ان فخذ المرأة اكثر ميلا من فخذ الرجل و يعتبر هذا الميلان من ابرز عيوب

جمال المرأة و لا يساعد على الثبات و حمل الانتقال و خفة الحركة .

(١٥) ان قدم المرأة اكثر تسطحا من قدم الرجل فلا تستطيع ان تجاربه فى المشى

مسافات طويلة :

(١٦) ان الاعضاء التناسلية عند الرجل تختلف كل الاختلاف عن الاعضاء

التناسلية عند المرأة فانها تتكون عند الرجل من ثلاث ادوات و تتكون عند المرأة

من ٩ ادوات :

(١٧) ان شحم عضلات المرأة اكثر من شحم عضلات الرجل و بذلك تكون اصغر

حجما و اكثر استدارة من الرجل و ابطأ حركة و ان كانت اخف وزنا لان الشحم يعوقها

عن الحركة :

(١٨) ان القفص الصدرى عند الرجل اوسع مما هو عند المرأة فالرجل اكثر

امتصاصاً للاوكسجين واطلاقاً لأكسيد الكربون :

- الفروق الجنينية-

وقرر علماء الجنين الفروق الجنينية التالية بين الرجل والمرأة فقالوا ان نطفة الذكر سريعة الحركة وتسير بسرعة ٧٠ ميل متر في الساعة باحثه عن نطفة الانثى التي تكون راكدة خالية عن الحركة وقد لفتت هذه الظاهرة بعض الافاضل فقال عنها انها من الاسرار العجيبة في الخلقة فهي تدلنا على ان السعي والحركة منذ بدء الخلقة من خصائص الذكر كما ان السكون والجلوس في المخدع من خصائص الانثى: وقال الدكتور شريف عسيران ان نطفة الانثى لا تتحرك حركة فعالة بل تنجذب جذباً الى نطفة الذكر والمواد الغذائية في نطفة الانثى اوفر منها في نطفة الذكر فالحركة والسعي منذ التكوين الاول منوطان بالذكر والتغذية والحصانة بالانثى:

- الفروق الفيزيولوجية:

و قرر علماء الفيزيولوجيا الفروق الفيزيولوجية الاساسية التالية بين الرجل والمرأة:

(١) ان جسم الرجل ابطاً في السنين الاولى من العمر نمواً من جسم المرأة وهي اسرع نمواً منه :

(٢) ان النضج الجنسي لدى المرأة أبكر من النضج الجنسي لدى الرجل:

(٣) ان عدد الكريات الحمر (الاجزاء الحمر من تركيب الدم) لدى الرجل أكثر من

عدد الكريات الحمر لدى المرأة ولهذا تكون المرأة اقل تحملاً للتعب من الرجل :

(٤) ان الغدة الدرقية (التيروئيد) لدى المرأة اضخم مما هي لدى الرجل

وتأثر هذه الغدة عند المرأة بفعل الطمث والحمل و التهييج النفسي واختلالها يولد

اعراضاً جسدية ونفسية :

(٥) ان كمية المواد الكلسية (وهي المواد الموجبة للتقوية والنشاط من دم وغيره)

لدى المرأة غير ثابتة لتأثرها بالطمث والحمل والرصاص بينما تكون كمية هذه المواد

ثابتة عند الرجل :

- الفروق النفسية -

وقد قرر علماء النفس الفروق النفسية الأساسية التالية بين الرجل والمرأة وهي (١) ان المرأة نوعاً اقوى عاطفة وارهن شعوراً واشد تأثراً من الرجل فهي تجزع من اقل الحوادث وتتألم روحاً من اصغر المصائب ولا تستطيع مقاومة الرزايا وسرعان ماتنهار امام ذلك ومن هذه الناحية قل مادخلت معركة او شاركت في مبارزة او ضحّت بنفسها و نفيسها في سبيل مقصد او غاية فهي اساساً لا تصلح ان تكون قائدة حملة او قاضياً في محكمة جزاء او شرطياً يضبط كفة الامور او جلالدا يقيم الحدود وما الى ذلك :

(٢) ان نظر المرأة الى القضايا انظر ضيق وان تفكيرها سطحي فهي بطبيعتها لا يجوز ان تكون حاكماً سياسياً ولا اداة سياسة بالمرّة ولا في دوائر العدل والقضاء كما لا تصلح لسن القوانين لقصور روحها العقلاني عن ذلك :

(٣) ان المرأة تعيش في عالم من الاوهام لذلك فهي أخصب خيالاً من الرجل ومن هذه المادة تراها لا تعرف الحياة بسوى الاكل والشرب والمسكن والجنسيات والملبس والحظوة عند الرجال ولا تنعقد ندواتها و جلساتها الا على ذلك صرفاً و لهذه العلة تراها تكثر الكلام الى أبعد حدود الطاقة ولا يتعدى موضوع حديثها عما اسلفنا ذكره :

وان الرجل نوعاً يعيش في عالم الحقيقة ونحرمي الواقع والمطالب الجدية في الحياة ولذلك تراه يلقي بنفسه الى الزحمات والمتاعب ويخاطر براحته في سبيل الوصول الى مقاصده ويركب المخاوف للحصول على بغيته :

(٤) ان الذعر والخوف صفتان ملازمتان للمرأة اكثر من الرجل بل ولا قياس فالمرأة قد تقلقها الخنفساء حين تراها وشبح العقرب اذا لاح لوهمها و الرجل مهما تنزل فان المرأة تلون به وتركن اليه وتعدّ الحصن الحصين لها :

(٥) ان المرأة تجيد التمثيل والحكاية بالفطرة وتستعين بحركاتها التمثيلية على التعبير اكثر من الرجل ومنشأ هذه الخاصة مزاولتها للحديث عن الشيء وانغماسها في التحدث نوعاً ان لا وازع لها عن ذلك :

اما الرجل فلاشتغاله بما يملك عليه هذه الروح فهو دائماً قليل التحدث مصروف به عن الكلام الزائد و لهذه الظاهرة كثر الرقص و التمثيل فى النساء و قل فى الرجال :

(٦) ان المرأة اكثر ميلا للحلول البسيطة من الرجل فهى اكثر منه ميلا لانزال العقاب الآنى بالمجرم ولكن بوسيلة غيرها لقله صبرها عن التحمل من ناحية وعجزها الفطرى عن انزال العقاب به بيدها من ناحية أخرى : وهى اكثر رحمة بالسائل من غير ان تفكر فى ارشاده او الجائه الى العمل الذى يكسب القوت له ولمن يعول به بشرف ويخلق له من نفسه عضواً عاملاً فى المجتمع :

(٧) ان المرأة اكثر تشبهاً من الرجل بالعادات و التقاليد و الخرافات و اغلب خرافات الدنيا منهن نشأت واليهن تعود : و تراهن حتى فى عصر الذرة يؤمن بالغال و الطالع والسحروما الى ذلك ويبذلن فى طريقه اطياب اموالهن وهن مع ذلك قد لا يؤمن بالمبدأ وفروع هذه العقيدة :

(٨) ان المرأة تؤمن بالحظ والبخت والطالع على انه سر نجاح الناجحة منهن و الرجل يؤمن بالعمل والمفاداة اكثر :

(٩) ان المرأة اكثر دينياً من الرجل و لكن دينها قشرى و همى لا قيمة له و الرجل اقوى ايماناً منها لانه يتحرى فى الغالب الواقع مهمامكنه دركه والوصول اليه :

(١٠) ان المرأة اكثر اصابة بالصدمة و اشد جزعاً عند نزول المصيبة و الرجل

اصبر منها واوزن :

(١١) ان المرأة اطول عمراً من الرجل لان تأثرها النفسى سطحى ومشتتها فى الحياة اقل من الرجل والرجل فى تحمله الهموم التى لا يبوخ بها يحرق و ذيلة نفسه و لذلك سرعان ما ينهار جسمه هذا مضافاً الى مزاولته المشاق العملية فى الحياة و مسؤوليته الزائدة بمن يعول به :

(١٢) ان المرأة اسرع اصابة بالامراض النفسية العصبية من الرجل لشدة تأثرها بالفوادم و لكن تأثرها لما كان سطحياً فى الغالب بانصرافها الى موجبات السلوة و العزاء

كان عمق التأثير فيها اقل :

(١٣) ان المرأة المجنونة اشد خطراً من الرجل المجنون كما هو مشاهد محسوس : وعلى هذا فمحاولة ايقاع المساواة بين الطرفين فى كل ما يعود للانسانية المطلقة محاولة فاشلة وان اصر عليها جمهور المتجددين و لكن الهدف من هذا الاصرار هو اخراج المرأة من عرشها وجعلها وقفاً عاماً للناس والافهى اقصر باعاً فى مقابلة الرجال سلماً وحرباً نعم هى اقوى على اخضاعه من الناحية الجنسية ليس غير و لذلك اصبحت الدوائر المختلطة والمدارس المختلطة و المستشفيات المختلطة و المعامل المختلطة مواخير فواحش لامراكز عمل و تربية و تعليم وهذا ما شهدته الاعين باحداقها المفتحة : اما الشارع المقدس فقد جعل المرأة فى نصابها واحترام مقامها احتراماً لا غاية بعده حيث قال - الجنة تحت اقدام الامهات - لانها ام الاجتماع وربة البيت وامين زحمات الرجل وحاضنة اطفاله والسلك الناظم للفصائل والعشائر والحافظ للارحام ولم يخرج بها عن اطارها الفطرى ومقتضاها الطبيعى بل صان كرامتها بتحريم الرقص عليها والفجور بها وعبث الذكور بقداستها ووجب على عائلها ان يقوم بجميع وظائفها الحيوية و يحترم كيانها واسقط عنها الجهاد ومعاناة الوظائف التى تقصر عنها واعتبرها ربحانة يجب ان تنرس فى حقها ويتعاهدها باستانيسها لأن تتخطفها الايدى بالشعوذة و الماهرة و يعبت بزهرتها العابر والمستطرق :

وان وظيفتها هى ما خلقت له من كونها زوجة للرجل ومدبرة لبيته وحافظة لغيره وحاضنة للذرية الناتجة منها ومنه ومعدة اطفالها السعادة المستقبل الذكر للعمل الصحيح المثمر والانثى لأن تحرز بيتاً كما حازت امها نظيره وهذه هى مقتضيات الطبيعة فى المرأة : كما ان مقتضى الطبيعة فى الرجل السعى والعمل والحياطة والحفظ لمفرد و مجتمعه لمن يعول به ولمواطنيه لبيته ولوطنه : ولا ريب ان التجاوز بالطبيعة عن حدودها غلط لا ينتج غير الشذوذ كما هى الظاهرة الطافحة الآن على آفاق الكون حتى انك لا ترى الا عبث القوى بالضعيف واستثمار القادر للعاجز وخيانة الحاكم للمحكوم و عمر المرأة فى ناموسها ودنائة الرجل فى عرضه : ولا يرى الرائي سوى شوارع معبدة و ابنية ضخمة و

ملايس جملية وانه اذا آمن النظر فيما جاس خلاله جوس مرتاد وجدها شاغرة فارغة
 ووجد الناس مسييين مهملين لاهم لاحد بأحد يعترك الجميع على جيفة قد اقتضحوها بأكلها :
 والشرع الاسلامى أن حاول بتعاليمه فى الاجتماع امرأ فقد حارل تركيز الاجتماع
 على عرش الانسانية الصحيحة فى كل اشيائها من تافه الحياة وقيمها فى المعنويات والماديات
 واما عصور الحضارة فقد افلتت الانسانية من كل قيد وسمحت شريعة المغالبة و الانتهاب
 وانت لاتعير البشرية بالا اوترى لها مفهوماً سوى انها وجود حيوانى قد أطلق سراحه
 فاعد الوثبة قويا واستنام للضة ضعيفها وماكلمات العدل والنظام والقانون و الحقوق
 والتمدن والثقافة الا الفاظاً عارية عن معانيها قصد باطلاقها التختل و العبث بالكرامات
 وليس هذا الداء مما ابتلى به فريق دون فريق او مملكة دون اخرى او غرب دون شرق او انسان دون
 انسان آخر بل هو سيل من الطغيان المادى بلغ الزبى وتجاوز على كل الحدود ولا منجاة
 للضعيف الا بتلفه الذى يربحه من الحياة :

وقديماً قلت من قصيدة تحت عنوان - الزمان قديمه وجديده - نذكر منها ما

يناسب المطلوب :

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم راسدى

قد درسنا من الزمان حدوداً
 فرأينا من وقعه فى البرايا
 وفحصنا قديمه و الجديدا
 ما حال الفكر الحديد بليدا
 حتى اقول

لم نزل ندعى التنور حتى
 قد سبرنا البحار غوصاً و طرنا
 واخترعنا الصاروخ والجت لما
 واحتوينا على الطبيعة كشافاً
 و ركزنا للعدل راية قدس
 واكتسحنا بنظمنا الكون ظلاماً
 لم يكن للانسان من قبل شأن
 هكذا يفرض الزمان علينا
 فيه عبنا آباءنا والجدودا
 وطوبنا الآفاق بيذا فييدا
 قرب العلم فى خطاه البعيدا
 حيث لانت حجارة وحديدا
 كسب الناس فى نداها السمودا
 شوه الكون طارفاً وتليدا
 وارلقى اليوم سيداً و مسودا
 نفسه مكثرأ بها التريدا

غير أن العيان أبطل منه
 كـمان للناس عنصر آدمى
 حطّ من قدرهم فلم يعتبرهم
 ويرى ادنى المدح فيهم جزافاً
 خلقتهم قوى الاثير اتفاقاً
 ان هذى الحياة فلتة وقت
 ليس للروح والعقول وجود
 ومسيرا الاكوان ليس مراداً
 عن جنون بنا الطبيعة تجرى
 ما الوفا و العفاف والصدق الا
 ليس ما فى الوجود الامشاعاً
 والحروب الشعواء فضل علينا
 هذه شارة الجديد جلاها

أترأه يريد بالناس خيراً
 قد تردى ثياب كل ردى
 يبغض المصلحين لاعن هذاة
 لم يرقه من الشرائع وضع
 وهويلوى على الغواية طرفاً
 لا يرى حاجزاً امام هواه
 هو بهوى الحياة للغى صرفاً
 لا يعير الناموس نظرة حر
 هو ان اظهر الجميل و أدلى

كل قول يراه قولاً سديدا
 ويراهم هذا الزمان قرودا
 فى المجالى الاحشاشاً و دودا
 وعظيم الرجال منهم زهيدا
 لم يكن خلقها لهم مقصودا
 اعطت الكون وضعه المشهودا
 لا ولا خالق الورى موجودا
 لمريد ولا البقا محدودا
 فهبوطاً طوراً و طوراً صعودا
 ضعف نفس وما الحيا محمودا
 لبنى الارض انفساً و نقودا
 حيث تنفى الضعيف والمكدودا
 للبرايا مكررا و معيدا

ام ترى منه مسرفاً ومبيدا
 واتى الخلق جاهلا منكودا
 و يعير الاصلاح طرفاً حقودا
 صير الغى خاسناً مطرودا
 ملؤه شهوة و قلباً عميدا
 او عليه درب الخنا مسدودا
 و يرى النظم للورى تقييدا
 لا ولا للحقوق يدعى حدودا
 باختراعاته علينا شهودا

فلقد ساء فيه قولا وفعلا مذكراً بنا سمحاً و ذوقنا شديداً

☆ ☆ ☆

ان فتك الصاروخ يعدل دنياً من ظلمات السيوف تفرى الوريدا
و دوى القذائف الحمر يزرى بالمنمايا صواعقاً و رعودا
وشظايا الرشاش في الخطف رشقاً تلهم الارض وهدمة وصعيدا
ان هذا الزمان في السخف اضحى بين ازماننا وحيداً فريداً

حتى أقول

يسانى الاسلام طاح بنساء لك بالسيف كان دهرأ مشيدا
ان تكن قمت فيه نضداً و رصفاً برجال كانوا عليه رصييدا
مثل زيد و جعفر و على حين صالوا أسوداً و اسودا
و جموع الانصار تمرح شوقنا للمنمايا جحافلا و بنودا
دوخوا الارض من صليل المواضي مذا قاموا على الكفاح صمودا
ادركوا ان العزيز من المنمايا فمشوا لسردى عقيداً عقيداً
عاهدوا المبدأ الصحيح بنصر فوفوا ذمة لهم و عهدودا
و تولوا غرس الهدى عن صفاء فصفى رونقاً و ازهر عودا
سهرروا في حراسة الدين دهرأ فأفادوا منه وجوداً مديداً
ملكوا وجه الارض شرقاً و غرباً بهما كان ذكرهم مفقودا
هكذا تحرز المعالي و تبقى تحت ظل الاحرار ذكراً مجيداً
عاش آباؤنا قياماً علينا وزحفنا الى الحياة قعودا
عمموا همهم مغافر عز وارتدينا مقانعاً و برودا
جعلوا الله قبلة نسم ساروا و جلسنا نسبح المعبودا
ليت شعري هل الدعاء معرى يدفع الضيم والعد واللودا
لم يكن - ذا - سلاح اى نبى او وصى وان اطالوا السجودا
ولحب الحياة - متنا - و سرنا لطلاب الخلود سيراً وئيدا

حين لم تصدق الزمان وعيدا
لم نطع سيداً لنا وعميداً
وهوى البيت قبة وعموداً
ويطيل الكلام فينا نقوداً
كيدنا في نحورنا مردوداً
تتلاشى مقابراً ولحوداً
والمعالي تبغى الرجال الصيدا
نسبة الفخر خطبة ونشيدا
طوع ايماننا ووضعاً حميدا
وعليها نفضى الزمان رقوداً

✧

قد أعاروه جفوة وصدوداً
رائد الدين موجعاً مكموداً
وغسدا من نفاقهم مستفيداً
قطعوا دهرهم وعاشواركوداً
خير روض خمائلا ووروداً
شرقهم جدة ولا نشيدا
والمجيدون منطقاً وقصيداً
وذووا الطول مصدراً ووروداً
واعدوا ذخائراً وحشوداً

✧

صدقوا الله مائلا وشهيداً
كل يوم تراه أنساً وعيدا
وجسوراً مدواً وشادوا سدوداً

وعدانا من الزمان وفاء
وترانا مذبذبين شتاتاً
ولهذا قد صوح الروض منا
واغتدى حتى الجلاف يسخر منا
كادنا فاشتفى وكدنا فأهسى
ليت هذى القصور مذتحتوينا
اي خير فينا لدنيا المعالي
قد أقمنا على العفا وأطلنا
ثم نرجو وراء ذلك دنيا
نحن قوم نحى بذكر الاماني



يانبي الاسلام ان بنيه
رجعوا عنه ملحدين وأهسي
بذر الاستعمار فيهم نفاقاً
فقرى كثرة ولكن شتاتاً
كان زهو الزمان فيهم وكانوا
لم يكن يومذاك غرب يوازي
هم بناء العلوم عقلا ونقلها
واولوا الحول امة وملوكاً
كم مشوا فاتحين ارضاً فارضاً

✧

شهد الدهر انهم خير شعب
كان شاؤ الزمان فيهم عظيماً
عمروا الارض بلدة و فلاة

ان آثارهم بشرق و غرب
ركزوها مثل الجبال فالت
فعلام انهاروا ملوكاً و شعبا

✧ ✧ ✧

يا نبي الاسلام ان شتاتاً
ان دين الرحمن اغفى ضعيفاً
ان تلك الاخلاق ذابت وامسى
ان تلك المحجبات تعرت
ارخصت من وجودها كل غال
غرّها القول بالمساواة لكن
وقعت في شباك كل شقي
ان تكن في حماية الدين دهرأ

مرکز تحقیق کتب و تالیفات علوم اسلامی

يا نبي الاسلام ان بنیه
أمروه على هوانك طراً
فاعزبك فيهم بؤساء
قد تلاشى سلطانهم ابدياً
بدأ الدين في البرايا غريباً

✧ ✧ ✧

يا نبي الاسلام لم نأل جهداً
جئت دنيا من الجهالة فرداً
كم تصدى للفتك فيك رجال
ما تضععت للسيوف بحرب
أسد تخساً الاسود لديه
في هدايا عدلا ولا توحيداً
لم تلاحظ عنفاً ولا تهديداً
وتراهما وبك الفلا تشرهدا
كان منك السلاح فيها جريداً
حين يضرى مخالباً و لبوداً

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| صارع الدهر همة فلواه | واتى ظافراً به مسعودا |
| خالقاً في الزمان اعظم جيل | قام تاج العلابه معقودا |
| * * * | |
| بانبي الوري أعرنا التفاتاً | ما برحنا نراك الفأ ودودا |
| ان نقصر عن المراد دفاعاً | فقد يماً للعفو كنت مريددا |
| حل فينا من الطغاة هوان | مهدوه لسحقنا تمهيدا |
| ليس ندرى مصيرنا في زمان | ترك الحر مثقلاً مجهددا |
| قد أعمار الاحشاء ناراً تلظى | فقلوباً قد حزها وكبودا |
| وعليك الآمال بيطت فحقق | أملاً فيك لم يزل مرصودا |

* * *

ونختم ما سلفناه من التعاليم الدينية بفصول : الفصل الاول في :

حياة تعاليم القرآن

مرکز تحقیقات کلمت قرآنی

فنقول السنن الجارية في الكون على قسمين قسم يعد من الحقائق الراهنة وهذه الحقائق على نوعين نوع واضح التصديق للعقل لمزيد انكشافه عنده نظير القتل العدواني والسرقة لاعن احتياج والتعدي على حقوق الناس جزافاً و نوع ليس بهذه المثابة في التصديق له لاحتياجه الى تدليل وكشف نظير قبح الاستهتار والتبذل و وقوع الانسان في حاشية الجائر فانه ليس كل واحد من الناس يلتفت الى قبحه لكن المجموع يعد في منطقة الحقائق :

والقسم الثاني من السنن الجارية في الكون هي العادات المتخذة لكل جيل وبلد كعادة العرب فيما بينهم وعادة العجم وهكذا وهذا القسم لا قيمة له ولا وزن لافي الشرائع ولا عند العقول ولا مساغ للبحث فيه لانه واه واهن : نعم ينبغي الكلام على القسم الاول لاعلى كلا شقيه بل على الثاني منهما لتصادم الاجيال عموماً على قبح القتل العدواني والتعدي على حقوق الناس جزافاً : والقسم الثاني من الشقين المزبورين ليس محل النزاع

كل انسان بل لخاصة المتجددين الذين لا يراعون عمق المطالب بل يدرجون على الذوق الشهوى الاباحى من دون تأمل فيما يأتون ويذرون ويرون التوسع فى تناول المذائذ ولو كانت غير مشروعة بالاتحاش :

و لو ان التجدد اقتصر على هذه الولايات باختيار ذلك لنفسه من دون ان يقننه قانونا ويمشيه على الجوامع قهرا ورأه مذهباً له فى قبال زهد الزاهد ورياضة المرتاض لما كان فى ذلك كثير بأس و ان استلزم انشعاب الجوامع قهراً و بقى الزاهد والعباد والمرتاح والمثالى على حريتهم فى افعالهم واقوالهم فيكون معنى الحرية عندهم هو رفع الحواجز والموانع امام كل انسان حتى الفاحشة فى ترويجها لعملها وعاصري المسكرات فى تحريضهم على تناولها : فلو ان دنيا اليوم مشت كذلك لكان صف الحقائق اطول و او فر من صف التوافه والخلاعات قطعاً لان للحقيقة منطقاً به تصول و تقول وتملك المسامح والقلوب الا انه مع الاسف خصوصاً فى المجامع الشرقية اصبحت القوى النافذة ضداً للحقائق واهلها والمثالية ورجالها و عوناً مساعداً بحد السيف البتار للخلاعات ونصب الحقوق والتوهين بالمثاليين :

ولاريب ان الحقيقة مهما ضمخت وعظمت يتقلص ظلها عن افق الجوامع بهذا التنديد والتشريد الجافين؛ ونوع الناس يهون الحقيقة قاباً ولبا الا ان المماشاة معها اذا استوجبت تاخر دنياهم وفلج مادياتهم تركوها جانباً وزفوا مع زافة الخلاعيين ولما كان دأب المتنفيين فى الشرق هو ذلك منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم خفت كلمة الدين وقل احرام المتدينين و اصبحت المثالية لفظاً عارياً لامصداق له واتسع الميدان لفريق الخلاعيين كل يوم يأتون برأى ويتصامدون على شهوة ومع كل هذا وذاك اذا حصلت فرجة من الزمان للدين و صرخ بتعاليمه المنظمة كثر حوله المستمعون واصاخوا لمنطقه لما واجهوه مع تلك الزافة الخلاعية من شتى الامراض الروحية والواجاع القلبية والتدهور فى الاجتماع :

واهم عريضة للمتجددين فى قبال الدين والمتدينين ان الدين الذى اشترع قبل مئات السنين فاقد لصلاحية المماشاة مع الادوار الذرية : نعم كانت له صلاحية الاجراء

حين كان الجمل أجمل مركوب والحصان اسبق وسيارة والظروف نحاسية او خشبية والملابس من غزل اليد والمطاعم والمشارب من المواد الاولية اما حين مشى القطار بوسيلة البخار وطوت الطائرة اجواز الفضاء و شنت اسلاك الكهرباء وهتف الراديو و جسمت كل شىء شاشة التلفزيون و تعددت انواع المرافق من كل لون وتعمدت الشوارع وسالت المياه المصفاة فى اجواف المنازل وما الى ذلك من كثير وفيه فلامجال للدين مع هذه الوسائل ولا مساغ للتعبد بالشرائع والحضارات كما تراها كل عين :

وما املينا عصاره ما يحتوى عليه منطقهم وهو اسخف من كل سخيف فان الدين لا يرتبط بهذه الامور لافى موضوع ولا فى محمول: ان الدين نظام الاخلاق وميزان التروك والافعال مضافاً الى ان هذا التراث الذى ذكره المتجدد نتيجة العلم الذى طالما عزز وقعه الكتاب و السنة ولكن ازم وضعه فى مواضعه القائمة بالسعادة لا السخافة : ولا ريب ان الفلاح فى سابقه لاجل ان يقيم وزن أعماله بصرف كل او قاته فى عالم الزراعة ابقاء على رفقته فى الحياة فيبقى عاطلاً من المعرفة المتوقفة على التفرغ اما حيث اخترعت الجرارات والحواسيد الميكانيكية والسجاد الكيمايى ونظير ذلك فقد خفت عليه الكثير الثقيل من عمله وجعلت له من اوقاته فسحة يستطيع التدرب والتعلم فيها وهكذا اوقات الناس التى كانت مصروفة فى الاعمال البدنية الشاقة تفرغ اكثرها من طريق الوسائل الاجهزة التى يسرت الاعمال على العمال و هذا الفراغ يجب كبسه بالتعلم و التعليم ابتغاء حياة أصلح :

اذن فتمشية نظم الدين العالية فى هذه الأوان يجب ان تكون أسرع من السابق لمواجهة الديانات فى سابقها بالجهل الفاحش والعصبيات المبعوثة عنه و حيث تحلل الجهل نسبياً فى حاضره و خفت وزنه العصبيات صار ميدان الدعاية اوسع من سابقه ولا ريب ان العقول متى تعالى دركها وارتفعت عنها اغشية الجهل كانت لقبول المعانى الصحيحة أسرع خصوصاً و ان الاجهزة الحاضرة التى اخذت تمد صوت الخطيب و شعر الشاعر وكتابة النثر و تبليغ المبلغ بما وسع رفعتهم وطير سمعته ستمى صار سكان الكرة الارضية باستطاعتهم ان يقفوا فى السويحات المحدودة على ما يجرى فى الكون كله بطوله

وعرضه وبجميع الوانه والسنته وعموم قضاياها:

والقرآن فضلا عن تكفله بالادلة القائمة على اثبات الصانع و وحدانيته و لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع و البحث عن المعاد الى الله لتوفية الجزاء و سرده لقصص الانبياء و طرز دعوتهم و ما واجهوه في المجامع كل ذلك لاجل العبرة والاعتبار : تكفل ذكر الاخلاق العالية مع التدليل والبرهنة عليها بما لا سابقة له في شريعة سابقة وعمم في ذكر الاخلاق ما هو واجب فعله و فريضة تركه و ما هو مستحب يثاب عليه فاعله و مكروه لا يبلغ درجة العصيان : ونحن للتدليل على ذلك من باب ذكر النموذج ثبت فصلامنه و عقبه باللازم من التحليل : قال تعالى في سورة الاسراء :

و قضي ربك الا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا : و آت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل و لا تبذر تبذيرا : و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً : و لا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم و اياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً : و لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة و ساء سييلاً : و لا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً و لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده و اوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً و اوفوا الكيل اذا كلتم و زنوا بالقسط المستقيم ذلك خير و احسن تأويلاً و لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً : و لا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض و لن تبلغ الجبال طولاً : كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً : فهذا فصل واحد من عدة فصول تعرض لها الكتاب المجيد في شتات آيه و سورة :

فأول ما ذكر تعالى انه لا تجوز في شريعة المنطق عبادة غير الله و قد دل عليه في آيات اخرى ان كل ما يفرض من دون الله فهو عاجز مخلوق محتاج فلا يتنزل بالفقر فقره و بالضعيف ضعفه و بالصغير صغره و بالمسود مسودته امام ثروة الثرى و قوة القوى و كبر و عظم الكبير و سيادة السيد بحيث يعد هذه المقامات عندهم من مؤهلاتهم للعبادة - لا - فان فقر الفقير كغنى الغنى من الحالات المتبادلة على الانسان حسب الحوادث و السوانح و المقارنات

الخارجية وهكذا ضعف الضعيف وقوة القوى ومسودية المسود و سيادة السيد فكم في العيان من شوهد فقيراً ثم استغنى وغنياً ثم افتقر وكم من ضعيف قوى وقوى ذل ومسود شخص وسيد انحط وهلم دو اليك اذن فليس الغنى والفقر من ملاك العظمة والانحطاط وهكذا القوة والضعف والكبر والصغر: و الذي تجوز عبادته هو من ضم الصلاحيات والكفآت اليه من قوة وقدرة وغنى وعظمة وعلم وحكمة وعطف ورحمة بلا استجداء من غيره ولا استحصال عليها من طرق الحوادث والسوانح ولان هذه المؤهلات حاصلة له في وقت دون وقت: بل يجب ان تكون هذه المؤهلات فيه من ذاته لا مكتسبة من غيره وتدوم بدوام ذاته لان الحوادث والاقترانات تجلبها اليه او تحذفها منه وهذا الملاك لا وجود له في عموم الموجودات الا في الله الخالق وحده: اذن فما يفعله الفقير امام الغنى من الخضوع والضعف امام القوى من الخشوع والمسود امام السيد من الخنوع كله ناشىء عن ضعف النفس والجهل وكل آثار ضعف النفس والجهل لا وزن لها ولا قيمة:

و ذكرنا نياً لزوم الاحسان بالوالدين: وجهة ذلك واضحة من المنطق فان الابوين لحدود بعيدة يقومان بوظيفة تنمية الطفل حتى يصير اماً شاباً قوى العضلات اقدر ما يكون على جلب المنافع ودفع المضار والقيام بتربيته وتهذيبه واعداده لان يخوض معارك الحياة ومع صيرورته مستغنياً عنهما الا تراهما الا يحديان عليه و يجلبان له الخير ويدفعان عنه بجهدهما الشر ومثل هذا الوجود اقل ما يجب له الاحترام والاكرام لانه محسن بجهد و هل جزاء الاحسان الا الاحسان:

وتعرض ثالثاً للتمولين: وفرض عليهم ما هو مفروض من طريق العاطفة الصحيحة وبين ان ذا السعة لا يجوز له الاحتكار لسعته والاقتصار بها على نفسه بحيث يبذخ ويتوسع و ارحامه فقراء والمساكين بؤساء واهل الحاجة في شدة وعناء بل من لازمه الشرعى العاطفى ان يقتصر على المصالح اللازمة في حقه وحق من يعول به و يصرف الفاضل من ثراه في سبيل الفضائل فيصل ارحامه ويعطى المساكين واهل الحاجة بما يسعه عطاء غير ممنون فان من لم يفعل ذلك عرض نفسه لاضطراب الله او لاضطراب عباده ثانياً وخلق من وضعه على نفسه وعلى ثروته اجواء كدراء تعود عليه بنهب ماله وهتك شرفه وما خلق الشيوعية في الكون

الاهذال الاستثناء البغيض حيث يظن المتجددون المخترعون لهذه الطرائق فيما يزعمون انها وليدة افكارهم ونتيجة ثقافتهم ولكن الحق فانهم بمراحل شاسعة فان القرآن قرر هذه المعارف بنهجها الاحسن قبل مئات السنين والزم حكومات الشرع بتنفيذها ولكن الجامعة المذبذبة هي التي خنقت الشرع وحكومته وفي اخيرها التجأت الى الشيوعية الغاشمة الخارجة عن حدود الاعتدال وحبذت طريقة تعديل الثروة على ما في اجراء هذا التعديل من حيف و اجحاف واعمال ميول و نفوذ فضلا عن اصل قانونه الجائر في نوع مواده :

وتعرض رابعاً : الى ملازمة خطة الورع والحلم وسعة الصدر وانتظار الفرج وانه لا يجوز الانسان ان يجزع من الفقر ويستكين له و من الضعف فيخضع من اجله فان تقلبات الاحوال والانتقال من حال الى حال لا تحصى كثرة في كل آن وزمان فمن وظيفة الانسان يكدح لتأمين نفسه وربه من وراءه مساعد ومعين من حيث يحسب و من حيث لا يحسب فلا يسأ الى زوجته واهله واطفاله لمجرد انه يفتقر حيناً او يضعف حيناً آخر بل يجب ان يمشى في سيره الحيوي على حادة شارع غير مأبوس وهذه الانتحارات التي شاعت في عصر الثقافة والتنور لادنى حادثة يواجها الانسان من دلائل ضعف النفس و ضيق الحوصلة على أنها لا تفرسوى الهلاك المؤيس فما عليه الله تعالى من رياضة النفوس خير مما عليه المتجددون من اليأس والقنوط :

وتعرض خامساً : لسيئة الزنا وان جماع ما تستلزمه هذه السيئة هي انهدام العوائل رأساً وضياع المواليد ومصيرهم في الحياة مصير كلاب الهراش و شيوع التهلك والميوعة في الاخلاق وانتشار الامراض الجنسية انتشاراً هائلاً وكثرة التشاجر والتزاحم من طريق هذه الاختلاطات بما هو مشهود محسوس وعود كل من المرأة الزانية والرجل الزاني بعد زهاب رونق حياتهما بانسين شقيين لا كافل لهما لفرض انحلال العناصر من هذا الطريق المعوج وبهذا يعنى القرآن على جملة من المتجددين الذين يفرون من الزواج المشروع جنوحاً الى تأمين رغباتهم من الطرق الملتوية فيبقون الى الآخر عزاباً مذبذبين لا يمكن لهم ولا مكان ولا عائلة ولا أسرة ولا تشكيل مجتمع فضلاً عما يوا جهونه من أخطار مرض

الجنس الشائع بكثرة المعجز برؤه وشفائه .

و تعرض سادساً : الى حرمة ان يهاجم الانسان اخاه النوعى بغير حق اما طمعاً في ماله او ناموسه او مقامه بل يجب على كل انسان ان يحترم كل انسان في كل ما يعود له و ينتسب اليه فلا يتكبر عليه في حضوره ولا يغتابه في غيابه ولا يصدق عليه التهمة ولا يبغضه حقه في بيع او شراء فان كل فرد اذا راعى اخاه بالقليل من هذه المراعاة بطل سوق العداوات بين الناس وكثيرينهم التحاب فلم يحتاجوا الى حاكم ولا الى اعمال قوة ويعيش الناس اسعد ما يكونون وارفه ما يمكن لهم ولا تنتابهم الحوادث ولا تشرع بينهم الحروب ولا تزهد الارواح ولا تلتف الاموال ولا يخاف الناس ولكن عدم مراعاة هذه الحقوق بالمرّة مما اوجب انهيار الجوامع حتى في جده حضاراتها وتنور افرادها واتساع ثقافتها فلا تزال تسمع عن الشحاذين اخبارا عجيبة حتى في اهم الحواضر المتمدنة وعن المهرجين اخبارا طوالا وعن الفساق الواناً من الحديث المزعج وعن سائر السفلة ما يقضى منه الانسان عجباً وهذا الانحراف الواسع والقلق المتغلغل في اعماق الجوامع كله نتيجة الالابالية و جنون العنجهية و الانفلات من القيود الصحيحة و التعاضم على الموازين الحققة ولا ريب ان الانفلات على القانون كما لا يبقى في نفسه لا يبقى معه القانون وكل نظام يخرج عن الميزان الطبيعي لاقرار له ولا استمرار بل لا تزال التعاكسات متبادلة والآراء متضاربة ونتيجة هذا التضارب والتذبذب اضطراب الجامعة مادياً ومعنوياً والاضطراب لاحياة معه : الفصل الثاني في :

هوية الفلسفة و تأثيرها في العقول و كيان المجتمعات

لسماع لفظ الفلسفة فضلا عن تفهم معناها تأثير محسوس في نفس السامع واثره خضوع النفس واكبارها لهذا الملفوظ ولوعلى اجمال ما يراد به وانفعال النفس بالطوارئ العارضة لها كثير جدا الا ان اكثر هذه المجالى بدوى لا يلبث مفعوله في النفس الالاحظات قصيرة ثم يتفه شيئا فشيئا حتى يعود سمجاً بخلاف مجلى هذا المسموع الذى نحن بصدد التحدث عنه فانه لا يفاجيء النفس عروضاً عليها الا ويزداد شرفاً لديها كلما تميزته اكثر وبذلت

في تفهمه زمنياً أوفر:

والسبب في ذلك ان الفلسفة لا تستهدف على تنوع بحوثها الا البحث عن حقائق الاشياء كائنة ما تكون فمنها يستمد الشاعر الرصين والمؤرخ الوزين والاجتماعي الخطير والسياسي الكبير وهلم دواليك حتى الفقيه الذي هو أبعد الناس عنها : فيما يعرفه به الناس لان الفلسفة بمفهومها الواسع تعطى من نفسها انها المقياس الذي لا يخطيء والمعياري الذي لا يجازف والوسيلة التي ان اخطأت برمية صاحبها صميم الحق لم يبعدها القصد من اصابة حاشيته حد الاقل و كفى بذلك ضامناً للباحث و دليلاً للمتحرير و هادياً لمن قذفت به وساوس النفس بل والحس ايضاً الى متاهات هذا الوجود الواسع و منذرشد العقل البشري في دنيا الوجود اخذت جوانب البحث الفلسفي تشعب بمقدار المعدات التي تهيأ لها وليست الفلسفة المادية والا لاهية الأشعبة واحدة من شعبها المتكثرة والذي أهاب بالافهام والاقلام أن تجول حول هاتين النقطتين اكثر من غيرهما هو انضمام سائر الجنبات اليهما في النتيجة العملية .

وذلك لان الفلسفة المادية لم يقصد بها اهلها في غاية مطافهم الاعتبار اللفظ حلقة في سلسلة الموجودات: وهو الانسان: كالكثف حيوان وقف على هويته البشر و رآه اخف كفة في كل شيء يفرض و هذا الاعتبار العلمي يعود في النتيجة العملية الى سحق كل المدنيات العالمية و تحطيم كل السنن الاجتماعية و التدهور بنظام الحياة الى هوة لا منفذ فيها الى اقل بصيص من نور الوجود:

و بالمناقضة التامة من هذا الملاك يقال في الفلسفة الالهية التي تحسب لكل شيء من الكائنات حساباً يليق به و يكون من نتائجها العملية احياء سنن الاجتماع و تقويم المدنيات و ترفي نظام الحياة:

ولا تزال سلاسل الزمن تحمل اليها في مطاوي حلقاتها مناقضات جملة بين هاتين الفلسفتين و مناقشات مهمة حدثت بين اهلها و حتى في يومنا الحاضر خصوصاً بعد ما استشرى داء البلشفة و الاشتراك و عززت القوى المدمرة هذا المبدأ الهدام الخانق لانفاس البشر و المشرف بالكون و الكائنات على التلف: الفصل الثالث:

الألحاد منشؤه وأثره

الألحاد بطور مطلق معناه انكار ماوراء الطبيعة وما يمت الى ذلك من شرائع سماوية واديان ومنشؤ الألحاد في طبقات الناس ثلاثة اموراثنان منها رئيسيان و الامر الثالث وان كانت عليه صبغة علمية فقد دمرته الادلة القاطعة ايما تدمير

(الامر الاول) ما يلوح على جوامع البشرية منذ الاول من الاهمال و القوضية بمعنى ان جوامع البشر قد القى بهافي احضان الطبيعة المتوحشة فكاسر وضارى ومعتدى وظالم وفاتك ومتهجرم وشحاذ ومذلس وغشوش؛ والابرياء والضعفاء والمثاليون والمستعضفون واهل الورع والتقوى والشيخوخ الكبار والعجائز والعجزة و الايتام و الناقصوا الخلقة والمرضى والمكذوبون يرزحون تحت نير اولئك الكواسر وتتفاعل بهم الطبيعة تفاعلا يتأثر له اقل وجد انبى بنى آدم حيث لا مغيب ولا منقذ:

(الامر الثانى) مع صرف النظر عن ذلك ترى جوامع بنى آدم فى مدونات الاديان خرافات كثيرة ومدعيات نابية عن المنطق كذب جملة منها العلم باكتشافاته غير القابلة للتشكك كما تقرأ فى مدونات الاديان ان قوم نوح لما كفروا واصرروا على الكفر اخذهم الطوفان وان قوم هود و صالح لما لم ينقادوا لهذين النبيين اخذتهم الصيحة والخسف وان قوم لوط لما اصرروا على فعل الخنا قلب بهم وان فرعون و قومه لاقوا كل عنت من طريق الغيب حتى اجترفهم فى الاخير عباب النيل وهلم دوا اليك:

لكنها لم تجد من ذلك اقل اثر فيما يقرب من عشرين قرناً احد اليوم على ما حصل فى مضامين هذه القرون من ارهاق واعنات و اراقة دماء وتخریب بلدان و حروب شعواء ومظالم ينبوعن سماعها السمع وما حصل فيها ايضا من اطباق على الكفر و اصرار على انواع المعاصى فالزنا و اللواط و شرب الخمر و القمار و الرقص والتعري و التهتك و الاستهتار بلغ غاية ماورائها فى هذه العصور و لم يحدث طوفان جارف لهؤلاء العصاة المتهتكين ولا اخذتهم الصيحة ولا الخسف ولا غير ذلك من موجبات الانتقام مضافاً الى كل ذلك كم كتب فيلسوف فى الألحاد و كم قال فيه شاعر محبين ذلك الى الناس باغواءات

تفوت على المتنورين فضلاً عن البسطاء حتى عمّ الاحاد ارجاء البسيط ولم يحقّ بهم من وراء الطبيعة مكروه بل عاشوا معززين و ما توا معظمين ولم تذكر اسماؤهم بعدهم الا بكل تبجيل و تجليل .

(الامر الثالث) ان الطبيعة ازلية ابدية و من طريق تفاعلها بعضاً ببعض لاعن قصدا وهدف بل صدفة واتفاقاً انتجت هذه الكثرات المهولة في منطقة السماء من مجرات وشموس وأقمار وكواكب ونجوم ومدارات على سعة مناطقها وعجيب اوضاعها وغريب تشكيلاتها وفي منطقة الارض من بحار وارضى وجبال واودية وحيوان وانسان ونبات وجماد : هكذا نسمع من علماء الاحاد :

و الجوامع البشرية في طول سيرها مع الحياة لاقت مثقفين واجتمعت بعلماء متنورين فخففوا عنها كثير أمن ويلات هذه التهويلات الا ان حب الانسان لحياته الدنيوية ومزيد اغراقه فيها مما زهده في اقباع العلماء له واصر على استحصال دنياه من اى طريق رآه مشروعاً كان ام غير مشروع يلتقى مع وجدانه ام لا يلتقى صحيحاً كان من طريق المنطق ام باطلا ونحن للاصحاح بالحقيقة نكتب عن كل واحد من تلك الامور الثلاثة ما لا يرى المنطق محيصاً عن الاعتراف به واثسليم له :

(اما الجواب عن الامر الاول) فهو ان الانسان لا بد ان يعترف بان حياته من المستحيل ان تتدرج على مدرجة المادة الصرفة وباطنه راض عنه و اخوانه في النوع غير شاكين منه فان المشى مع المادة الصرفة معناه ان يكون الانسان من اقسى الحيوانات الضارية و اقل نظرة الى ما كان عليه العجاج وچنگيز - من باب المثال - يعطى ذلك بوضوح اذن فمما شاة المادة الصرفة ليست معياراً لحياة الانسان و اقل دليل عليه انا نرى البدوى على شدة مزاجه ويبس طبيعته لا يقتنى الحيوان الشرس لانه يلاقى منه عتاً و شدة لا يعود يتحملها طويلا ولا يحسب المنافع العائدة منه منقعة بالمرّة لانها منقعة محفوفة ببلاء شديد وقعه ثقيل تحمله وهو يهوى اعتدال حياته مهما تمكن فالانسان العادى اذن في حاجة الى جنبتين جنبة الاخلاق والمعنويات و جنبية المعيشة والماديات وبتعادل كلتا الجنبتين يمكن ان تعتدل له حياته الاعتيادية :

والمراد بجنبة الاخلاق و المعنويات هو انطواء النفس على شىء من الحياء و
الوفاء والعفاف والكفاف والصدق والرفق و الامان و الايمان و الخضوع و الخشوع
والحلم والسماح ولين العاطفة و نزاهة الضمير و العدل و الانصاف و التأثر للضعفاء و
البؤساء و ان يحسب لنفسه حساباً غير ما يحسب للحيوانات لانه يجد بالعيان مائزاً
محسوساً بينه وبينها هذا اقل ما يلزم فى الانسان العادى :

و اما الذى يربأ بنفسه و يعتد بمشاعره و لا يحسب للمادة الاحساب قوام بنيته
وحفظ حياته كما عليه المثاليون و العلماء و المعنويون و الزهاد من بنى آدم فحساب
مثل هذا الانسان لا يرتبط بالمادة اصلاً : و مثل هذه الذوات يهوى ان يعيش بنو آدم
قاطبة فى راحة لا نظير لها حيث لا احتياج الى حاكم و محكمة و شرطة و سجون و وزعة
وجنود : حيث لادماء تراق و لا بلدان تخرب و لانساء تؤيم و لا اطفال تيتم : حيث لا بؤس
ولا نحس و لا شقاء و لا شكوى انسان من انسان ، حيث الناس بأسرهم علماء و متعلمون
مثاليون و معنويون اخلاقيون ، حيث لا مجال الا للخير و لا منفذ الا للسعادة و لا مصير الا
الى الخلود ، فاذا جاء هذا الحساب بطل كل ما ذكر فى الامر الاول من اصله ، لكن
زافة الناس لما لم تعرف غير المادة اركسها التكاليف عليها حتى من المبطان المتمول
الى هوة عميقة و لذلك و هنت كواهلها عن تحمل اثقال الحياة كما و هنت افكارها القصيرة عن درك
ما تلاقيه و تراء .

(واما الجواب عن الامر الثانى) فان جملة من الحديث الذى ينسب الى مبلغى
رسالة السماء مزور مكذوب عليهم ارتجلها الدجالون لعدة دواعى منها استيجار الساسة
لهم بائمان بالغة حتى يضعوا من الحديث ما يسكت السنة البسطاء المعنفدين بما ينسب
الى السماء : ومنها الحب و البغض و اعمال الطائفيات : ومنها الحط من كرامة الدين
و تحقيره من ناحية المنافقين و قد قام بهذه الرذائل مئات من قبيل ابى هريرة الدوسى و كعب
الاحبار و كل خرافة يقرؤها القارئ لكتب الحديث فهى من هذا المتاع : بعد اعتراف
اهل الفن به : هذا و انك تقر فى جملة طائفة من الحديث ما هو معجز فى بلاغته و ابانته عن
مقاصد عالية تحكم نفسها بنفسها انها نتاج عالم كبير و الهى خبير و حكيم بليغ و يكفيك

من ذلك ما صحت روايته عن النبي والوصى والائمة الباقين ومقارنة هذا المتاع بذاك من اقوى الادلة على اختلاق ذلك الرديف من قسم الحديث و لهذا لا تجد في القرآن ما يحكم العقل بضلاله عن الحق وما فيه من متشابهات لا يجوز مد اليد اليه بحكم الله الذى اتزله :

فاذا كان الاسلام القريب التناول منا هذا حكم احاديثه و رواياته فحال الرواية الاسرائيلية جدمكشوف مضافاً الى ان الحديث مظنة الاختلاق لدواعى مهمة اسلفنا جملة منها : لكن هلم واقراءن واضعى مفردات اللغة واخبار ايام الجاهلية والفقرات النثرية والقطعات الشعرية تواجه الغرائب والاعاجيب فالدواعى الرمزية التى تهيب باصحابها الى ان يتعرضوا بالوضع والاختلاق لمثل هذه الاسور لامحالة تكون اقوى بكثير فى الدعوة الى الوضع والتزوير فى امور الدين المربوبة بالافراد ربطاً وثيقاً :

واما ان الطوفان اخذ قوم نوح وحل بالقبط والفراعنة كل ويل وثبور فذلك مما له آثار شاخصه تعرب عنه فضلاعن اطباق المؤرخين عليه ونطق الكتب المنتمية الى السماء عنه نعم يبقى الاشكال بالنسبة الى عدم ايقاع الله بملاحدة وفسقة وعتاة هذه العصور وتاديبهم بطرف من ذلك التأديب ونحن نعترف بذلك ونجهل وجهه : وما اكثر ما جهل نحن جماعة البشر ما دين كنا ام مبدأين ولا يجوز فى كل وقت ان يكون الجهل بالشىء مادة انكار له :

(واما الجواب عن الامر الثالث) فهو ان اصل الادعاء بان خلقه الكون بجميع شراشره وشتات ما فيه شىء حصل عن تفاعل المادة بعضاً ببعض سمج بارد تافه للغاية لاعتراف الماديين انفسهم ان هذا الزند الذى يورى به ويباع فى الاسواق بشمن بخس على بساطة صنعته مصنوع لعاقل قداستهدف به استفادة الناس منه فكيف اجازوا لانفسهم ان خلقه العالم ليست كذلك وانها غير مصنوعة لعاقل ولا استهدف بها شىء بل حصلت بالصدفة والاتفاق وان النتائج المتحصلة منها اتفافية ايضاً على ان هؤلاء الجدد يجب ان يكونوا بالنسبة الى الاعتراف بالصانع العظيم اشد اعتناقاً لهم من غيرهم فان الاغيار لا يعرفون من حديث الارض والسماء الا ما تلمسه احداقهم فقط والقوم بفضل معارفهم و استطلاعهم الدقيق

عن نشأة كل ناشيء في هذا الوجود كتبوا في ذلك آلاف الكتب المهمة المزينة بآلاف
الخارطات والمطالع فضلاعن الباحث يقف من ذلك على ما يحارفيه العقل ويدهش له
اللب و يبهت له الفكر: و بعد هذا فإى عاقل يسبخ لعقله ان يحسب هذا كله حصل
من تفاعل المادة بعضها ببعض عفواً لا قصداً وصدفة لا عن داع :

على ان الجامعة البشرية لو صدق أحرارها وتصادموا على احقاق الحقوق ومطاردة الظلم
والظلمة لما وصلت الحالة بالناس الى هذه الدرجة لكن الاكثريه الساحقة فى البشر
الذين هم عكاز الاحرار عليهم يتوكثون وبهم يعتمدون ويصولون - مع تمام الاسف - ماديون
لا يعرفون الاحب الجاه الكاذب وتأمين المعيشة من اى طريق حصل ولا جرم ان المادة
اذا كانت هى المحرك الرئيسى لنوع افراد البشر كان من جراءها ما نراه جميعاً من
حيف واجحاف وظلم وتعدي وبؤس وشقاء و ارتباك فى الاحوال و تلبل فى الاوضاع
لا يفترق فى ذلك قديم الانسان الذى يقال عنه انه وحشى وجديده الذى يقال فيه انه متخلف
متنور فان الجميع وحشيون فى عواطفهم ووجداناتهم :

اثر الدين والالحاد فى جوامع البشر: الدين وان كان لم يؤثر فى جملة من معتنقيه
من الوجهة العلمية فان العصاة والفاسقة فى المتدينين منذ الاول كثيرون وايس كل من
أصر على المعاصى غير معتقد بالدين و نفس هؤلاء العصاة قد يرتكبون المعصية مع
استنكارهم لما ارتكبوا وكثيراً ما ندموا وأقلعوا وكفروا عن ذنوبهم وقصدوا من اذنبوا
اليه فاستحلوا منه: لكن الالحاد ليس كذلك فان الملحد لا يعرف مفهوماً للمعصية ولا
يستنكر من نفسه أصغر ذنب يرتكبه ولا يندم كما لا يقلع عما ارتكب ولا يستحل من
اى انسان أجرم اليه بل يعد الدنيا مجالاً للاقتراض سواء فى ذلك الهيئات الحاكمة وافراد
الشعوب: وفضلا عن مسألة تلاعب الدول اليوم بعضها ببعض القوى منها بالضعيف من دون
ميز فيها اغربى على شرقى فان هذه الولايات المائلة لارجاء البسيط الناتجة عن شرب
المسكرات أكثر من شرب الماء القراح و تعاطى الجنسيات غير المشروعة بل و غير
الجنسيات واكل المال بالباطل ازيد من اكله بالحق ناتجة عن روح الالحاد المبتوثة
فى بواطن الناس ونرى ان الدول مهما كثرت مؤاخذتها للمنحرفين لا يؤثر ذلك منها

في الوضع الاجتماعي اقل اثر فهذه المشائق تعدم والرمي بالرصاص يلبتهم والسجون مكتنفة وتبعيد الجناة والتشريد بهم غير منقطع و مع هذا و ذلك نرى الزمان مملوء بالحوادث المتنوعة حتى من الصغار فضلا عن الكبار ومن البسطاء فضلا عن المتولعين اذن فالدين مهما كان اثره ضعيفا في النفوس فانه خير من الالحاد لا الافراد فقط بل للحكومات ايضاً فانه اكبر مساعد لها على تحصين داخلياتها وراحة اعضائها و افرادها :

الفصل الرابع :

رؤس الفضائل

بعد الفحص التام اثبت علماء الاخلاق ان رؤس الفضائل اربعة : الحكمة : والشجاعة : والعفة : والعدالة : والحق مع ما ارتأوه .

(١) الحكمة معناها استبطان حقائق الاشياء بالرياضة العقلية وتركيز كل شيء في نصابه فاذا انتجت الرياضات المتواصلة هذه الصفة الثمينة في الانسان جاء من أجلها أسوس ما يكون بالصياغة الحقة واصوب الناس علماء وعملا وأبمدهم عن الخطأ والانفraz واكثرهم نتائج ذات قيمة وأوفرهم اصداقاً واقلمهم اعداء و اقربهم من القلوب واشدهم ارتباطاً في الحياة واخفهم عائقاً من انقالها واما اذا كان الانسان سفيهاً فان هذه الصفة تزرع في طريقه الشوك وتكثر منه العثرات ولايستطيع معها أن يسوس نفسه فضلاً عن ان يسوس عائلة او امة وكان اخطأ الناس قولا وفعلا بعيداً عن القلوب كثير التدهور والارتباك في الحياة :

(٢) الشجاعة معناها المغامرة في سبيل الاعتزاز بالذات و الحيثيات وباللزم المحتم يجب ان يكون صاحبها شهماً و قوراً عالي الهمة حراً لا يخضع لما يمس بالكرامة و الحيثية و المعتقد صبوراً على المصائب النازلة و لا تراء يوماً من الدهر متملقاً او مستكيناً او معطى يد ذلة اما الجبان فلا ذات له ولا حيثية و يستحيل عليه ان يكون شهماً ذا و قار و اتزان و علو همة و صاحب حرية و لا تراء الا جزوعاً عند المصائب مستكيناً في اقل الحوادث متملقاً لكل احد لا يعرف العزة بالمرة بل هودائم

الذلة والضعف والانكسار :

(٣) العفة معناها تماسك النفس في مقابل الشهوة ولذلك يسهل على العفيف ان لا يزنى ولا يمد بعينه الى اعراض الناس بل ولا الى اموالهم ولا ينظر الى الدنيا الا بنظرة هادئة فلا ترى فيه شرها او ضراوة او انكباباً على تحصيل العظام او اغراقاً في متاع الدنيا وشهواتها بخلاف الوقيح فان صلافته وانهيأ نفسه يؤديان به الى الشره ومزاحمة اعراض الناس وامرهم والتكالب على تحصيل العظام والتوسل الى احراز الشهوة باى طريق امكن فلا ترى مثل هذا الا ساقطاً جلفاً :

(٤) العدالة ومعناها اعطاء الشيء حقه اللازم له من طريق المنطق ومتى تربعت هذه الروح في الانسان صيرته منصفاً حتى مع الحيوان الزهيد في الاظفار ولا تعود تنقف الاباء و الامهات والعناصر والالوان و المقامات والاحترامات امام هذه الروح فهي توصل الحق لاهله كائنين من كانوا ولا تعرف في الميزان المزبور قريباً ولا بعيداً ولا نابها او خاملاً ولا رئيساً او مرؤساً ولا معتداً بنفسه او منكر لذاته: اما الظالم فلا تراء الامنحازاً للهوى النفسى والغرض الشخصى و تراه يابيه المناوين ولو كانت كاذبة ولا يعبر الحقيقة اقل نظرة و مهما كانت راهنة وهو على طول الخط مفرط او مفرط مفسد ومخرب و لو تعالى مقامه و عظم بطشه :

ولا ريب ان الانسان اذا استجمع هذه الصفات الاربعة صار أعظم مثالي في بنى آدم و كان حريباً ان يتبوء مقعد رياسة الدين و الدنيا الا انه ويا للأسف لا ترى من مصاديق الصفات المزبورة الا اعداداً يسيرة على طول خط الزمان يتمثل الجيل بعد الجيل بالواحد منهم كما يتمثل بلقمان وعلی ابن ابى طالب و الحسين بن على و اما السفهاء والجبناء والصلاف و الظلمة فهي الزافة التي ملأت عرض الدنيا و طولها بل ترى كل من ازداد سفهاً و صلافة و ظلماً كبر اسماً و عظم شخصاً و تحدث التاريخ عنه وعن بطولاته في هذه المراحل و ليس كل من ذكر الحجاج و چنگيز و من تأسى بهما وهم مثأت والوف ذكرهم ناقداً شاملاً بل ترى جملة من المؤرخين يعترفون بمقاماتهم و ينظرون اليهم نظرة اكبار و يرونهم من القادة الاول اللائقين ل احراز المقامات العالية و الزعامة على

الناس وهذا هو المفري الوحيد لادنياء الناس في الظلم والاغراق وعليه مشيت السيرة لحد
اليوم : الفصل الخامس :

هل الاحاد بالمبدء من لازمه الانهيار الاخلاقي

لاشبهة ولا ريب ان العقيدة اذا استحكمت في صاحبها واندمجت في مشاعره كما
تندمج المحسوسات المكشوفة في حواسه بعثته الى القيام بها مضطراً اليها ومقهوراً عليها كما نجد
ذلك بوضوح في اولياء الله والمثاليين العظام حيث نراهم يذيبون وجودهم في سبيل معتقدهم
ويرون اهمالهم لانفسهم في عرصة الماديات ضرورياً اهم لالاهم لا يدركون معنى الجمال
وموقع الجاه والمال في الحياة الدارجة فانهم بشر نظير السائرين الذين يتهاقون على
حب الدنيا لنيل تلك الغايات في المعدات الفطرية الداعية اليها - بل - لان عقائدهم
المتركزة تلوى بهم جانباً عن ذلك الحطام الى جانب المعنويات والكمالات التي هم
بصددها دائماً :

ومن هنا نستكشف ان كثرة المعاصي و الرذائل التي نشاهدها في العجم الغفير
مبعوثة عن ضعف في العقيدة او خلوعها بالمرّة و لذلك تتمكن ان نحكم اكثر اهل
الاديان بالضعف المبدئي وان سبيلهم في ذلك سبيل المشككين و لهذا السرّ الدفين
في اعماقهم نراهم يرتكبون المعاصي حين يرتكبونها غير متأثرين ولا متحرجين ولا متلومين
- هذا كله مالا كلام فيه -

لكن ياترى هل ان الاخلاق الفاضلة البانية للمجتمعات الصحيحة والنظم المتركزة
مقترنة بالدين وجوداً و عدماً وان غير المتدين لا يلزمه اعتناقها لانها ليست من طراز
عقائدهم او انه لا تلازم بين الاخلاق الفاضلة والدين بحيث اذا لم تشعب فكرة انسان بمبدء
ديني كان من لازمه اعتناق اللاأبالية في الاخلاق - كلا - فان حياة هذا الموجود الذي
يقال له انسان غير متيسرة الا في حكومة الخلق الفاضل حتى ان الافراطيين من الماديين
الذين يعتبرون الحياء والوفاء والصدق والرفق من ضعف النفوس وانه لا فرق بين الانسان
والحيوان يستحيل عليهم ان يعيشوا مع اعمال هذه العقائد فان كل موجود حساس يهوى

ان يعيش مرفهاً ولارفاه مع الفوضوية لان التكالب على ماتهبوا النفوس اذا خرج عن النظام ادى الى التمانع والتمتاعان لا يكونان بحكم الطبيعة :

نضرب لك مثلاً اطباق المتجددين على لزوم ايجاد المساراة التامة بين عناصر الذكور والاناث فى كافة المزاييا ويهدفون بهذه الكلمة الى ان تخول المرأة حرية غير محدودة فى كل ما تنزع اليها رغباتها ويعدون تحديدها بنظام خاص ضرباً من القسوة والتوحش ومن الغرائز القهرية الوجود فيهم وفى كل انسان حبه لمصونية نفسه وحيثيته واحترام ذاته وأن لا تمتد الى ما يخصه ويعودله اية يد تفرض كما ان من اللوازم القهرية لارسال رغبات المرأة اصرارها البليغ على ابراز نفسها بأحسن شكل يفرض والمرء بطبيعتها ميالة الى الرجال اكثر من اختلاطها بالنساء والرجل كذلك يميل الى معاشره النساء اكثر من الرجال :

ومما لا ريب فيه ان ضراوة الذكورة والانوثة مما يزيد فى اشتعالها توهج النفس بما يهيجها خصوصاً مع انكساح كل المعاذير امامه اذن فلاريب فى تكالب هذه الضراوات والاندياعات النفسية تكالباً يؤدى الى جنائيات غير قابلة للاحصاء فمن اباحة للنواميس بالامشاركة وحمل غير مشروع واستفراط جنين بعد اوطرحه بعد وضعه فى احضان الشوارع والمزابل والآبار وصيرورة المرأة فاحشة ذات علم كما قد يؤدى بهاذلك الى تشردها عن اهلها باغواء المغوين والى قتلها احياناً جمرة وكل هذا الذى صورناه متكاثر الوقوع فى طول الزمان ومن المستحيل على الشرطة ان تقوم بقمع هذه الويلات فالزوج والاب والام والاسرة يهونون راحة انفسهم وحفظ حقوقهم وحيثياتهم ومصونية اعراضهم مع اعترافهم بالحرية التى عبرنا عنها كما فرض التجدد عليهم هذا الاعتراف : اذن فهم قد جمعوا بين ارادتين متعاكستين واحبوا وجود شيئين متمانعين غير ان ما لا يهونونه حصل وما احبوه لم يحصل :

وهذا مثال واحد من آلاف الامثلة لما يعتمور حياة الانسان وقد رأيت ما فى خروجه عن النظام من حزازات ومعاذير يستحيل على القوى الجبارة سحقها ومحقها وبه تعرف ان الخروج عن النظام ومن حوزة الخلق الفاضل اماتة للانسان لا احياء له وخلق لحياته

لاتحربروان الهوية التي دفع الافراطيون من الماديين بنى الانسان اليها لامتخرج منها الا بتغيير الخطة وتعويض البرنامج :

فمن هذا يعرف ان الالحاد لامساس له بالدعوة الى انهيار الاخلاق بل الوضع الحيوى الطبيعى للمتدينين والملاحدة جميعاً قاض بلزوم وجود الاخلاق الفاضلة فى طباق البشر حتى تيسر الحياة الافراد : وما نراه فى كل فترة من فترات هذه العصور من بروز دعوة جديدة بداعى التحرر وهو بالعيان من نتائج الاسترذال انما هو انهيار جنونى لابقاء معه قطعاً : الفصل السادس :

حب النوع

حب النوع ينشأ عن الاعتقاد بان للانسانية حقوقاً ووظائف فى عواتق الافراد وذلك الحقوق والوظائف هي :

(١) ان الفرد ومهما فكر فى نفسه انه يستطيع الحياة منفرداً و منعزلاً فانه عاجز عن تحقيق هذا الفكر عملاً فان العزلة وان كانت تقطع الارتباطات التجاملية من استقبال قادم ومشايعة مسافر وتشييع جنازة وعيادة مريض ومواساة فى الافراح والاحزان الا انها عاجزة عن قطع الرابطة الحيوية اللهم الا ان يعيش الانسان عيشة احقر حيوان طعامه فئات النبات وشرا به ما تيسر من الماء ومكنته الكهوف والغارات: وهذا اللون من المعيشة لم يعهد لبنى الانسان الا فى العصر الحجري وذلك لارضاً بهذا الوضع البائس بل خضوعاً للمعوز القاهر وهذه الضرورات المرهقة هي التى الجأت الافراد الى التعاون الاجتماعى حتى تيسر الحياة للفرد باستعانتة ومعاونته للاشيار فان التحصيل حتى على المواد الحيوية الاولية يستحيل تحقيقه الا بالتعاون الاجتماعى فهذا اول حق للانسانية يجب الاعتقاد به والاذعان له :

(٢) نفس الارتباطات التجاملية التى اوعزنا اليها مما تخفف الويلات عن الانسان وتعينه على قطع مشاق الحياة فان السفر والمرض والختان و الاقتران و الموت وما الى ذلك من الاحتقافات المسايرة للفرد على طول حياته وهو فى حاجة ماسة الى التجمع حوله

والتعاون عليه اما تحقيقاً لاصل موضوعه او ترفيهاً عن خاطر المبتلى به : ومن هنا ادرك العقلاء بما هم عقلاء لزوم احترام بعضهم لبعض في استقبال قادميهم ومشايعة مسافريهم وعبادة مرضاهم وتشجيع جنائزهم و الاحتفال بختاناتهم و اقتراناتهم ومجالس تعازيهم وهذه المجالات وان كانت في مرتبة ثانية للحاجات الاولية في الحياة الا انها من الوشائج القوية التي تعين الافراد على قطع شقق الدهر وبدونها يقع الفرد في مأزق محرجة ولا تراه بدونها الامتل الكاهل جريح العاطفة :

(٣) الالتزام بالفضائل العالية الاخلاقية و التجنب عن الرذائل فان العدل و الانصاف و المواساة و الصدق و الرفق و الامان و الاحسان و الحياء و الوفاء مما تقوى جنبه الربط و تحكم عرى التجمع بنتائجها الطبيعية لادراك كل انسان ولو كان لا يقرب بمبدأ ديني حسن ذلك في نفسه وبالعكس يكون الظلم والاعتساف والتجبر والتكبر و الكذب و النفاق و الخشونة و الخيانة و الصلابة و العدر و الختل مدعاة الى تفكك الاواصر وسوء ظن الفرد بالآخر و انهيار المجتمع و كل انسان يدرك سوء ذلك من نفسه بالفريضة الطبيعية .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رسيدي

(٤) لزوم الاعتراف بالدين الصحيح القائم على حفظ الحدود والحقوق فان الشرائع الصحيحة لم تقم الا على المبادئ الانسانية الكاملة و تلك المبادئ هي الالتزام بالفضائل و التجنب عن الرذائل وقضية الدين معناها ايجاد رابطة مشتبكة العرى والحلقات يعد الخارج عنها منبوذاً عن الاجتماع فلا يزوج اذا خطب ولا يستقبل اذا قدم ولا يشايخ اذا سافر ولا يعاد اذا مرض ولا تشيع جنازته اذا مات تنكيلا به وتأديباً للاخرين : ومن هنا يعرف السر من حكم الشرائع الصحيحة بنجاسة الكافر والابتعاد عن الفاسق و حرمة الدنو من الظلمة كما ان تلاشي هذه الروح بين الافراد هو الذي اهنب بالجوامع - على اغراقها في التمدن الآلى و توسعها في الكماليات - ان تقطع الحياة بائسة شقية وان يكثرفيها المنتحرون والحمقى والمعتوهون والظلم والظلمة والاجحاف والاعتساف :

و انك لترى العجيب في دائرة هذه التمدنات المتعالية في نظراهم فبينما تراها تشيد المستشفيات المهمة ودور الايتام المجهزة وتعقد بالرياض الزاهرة لرفاه الناس

وترويحهم تراها فى مقابل ذلك تقذف بنار جهنم على من رام منها احقاق حق وابطال باطل فترى الناس حتى البعيدين عن هذا المرام صرعى فى الشوارع والاميادين العامة لامبرر يعقل :ومن الغرائب اننا نرى التمدن الحاضر بعد الاسائة الى الكلب والهرّة من بوادر القسوة والتوحش لكنه لا يرى مانعاً من اندلاع الصواريخ بنيرانها الحمر وانفجار القنابل الذرية المبيدة للنوع والمهلكة حتى للمحشرة العمياء فى اطباق الارض لاقل شهوة جنونية تنعكس فيه : غير ان هذا وما هو اعظم منه ليس بشيء مع عدم الايمان بالمبدأ الصحيح بل ذلك كله واضعف فوجه من نتائج التحرر المقيت و لتفلت على كل شيء :

ولافرق حقيقة بين طرفى الحياة فى العصر الحجري والآخر الذرى فان النتائج العملية من الطرفين فى التوحش والانهيار واحدة : الفصل السابع :

عوامل التفرقة والانشعاع

كما ان تكثر المهن وتعدد الحرف من اللوازم الطبيعية للبشر حتى تعتدل لهم الحياة الاجتماعية وتتأمن مرافق المعيشة كذلك تعدد الآراء و تكثر الانواق من النتائج الطبيعية لهم و ان كانت مبادئها و دواعيها ليست بطبيعية بل ناتجة عن سوء ترتيب المقدمات او الجهل بالمبادئ ذات الانتاج لكن بين المقاس والمقاس عليه فروقاً جمة فان تعدد المهن و تكثر الحرف بكون احد الافراد عطاراً والآخر بقالا و الثالث بزازاً و الرابع حنطاً و هلم جراً لا يوجد فى النفوس حزازة ولا فى القلوب انحرافاً فلا ترى البزاز ماقتاً للمخباز و لا الحنط نائياً عن الخراز بل لا ترى البعض بالنسبة الى البعض الا فى حالة اعتيادية :

بخلاف ما نراه فى تشتت العقائد و الآراء فانا نجد الجميع متباغضين متعادين على اساس ان هذا يرى افعال العباد مخلوقة لهم وذاك يراها مخلوقة لله بوسيلتهم-مثلا- فانك لا تجد الا شاعرة والمعتزلة الا كما تجد وترى عسكريين مسلحين متقابلين بهم أحدهما بالآخر ليقتضى على حياته وروحه ولا جهل حقاً اعظم من هذا الجهل : وما مثلنا به مثال

في عرض آلاف الامثلة وكل نتائجها عين ما أشعرنا به :

ومن الطريف انك ترى عشرات الفرق المتباغضة مما يجمعها هدف واحد قريب كالاسلام و المسيحية و اليهودية مثلا فكم ترى اذن من الفروق الواسعة بين الفرق في عالم التوحيد و الالحاد و غيرهما من العناصر المبدئية في بنى آدم : لكن الانسان اذا جمع اليه فكره مرة واحدة من زمانه العريض الطويل و عاين ما هو فيه و ما اخوته في النوع عليه و ناشد نفسه عن بواعث هذا الانشعاع - اولا - و عن داعى هذه الغضاضات - ثانياً - عرف انه مخطأ منحرف ضال فان دعوة اى نبي يفرض محدودية النواحي من اول بعثته الى آخر دقيقة من حياته و ليس التابع له مكلفاً باكثر منها فعلام نراه بعد موت نبيه يمطط اطراف هذه النبوة بما يخلق منها عشرات المذاهب الرئيسية : فعل ذلك على انه راي و ذوق و نوع تفسير لغوا مض الشريعة : لكن لم يحسب نفسه هو الناجى و قبيله هو الهالك و بنحاز هو فى جانب و قبيله فى جانب : وليته اقتصر على هذا فلم يفت باباحة دم قبيله كما نراه اليوم علناً بين الوهابيين و غيرهم من المسلمين : و كما رأته المسيحية بين فريقها - الى غير ذلك : أفقرى ذلك مبعوثاً عن دافع العقيدة المتركرة - قطعاً لا - بل أكثره مبعوث عن حب الانحياز الى جانب لتحصيل مقام و جاه و رياسة و ثروة و اتساع فى امور الدنيا : و لا تسئل عن تأثيره فى تمزيق الجوامع و نشوب الحوادث و ارتباك الامور و نظرة عابرة فيما حدث من طريق البروتستانتية و الكاثوليكية و الحروب الصليبية و بين السنة و الشيعة و الوهابية وغيرها من فرق المسلمين تعطيك نتائج سيئة لا يأتى عليها حساب و لا تقوم لها العواطف المتحجرة : هذا عامل واحد من عوامل الانشعاع فى جامعة البشر :

(العامل الثانى الفقر) وحدة الاجتماع البشرى كوحدة الاعضاء المتعددة فى الانسان الواحد فكما ان كل عضو فى الانسان ذو امتياز خاص و فعالية خاصة و كم وكيف مخصوصين و لا يمنعه ذلك ان يعمل مع عضو غيره و يعينه على القيام بمهمة البدن اجمع و يستعين به كذلك كل فرد فى الجامعة على انه ذو امتياز خاص و فعالية خاصة يجب ان يكون معيناً للغير و مستعيناً به حتى يحصل من ذلك القيام بمهمة الاجتماع

الواحد : والعامل الذى يقضى على الفقر يتصور فى عدة امور .

- (١) تهيئة المصانع و المعامل التوليدية سواء أكان من طريق الحكومات ام المقتدرين حتى يتهيأ لفاقدى البضاعة مجال العمل باليد او اعمال الصنعة من واجديها و المتخلف عن ذلك مع قدرته عليه يجب ان يعاقب :
- (٢) ايصال الحقوق الشرعية لمستحقيها .

(٣) مواساة المقتدرين للمعوزين اولى الاعذار خارجاً عن ما سلف من الامرين السالفين وبسوى ذلك لا يقضى على الفقراء اصلاً الا من طريق الاعنات و غصب حقوق اهل الحق كما عليه المرام الشيوعى الهدام :

واما اذا تحيز المقتدر بقدرته والثرى بثروته ودعا الخوف مما يراه من سيماء الفقراء المدقعين الى الحرص على ما عنده من ناحية و التكالب على تحصيل المال ولو بالشحن والسرقه من ناحية ثانية فهناك كل الويل والثبور على بنى آدم غنيهم وفقيرهم واجدهم وفاقدهم بل لا ترى الدنيا مع هذه الروح الا كالحلة المنظر عابسة الطلعة قد اخذها البؤس والشقاء من جميع جوانبها كما يرى ذلك فى البلدان الشرقية المنحطة لما انجر جر اثرياًؤها بما لهم حتى عن بطونهم وجزع فقراؤها اكثر من اللازم فلا ترى فيها الاظلمة غامرة وشقاء وبؤساً مخيمين بما يقبض الصدور ويحز بالعاطفة انصافاً كما ترى الافراد مع هذه الحالة متعادين متباغضين الفقير يشن الغنى لتمرده على الانسانية ونبوه عن الخلق الفاضل والغنى يبغض الفقير لانه يراه فى نفسه مزاحماً لترفه وتنعمه وموجباً لانجحاره بثروته وانكماشه بماله :

(العامل الثالث الجهل) الجهل وان كان من الاصول الاولية للبشر الا انه بنفسه كان الداعى الوحيد لانشعاع الافراد فى عصرهم المظلم فان الجاهل بمعنى النظام وبما يرام بالاخلاق الفاضلة والنازلة لا يعود يستوحش من السرقة والتعدى على روح الغير او ناموسه او حقوقه الاخرى ولا من الغدر و الختل او الصلافة والوقاحة ولا من اعمال الزور والقوة فى اى مجال يراه مامتمشين معه و اذا تربعت هذه الروحيات فى بواطن الافراد انمحق الاجتماع وتشتت الافراد وهام كل بنفسه يطلب لها القرار والبقاء :

و كما ان الجهل مدعاة للتشتت من ناحية الاخلاق و برامج النظام مدعاة له ايضاً من ناحية فقد ما يستثمر به العيش فان انتاج الوسائل الحيوية والكمالية مرتين بالعلم طبعاً فاذا عدمت الوسائل المزبورة مشى كل انسان في طلب مظان العيش في طول الارض وعرضها علماً يجد في انتاجات الطبيعة ما يسدّ عوزه و العلم الذي يتفح كسبه فصيلتان درس الاخلاق الفاضلة ونشبع الارواح بها حتى يتيسر النظام الكافل للحياة الانسان وراحته واحترام حقوقه وتعلم ما يوجب الرفاه والكمال في الحياة المادية كالتعرف بالصنائع و المهن القائمة على استخدام الطبيعة و الاستثمار منها وما سوى ذلك من علم يفرض ان لم يضر بجنبه الاخلاق الصحيحة لا يكون تعلمه الا من باب التوسع فحسب :

(العامل الرابع الظلم) الظلم في كل شيء هو الانحراف عن العادة المعتدلة والاخذ بواحد من طرفي الافراط و التفریط فكما ان الارهاق و الاعنات موجبان لاستيحاء الطرف و فراره بنفسه وبماله و بعرضه و تاموسه و بحقه و بما يمت اليه ان استطاع الفرار: كذلك اهمال الوظيفة اللازمة موجب للفرار المزبور عيناً حتى يلوذ صاحب الحق بمن يحميه و يحمى حقه و يقطع يد المعتدين عنه و ليس الظلم الموجب للتفرق و التشتت مقصوراً على القوى المتنفذة و ان كان هؤلاء من أظهر مواقع الانحراف و الانهيار بل ظلم رئيس العشيرة و كبير العائلة يكون على النمط المزبور: بل اعنات الانسان بنفسه او تراخيه في حقها موجبان لانهياره قطعاً :

فهذه العوامل الاربعة معا وهدامة للاجتماعات كلها صغيرها كنفس الانسان ودائرة بيته و كبيرها كقوى المسيطرة صغيرة كانت ام كبيرة و من المستبعد بل المستحيل عادة القضاء عليها تماماً بل المنظور من سوق البحث حذف جملة من زوائد هار كسرشيء من حدتها و شدتها : الفصل الثامن :

ثورة الألاحاد في ربوع الشرق

تمر على ربوع الشرق قرابة اربعة عشر قرناً كان الاسلام وبعبارة أمثل كان الخلق الانساني

خلالها حاكماً عليها بمعنى ان الامم والقوى الحاكمة عليها كانت خاضعة لبرامج الشرائع السماوية و كان الاعتقاد بالله وباحكامه و المعاد عليه والحساب بين يديه ضارباً اطنابه بحالة اعتيادية لا قسر فيها ولا الجاء فكان من جراء ذلك طبعاً أقلية في الفحشاء والفواحش وندرة في التهلك والخلاعة ونزارة في الانحراف العلمي والعملية وكثرة في الاعتزاز بالحيثيات و الثواميس واعتداد بالخلق الفاضل وسيطرة للمبادئ الصحيحة :

لكن العلوم الطبيعية التي من لازمها القهرى تحسين الوضع المعيشى وتكميل أدوات الحياة المادية عادت وبالاعلى الانسان و عاراً على الانسانية وارجافاً بالحياة المادية: وعلى انه لا تماس بواضح الضرورة بين الاستطلاع والاطلاع على مجموعة النظم الحيوية وكوامن الطبيعة و اسرارها وبين الاعتراف بصانع للمكون حتى تلجأ المقاييس العلمية كافة الناس الى الألحاد: بل الملازمات العلمية قاضية بلزوم اشتداد عقيدة التوحيد والاعتراف بالصانع لما يعجده قارئ العلوم الرياضية والطبيعية بخاصة في تحليل الانسان والحيوان والنبات من عظمت مدهشة في مجموعة الاجهزة المتجاوزة عشرات بل مئات الجهازات الجبارة العمل فكيف يستسيغ الاعتراف بان الميكانيكيات على اطلاقها حادثة عن صانعين علماء قدكدوا عقولهم وجدوا في تركيب هذه الادوات لغايات عالية و أهداف راقية : اما هذه المجموعة الكونية التي كل زاوية من زواياها جهاز عظيم فهي كائنة لاعن صانع عالم خبير دقيق ولم يستهدف بها هدف ولا رمى منها الى غاية بل كانت عن جزاف محض وصدفة صرفة : نجد الدنيا يوماً بعد يوم لموقع انتاجات العاوم المزبورة منها تزداد مروفاً عن الدين وقرباً من الألحاد :

دع عنك العقائد واية كانت ولكن هلم الخطب في الارتكاس الاخلاقي و الانهيار الحيوى فانك ترى اعظم الرجال شحاذاً واكبرهم دجالاً واعرفهم محتالاً واثقفهم مدلساً متلوناً لا تلوى على احد ركوناً اليه الاغشك ولا تعطى الثقة من نفسك لاي انسان الاضرك ولا تأتمن اى شخص الا خانك: ناموسك الذى دأبت عليه طوال السنين اذا به من طريق المدرسة او السينما او الملهى ليس لك من ناحية و يعود عاراً وسبباً عليك من ناحية ثانية : ومالك الذى حدثت عليه بالكد والتعب اذا بدى ينتهب من بين يديك بحجة التعاون

العمومي وليته يصل الى هذا الهدف بل ينصب في المصارف بنفع آحاد الافراد نتيجة :
عجباً يقيم العاقل و يقعده عند ما يتسائل مع نفسه ويقول ان كان هذا الانشعاع
العمومي ناتجاً في كل صقع عن فرد فيها فذلك غير معقول اذا كان الباكون غير راضين به
و ان كان ناتجاً عن كثرات مهمة استطاعت بحول القوى المدمرة ان تسيطر على الناس
راضين كانوا ام غاضبين فهو وان كان له وجه الا ان عقلاء هاته الجوامع و محنكى هذه
الكثرات المترامية كيف سكتوا على مفض أقرى انهم رضوا بهذا التفكك و التفسخ
فذلك بعيد جداً بعد من تركز عقولهم فيهم وتأثيرها عليهم ام انهم استسلموا الى ما لا بد من
الاستسلام له فذلك لعمر الحق اقل لعواطفهم من الموت المريح .

ليتنى ادري و هيات بما هو المقصود من الثقافة الزمنية وعلام تدور رحى
معارف اليوم وما يستهدفه البروفسور والدكتور في بحوثهم و محاضراتهم أترى الجميع
يقودون هذه الحركة المتفسخة من طريق هذه الثقافات . لا يعقل . فان التهلكة والخلاعة
والانحراف الاخلاقي لا يحتاج الى علم و معلم بل باستطاعة كل انسان ذلك من نفسه لتركزه
في السفلة والطرقية فضلا عن المحصلين و المثقفين : ام تراهم مسوقين اليها بسائق الوقت
مع نبوهم عنها روحاً . فذلك كسابقه . فان الآلام الروحية لا يطاق القرار عليها فكيف
مع ما يزعمون لانفسهم من قوة في الحس و لطف في الدرك وتأثر في العواطف اصاخوا لذلك :
بم نعتذر اليوم في مقابل مفاخرة اسلافنا مس وان يكن في البين مخطأ فمن هو ذلك
المخطأ رجل أمس ام رجل اليوم وليت ان الدين انقضى نعبه في عصر الذرة سدت الاخلاق
الفاضلة و المبادئ الصحيحة مكانه الذي كان يشغله فنقول ونحن في عيشة رغيدة و اوضاع
معتدلة و احوال مستقيمة يكفيننا ما نحن فيه اما الدين فله رب يحميه و لسنا مكلفين في
تركيزه باكثر من التبليغ فاذا لم ينجح فما حيلتنا : اما حيث أخرجتنا الحياة فقطعنا اللبالي
مسيبين مضطهدين لا عيش و لا قرار فما نقول ان كان الدين له رب يحميه فمن الذي يحمينا
نحن و اذا اعوز الحامي لنا فهل نتقاعس حتى عن حماية انفسنا :

ألا يتدبرون القول ام على القلوب افعالها ان انساناً واحداً وجد ضميراً و عقلاً
و تصميماً و أعوز حتى من الدرهم الواحد و الانصار القلائل و المحيط المثقف استطاع

بصدوده لمناصرة الحقيقة أن يؤسس عقيدة معززة ويغرسها في قلوب الملايين ولم يتوسل
لكل ذلك بسوى الوسائل الظاهرية الصرفة للانسان العرا الصارم ذلك الانسان هو محمد بن
عبدالله نبي الدعوة الاسلامية التي فازت على نوع العقائد الدارخة وهيمنت على الوافر من
بقاع المعمور يومذاك واوجدت دولا جبارة في العلوم و الافكار والحريات :

وتلاه انسان مفامر في سبيل الحقيقة تخرج عليه فبرهن بعمله المتواصل ومثاليته
العرا الكفاة بنى آدم على ان الانسان يستطيع بثقافته وحرية ومغامرته ان يبني للانسانية
معالم تبقى شاخصة ما بقى الدهر: ذلك على بن ابي طالب موضوع حديث المتحدثين ومحور
كتابة الكاتبين :

وعززهما ثالث فأبدى امام الانهيار الخلقى والميوعة في الحياة والانحراف عن
العقيدة الصادقة بطولة وشهامة ذلك بهما عروش الباطل حتى انهار على سفوحه ذلك
هو ابو الاحرار الحسين بن علي : اذن : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله : الفصل التاسع :

رجال الحقيقة

كـل احد من الناس - الامن شذ - يهوى أن ينوش عظمة يجل و يبجل
من طريقها غايته ان طرق التفكير في الوصول الى الهدف المزبور تختلف كمية وكيفية
لاختلاف طرز الفكر في ذلك كاختلاف معدات اصل الفكرة وللجميع قواعد ثابتة تنبعث
عنها هذه الاهداف .

(١) التربية ووجهتها في الحياة فان من يتربى في محيط تغلب عليه اللوصية
لا يكون همه اذا كان نشيطاً الا في اتقان درس التلصص على اهله نقلا و تجربة حتى
يجيء بنفسه بعد بضع سنوات قائد حملة وزعيم لصوص طائراً ذكره معروفاً أمره مهاباً
وقعه مخوفاً شره : وهكذا من يعيش في بيئة ظاهرتها الاولى الغناء والرقص او
الرياضة والمصارعة او النطق و الكتابة او العلم و الفضيلة او التهجذ والعبادة الى غير
ذلك : ونوع مشاهير الدنيا في كل فضيلة ورذيلة وعلم وعمل وفن وصنعة انما كسبوا

شهرتهم من التدرج بأنفسهم على الظاهرة السائدة في محيطهم الذي منه نهضوا وعليه درجوا والبيئة التي فيها عاشوا :

(٢) النشاط وحس التطلع الى نابه الامور فان من ينخزل بنفسه ويأوى بها الى الجمود والانزواء ويكتفى من وجوده بصرف تأمين حياته ولو من طريق افاضات الطبيعة الصرفة يستحيل عليه ان ينبه حتى في عين اللصيق به محشراً ومعشراً .

(٣) الجرأة والشجاعة فان الجبان الذي يأخذ الوسواس من اقل واهمة تعرض لنفسه لا يكون شيئاً في الدنيا بالمرّة :

(٤) تصرف الفكر فان الجامد في تفكيره البعيد عن التجول في عقلياته لا يكون الا كالحجارة حيث لا تتغير الا بتصاريف الطبيعة فقط :

هذه الاصول الاولى شرط اساسي في كل من يروم اسماً و عنواناً ومعروفة بلا تفاوت في كم ذلك وكيفه نعم مجازي التفكير تختلف في عنوان هذا الهدف اختلافاً واسعاً جداً كالاختلاف الواسع بين زعيم اللصوص وعظيم المثاليين ومنه ما هو مضر بالحياة الفردية والاجتماعية ضرراً أوسع انهار الحياة وتمزق اشلاء الانسانية كالفكرة التي تطفو على فسدة العالم ومخربي الدنيا ووحوش بني آدم نظير الحجاج و چنگيز ونظائرهما الذين لعنهم جميع اهل الارض وعمارة السموات : وما هو نافع في الحياة نفعاً اقله تأمين الرفاه وسيادة الامن وهدوء الوضع و تمشي الانسانية المطلقة في كل مجال كالفكرة التي تسود على الانبياء والمثاليين العظام :

وهناك امر يجب التنبيه عليه وهو ان الانسان اذا كان مبعوثاً عن هدف مادي ولو كان هدفه شريفاً كان طالب عظمة وراصد سمعة ومستهدف عنوان من اول تحركه لهذا المقصد : وان كان مدعواً من طريق وجدان مدفوعاً بدافع ايمانه استحال عليه ان يكون هدفه من سيره تحصيل العظمة وغرضه من حركته تأمين جاه و عنوان نعم تكون هاته العظمت من اللوازم القهرية الترتب على شخصه :

فاذا تمهدت هذه المقدمة فلنعاين اي الفكر المطرقة لوصول العظمة اخرى بالاتخاذ وأدلى بتوجيه الحواس اليها : وقل فكر في الدنيا لأهل له ولو كان من السقوط والوهن

يمكن الا ان البحث في هذه الدائرة الوسيعة ليس من شغلنا فالأحرى بالبحث هو التعرض لفكر معدودة لها دخل في تنمية الحياة وخدمة الانسان :

(١) فكرة التطرق الى نيل الحكم وتحصيل النبوغ والرفعة من هذا الطريق وهذا الفكر انما يحسن اذا كان داعيه حب العنوان من طريق الخدمة النوعية بان يقف امام المفسد والخلاعات ويطلق السبيل للمنافع والخيرات :

(٢) فكرة التوصل بالصنائع والحرف الى ان يكون الانسان مصوراً بارعاً ونقاشاً ماهراً وبنجاراً دقيقاً وبناعاً ضليعاً وعلى مثل ذلك وهي فكرة جيدة لان الجامعة تستثمر منها رفع مستوى الحياة المادية :

(٣) فكرة استخدام المال والذهنيات للحصول على ثروة واسعة تتوزع في مشاريع اقتصادية متوسعة وهي فكرة ممدوحة اذا لم تكن مشوبة باحتكار وخيانة وذلك لرفعها من مستوى الحياة وتأمينها المعاش كثيرين من الناس وقيامها بمتطلبات وفيرة للبشر

(٤) فكرة استخدام الطبيعة بالعلم لتوسعة العلم واستثمار المواهب الكامنة فيها لخدمة الحياة وهي فكرة ارقى من تلك الفكر لقيامها بحفظ البنية الطبيعية على اطلاقها في المجتمع البشري :

(٥) فكرة استخدام العقل والضمير والوجدان لرياضة الارواح وتهذيب النفوس ورفع مستوى العواطف وتعديل الاخلاق وتقويم المعنويات الكافلة بسعادة الجميع سعادة مطلقة وهذه الفكرة قاعدة الحياة الثابتة والمعيشة الصحيحة والبحث عنها احرى بالتعرض من كل بحث يفرض : ذلك لان الانسان الصحيح لا يضمن وجوده ولا يريح روحه ولا يهدأ بضميره وبعبارة اخصر لا يحدد موقفه من الحياة بحيث يكون راضياً عن وضعه الا السير تحت راية العدل المطلق بحيث يستوفي جميع ماله من حق ولا يزا حمه على حقوقه اعظم انسان وروح العدالة لا توجد الا في جوانب المثاليين فقط ولا منفذ لها في السلطان بما هو حاكم مقتدر ولا في الاثرياء بما هم متمكنون ولا في المكتشفين بما هم علماء طبيعيون ولا في اهل الصنائع والحرف بما هم كذلك لكن المثالي بما هو مثالي محطة ذلك وعنه تنشأ العدالة وبه يتقوم ملاك الحياة :

المثالي يدفع بالانسان الى الانسانية ويحثه ذوماً على الفضيلة ويبعده ابدأ عن
المادة السوداء التي هي مشار كل سوء وكل ما تحدثت عنه الدنيا ورأته ابناً وها من هرج
وارتباك وارقاع دماغ وتمزيق نوااميس واعراض واقلاق نفوس فهو بأسره من نتائج اصواق الانسان
بالمادة وبعده عن الفضيلة :

ومن هذا السريستكشف معنى عظمة الانبياء والعلماء العاملين و تسربها الى
ارواح الناس لشعورهم ان هذا الفريق هو الضامن للسعادة و الطارد للظلم على ان هؤلاء
لا يملكون لتثبيت عظمتهم في القلوب والابصار مالا يرضخونه اوسلطة يعملونها حتى
يهابوا من طريق ذلك :

و من هنا ترى في كل زمان و مكان و على جميع الحالات نبوغ اللاهوتين
ضارباً عظمتهم على فلك الافلاك فلا ترى انساناً بفطرته لا يعظم موسى وعيسى ومحمداً
وعلياً و اشباههم نعم انما تحول الطائفتين بين بعض الناس وبين بعض هؤلاء الاعاظم
وليس الباعث لعظمة هؤلاء العظام في قلوب الناس انهم يدعون الى الاعتقاد بما وراء
الطبيعة و ان هناك جنة و ناراً بل ما هو اهم في نفوس النوع و هو تلبسهم بالفضيلة عملاً
ودعوتهم لها علماً :

فليس بدشاً ان يعيش النافذ بقهر قوته مبعوضاً في قلوب رعاياه و ان يحيى المتمول
المحتكر ممقوناً لبنى آدم : كما ليس بدعاً ان تشاد الذكريات الجميلة والحفلات الرائعة
على اثر تولد او وفاة كل واحد من هؤلاء الاعاظم :

لكن اما كانت صلة الاراذل وما اكثرهم في طول الكرة الارضية وعرضها بالاشور
اكثر كان بعدهم عن المعنويات ازيد ولاصرارهم في تركيز انفسهم و فرضها على الحياة
لم نر لسيرة المثاليين في اطباقنا تطبيقاً و يرى من يهتم بالفضيلة من الناس نفسه مجهداً
في هذا الطريق اذا حاول سلوكه بصدق و امانة وليست الحياة بهينة على نوع الافراد
ولا التضحية بالراحة زهيدة عليهم لذلك نجد دائماً رواد الشرا أكثر من رواد الخير و
طلاب مدرسة الرذائل او فرعدداً من تلاميذ جامعة الفضائل : الفصل العاشر :

التقدمية والرجعية

التقدمية اصطلاح اتسم به القرن العشرون في مقابل ما تقدم عليه من القرون ذلك حيث خطت فيه التزويقات الظاهرية خطاها الواسعة فكانت فيه الطرق المعبدة والجسور الجميلة والسدود الضخمة و طارت فيه الطائرة ومخترت الباخرة و انسابت السيارة وصدح الراديو وتجاوب المكرفون وتموجت شاشة التلفزيون وقامت بعملها المكيفة والمروحة والمدفئة وشع الكهرباء واستنبت من تخوف الارض الماء وأبدع مشراط المشرح بعملياته وفاض الطب بتشخيصاته ومعالجاته وأشيعت العلوم بحثاً وتدقيقاً والطبيعة كشفاً و تحقيقاً الى ما سوى ذلك وهو كثير:

والرجعية شتمة يطلقها المتجدد على كل من يعترف للقديم بخلق اوعادة فالذى يلتزم بالحياء والوفاء والصدق والرفق والورع والاحتياط والعفة والنزاهة عنده كمن يلتزم بركوب الحيوان مع وجود الطائرة والقطار والسيارة بلا تفاوت :

وعلى هذا فليست بديهة ما عليه دنيا اليوم من تقدمية ترفع مستوى الحياة في الانسان وما هو منطلق من يقال لهم رجعيون في قبال ذلك وما هو المنظور بحياة الانسان قبل كل شيء :

الانسان موجود حي ويمتاز عن سائر الاحياء من نبات و حيوان بانه ذو غرائز خاصة تلجأ بالفطرة الى ان يتطلب لنفسه الا استقلال التام عن الوقوع تحت حاكمية غيره حاكمية تعبت بوجوده و باختصاصاته اللازمة له فهو بفطرته لا يخضع للمعبودية ولا لأن يستغل جهوده و اتعابه غيره من دون رضاه ولا ان يزاحمه على ناموسه وممكنه وما في عشه من افراخ و عيال ومنتسبين و حطام كما لا يرضى أن يستخف به في معبر او مجلس اوفى حق من حقوقه هذا ادنى ما يتطلبه الانسان وراء تأمين ضرورات حياته بما هو موجود حي يحاول استمرار البقاء :

وهذا هو الذي أهاب بالدول من قديم وحديث ان تسمى له و تخصص لكل جانب

من جوانبه هيئة خاصة للنظر في شؤنه فوزارة للفلاحة والرى واخرى للاقتصاد وللماء والكهرباء وال عمران وللمعارف والشؤون العامة والاشغال وللداخلية والخارجية وللعدل وما يتبعه من شرطة وسجون وما الى ذلك مما هو مرسوم كان فى القديم طرف منه وأضيف اليه فى الجديد أطراف وتشكيلات :

كما انه هو الذى أهاب بالمفكرين ان يضعوا له جامعة العلل ومنشور حقوق البشر ويخترعوا له وسائل الراحة فى شتى جنبات حياته فطائرة وباخرة وسيارة وقطار وهاتف ومذياع ومكيفة ومدفئة و مدرسة وجامعة ومستشفى وما سوى ذلك من متطلبات الحياة الكمالية وهو كثير وكثير :

لكن هذه الحواشى والفروع لاتقع من حياته الأعلى الهامش: و العمود الفقرى لها هو تأمين الاصل والاساس من حفظ استقلاله الداخلى وشؤنه الخاصة واحترام جهوده واتعابه و نياله للعدالة التامة فى اختصاصاته اللازمة له فاذا تم له هذا الاصل وثبت لحياته هذا الاساس توجهت نفسه بعد ذلك الى طلب المكيفة والمدفئة والنزهة فى الحدائق والشوارع المعبدة وما هو شبيه ذلك من كمال وزينة واما اذا لم يتم له هذا الاصل الاصيل فهو بطبيعة ارتبائه فى المواد الحيوية الاولى لا يروح يسأل عن المكيفة ولا المدفئة ولا اية زينة وكمال :-

فهل رأيت عينك او حدثت ان مريضاً تتناوبه الالوجاع وتمض به الآلام ويقلقه عدم الراحة ايّما اقلق يتطلب وسائل اللهو والزينة هذا ما لا يكون قطعاً بل كل رغبته النابعة من صميم فؤاده طبيب حاذق يقف على منبع آلامه ووجاعه ودواء ناجع يستأصل جذور مرضه ويؤمن له راحته واستقراره وهكذا اصول الحياة الاولى تتطلب الاستقلال والعدل وتأمين موادها الضرورية ولاتلتفت قبل تحقق هذا المطلوب الى موجبات الزينة والشهوة والفرح:

والجامعة التى تفقد الحياء والوفاء والصدق والرفق والعفة والاباء والصراحة والصفاء والورع والاحتياط والانصاف والاحسان والتحمل والتكرم وما الى ذلك تفقد المواد الاولى الضرورية لحياة اى انسان يفرض ولا يعود ينفع وجود الطائرة مع الضلافة ولا البخارة

مع الغدر ولا السيارة مع الكذب ولا المكيفة والمدفئة مع العهر والزنا ولا الهاتف والمذياع مع الدجل وخبث الضمير ولا الشوارع المعبدة والقصور المشيدة مع التسرع وقلة الاحتياط وعدم الايمان ولا السينما والتأثر مع الظلم والاجحاف والحقد والحسد والشر والشهوة والغش والتدليس وما الى ذلك مما هو شعار الانسان الطبيعي الذي يعتبر الحياة مجال مغالبة وقهر قوى اضعيف وهيمنة مشعون على بسيط و تحكم متلون منافق دجال في تزيه صريح حر طاهر:

فالتقدمية المجسمة في عالم اليوم هي:

(١) ابتذال النواميس في الرجال والنساء بصورة لامسافة وراثتها .

(٢) الغش والتدليس والدجل والشيطنة في كافة الاعمال والمعاملات وكل ما

حاول انسان اليوم بلباقة و استحضاره لشعوره ان يصون نفسه في هذه المجالات فشل و خذل :

(٣) الهيمنة الرامية الى الاستلاب والانتهاك لكل مادي ومعنوي في الضعفاء:

(٤) الجهل بسمة المعرفة والتهتك بعنوان الثقافة والوحشية باسم التمدن والظلم

الفاحش من طريق العدل :

(٥) نسيان القيم والمعنويات والركض وراء النزوات والشهوات :

وبالنتيجة لا ترى في دنيا تقدم اليوم الاهياجاً وازعاجاً وتموجاً للشرورو والاشرار

ومغالبة من الاقوياء للضعفاء بصورة توجب البهت والحيرة ومطاردة الحاكمين للمحكومين

بلون سمج ومناضلة جافة شديدة في كل شؤون الحياة من عموم الاحياء : و لا ترى

الانسان الوديع المؤمن التزيه الحي الوفي العفيف الابي الصريح الصفي الامضام

مظلوماً منهوكاً مغبوناً ينظر الى حياته نظراً ملؤم مظلومية ومحكومة واجهاد لشيء سوى

انه انسان طيب و مخلوق هادء يحب الخير ويمقت الشر وبهوى السلم والسلامة لنفسه

ولغيره فلم يستحصل من روحياته هذه الا الآلام المزعجة والواجاع المقلقة وبعبارة أخصر

ان دنيا امثال هذا الانسان في هذا العصر التقدمي دنيا يمتاز عليها القبر بكثير في وداعته

وراحته وقراره وطمأنينته و تربو عليها دنيا الوحوش بمحدودية شرورها و تعدياتها

فدنياء دنيا لاحاكم فيها ولا حكيم قد ضربها الاهمال والتسيب من كافة جوانبها ولا نجاة منها الا بالفناء الماحق :

واما الرجعية وهي هذه الشئمة التي تطلق على عقلاء المعتدلين الذين لا يعتبرون قديماً ولا جديداً وانما يهتمهم تطبيق سير المجتمع على الموازين الصحيحة والمقاييس الصائبة فليس المنظور بها ان يترك الانسان استخدام الطائرة او الباخرة مثلا ويركن الى ركوب الحيوان مع تهيوهماله او انه يفضل سكنى الكوخ على القصر المشيد وما الى ذلك : فان هذا المعنى لا يتطرق الى خيال المجانين من بني آدم فضلا عن عقلائهم : بل المنظور به انه يخالف مزاوله اللهو وتبرج النساء وخفتن وممارسة المغر من افلام السينما و سهرات التآترات ومرادفة المواخير والحانات ولا يرى للمرأة والرجل حقاً اكثر من حقهما المشروع و يبارز الخلاعات والترسلات المائعة ويعتبر الملكية الفردية من طريقها الصحيح حقاً لا بد منه ويصر على ايقاع كل شيء في موقعه الصحيح :

واننا نرى اليوم كل امر بالمعروف وناه عن المنكر ينهب بالرجعية : وكل مفند لمزاوله مجالس الطرب والاستهتار يشتم بها كذلك : وكل متبرم من تبرج النساء وتبذلها يوصم بها ايضاً : وعلى هذا المنوال كل من ينعى على سخف السينما و السهرات المائعة والترسلات المقيتة ويلعن الفاحشة وماخورها والحياة ومشروبها و الشيوعية و ماتفرع عنها نراه ينزوي ويوصم بالرجعية ولولا هذا وذاك لمارأيت مفهوم التقدمية و الرجعية بالمرّة فان الموازين العقلية الصحيحة والمقاييس العلمية الموقرة لا تحتمل معنى للتقدمية و الرجعية اصلاً اذا الحقيقة لا قديم فيها ولا جديد والحق كما هو دائماً حق :

لكن الجدد تحصنوا بهذا النبز الجاف ليبرروا مواقع جهالاتهم وضلالاتهم بتهمييجهم المتخدرات عن اكنانها حتى يعبثوا بشرفها وقد فعلوا ذلك وتجاوزوا حدود الاسراف ايضاً و باشاعتهم الكل فحشاء من طريق الافلام السينمائية و شاشات التلفزيون و السهرات التآتيرية وماخورا المومسة و حانة الخمار و ابتزاز اتعاب الناس اصبح انسان اليوم لا يعرف مفهوماً للحق و للفضيلة حتى يعمل بهما او يوصى غيره بحقهما والعجب ان القوم مع هذه المخازي يدعون التحرر و مناصرة الحرية والاحرار : الا لعن الله التقدمية و اهلها اذا كانت

بالوصف المار واهلها باللون الذي شخصناهم به : الفصل الحادى عشر :

اسرار نهضة سيد الشهداء وآثار شهادته

ودواعى صلح الامام الحسن وسكوت الباقيين من الائمة ضد الجور والانحراف

وقبل كل شىء يجب أن يعلم ان كل عظيم تحاك حول مشروعه و موضوعه أساطير و خرافات و اوهام وان كل خامل اذا قيل فى حقه شىء فهو دون ما هو عليه فى حال ان الحق لا هذا ولا ذاك ، اما الدفاع عن الخامل فهو مما لا يثير غيرة لانه ضعيف الهوية عند الناس يجهلونه ولا يهتمون له لكن الكلام فى نقاش ما يدور حول العظيم وعلى الاخص اذا كان من اعمدة الدين واساطين المبدأ فهناك تقوم كل قيامة و يشرك كل هاء و تكثر الغوغاء بصورة مذهلة والسرف فى ذلك يعود لنا حيتين :

(الناحية الاولى) ان الذهن اذا انس بشىء وعده من المسلمات المتأصلة وفوجىء بان ذلك لأصل له استكبر استكباراً شديداً و استنكر استنكاراً عظيماً لان تصديقه بما يقا به معناه تخطئة نفسه طول حياته التى قضاها و اذا كان ما يعتقد و اصلا اليه بالوراثة فأضافة على ذلك يلزمه تخطئة آبائه واجداده والاجيال التى عاشوا فيها وخضوع النفس لذلك يكاد يعد من المستحيلات وانما طالت مبارزة الانبياء للعوام من هذا الطريق لاكثر والا فهؤلاء الروحانيون لم يحاولوا من هؤلاء الطغام الاتقيفهم و تهذيبهم و سعادتهم فى الدارين (الناحية الثانية) و هى مما تختص بالاوهام التى تحاك حول الدين وذلك ان الانتساب للدين يكتر بصورة قوية فى اشباه العوام لتأمين الحياة والبقاء من هذا الطريق وهؤلاء فضلا عن كونهم يساندون الخرافات تراهم يخلقونها من انفسهم ليعيشوا عليها لان تحصيل الحق بالبرهان مما يصعب عليهم اولا ويعسر تفهيمه للعوام ثانياً ولا يعيش معه ثالثاً لان المتورين لا يعطون الدرهم الا بعد طول نقاش ولو كثرت الدراهم عندهم اما العوام البسطاء فانهم يعطون دراهمهم لكل وهم يساق اليهم فالمحافظة على عامية العامى من اهداف من يريد أن يعيش على ما يخرج من ايديهم : لهذه الدواعى ترى هؤلاء اذا المسوا من أحد اقل انتقاد لما عليه العوام من سنن وعادات أقاموا القيامة على هذا المنتقد بحجة انه ضال

في نفسه ويريد اضلال الناس وتخريب عقائدهم ومن هنا سلّمت الخرافات من أن تمس بقايل او كثير الا ان يضحى الانسان بنفسه ويطوّح بها وهذا من الندرة بمكان :

الجيل المسلم انما كان يعرف نفسه مسلماً بالترديد حينما كان نبي الاسلام بين ظهراني أهله لان الهواجس النفسية ان تداولته فعنده مرجع لا يشك فيه ولم يكن هنالك معه رأى لذى رأى او تفسير لمفسر لان هؤلاء لا وزن لهم مع وجود النبي نعم كل الهناث جاءت بعد وفاته عليه السلام اذ - كما يقول ابناء السنن - جاء كل من يدعى الصحبة مجتهداً عادلاً فترى هذا يخطأ ذاك باعتبار ان كلا منهما شهد رسول الله وصحبه ولو آتت قصيرة وذاك يمارض هذا للملاك نفسه : هذا من الوجهة الذوقية البعيدة عن الرمز في تفسير وتحليل الامور الدينية واما في الانحيات السياسية فقل ما شئت ولا حرج حيث جاء من يحاول التقدم سياسياً يقول ما يشتهي ويفرض شهوته على الناس فرضاً و يركز ارادته قهراً ويتحيز لبعض وينشمر عن بعض آخر ويقرر بدعة ويحدث تشريعاً من جديد للمعاطفة تارة و للسياسة اخرى وان كانت القضايا الظاهرية تغلب عليها المسحة الدينية اعدة عوامل اهمها قرب الفاصلة بين حياة النبي و زمان الشيخين فليس بالمقدور قلب الامة رأساً على عقب بالمفاجئة حتى لو اشتهى ولاية الامور ذلك نعم لما وصلت القضايا الى دور بنى امية من طريق اول خليفة لهم عثمان بن عفان فوجئت الامة بقضايا جمّة لم تكن تألفها بالمرّة من تولية الفساق والتصرف ببيوت الاموال وايقاع المكروه بالافاضل من الصحابة ولذلك تحركت عواطف كثيرين ادى بهم استنكارهم للمنكر الى تحطيم عرش ابن عفان لكن المنكرات المذكورة و ان استنكرت من قبل الصالحين لكنها أصّلت نفسها في الوجود بمعنى انها لو تكررت لم يكن لمكررها اثر عميق لشبه العادة التي جرت بين الناس وأصاب الخلافة الاسلامية من ذلك هو ان ما حتى امكن ان يدعيها معاوية بن ابي سفيان ويورثها من بعده ليزيد واذا وصلت الى يزيد هان الخطب في التحدث عن يزيد بن عبد الملك والوليد وكل من كان على هذا الطراز كما ان ولاية المسلمين على عهد عثمان لما وصلت الى الوليد بن عقبة هان عليهم ان يروا عبيد الله بن زياد والياً عليهم وهكذا كل من كان على غراره :

هذه مقدمة : ومقدمة ثانية في موازين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : فنقول لاشك أن كل ما أمر به الشرع فهو حسن وان كل ما نهى عنه فهو قبيح والحسن هو المعروف والقبيح هو المنكر ووظيفة على كل ذي مبدأ جهد المقدور الامر بالاول والنهي عن الثاني ومقدور كل مكلف تابع لمقدار تأصله وتشخصه فتكليف الطبقة الضعيفة يدور حوالى محورها أمراً ومأموراً وناهماً ومنهياً وهكذا الطبقة المتوسطة والطبقة العليا كل في حدود محيطه ومستوى مقامه ومع أمن الاضرار المعتد بها يجب تداول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى مع عدم التأثير اشاعة للمعروف و تخفيفاً من مقام المنكر ومع الطغيان العام وانهيار المبادئ الفاضلة يتورم التكليف حتى يصعد الى افق عال وتنجر القضايا الى مرحلة دفاعية عن الحيشيات والنواميس والحريات : فان المنكر ليس كله شراً للخمر من غير عبدة ولا مزاحمة ولا ملبسة للفواحش فى اطارها واخيرها بما لا يتعدى ضرره الى الاعفاء ولا غيبة للناس من غير اثاره فتنه على ان ذلك فرض مجرد الآفى اقل مصاديقه فتسعون بالمائة ممن الفوا الفواحش يضايقون نواميس الناس وتبدر منهم حركات جافة ومزاحمات مرّة خصوصاً بالنسبة الى من يستضعفون من النساء والعلماء وقد تحقق ما اعربنا عنه بصورة قنطرة فى جملة من الازمان بل من المنكر الاعنات بالناس والضغط عليهم وسلب اموالهم وتسخيرهم مجاناً فى مصالح المقتدرين والعبث بكافة حيشياتهم كما هو الشأن فى كل حكومة يتزعم حركتها وادارتها الاجلاف والتمسفلون فى الروحيات والمصابون بالعاهات الخلقية ومع فرض هذه السيطرة الجافة الجافية لا تبقى حياة للناس كما لم تبقى للناس حياة مع كافة المتهجمين فى جميع ادوار التاريخ ودفاع الانسان فرداً وجملة عن حيشياته الموماً الى طرف منها جائز بل لازم وواجب كوجوب الهجرة عليه من بلاد الكفر الى بلاد الايمان وكوجوب الجهاد عليه مع احتمال النجاح عقلا من موقفه الذى يقف فيه وليست التقية التى تؤدى الى اذابة الوجود بجائزة قطعاً :

وهناك مقدمة ثالثة وهى انه ما هو موقف المشرعين السماويين من الواقع الراهن وما هى وظيفة الاجتماع فى مقابلهم : المشرع وان كان معناه جاعل الشريعة و منظم القوانين الاجتماعية لسعادة المجتمع ولصالحهم الواقعى الذى ربما جهلوا اكثره : كما

ان التكليف من الشريعة وان كان في إطار اختيار المكلف لالجاهء الى امتثاله الا ان المكلف فضلا عما توعدده الخالق المشرع به من المؤاخذه على الانحراف وعصيان الوظيفة يوم الحشر والحساب موظف بالوظائف الالجابية فيما به الامن والاستقرار وثبات الحريات وتأمين حقوق الاغيار ولذلك قرر في هذه الدنيا وظائف الحدود و التعزيرات والقصاص والديات لان في صرف الايكال الى عالم الآخرة تشويشا للنظام فان الجاهل لا يعير الوعيد التفاتا اذا كان بعيداً عنه على فرض اعتقاده بأصله: وها نحن نرى الجاهل مع محدوديتهم بالدين من ناحية و بالحكومات من ناحية ثانية اذا وجدوا مهرباً للتجاوز و التعدي تجاوزوا و تعدوا فكيف تراهم حيث تضعف عقائدهم الدينية و يأمنون من مؤاخذه القوى الحكومية :

اذن وان كانت وظيفة المشرعين ما اسلفنا الا ان نفس تسيير القانون بين الافراد ولو عقيدة يحتاج الى كدح وبذل متاعب وركوب احوال وصعوبات كما تحمل ذلك كله انبياء الله و الدعاة اليه فضلا عن تطبيق القوانين على سيرة الافراد والتزعم على الهيئات المطبقة لذلك فالنبي والامام ليسا كقاصين يقومان بسرد القصص على المجامع فمن أحب قصصهم استمع لها و من أبها كان موسعا له يفعل ما يشاء و يقول ما يريد : هذا موقف المشرع من المجتمع و اما وظيفة المجتمع فهي تأييد الدعاة الى الحق لصالح انفسهم في ضمن المجتمع العام الذي يسلكهم في نظامه و يحيل من عديدهم واحداً بالهيئة الجماعية :

ومقدمة رابعة : وهي انه ما ذا فعل نبي الاسلام حين خوطب بالنبوة وهل تكليف الامام كتكليف النبي لانه خليفته الخاص باعتراف الامامية : ونحن مشياً مع الظواهر التي لمسها الوجود المحسوس من سيرة نبي الاسلام نتكلم على هذا الموضوع لاننا لا ندرى بما جرى او يجرى و راء غيب الشهود فنقول ظهر الوجود بمحمد بن عبدالله عليه السلام داعياً الى توحيد المبدأ ونبذ الاصنام ولزوم الاعتراف بالنشأة الاخرى وما يجرى فيها للمحسن والمسيء بلا ان تكون معه قوة داعمة او مؤيد يصل صوته بصوته ومشي وحيداً في هذا الميدان و لقي على ما هو مخفور به من ناحية عمه ابي طالب من التنديد و

الاستهزاء و المقاطعة مالا يصيح له انسان عادى واشتد عليه البلاء بعد عمه ابى طالب حتى ضاقت عليه الارض بما رحبت و استمر على هذه الحالة قرابة ثلاث عشرة سنة و بعد الهجرة الى المدينة و ان استطاع ان يشهر سيفه بافراد محدودين الا ان الغلبة لم تكن له فى عامة مجالاته بل انكسرى كثير من المواطنين و انتصر فى مثلها فلم يشهده العيان متكثرا الا على احتمال التقدم قبل الهجرة و بعدها و على هذا المنوال المشفوع بالتصميمات العالية والعزائم الثابتة بدأ حياته التشريعية وختمها و يجب ان يكون الامام مثله و على مجراه لانه خليفته و القائم مقامه فى حفظ دعوته و بسطها و تعزيزها و اجرائها مادام احتمال الانتصار متهيئا له سواء فى مرحلة القول بقوله كما كان النبي ^{صلى الله عليه وآله} قبل الهجرة او العمل يقوم به كفعل النبي بعدها :

والائمة كل فى دوره قام بوظيفته فسكت على " بعد انعقاد بيعة السقيفة لانه رأى ان مناهضته للشيخين موجبة لانتهيار الاسلام قطعا لشيوع الارتداد فى الاعراب و كثرة ضعفاء الدين فى افراد المسلمين و ابدى كل صرامته عند ما يبيع بالخلافة لانه وجد مجالا يتراوح على جنباته لنصرة الحق ودك الباطل وان كثرت فى وجهه المشكلات وتكالبت عليه الحوادث وقام الحسن بادئا اثر وفاة ابيه وخضع للصالح حين وجد نفسه شبه اسير متى دفع به مشدود الكتفين الى معاوية أطاح بكل شىء منه ومن اصحابه وان لم يثمر الصالح مما وقع عليه الا فى قليل : ولم يستطع الحسين ان يحرك اقل ساكن بعد الحسن فى زمن معاوية لا احتراماً للصالح لان معاوية لم يحترمه وداسه تحت رجله ولكنه لم يجد اى مساع للنهوض عليه لاستحكامه فى وضعه وثبات قدرته فى محيطه واجتماع الامور له وصفاء الجو له من عامة نواحيه :

لكنه اما هلك فقد جاء دور جديد وهو دور يزيد الذى ابى البيعة عليه كثيرون و اظهر المتدينون ما فى اعماق قلوبهم من الضجر وليس الحسين باقول من عبدالله بن الزبير شهامة فى امتناعه على يزيد مع العلم بان عبدالله لا دين له و الحسين نودين قويم ومع العلم ايضا بان ابن الزبير لا موقع له فى النفوس والحسين له كل الوقع ومع العلم ايضا بان الناس فعلا فى تحول جديد و ان جهلت ماهيته فهذا هو سبب امتناع الحسين عن

البيعة و هو اول قدم رفعها فى هذا المجال و اما سبب مسيره الى العراق فاقبال الناس عليه وعلمه جزماً ان الناس اذا حصلت لهم اقل فرجة رفضوا آل ابي سفيان بالمره و توجهوا اليه من دون مؤنة يتكلف لها ومع كل احتمالات الفشل فاحتمال النصر موجود: واما الحديث عن بقية الائمة فواضح جداً لان الاوضاع السائدة كانت محتكرة لهم ومع خضوعهم لسياسة الوقت فقد كان الرصد عليهم آخذاً منهم بكل مخنق وقد عاش اكثرهم مكبوتاً حتى لا يستطيع ان يجتمع باثنين ويفيض عليهم ما شيئاً من معلوماته والفرجة التى حصلت بين دولة الامويين والعباسيين كانت لبني العباس وللدعاة اليهم كما هو واضح من ثنايا التاريخ :

وكان احد من اعرف من المحصلين فى حوزة قم الف كتاباً فى النهضة الحسينية (١) وبعد طبعه ناولنى نسخة منه للاطلاع على مضامينه و انتقاد نقاط الضعف فيه فكتبت على عناوينه المحررة ما تقرؤه من الانتقادات ومن خلال ذلك نقف على جملة من النكات العلمية المر بوطه بنهضة الامام عليه السلام :

قال ذلك المؤلف (٢) باعتبار ان شخصية الحسين بن على على اثر شهادته بالصورة التى وقعت عليها اصبحت شخصية عالمية عرفها الناس من طريق قيامه المعروف لذلك نحن نبحث عما هو مر بوط بقيامه فى شعاع اوسع من ميدان التشيع وتتكلم عن الموضوع بما هو مجرى من مجارى الطبيعة:

فعلقتنا عليه ان نوابغ العالم ومشاهيره لا يجوز نظمهم فى سلك واحد والمجارى الطبيعية لا تنطبق الأعلى بعض دون بعض فمثلا لا يشك انسان فى نبوغ محمد بن عبد الله الذى سخر الاجيال المعاصرة له والمتأخرة عنه و حتى الملاحدة تعترف بهذا النبوغ له لكن كم من فرق بين عقيدة الفرد المسلم بنبوغه وعقيدة الانسان الملاحد فان الملاحد يرى ان القرآن من تأليفه والمسلم براه كتابا سماوي لا يد له فيه والملاحد يرى وقعة بدر حربا عادية ولا يرى لما وراء الطبيعة اية دخالة فيها والمتعبد بدين الاسلام يعتقد بان الملائكة لها شركة فى هذه الحرب وفس على ذلك كافة الافتراضات التى اقترنت بحياة هذا الزعيم العظيم اذن

فايقاع المقايسة بين نبي الاسلام ونايليون بونابرت من الغلط المفتضح ونظير هذا القول يقال في الحسين بن علي فان الشيعي يراه اماما مفترض الطاعة منصوص الامامة وغير الشيعي يراه انقلابيا من طراز ابي مسلم الخراساني وبين العقيدتين بون شاسع والتعبد في الامور الدينية امر لازم في حال انه لا يرتبط بالامور الطبيعية اى ارتباط الكاتب عن نهضة الامام اذا كان من الشيعة يجب ان يراعى في مسير كتابته ما يلزمه به تشيعة وان تحدث عن المجري الطبيعي فبمقدار ما تسمح له عقيدته لاكثر:

قال (١) وانما كتبت على طراز المجري الطبيعية ليقع حديثي موقع القبول من كل احد وحتى لو لم يكن شيعياً او مسلماً :

فعلقنا عليه بانه لا يشترط في اى دين يفرض عقيدة الفرد الخارج عنه بتعدياته لان التعبد في اطار الدين من خصائص الدين نعم اثبات اصل الدين وكلياته بالمنطق الذى يقبله كل عاقل باعتبار عقله امر لا بد منه لكل من يريد تثبيت ركيزة اساسية ودين متأصل وتثبيت اصل الديانة الاسلامية بالمنطق امر مقدور لعلماء الاسلام اما اثبات ما جاء في هذا الدين من قول لاصلاة الا بفتح الكتاب بالمنطق الذى يقبله العقل بما هم عقلاء فامر غير مقدور وانما قبله المسلمون بالتعبد لان التعبد في اطار الدين كما اسلفنا من خصائص الدين :

قال (٢) نحن نعتبر كتابنا هذا في بحثه عن قيام الامام كفرضية تاريخية نعرضها على بنى الانسان مسلمين كانوا ام غير مسلمين :

فعلقنا عليه بانك وانت فرد شيعي يجب عليك بأن تنظر الى العقيدة المذهبية نظرة أصالية لانك تعتبر الحسين بن علي اماماً منصوص الخلافة معصوماً من الخطأ والزلل لانه نائر كآحاد الثائرين المعروفين نظير لوهومبا بطلى الكونغو او عبدالقادر الجزائري :

قال (٣) منذ ازمان بعيدة كنت اسمع من كثيرين ان الحسين عليه السلام كان من حين حركته من المدينة قاصداً لانيق دمعه وتوسر حريره فيقشع ربدنى لسماع هذا القول اذلا

اعقل معنى لهذا القصد من الامام :

فعلقنا عليه ان هذه الكلمة اذا كانت نتيجة سلسلة مقدمات مطوية لم تكن محلا للاستغراب و لكن من اللازم التبصر في المقدمات المنتجة فعباسها تكون هي الباطلة كما قد تكون صحيحة ولكن جاء التعبير عن النتيجة تعبيراً فاسداً وسيوضح المقام بعد حين قال (١) تحت عنوان معرفة الاجتماع و روحيات اهل الكوفة ما خلاصته ان الامام من طريق فن معرفة الاجتماع وفحصه لروحيات اهل الكوفة حصل عنده اطمئنان تام بالانصار:

فعلقنا عليه بقولنا يجب ان يتوجه المؤلف وغيره الى ان الفرد والجامعة ليس لهما قاعدة كلية يوزنان بها بل حالات الفرد كحالات الاجتماع في الحياة لها تارات وتقلبات لا يستطيع فهمها على ضوء المنطق ولا تفسر الا بتحرك العواطف لاعناد عقولكم شوهده انسان اعطى سائلا سئله عن رحابة صدر من دون سابقة معرفة او آية صلة اخرى وهو بنفسه من جميع الحيثيات سئله آخر مثل الاول فطرده و لوسألناه لم اعطيت الاول عن رحابة صدر و طردت الثاني لانحصر جوابه بانني هشتت للاول ولم تتحرك عاطفتي الثاني مع جهلي بسبب كلتا الحالتين منى : وكم شهد العيان تمخضاً عنيفاً حصل لامة فحوّرت جيلا برأسه وكم شهدها هي بنفسها هاضت هيضة عارمة و بردت لاقل حادثة و وجهت بها: وقد صف يزيد بن المهلب جيشاً عمره ما امام مسلمة بن عبد الملك قرب واسط فأحرق مسلمة الجسر حتى ينقطع العبور ففر جميع انصار يزيد المهلبى من دون ان تقوم حرب حتى قال لهم و يحكم انتم ذاب دخن له فطار ولم يبق فى الميدان سواء وسوى اخوته: وهذا جيش التوابين منع نصرته عن مسلم بن عقيل وعن الحسين بن على وبعدهما انتهت هذه الحوادث خرجوا فقتلوا عن بكره ابيهم لاعن طائل: فهذه القضايا وآلاف من نظيرها لاتعلل بما يعقل وودوا فمها مرة تكون عرامة النفس واخرى خمودها مع الجهل التام بمنشأ العرامة والخمود ان فالانقلابيون يكفيمهم احتمال النجاح والحسين لم يعدم هذا الاحتمال لعلمه القاطع ان الناس لا يوازنون بينه وبين يزيد وهذا دور جد يدطرأ على

الناس فاعلمهم يتوقفون لما يريدون مضافاً الى ان الاندفاع الدينى اقوى من كل اندفاع لاحتفافه بدواعى مهمة لها وزنها فى نظر الانسان المؤمن فكيف والثائر امام له رابطة الوثيقة بالله واما حديث الناس فى حالتى المدح و القدح فهو ما لا قيمة له بالمرّة فأننا نراهم يهتفون باسم المنتصر و لو كان اخف الناس وزناً و يهزؤون بالمنكسر و لو كان اعظم قدّيس :

قال (١) ناقلاً عن تاريخ ابن اعثم الكوفى ان الامام قبل خروجه الى مكة لاذ بقبر جده ص فاخذته عنده غفوة فرآه فى المنام قائلاً له يا بنى انت فى القريب العاجل تقتل فاستيقظ الامام مستوحشاً ورجع الى اهل بيته فاخبرهم بخبره فضجوا بالبكاء والعويل ومن بعد قليل توجه الى مكة بعد ما كتب وصيته وسلمها لآخيه ابن الحنفية: وبتظهر المؤلف كذب هذا النقل وانه مخصوص بابن اعثم من السابقين و كل من ذكره بعده اخذه منه وان هذه الرؤيا لم تكن هي المحركة لسفر الحسين من المدينة الى مكة ثم منها الى العراق حتى يستشهد هناك مطيعاً بذلك قول جده :

فعلقتنا عليه ان الكلام على هذا الموضوع ينحل الى موردين الاول تكذيب نقل ابن اعثم اذ لا مدرك عليه وهذا المعنى يجوز للباحث ان يدقق عنه فان التساهل فى النقل وقبوله مما اوجب ويوجب شيوع الاكاذيب فى العالم و ايس لاحد حق الاعتراض على المؤلف من هذه الناحية : المورد الثانى حتى مع الاعتراف بصحة الرؤيا لا يستطيع عاقل ان يفهم من مجرد قوله عليه السلام عن قريب عاجل تقتل وان الحسين مضى لتحقيق هذا المطلب اقل معنى فان الذهاب الى القتل يحتاج الى سبب عقلائى يمارسه الانسان حتى يتصل بنتيجته فلا بد ان يكون معنى تلك الرؤيا انك تقوم وتنهض بالاسباب العقلانية و شهادتك بالنتيجة تكون حصيلة لقيامك وهذا معنى لا مانع منه فان القيام العقلائى من طريق صحة اسبابه حتى لو تركز فى ذهن صاحبه انه يقتل من اجله لم تكن فيه حزازة اذا كانت للناثر شخصية اصيلة مركزة تبتنى عليها آثار مهمة وقضية الحسين بن على حتى مع احرازه للشهادة فى طريق هذا القيام من هذا القبيل فان واقعة الطف وان أوجعت القلوب من ناحية

فإنها حركة الادمغة من ناحية ثانية تحريكاً استمر مع الزمان وتحريك الدماغ نحو الفضائل والتذمر من الرذائل وهكذا استفزاز الارواح نحو المبادئ الفاضلة و ضد الطغيان العارم من اعظم ما يهدف اليه عقلاء العالم المبدئيون وعلى هذا المحور سوف تقرأ فصولاً اخرى :

قال (١) تحت عنوانين من النقل احدهما حديث القارورة عن ام سلمة وثانيهما حديث اخرج فان الله قد شاء ان يراك قتيلاً ما خلاصته ان هذين النقلين لا يصحان :

فعلقتنا عليه ان هذين الحديثين صحاحاً لم يصحافانها الا يؤثران في معقولية مفادهما فان مفادهما وان دل على تحقق قتل الحسين في قيامه هذا وان زمان ومكان قتله معينان منذ الازل الا ان ذلك لا يهدم مساعي الامام وأجره والنتائج العظيمة المترتبة على شهادته ذلك لان الامور التكوينية وان كان لا بد من تحققها الا ان ما يكسبه الانسان بارادته في طريق مقدماتها من خير وشر له طابعه الخاص من الثواب والعقاب والمدح والذم فالسارق وان قدر عليه ان يقتل في سفره الذي يطوبه للسرقه الا ان سعيه لما كان سعياً انحرافياً فانه يذم عليه كما انه يعاقب وكذلك يذهب دمه هدراً اذا قتله القاتل دفاعاً عن نفسه او ماله او حرمة وهكذا او قدر على زيد ان يموت في طريقه لحج بيت الله الحرام الا ان سفره لما كان سفر طاعة وتحمل بسببه زحمت السفر فانه يمدح عليه ويؤجر اذن فعلى الفرد المكلف ان ينتخب طريق الحق مسيراً له واما الوصول الى الهدف فليس اليه والحسين بن علي فعل ذلك وترتب على قيامه ما شهد به التاريخ من افتضاح المستبدين و عزة المؤمنين والفتات الازهان الى ازوم المخاطرة مع الدواعي المشروعة لهدم عروش الطغاة وادخال الرعب في قلوبهم حتى لا ينجرفوا مع ميولهم فيعيشوا و يفسدوا ويستعبدوا خلق الله او يعبتوا بكراماتهم فان الولاة اذا أمنوا الغوائل فعلوا من الطيش ما لا تقوم له الجبال فان الجاهل المغرور المخلى سربه يفعل الاعاجيب وقد شهد الزمان كل هذا و ذلك.

قال (٢) تعليقا على الخطبة المنسوبة للامام (خط الموت) التي من فقراتها وكأني

(١) ص ١٣٥ وما قبلها

(٢) ص ١٣٦ فما قبل

بأوصالي هذه تقطعها عسلان الغلوات الى آخر ما قال عليه السلام ان هذه الخطبة لم يوردها الامام بجميع فقراتها في مكة ليعطى ان الامام في مسيره هذا وعلى الاخص في مكة لم يعلم بشهادته وانما تاكد قتله عنده في اواخر اوقاته في كربلاء ؛

فعلقنا عليه ان ما شكك فيه لا محل له من التشكيك فان الثائر من سائر الناس يدلى في خطابه بمثل ما ادلى به الامام عليه السلام بنوع فرضية كونية معرباً عن قوة روحه وصلابة عزمه و توطين نفسه على الفناء وانه لا يبجد للخضوع الى شخصه طريقاً وليقف من ذلك على روحية اجناده واتباعه ومن هو الصلب منهم والرخو وقوى الارادة وضعيفها وليفهم العالم انه بثبات جاشه انتصر في موقفه هذا ام مات ليزال ان عروشا ويطيح بنخوات فرعونية وينقش في الواح الخواطر ما يعطى ثمراته حيناً بعد حين ولقد تعقب ثورة الحسين عليه السلام قيام التوابين و المختار و عبدالرحمن بن محمد الاشعثي وزيد بن علي وتواترت ثورات الخوارج وتلا ذلك قيام الانقلابيين بنفع بنى العباس والقضاء على كل اموى في الشرق وتأسى بالحسين كل من جاء بعده ؛

قال (١) معقباً على مقالة القائلين بان شهادة الامام جاءت مؤيدة لتقدم الدين والاسلام بأن مفهوم ذلك ان وجود الامام كان مانعاً من تقدم الدين و الاسلام وهو امر غير معقول ؛

فعلقنا عليه بان ما حسبته غير معقول هو المعقول لا غيره فان الامام اذا بايع يزيد كان من لازم بيعته اقراره بكل ما يصدر عنه و عن دولته وامراه و تقرير ذلك كله وامضائه والالتزام به و الناس اذا شاهدوا في غمار غيره لا يعودون يستكثرون على يزيد وولاته اى انحراف يصدر عنه و عنهم و يحسبون ذلك مرضياً عند رؤساء المسلمين وصحبيحاً في اصل الدين و اى تقهقر للدين أعظم من ذلك ؛

وقال (٢) معقباً على مقالة القائلين بان دولة الامويين أضعفها قتل الحسين عليه السلام بأنهم عاكسوا الواقع بذلك فان دولة الامويين بعد قتلها للحسين تساطت على الاوضاع اكثر من اللازم ودام بقاؤها قرابة سبعين سنة ؛

فعلقنا عليه بان قولك هذا موهون جداً فان دولة آل ابي سفيان انقطعت بيزيد ولم يستطع اخلافه القيام لها بالمرّة واما حكومة المروانيين وان استمرت مع الزمان سنين الا ان السبعين سنة في حجم الدول شيء لا يعتد به وقد اسلفنا ان واقعة الطف اذ كت الازهان الى حدود بعيدة ونفخت القلوب بالتنفر من كل اموى بما عاد عنوانهم سبة لكل انسان واعنة على كل لسان منذ ايامهم الى ابدال الدهر وهل يتصور ضعف مثل هذا الضعف مضافاً الى ان هذه الواقعة استأصلتهم بالثوار العباسيين حتى لم تبق منهم في الشرق بقية ولا مجال للبسط هنا باكثر مما اسلفناه والتاريخ العمومي شاهد بذلك :

قال (١) معلقاً على قول القائلين بان حياة الاسلام قامت بقتل الحسين بأنه كيف يعقل قيام حياة الاسلام بقتل امامه :

فعلقنا عليه بان المنظور من حياة الاسلام هنا اعلام الناهض بان لهنا الدين في فترات خاصة رجالاً لهم واقعهم الزاهن ينكرون المنكر باعلا درجاته و ينتقدون الاوضاع من جميع جوانبها و اذا اعوز الدين من امثال هؤلاء الافذاذ لا ترى العالم الا خاضعاً للذهول و السكون ومع هذا الذل والهوان يستحيل ان يبقى دين او متدين فهذه الحوادث المتناوبة التي تصدر باسم المبدأ هي التي تشجع المتدينين على ملازمة دينهم والتظاهر به والعمل بمقرراته والاعتزاز بالانتساب اليه : ونحن قد شاهدنا الجيل الذي نعيش فيه فرأينا كيف ذابت فيه المقدسات لهوان حمايتها حتى اخذت حوزة المتدينين تنذوب في الاحيان القصيرة واما لقلقة بعض الالسنّة ان أرخى لها او الاقلام ان فسح في مجالها بنفع الدين فذلك بالتجارب المستمرة مما لا اثر له الا سطحياً فالذي يفرز الاحساسات ويوجه الانظار هو قيام الحق ضد الباطل سواء انتصر في قيامه انكسر فالقيام بنفع الدين او بضره هو الذي ينصره او يكسره فيكم من قيام كسر الدين و محاه كقيام الشيوعيين و آخر جرده و بناء كقيام الحسين واما الالسنّة و الاقلام مع القبوع على الذلة و الهمود فهي عارية عن الاثر المحسوس بعلّة ان اكثر افراد الجوامع هم اهل المكاسب و المهين و هؤلاء ان ارتبط منهم احد بالعلم و اهله فانما هو ارتباط سطحي ولكن

الجميع بالاسريهون من اعماق قلوبهم كل شجاعة وكل قيام على الاخص اذا كان ذلك في مقابل الظلمة والمستبدين والحسين انما كان لقيامه هذا الاثر العميق والتصويت العام فلهذا السر الذي اعر بنا عنه :

قال (١) كيف يتصور ان تكون حياة الاسلام واستقراره نتيجة لقتل زعيم الاسلام وعاضده :

فعلقتنا عليه ان تصور هذا المعنى موقوف على ان تتصور ان الحسين الذي هو امام في الواقع تراه محكوماً في الظاهر بما تبعة يزيد بن معاوية مقرر القوانينه راضخاً لحكومته تابعاً لجميع ما يجرى في دولته وانه لا يميز بينه وبين غيره من الافراد في نفى ولا اثبات بحكم خضوعه لحكومة الوقت و اعترافه بها و هيمنتها عليه فهل ترى ان هذا الامام الواقعي يكون منشأ اثر و يترتب على وجوده ثم و ظاهره كما رأيت و اما اذا تصورته مصحراً بالامتناع عن البيعة لاعتنا لحكومة الجور متنفرأ من دولة الاراذل معرباً للناس بان امثال هذه الحكومات لاصلة لها بالاسلام ولا بالقرآن ولا بالوجدان ولا بأى مفهوم له صلة بالواقع ومصالح الاجتماع و ان اطلاق كلمة امير المؤمنين على هؤلاء القروء الممسوخة اطلاق للفظ على ضد معناه ومن وظيفة كل فرد يريد ان يعيش بعزة اولاً و بايمان ثانياً ومسلماً كما يريد منه الله ثانياً ان يعرض بكله عن هؤلاء وان ينتقد منهم كل حركة وسكون و ان الراضى بأعمالهم شريك لهم في أجرامهم و بعد أن تستعرض هذين التصويرين تقطع جازماً بان الامام المقتول الذي اثره هذا الاصحار الجاهرو والخلاف الظاهر للباطل واهله هو الامام المشعروان الامام الخاضع التابع المقهور فاقد لكل نتيجة و اثر ولا يجوز لك ان تقول ان فالائمة من بعد الحسين امام يقوموا كما قام لانك قد قرأت في صدر هذه البحوث ان زمانهم احتكرهم حتى سد كل منفذ عليهم فلم يترك لهم اقل مظنة للقيام والحسين في قيامه كان يملك بعض الحرية من فرصة زمانه فاستطاع ان يمشى في موكب وان يخطب في مجمع وان يقول بملاء لسانه و لاجل الثمرات المهمة التي ترتبت على قيام الحسين صار له اسم اعلام من اسمائهم ومقام اعظم من مقاماتهم واعترف بامامته كل مشايخ لاهل البيت

وبحريته كل انسان على الاطلاق :

قال (١) معلقاً على ما جاء في زيارة عاشوراء : مصيبة ما اعظمها واعظم رزيتها في الاسلام : ان قتل الحسين عليه السلام مصيبة عظيمة وردت على الاسلام واهله لانه احياء له ونفع لهم :

فعلقنا عليه بانه لاشك في كون قتل الامام مصيبة وما اعظمها من مصيبة حيث لم يتوفق الاسلام واهله للاستفادة المستمرة من وجوده المديد ولم يستفدوا ايضاً من مقام امامته بين الناس وانه وراء ذلك لفظاً انفاسه وتابعه على ذلك زمرة عامرة من اهل بيته واصحابه و لكن هذا المعنى لا ربط له بما حاوله الوجود منه بين ان يعيش محكوماً لا فئد حاكم تابعاً لا ضل حكومة مقراً ببيعة جلف من مشاهير اجلاف العالم مقراً لما يصدر في حكومته منه و من ولاته الذين هم من سنخه و بين ان يشعشع بدعوة الحق وينكر على هؤلاء الزعانف مخازيهم ويعيش لحظاته الاخيرة أعز انسان ويموت اكرم وجوده ويشتهر في العالم بصيته وصوته ودعوته وانكاره للمنكر و اعلامه بانحرافات الظالمين : ولا شك ان خضوعه في قبال هذه النهضة هي المصيبة واستبداد الجهال به هو البلاء العظيم وموت المعروف بالمرء و حياء المنكر ادهى وأمر : وما الامام الا الشاهر الظاهر الذي يشمر نمرأً وينتج اثرأً و اما القابع بالخمول الذليل حتى للاباش من الناس فهو ميت الاحياء وهذا على ابي طالب على قلة ايامه في الخلافة وكثرة مشكلاته فيها انما عرفه الوجود وشخص الناس مقامه المحمود وطار له اسم وصيت من طريق هذه الايام التي استطاع ان يبت فيها بنات افكاره ويعطى نماذج عالية للعدالة من اعماله ولولا ذلك لما كان على الافى غمار الصحابة خصوصاً مع تقدم الاشياخ عليه في الحكومات الزمنية وكثرة هواتهم من ابناء السنن الذين ادرعوا التعصب لهم وعليه ظاهرة قوية طيروا من طريقها كثيراً من الاكاذيب وعلى كل حال فالانسان اماماً ومأموماً وجوده مقرون بآثاره ونتائجها فمن توفق للانتاج ثبت له رسم وعلاله اسم ومن حرم من ذلك فكأنما لم يخلقه الله تعالى اصلاً وهذا المطلب من الوضوح بمكان :

قال (١) معلقاً بعد استشهاد بهذا البيت .

ويكبرون بأن قتلنا وانما قتلوا بك التكبير والتهليل

بان الامام لولم يستشهد لبقى التكبير والتهليل بين الناس ومع هذا فكيف يكون

قتل الامام بنفع الاسلام :

فعلقنا عليه باننا مع مزيد التأسف نعجب غاية العجب من المؤامرات كيف اختلطت عليه هذه المطالب حتى ركز في ذهنه هذا الاصرار على ان حياة الحسين مع بيعته ليزيد خير من قتله و ما اقترن به من فجائع عظيمة و نحن فيما سلف كشفنا عن وجه اشتباه الرجل ونعيد ذكر ما اسلفناه بطور عصاره و خلاصة فنقول لا يستطيع عاقل ان يتصور ان قيام الحسين كان لاجل ان يقتل هو واهله واصحابه وتؤسر نساؤه وتذهب امواله لان هذا التصور بصورته هذه غلط واضح لا يصدر من ذى شعور : اما فهرست قيام الامام فكان بهذه الصورة وهي ان الامام منذ دعى لمبايعة يزيد كان مصمماً على الامتناع عن بيعته و لوجاء عليه ما جاء فقد ابى عليه دينه ومقامه ان يفسح للفساق والفسوق اكثر مما انفسح لمعاوية بن ابى سفيان لانه ببيعته ليزيد و اقراره له بالخلافة يقر جميع اعماله و افعاله و ما يصدر عنه وعن ولاته ولا يصدر عن يزيد الا ما يسانخه من فكر وعمل وما افكاره واعماله الا الفجائع والفضايح :

ثم هو بامتناعه عن البيعة ان استطاع ان يقلب الدور على هؤلاء الاجلاف فذلك هو الهدف الاعلا والغاية القصوى و اذا لم يستطع فعلم مستقبله عند الله: فقيام الحسين في بادئه تدمرى تضجى وفي وسطه عند ما كوتب من الاقطار احتمال عقلائى وفي آخره دفاعى عن الحيثية وكرامة الامام مربوطة بكرامة الله وليس هو كاحد العاديين من الناس: و اما أسر النساء فهو سنة جاهلة تقوم وقامت بها حكومات الاوباش في كل عصر وزمان وحتى لوناهض الامام حكومة الوقت في المدينة لاصابه سنخ ما اصابه في كربلاء فان وقعة الحرة التي تعقبت واقعة الطف بسنة واحدة فعل فيها من العجائب والغرائب و الوحشيات ما تنبوعنه الا لسنة والاقلام وكل قيام في العالم حتى لو تسلمه كافة العقلاء

بالقبول لا يخلو من مرارات و تحمل مشاق وصعوبات و اذايا و ابتلاآت و اذا لم يتوفق
 الثائر في قيامه فلا تسل عن الوحشيات التي تعمل معه ومع كل من يمت اليه ولو بطرف
 خفى بلا فرق بين القرون السابقة واللاحقة المتوحشة والمنتورة كما لا فرق في الثائر
 بين السياسي العادي والعالم الرباني :

نعم قتل يزيد و عماله و آله التكبير و التهليل بقتل الحسين من السنة الناس و
 لكنهم او غروا بذلك قلوبهم و جعلوها كالفدور الهائجة لا تفر عن الغليان فكانت وقعة
 الحرة والتوابين و المختار و حادثة عبد الرحمن الاشعشى و جلسة حوادث الخوارج و
 ثورة زيد بن علي و انقلابات ابي مسلم الخراساني و غيره من نتائج وقعة الطف و قلما
 استوصلت اسرة مالكة بعد انهيار ملكها كما استوصل بنو امية في الشرق و بقيت واقعة
 الطف ممدة لكافة القلوب بالتورم من كل استبداد و طغيان: و تهيئة القلوب للانفجارات،
 المتواصلة من الاعمال العظيمة اذ لا يتبها ذلك لكل احد و قد فعله الحسين واستثمر منه كل
 ما تعقب حادثته من الانقلابات الصغرى والكبرى ضد الجور والاستبداد والظلم والطغيان
 فياله من موقف ما اجل خطر و اعظم نفعه :

و اما بقاء الحسين مقترنا بالبيعة ليزيد والخضوع له و لعماله و اقراره ولو قسراً
 بما يكون منه و من اركان دولته و ولاته ففي ذلك اماتة له و للدين جميعاً و قد مرّ متنوع
 الحديث عن ذلك فلا نطيل :

قال (١) كل احد يعلم ان فاجعة كربلاء اخذت من افاضل المسلمين عدداً هو النموذج
 للقرآن و فضائله و تعاليمه و في طليعتهم ابو عبد الله الحسين اولئك الذين باستطاعتهم ان
 يشعروا العالم بثقافتهم العالية :

فعلقنا عليه انه لاشك في ان قتل الحسين و اصحابه الافاضل من الخسارات التي
 لا تجبر كما ان وجودهم مع عقم الانتاج بتساقط الاجلاف عليهم و جعلهم تحت شعاع يزيد
 بن معاوية و عبادة بن زياد خسارة اخرى لا تجبر والفرق بين الخسارتين ان خسارة وجودهم
 مع العقم لا وزن لها اذ لا وزن للمقيم و خسارة قتلهم مصحرين بفضائح المستبدين معلنين

بفسادهم و فساد حكوماتهم ناعين على الناس رذيلة استنامتهم الى حكومة هؤلاء الطغام الذين يتصرفون بحيثياتهم و ماديانهم و مبادئهم شر تصرف واجدة اكل كرامة طاعة بكل شهامة مقترنة بكل شرف وهذا لا يستطاع غض النظر عنه ولا غمض الاجفان عليه:

قال (١) ان غاية ما يملكه الناس آمالهم بالشخصيات الكبيرة الاثقة مثل الحسين بن علي لينقذوهم مع الشرائط المساعدة من ذل الهوان وحكومة الطغيان و بقتل الحسين بن علي ذابت آمالهم بالمرّة .

فعلقتنا عليه ان الشرائط المساعدة لم نرها حصلت في العالم بنفسها ومن نفسها لاي عالم عامل فرضناه والذي يقبع في زاوية الخمول بانتظارها انسان بائس نعم الشرائط المساعدة دائماً هي من خلقه الانسان و مساعيه سواء كانت بخفاء او بجلاء : نعم نحن لانكر مما طلة الاقدار : وكافة اهل الهمم في الدنيا مازالوا يعملون في ايجاد المناسبات بشتى الصور و الالوان حتى توجد و أمل الناس بالحسين مادام خاضعاً - و او قهراً - لحكومة يزيد منتظراً لانفراج الزمان بنفسه ومن نفسه يعدّ حلماً من الاحلام كما قال ذاك المتمنى .

لعل الله يجمعني بسلامي
فان الله يفعل ما يشاء

وهو قاعد في كسر بيته لا يحرك اقل ساكن : وعلى فرض ان الزمان اهلك يزيد بن معاوية بعد فترة قصيرة فهل ترى ان الخلافة تتحول منه للحسين - لا - لا تتحول لامن طريق الارث فان الحسين ليس وارثاً ليزيد بن معاوية ولا أن هواة الجاه يخلون بينها وبين الامام بل يتذرعون لنيلها بكل وسيلة من تملق و وعد كاذب و تزوير و بئذ مال و ارتكاب أعمال يبعدها اقل الناس شرفاً حتى يتفوقوا على الوضع ذلك لان العدل و الانصاف و الفضيلة وان كانت مفاهيمها من احلا المفاهيم عند العموم الا ان هذه الحلاوة و حلاوة ذهنية لا يطبقها الانسان من نفسه لاعلى غيره ولا على نفسه متى عورضت بما هو احلامنها عند النفس من مال عتيد و جاه منقود و رغبة نفسية حاضرة فالفضائل مفاهيم صرفة لامصداق لها الا في النوارد و انما حسنت مفهومها لان المفهوم لا يعارض الديول و الاهواء و انما قلت مصداقاً

لان في تحقيقها المصداقي مزاحمة لرغائب النفس فاغلب الناس عقلاء علماء جهلاء عملاً والعقول العلمية كثيرة اما العقول التطبيقية فأقل من كل قليل حتى ان الناس يرمون العاقل التطبيقى بالعجز وقلة الدربة كما قالوا في حق علي انه نى غير مطبوخ في مقابل معاوية وان اجاب على عن هذا الزعم بقوله ما معاوية بادهى منى ولكنه يفند ويصكر ويمنعنى دينى عن ارتكاب هذه الهنات فاعرف حق هذا المطلب كما ينبغي :

قال (١) ان عبدالله بن مطيع لما لاقى الحسين عليه السلام بين مكة والمدينة قال له في ضمن ما قال لئن هكت لنسترقن بمدك :

فعلقنا عليه ان الحسين بن علي لوبايح يزيد بن معاوية وخضع له وصار فرداً من رعاياه فهل ترى ان عبدالله بن مطيع يبقى حراً من اجل بيعة الحسين هذا ما لا يكون اصلاً كما لم ينتفع الحسن بصلحه مع معاوية لان نفسه لانه مات مسموماً من معاوية ولا لشيئته فانه تبعهم وقتلهم تحت كل حجر ومدبر :

قال (٢) و سئل ابو اسحاق السبهي متى ذل الناس قال حين قتل الحسين: فعلقنا عليه ان ما قاله ابو اسحاق اشتباه كبير فان هؤلاء الذين شاهدتهم اذلاء بعد قتل الحسين كانوا اذلاء قبله ولو كانت روح العزة لها منقذ في وجوداتهم لما قتل الحسين ولا تسلط عليهم مثل يزيد وعبيدالله بن زياد : ان الدليل ذليل حيثما كانا : وايت شعري من اى منقذ تنسرب اليهم العزة والحسين بنفسه (لو فرضت مسالمة ليزيد) اعطى المقادة عن يدهم عزتهم منوطة بعزة الحسين وعزته منوطة بتفوقه على يزيد وتفوقه عليه منوط بقيامه في مقابله حتى لو قتل في ساحة الكرامة شهيداً :

قال (٣) ان الحسين كان الامام الاكبر للاسلام

فعلقنا عليه ان هذه السمة انما تكون للحسين عليه السلام في الظاهر كما هي في الواقع متى ترفع عن البيعة ليزيد والخضوع لحكومته و امامه تابعيته له في مفقودة لعقم اثرها كما فقدها الحسن عليه السلام بصلحه مع معاوية ولم يقل نبثاً من قال (و انما الامر يا ابي لمن غلبا) وهذا النبي محمد صلى الله عليه وآله على عظيم مقامه لم يستطع قبل هجرته الى المدينة ان يكون

نبيا على قرين في الظاهر لانه كان محكوماً لمحيطهم اما لما هاجر الى المدينة وسخرهم بعد ذلك صار نبيا عليهم مؤثراً فيهم وكل شيء مرتين بأثره :

قال (١) ان العالم الديني اذا مات اثر في الدين اثرأ واضحاً :

فعلقتنا عليه ان ذلك عى او كانت له شخصية اجتماعية اما اذا ذوب شخصيته بالذلة و الهوان فلا فان عبدالله بن عمر كان من المرشحين لخلافة المسلمين من هواة ابيه حتى على عهد هذا الاب لكنه بعدما بايع رجل الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان أصبح اذل من النمل عند الناس :

قال (٢) ان الحسين بن علي عليه السلام هو اعظم شخصية علمية سياسية ولوبقى حياً لكان اثره في الاسلام بمقدار سعة شخصيته :

فعلقتنا عليه ان مات قوله مع فرض بيعته عليه السلام ليزيد و تابعيته احكامته و خضوعه لدولته ليس بصحيح وهذه العبارات التي تسوقها له ما أخذها من الحسين من شخصية خلقتها له شهادته وعظمته و كبريائه فليكتف لذلك انم التفات :

وقد اشدنا في قصائد جديدة بما لسيد الشهداء من بطولة مركزه شعاعها في الخافقين بنهضته الدائمة فقلنا في ضمن قصيدة عنوانها (دنيا الحضارات) وقد نشرتها مجلة العرفان في العدد المزدوج لشهر ذي القعدة وذى الحجة من سنة ١٣٨٦ هـ

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| هلا عاروا النبي المصطفى نظراً | و كيف نال العلا بالمشرفيات |
| ماركز الدين عبد في تهجده | وانما قيام دهرأ بالبطولات |
| هي الحياة فكان في حربها بطالا | ان النزاع بها من طبعها الذاتي |
| ولا عليك اذا جدات عن شمم | وخاب سعيك من بعد المعاناة |
| فكم جواد يبذ الریح حافره | قد عاقه الوضع عن ادراك غايات |
| هدا النبي وكم انكت موافقه | قد عاد في بعضها جم الجراحات |
| و تيك صفين عزت في نهايتها | على علي أبي كل الفتوحات |
| وذا الحسين الذي ضحى بمهجته | وا له خير اشراف و سادات |

فمات لكن عزيز النفس تغبطه
 على مفاداته اهل المفاداة
 وقلنا في ضمن قصيدة عنوانها (هلاهل الطير) وقد نشرتها مجلة العرفان في العدد المزدوج
 لشهر رمضان وشوال من سنة ١٣٨٤ هـ

افدى حسيناً بالاحرار حين غدت
 قرم ابي ان ينزل الدهر جانبه
 رأى بأحداقه جداً له وأباً
 فصارع الموت فرداً غير مكترث
 حارت عقول البرابا من بطولته
 ماخر للارض بدرأتستضىء به
 مبارز ناهض الدنيا فمافشلت
 فكم تدهده منه تاج مغتصب
 وكم تأسى به في درك غايته

وقلنا في ضمن قصيدة عنوانها (حيرة الفيلسوف) وقد نشرتها مجلة العرفان في
 العدد التاسع من سنة ١٣٨٤ هـ

ومذاتهار الهدى من آل حرب
 نازل الكفر حسين فاحنفت
 صارع الدهر له روح ابي
 ضخمت سمعته في الكون لما
 هكذا تبني المعالي هم
 ارخصوا اعمارهم لما دروا
 و بهم ألوى عن الحق صدوف
 بنزير م. ماجد منه الطفوف
 للعلاها ووللذل عيوف
 ازهق الكفر له حد رهيف
 تقهر الصعب وان تأبى الظروف
 انهم في هذه الدنيا ضيوف

وقلنا في ضمن قصيدة عنوانها (وقفه على اطلال) وقد نشرتها العرفان في العدد

العاشر من سنة ١٣٨٥ هـ

هذي الشدائد ماتنك عاصفة
 فرمان قدا عجز الاحرار شأوهما
 ومن لهاك حسين او ابي الحسن
 في الكر والصبر والاندام واللسن

اما على ففيه القول ذوسعة
وبالحسين فنافس كل ذى خطر
فقد احاط به جيش له لجب
واحرز النصر مقتولا على ظمأ
حييت من بطل عز الوجود به

فى بطشه المر او فى سيفه المر
من اطعم الموت اشلاء بلا كفن
ففض جيش العدى فى مهره الارن
وصارع الموت معتزاً ولم يهن
ودمت من خالد بالله مرتين

وقلنا فى ضمن قصيدة عنوانها (بين الجفن والماق) وقد نشرتها العرفان فى العدد

المزدوج لشهرى ذى القعدة وذى الحجة من سنة ١٣٨٧ هـ

ان الاولى حاولوا عزاً بساحتها
فسل علياً على ما فيه من قيم
وسل حسيناً وعن يوم الطوف فسئل
قضوا عطاشى وماء النهر منهمر
وصوح الروض منها بعدما التثرت

من الكرام تولتهم بارهاق
هل عاشرته باحسان و ارفاق
كم جذت البيض منها بيض اءناق
يجرى بهذب على الضفات رقراق
تلك الورود بلا زهر واوراق

وقلنا فى ضمن قصيدة عنوانها (الزمان قدومه وجديده) وقد نشرتها مجلة العرفان

فى العدد السابع من سنة ١٣٨٣ هـ

بأبى بل بالناس اقدى حسيناً
من أعار الحياة طرف عزيز
جاء للدهر كى يعيش فعاشت
لم يكن قبله من الناس حر
فانبرى للحياة يملى دروساً
علم الناس كيف يحيون لكن
صغرت منهم النفوس فعاشوا

ذلك الشهم و الابى الوحيددا
فأعارته ظلها الممهدودا
ذكريات له ومات فقيدا
يزن النفس نشأة وجودا
خلدته فضلا و عزاً وجودا
لم يفده التعليم منهم رشيددا
كوحوش الفلا وما توا عبيددا

الفصل الثانى عشر :-

الدين بين مفاهيمه ومصاديقه

الدين بمعناه العام هو تحديد خطى البشرية فى اجواز الحياة حفظاً لحقوق الجميع ومصدر هذا التحديد هو الله سبحانه وبمعناه الخاص بسط هذا المفهوم وافراغه فى قوالب خاصة كالصلاة والزكوة والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما الى ذلك : وكل ذى شعور من افراد البشر يزن هذا الهدف بميزان قويم لعلمه ان ارسال الافراد فى اودية الاهمال مما يزعج الحياة والاحياء بطور مطلق والازعاج لاحياة معه بل يكون مبعث شقاء و منطلق بؤس ماحق :

فان قيل نحن قد نفهم معنى للدين فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما فى ذلك من تعديل جنبات الانسان الهائج والبشر الضارى وفى الجهاد ايضاً لما فيه من سوق المتعمردين الى ميادين السعادة وفى الزكوة كذلك لما فيها من مواساة الضعفاء ومعاونة البؤساء : لكن لانفهم معنى للدين فى مجموعة اذكار الصلاة التى تلوكمها اشواق المصلين بما تلوكم به آيات القرآن وفقرات الادعية ترسلا من غير تفهم وطياً للسان من دون تدبر وكذلك لانفهم معنى له بصرف الطواف حول البيت والوقوف بعرفات والمشرع والسعى بين الصفا والمروة ونرى تعبد المتعبدين بالدين بهذه القضايا اكثر من تعبدهم بقضايا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وما الى هذه الاهداف من مقومات الاجتماع البشرى ومعدلات الحياة الصحيحة : فهل نرى ان مهمة الدين هى هذه المطالب المعتمات على الفهم ازان وراء هذه الظواهر بواطن و وراء ما التزم به الناس من قشور لباب :

قلنا فى دفع هذه الشبهة وحل هذا المعنى قبل كل شىء ان مفاهيم الدين غير ما عليه جماعة المتدينين فى كافة الاديان الا ما قارن عصر الرسل انفسهم وما فرغ به العلماء العاملون المثقفون وكل امروراء ذلك فقيه ما فيه وان وضع فى حساب الدين و وصف بانه من شعار المتدينين : نعم - قبل كل شىء - يجب تحكيم العقل والميزان الفنى فى القضاء للدين او عليه فان الامر بالمعروف الذى عرفناه مجدداً لخطى الانسان الهائج

يراه جماعة المتجددين مخالفاً للحرية التي يجب ان يتمتع بها كل انسان غافلين او متغافلين عن ان كلمة الحرية لها معنيان - احدهما - هو الافلات والارسال و الالهال
 - وثانيهما - هو الخروج من تحكم المستبدين كائنين من كانوا ولا ريب ان المعنى الاول
 هو التوحش نفسه و مغالبة القوى للضعيف و الغنى للفقير و عبث الحاكم بالمحكوم فان
 ارسال كل قوى و غنى و حاكم من لازمه القهرى هو الفتك بكل ضعيف و فقير و محكوم
 و هذا المعنى تجب مطاردته بكل قدرة مؤاتية حفظاً لحقوق الناس عن الانهيار - و
 اما المعنى الثانى - فهو فى حدود المنطق حق يجب تركيزه تنجيزاً لحقوق المستحقين
 المقهورة بقوى الغاصبين :

نعم ان الصلاة التى شرعها محدد خطى البشرية الضارية هى الصلاة التى قال
 فى حقها - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ولم يقل ذلك فى مدحها جزافاً كما
 يصف الانسان متاعه و مهمما كان مفشوشاً بانه واجد لمزايا الكمال بل وصفها بذلك لان
 التدبر فى مضامينها و التحقق من معاني اورادها و اذكارها و الآى الفخمة التى تجب
 تلاوتها فيها مما يزع بالنفس عن كل قذرا اخلاقى و عن هذا الهدف الاصيل شرعها و اعتبرها
 قرين كل تقى و خير موضوع و انها معراج المؤمن و اما صرف استطراد اللسان لها و محض
 تلاوة آيات الذكر الحكيم و مجرد طى اللسان بفقرات الادعية كما عليه العوام فذلك
 خارج عن الداعى الى تشريعها و عن الهدف الباعث الى توظيفها :

و الدعوة الى الحج بقوله الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اريد بها
 هدف اجتماعى تربوى من طراز عال و ذلك بتشكيل مؤتمرا عالمى يحضره الذكور و الاناث
 و بيض الالوان و سودها و حمر الوجوه و صفرها و شرقى الامم و غربها على اختلاف مساكنهم
 من محذب الكرة و تفاوت السنتم فى التعبير عن المقاصد و مشاعرهم فى درك المطالب
 و اذواقهم فى السنن و العادات و المذاهب يتناقلون فيه الحديث من شتى وجوهه و العقائد
 من عامة نواحيها و ما يختص به قوم دون قوم من سنة و عادة و عقيدة و ما هى صبغة السياسة عند كل
 فريق من فرقانهم كل ذلك يدور بين هذه الجماهير طوال ايام لا تحد بحد ولا تحصر بحاصر مضافاً
 الى اداء المناسك الخاصة و هذه هى المنافع التى يشهدونها و الفنائم التى يحصلونها لا صرف

التجمعات الخرساء والتراوح بين المدينة والصحراء والهدف الذى ألعنابه مما يبذل العقلاء على تحصيله كل قواهم ولا يحصل لهم كما هو مشهود فى متنوع مؤتمرات الدنيا: هذا هو الدين فى نموذج من مفاهيمه: واما مصاديقه فان قصرنا النظر فيها على رسل الدعوة و حواريينهم الذين تخرجوا على أيديهم وعلى العلماء العاملين المتقنين من اتباعهم ومؤيدى طريقهم كان محصول الدين منهم قليلا فى عدده وان كان جسيماً فى معناه :

وان توسعنا فيها على من يتلمض لسانه بسورة الفاتحة والتوحيد ويخون حتى اهله وولده ومن يطوى نهاره جوعاً وعطشاً قياماً بفريضة الصوم وهو فى عرض ذلك يستبد بدرهمه وقدمه وقلمه وجاهه وكل ما وقع تحت قبضته ويحتكر كل ما وصلت اليه يده واحتوت عليه خزائنه ومن يصل المرحلة بالمرحلة و الليل بالنهار فى سفره الى مكة اداء لفريضة الحج لكنه لا ينطوى الاعلى روح مظلمة و باطن غير نزيه وروحية مستنكرة و عواطف متلبدة و من لا يبارح المسجد للصلاة جماعة غير انه فى اكثر خطواته تمام فتان محرك مفسد اما لصالحه المادى او لانحطاط خلقه و ساقط تربيته : ومن يكثّر من نصب المآتم على روح الصالحاء و لكنه لا يتأسى بقليل و لا كثير من اخلاقهم و من يطعم على حساب المقدسين ولا يبالي فى جمع ما صرفه فى هذا السبيل وما كدسه فى اكياسه الواسعة : نحن ان توسعنا فى هذه المصاديق ونظيرها وجدنا الكثيرين الوفيرين فى دفتر المنتسبين للدين الا ان البلاء بهؤلاء وهم بهذه السمة مما لا يطاق تحمله ولا تهضمه أقسى العواطف : هذا كله فى جانب .

وغلط تطبيق المفاهيم الدينية على مصاديقها الواقعية اعظم بلاءاً و انكى اثراً فى المجتمع البشرى وقد حقق هذا الغلط فى التطبيق جهالات و ضلالات جاءت على مرور الزمان من النقاط الرئيسية فى الدين وهاك امثلة على المقام :

(١) لاشك ان من ادرك النبى و شاهده انما يجوز ان ينسب له شرف الصحبة فيما لو كان هذا الشهود منشأ اعتبار بان حصل من طريقه علم زفج جهلا وناس اوجب عملاً صالحاً و الأفصرف الرؤية له و مشاهدته بالاحداق لاقيمة له بالمرّة : و اما اذا

اعطت الصحبة نقيض عمل بان جاء الصحابي منحرفاً اوبقى في سيرته على ضلال الجاهلية فهذه الصحبة ادعى لذمه من مدحه و لتشديد الجريمة عليه من التخفيف عنه هذا ونحن نرى جملة من جفاة المتزمتين من المتدينين يرون ان الغبار الذي دخل في خياشيم بغلة معاوية في آن انسلكت به في قافلة النبي ص خير من الف انسان من طراز عمر بن عبدالعزيز مع اعتقاد هؤلاء ان عمر بن عبد العزيز خير في سيرته و هديه من معاوية بن ابي سفيان لكن الذي صيرهم يفضلون الغبار الداخلى في خياشيم بغلة معاوية فضلا عنه نفسه على الف من اشباه عمر بن عبدالعزيز هو عنوان الصحبة لكنهم جهلوا ان هاته الصحبة التي عدت الناسى بالنبي الاكرم تعود نقمة على صاحبها لقيام المحبة عليه : ومن هذا الطريق المنحرف كم جنى من ادعت له الصحبة وتجنى على الحق فكان مغفوراً بل محتفى به بمجدد و يبجل ويقال في حقه رضى الله عنه ولو كان من امثال بسر بن ارطاة وتتخذ اقواله حجة وطريقته الزائفة محجة :

(٢) وجاء في الشرع الاسلامى ان الله جعل اجر رسالة الرسول هو مودة ذى القربى منه ^{والفعل} وهو معنى في حد نفسه صحيح ومعقول بل لا يخفى رجحانه بالاعتبار الصادق لكن هذا المطلب في القريب منوط بان لا يكون انساناً منحرفاً و ضالاً عن الطريقة غاوباً فان المنحرف عدو لله قطعاً ولا تعود تنجح مع عداوة الله قربي اى قريب من اى انسان كان : و نحن نرى الزافة من المسلمين تحترم حتى الفسقة من المنتسبين لبیت الرسالة بماعاد هذا المعنى من المغريات بالضلالات لجملة من افراد هذا البيت والخطأ في هذا العنوان هو عين الخطأ في عنوان الصحابي من حيث الملاك :

(٣) وجاء في الشريعة ايضاً لزوم تعظيم شعائر الله و هو معنى ضرورى التصور والتصديق لكن هذا المعنى في تطبيقه خرج من قبضة المنطق والمثقفين وصار تحت تصرف العوام والوهميين فأهمل تعظيم الشعائر الصادقة من تجليل العلم المشفوع بالعمل والاخلاق الفاضلة القائمة بتربية المجتمع والشخصيات الدينية المرموقة بما ينشر معارفهم القيمة وحسناتهم المستحقة للتقدير وجاء الى الميدان التوسع باختراع الاوهام ولاغرابية في ذلك بعد أن جاء مصدر هذا التعظيم هو العامى الذى لا يفترق عن الحيوانات المعجم

الابن الصورة الفارغة فقط وعلى هذه التوافد بل الضلالات صرفت الاموال الطائلة من اهل
الاديان وعطلت لها اوقات لو صرفت في عمل مشعر لانتجت نتائج لها وزنها :
وقد كان احد افاضل النجف في العلوم الاصطلاحية يقول انا اؤيد فكرة تعظيم
الشعائر و لو من طريق الخرافات فقلت له عفا الله عنك ان الخرافات اذا راجت بين
الناس تحللت الحقائق وصار الدين القويم ضحية لها فلا يبقى للدين وجود بالمرتب وقد
حصل هذا المعنى عياناً في عالمنا الحاضر لان انسان اليوم توزع بين فريقين فريق
المتنورين - وهم على مرور الزمان يتزايدون - و فريق العوام الخرافيين - وهم على
تطور الوقت يتحللون: اما فريق المتنورين فانهم طفروا من ميادين ومجالات المتدينين
طفرة واحدة لم يبروا غير هذه الظواهر العامة التافهة ولم يجيزوا لانفسهم تمحيص الحقائق
من اهلها حتى يتعبدوا بالحقيقة كما هو المحتم على كل مكلف وهم من جملة المكلفين:
واما فريق العوام فهم وان تمسكوا بالدين الا ان دينهم هو الذي خلقوه لانفسهم من
شد الغرق على الاشجار وتعليق الاقفال على الفرائض ونظير ذلك مما لا يليق باهل الفضل ذكره
ولولا حصول خطباء لامعين وعلماء متحمسين لتبثبت الدين لسانا على منبر خطابة
وقلما على صفحات كتاب او مجلة لعفى الدين واندثر: وقد ساعد هؤلاء العوام
المنحرفين على هذه الضلالات التي يبتدعونها وجود فشريين من عوام المعممين اولئك
الذين لا يستطيعون تمييز الفث من السمين في الحديث ولا فهم اتجاهاته الخطابية والكلامية
الا ان هذا الرعيل المخذول وان كان كثير الافراد آفقا غير انه تذوب الشيء بعد الشيء
على مرور الزمن :

(٣) وفي الشريعة عناوين كثيرة من الزهد في العاديات واقرب من الله بالطاعات
والتجافي عن المهازل والمضحكات وما الى ذلك مما هو مدون في علم الاخلاق لكن
الشرع لم يهدف بذلك الا الى تعديل جنبات الانسان اذا بقى هو وميوله والقي نفسه في
احضان اهوائه وشهواته ورغباته المنحرفة وام يدع بذلك الى التزمت المقيت الذي
نشهده على اسارير جملة من المتصوفة والمتحذلقين الذين يحسبون انهم مقدسون اولئك
الذين لا ترى وجوههم الا عابسة واخلاقهم الا شرسة وعواطفهم الا جافة وحركاتهم الا جافية

والسنتهم الامتشددة ولفاظهم الاخشنة ومعاشرتهم الافى التوحش البغيض زاعمين ان رياضتهم لانفسهم اوصلتهم الى هذه الحدود القريبة من الله قد عزب بهم جهلهم عن ان الله سبحانه خاطب نبيه بقوله ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك للعلم القاطع بان الدين ابوالفضائل النفسية والاخلاق المرضية وان هذا الجفاء الذى هم عليه من اخلاق الوحوش الكواسر التى تعدّ انيابها للوثبة ومخالبها للاطاحة بالطرف:

ولا انسى انى يوماً من ايامى التى قضيتها قبل ثلاثين سنة فى العراق دخلت صحن الشيخ عبدالقادر الكيلانى فى بغداد لاجل الوقوف على ما فيه ومن فيه فماتوسطت الساحة الا ووجهت بعدة هنود من المتصوفة على طريقة الشيخ عراة الابدان الامن الازرق قد تجملت وجوههم و اكتافهم بالشعر الكثيف وعبست وجوههم حتى ليخالهم الناظر اليهم انهم فى صدد الوثبة عليه فتراجعت الى الوراء محاذرة على نفسى : وبعد المتزهدون من اهل الاديان امثال هؤلاء المتوحشين اهل عبادة و انقطاع الى الله يصل بهم الى حضيرة القدس:

ولما انخت ركابى فى بعض البلدان التى هاجرت اليها وقضيت فيها سنين طوال اعلى اثر سماعى عنها من افواه الغوغاء انها بلد مقدس يسود على عماره اثر الدين وتلوح على اساريرهم سيماء المتدينين وعلى اخلاقهم آداب الشرع المبين:

اخذت الابس الوضع الدارج بحكم اقامتى فى المحيط فوجدت البلد على اكتضاض مساجده بالمصلين ونواديه الخاصة او العامة بذكر مصيبة اهل البيت فيها ومدارسه الفاصة بالمحصلين كثير القذارات و المزابل تموج الاوساخ فيه على طول دكاكينه و عرضها و مياه حماماته اشبه بمياه المستنقعات و ترى العبوس و التزمّت فيه شارة كل انسان يقطنه فلم اعرف السرفى ذلك حتى اندمجت فى هذا المجتمع فوجدت ان الركيزة الاولى التى بنيت عليه اخلاق هذا المحيط هى جهل هدايتهم المنبريين باخلاق الشريعة الاسلامية السمحاء فانهم لا يعرفون فى وعظهم لهؤلاء القوم سوى الاكثار عليهم بفضل الصلاة و الزيارات و تلاوة الادعية و نصب المآتم على روح سيد الشهداء فما كان المستمعون يعرفون من اخلاق الدين وراء ذلك شيئاً وبحكم انقطاعهم الى انفسهم وبمدهم عن المجامع الراقية نشأوا

نشأة ناقصة مبتورة تتخللها روح السقوط والامتهان في كل اشياهم ومن هنا ساءت معاملاتهم
المادية الى ابعدها يتصور :

سبحان الله ما ذا يواجه هذا الدين القويم من صدمات و عواثر تقف بدم من النفوس
الى المجتمع حتى يصلحه كما اصالح محمد بن عبدالله به جيل الجاهلية و أحال من اهله
مثالين ترمقهم انظار الملائكة بالاعجاب و الاستغراب مالنا نحن المسلمين بين متزمت
متعجرف خشن الملتقى و آخر مائع مسترذل في حر كاته و سكناته فمتديننا وحش و
البعيد منا عن الدين وحش كذلك ذاك في انكماشه و انقباضه وهذا بسخافته و استهتاره:
نحن حتى لو بعدنا عن تاريخنا المجيد وعن سيرة نبينا وامنائه الامجاد و علماءنا المتقنين
العاملين و عن كل حديث صحيح و سنة راقية لانستطيع ان نتباعد عن مضامين آيات
الذكر الحكيم اذ ليس بيت من بيوتنا لم يحتو عليه ولا فرد من افرادنا لم يتلمذ ولو على
صفحات منه وهو في الاعم الاغلب من آياته نراه يدعو الى الخلق الفاضل و الى بنيان
المدينة الفاضلة و الاستفادة من السكنى فيها و قليل من التدرب عليه كثير في الوجهة
الاجتماعية : اخذ الله بأيدينا الى صوب الكمال و جنبنا طريق الاعتساف و الضلال انه
قريب مجيب : - الفصل الثالث عشر -

النجف مصدر النبوغ ومنطلق النوابغ

تحتل بعض المدن في العالم موقعية كبرى في التاريخ ذلك لانهم على تخطيطها
آلاف السنين ولانها تحتضن بين جدرانها بقية من آثار متلاشية كانت في باكورة عمرها
مائلة على سوح العيان يذكرها الذاكر ويتمثل بها المتمثل وهذا هو تمام قيمتها فحسب:
اما النجف فهي و ان فرضت نفسها على الوجود رغم من سائه ذلك و احتلت موقعية
كبرى في العالم الاسلامي بل العالم كله الا انها لم تستوف القليل من حقها فان بابل ان
خلدها اسدها و مصر اهرامها و لبنان أرزها فان النجف يجب ان تهز اعطافها نبيها بغطا حلها
الاسود و نوابغها الصيد و رجالها الافئدة الذين نشروا منها العلوم و المعارف و البطولات
والاثار الفاتنة حد الاحصاء و فوق كل هذا و ذاك يجب ان تفتخر بأسدها الوحيد و بطلها

المفوارو ربانيها العظيم ولا هويتها الخطير مقيم صروح الانسانية الامام على بن ابي طالب - هذا مجمل ما توفر لديها - واما التفصيل .

الحوزات العلمية في النجف : تمتاز الحوزات العلمية في النجف على كافة الحوزات العلمية في العالم بالضبط (١) بانها واجهت من اعنات الزمان بها ورجالها عالم تواجه به اية حوزة علمية في اى دور من ادوار التاريخ ومع هذا الاعنات اغذت تستمر بدراساتها استمراراً مدهشاً اعربت عنه آثارها المخالدة في الشرق والغرب (٢) فخامة الفكر العلمى فى المسائل النظرية وكل من يقارن بين الاثار المتقنة النجفية وآثار غيرها من الحوزات يعرف ذلك بسهولة فان سائر الحوزات لم تنتج الا القليل من المتاع الثمين (٣) التنوع فى كافة الفنون حتى الا سرار والطلاسم والحوزات الباقية انما تعاني ما تعاني عندها من معقول او منقول ولا تتجاوز ذلك الى ما سواه (٤) كثرة التأليف والتدوين ولوان الحوادث المتناوبة والغارات المشنونة وقلبات الزمان الهجامة رحمت هذه المدينة وما تحتفظ به من آثار علمية و هكذا مقدروا التراث العلمى لو صرفوا همهم فى صونه ونشره لكان محصول النجف رقماً واسعاً جداً نقل مساحتها عن القيام بكمياته الوفيرة وهذا بتلك الخصوصيات معدوم النظر فى غير النجف :

كيف تستطيع النجف ان تحتفظ بتراتها العلمى و هى كانت تواجه من الطغيان الموجه اليها ما تسد نهمته بارواحها فضلا عن تراثها وكانت حالة محصلها المادية يرثى لها من الضعف والوهن والانهيال فكانت الارضة وسائر الحشرات المتلفة وغير الحشرات رقيبها الملازم لآبادة آثارها وقلعها عن صفحة الوجود : ولما برز دور الطباعة الى ساحة العيان بقيت محرومة منه مئات السنين ولما وصلت يدها اليه وصلت منه الى واهن لا يسمن ولا يقنى و اقل شاهد عليه هذه المطبوعات الحجرية المائلة للرفوف و خزائن الكتب المشوهة فى نفسها العابثة بكرامة المؤلف وتأليفه بل وبكرامة القرطاس والمداد والى الآن والطباعة فى زهرة نشاطها لم يوفق للطبع الجميل من كتبها الا الرقم الضئيل : وكم حملت مكتبة اثر مكتبة كلها من قسم المخطوطات باسعار متواضعة من بيوت النجف العلمية الى خزائن الغرب و هى اليوم مكدسة فيه لا يعرف عنها النجف حتى اساميتها

المجردة : وواحدة من هذه العلة كافية في ائتلاف كل تراثها ولم تواجه اية حوزة علمية في
اي مكان من ناحية تراثها العلمي بعضاً مما واجهته النجف ومع ذلك فالمحفوظ من
الآثار التي درت في ساحتها رقم واسع متنوع في احائه كثير بفنونه وعلومه :

هذا الحديث كله عن امس النجف الذي كان المدرسون فيه فطاحل المجتهدين و
اعاظم المفكرين والمتعلمون خلاصة أهل الفضل والكمال الذين لا يعينهم سوى التحصيل
ومهاقسي عليهم الوقت : سمعت من المرحوم والدي وهو يتحدث عن استاذة العلامة
الغد الشيخ محمد حسين الاصفهاني ان استاذة الموماً اليه قال له لم يقتنى منذ حضرت
دروس الآخوند الخراساني الى حين وفاته الأبحث ليلتين اما ليلة منهما فقد كنت فيها ارمد
شديد الرمد بحيث ازعجني وضعت حتى عن الاستقرار في منزلي واما الليلة الاخرى فقد
أرسلت السماء فيها شأيب المطر حتى احوالت طرق النجف مائجة بمياهها فأيقنت في
نفسى تعذر حضور الاستاذ والتلاميذ في مثل هذه الحالة و صبيحة غد فهمت ان الآخوند
على كبره سناً ومقاماً خاض تلك الوجول معتمداً على بعض المساندين له وجاء على مواعده
من كل ليلة و القى دروسه على قلائل ممن كلف نفسه الحضور في مجالس درسه : و مثل
هذا التصميم الذي لا يتشظى بالعوامل المهمة مفقود هذا اليوم في النجف كفقده امثال
اولئك الاساتذة واولئك التلاميذ في كل حوزة من حوزات العالم الاسلامي بل العالم كله:
وهناك هنات اخرى يجب على اهل الصلاحيات القائمين باعباء الحوزات العلمية
رفعها بكل مجهود يستطيعون بذله في حراسة الدين وأهله - منها - صرف همهم في
المحافظة على النخبة الصالحة من رجال الروح و توليد امثالهم بتعبيد الطرق امامهم
فان البيوت العلمية العريقة خلت من كل روحى فيها او كادت والناشئة المستعدة اخذت
طريقها الى التوظيف لفقدان الضمان في المدرسة الروحية على عظيم ما يجبى لها من مال
بشتى الوجوه واذا بقى الوضع على صورته هذه من كثرة المعتمدين الفارغين وقلة المحصلين
من اهل الدين وتوزيع المال على الغث اكثر من السمين فماهى الا ليلة او ضحاها لبقاه
الدين نفسه في احناء العالم المسلم - ومنها - المواظبة التامة على مادة الدرس ولون
التدريس وتقليل اوقات التعطيل وانقاذ المستعدين من هذا الارتباك الذى يواجهونه في

في الحوزات فلامادة الدرس منقحة ولا لون التدريس معلوماً ولا المدرس متبهاً ولا الغاية النهائية معروفة ولا ضمان المعيشة له برنامج خاص واذا لم يقض على هذا الارتباك فوضت الاوضاع المسيطرة على كل شيء كما فعلت في اكثر الاشياء - ومنها - الوقوف امام مجهولى الهويات من الطامعين ببزة الروحيين والمرهوزين من هذا القبيل الذين اتخذوا هذه الظاهرة وسيلة اقتناص من ناحية وتخريب من ناحية ثانية فان هذين الفريقين من المعاول الهدامة لبناء الدين ومثارسوء ظن الناس بكل روحى على الاطلاق :

المثل الرائعة والاخلاق الدينية البارعة : كان المتدينون المترسمون لخطى اهل بيت النبوة يتسابقون الى التحلى بأخلاق هدايتهم فكانت الفضائل فى جميع شعبها مورد تنافس بين اهل الدين سواء فى ذلك ما يتعلق بالبدن ام بالمال ولهذا النزعة كان فى اطباق اهل العلم اخلاقيون كبار ومرهوبون عظام تشكل من طريقهم حوزات دراسية خاصة تموج بالقدسيات المرموقة حتى انتشرت هذه النزعة الرائعة على السلاطين وولائهم فكانوا يندفعون من صميم قلوبهم الى اشادة المساجد العظيمة والمدارس الرفيعة وسائر الخدمات الاجتماعية واذ لاحظنا دفتر الاوقاف فى شتى الوجهات وجدنا الكثير الجزيل من منقول وغير منقول قد رصده اهلنا بارشاد من الهداة الاخلاقيين الى المنافع العامة او الخاصة بفريق خاص وهدف معين والى الآن لاتزال هذه الاوقاف باقية وان كان العصر المادى قد احتجزها لنفسه وصرف ريعها خارج منظور الواقف ولم يبق من بينها الا القليل الدارج على وجهته التى ارصد لها :

اذن فبالاخرى ان تطلع النجف فى يومها ذاك طلعة ملكوتية وان يكثر اهل الورع والتقوى والفضائل النفسية بين اطباق اهلها بخاصة اهل العلم فيها ولا يستكثر على جامعة يكون زعيمها امثال الشيخ مرتضى الانصارى و الشيخ محمد حسين الكاظمى والشيخ محمد طه نجف و الافارضا - الهمداني - ان تبني لنفسها مدينة فاضلة فلا ترى فيها الا المتعبد المتعبد المحسن المواسى الساعى بالخير الفاعل للمعروف :

وانا بدورى ادركت بقية من ذلك الزمان المتصرم فكانت البيوت العلمية تنعقد

نواديبها باستمرار وما اهل نواديبها سوى الاخيار الابرار الذين رضوا من العيش بما تيسر وجمعوا انفسهم لخدمة الناس بكل مجهودهم وما كان حديثهم يدور - انى كانوا - الأعلى الفضائل والنسب في شرحها و كيفية التحلى بها : ولقد كان الحرم والصحن الحيدر يان والمساجد تعج بالمصلين والمتهجدين والذاكرين لله كثيرأ كما كانت المحافل الحسينية على طول الزمان من اكثر الباحات تجمعا يسرد على منابرها الوعظ والارشاد والتعاليم الدينية الاخلاقية :

اما مع تمام الاسف وبفضل عصر الذرة لم يبق من ذلك عين ولا اثر فلا اخلاقي يقتدى به ولا ربانى ترسم خطواته: المدارس منفصلة عن اهدافها والمحافل تفقد بهائها الذى كان يسود عليها وبالاخرة اصبحت الديار بعيدة عن قدسيتها بتجافى اهلها عنها وانصرافهم الى قشريات المادة السوداء :

البطولات الناشئة عن الايمان بالمبدأ : من الطبيعى المسجل اذا قلنا ان المؤمن لا يكون جباناً لان الايمان باى مبدأ يفرض هو بنفسه قوة جبارة تدفع بصاحبها الى أن يخوض من اجله كل مشقة حتى يفرضه على الوجود ومن هنا استطاع نبي الاسلام ان يبني دينه بعدة محدودة من المؤمنين وان تتوالى انتصاراته فى الالوة بعد الالوة بعد أن كان مواجهها بأقسى المبارزات وأحدها وما اندلعت الشجاعة من جميع اطراف على **عليه السلام** الأمن ينبوع ايمانه الراسخ بما يعتقد وهذا المبدأ هو الذى ركز الحسين واصحابه فى ميادين الالف فكان الواحد منهم كالجبل الراسخ لا يقلق ولا يميل .

وهذه الروح لما تبطنها العلماء المقدسون كانوا من طريقها اشجع من كل شجاع فى مرابطة مواقفهم حتى النفس الاخير فكان النهى عن المنكر له اثر والامر بالمعروف مشفوعاً بالعمل وعن هذا الثبات المدهش استطاع الدين من طريق اهله ان يرغم مناوئيه على احترامه وتجليل اهله وان يتنازل الزعيم المستبد لقبول فتوى المجتهد : وماركز الدستور فى الحكومات المتعنتة و قرر القوانين الاساسية على طبق برامج الاسلام الأسطوية ايمان اهل العلم على المستبدين وما دحر الاستعمار واثره السىء عن ديار الاسلام بعد الحرب العالمية الاولى الا انطلاق المؤمنين للترفيه عن اوطانهم وايمانهم :

اما العاذات تلك الروح فلا ايمان بمبدأ ولا عقيدة بمرام حتى اخذت البلدان الاسلامية
تنهار الواحدة بعد الاخرى من دون سلاح جرد عليها اوقوة زحفت اليها وانما هو فشل
التحلل العقائدي والميوعة في الاخلاق و كفى بهذا الداء داءاً فانكا ولا ينجع مع هذا
الفشل الروحي حماس الشاعر وفيهقة الناطق كما لم ينجع بالفعل لان الكلام الفارغ
هراء في هواه : وايت ان البلاد الاسلامية لما اعطت دينها من يدما بزعم مثقفها ان
العلم طرد الدين احتفظت بعزتها واستقلالها وكيانها : وان الثقافة العاطلة عن حماية
اهلها اشقى من الجهالة الجهلاء بحكم الطبيعة :

الدجل والانتهاز من اعظم الموبقات الدينية والاجتماعية : الدجل مرض اخلاقي
منشؤه هواية الاتصال بالهدف الشخصي والميل النفسى من افسر طريق وبلا مشقة ولا ريب
ان ذلك يستلزم ارتكاب خيانات جمّة وجنایات مهمة لان مخالفة السير الطبيعي تستدعى
كل ذلك : والنفاق وهو التدرع بظاهرة الحق للتسرب منها الى الباطل قديم الوجود
فى البشر و كل ما كثر فى امة دل على ارتكاسها فى الجهل و بعدها عن الايمان
بالمبادئ القويمة وقد واجه نبي الاسلام فى الطبقة الاولى من معاصريه هذه الروح
التي زرعتها الجاهلية الجهلاء غير انه ^{بالقوة} امانتاً دبهذا الفريق المتلون اخذ المؤمنون
يتحامون المنافقين حتى من كان فيه اقل شائبة من النفاق وبنوا لصدق اللهجة والصرحة
ارفع كيان وهذا المعنى هو الذى خلق من ناس الجاهلية اعماراً و اباذر والمقداد وحجر بن
عدى واشباههم كما خلق الكمّل الافاضل فى العلماء فكانوا يفعلون الخير العميم ولا يتظاهرون
بفعله حذراً من تلوثهم بالرياء المتلف لاخلاص عملهم والصحة فى العمل ملاك انمار
العمل ولهذا كانت مساعيهم موفقة واعمالهم مركزة ولا وجود للفت فيهم بالمرّة وكان موقف
الحق غير مشوب بموقف الباطل واهل ذلك الجانب ممتازين عن اهل هذا الجانب :

غير ان الانهيار الروحي لما لابس الكثيرين من المنتسبين للدين فشى النفاق فى الطوائف
الهادية للناس فاختلف توازن الحق بين اهل ودخل المر موزون فى حوزة الواقعيين فكان من نتيجة
ذلك سوء ظن الناس بهداتهم لان الدجل ينكشف بعد حين قطعاً فيكون مئار ريب فى الآخرين :
وسوء ظن الناس بالهداة مما يفرق جماعات الناس ويحيلهم الى اوزاع والتفرق من اقل نتائجها

السيئة ان مئات ملايين لا تقاوم عشرة افراد متصامدين بالضبط خذلك مثلا قضية الخوارج في العهد الاموي فقد كان خمسون خارجياً يهددون المملكة الواسعة الارحاء الموفورة الاعداد بنخطر التلاشى وما ذلك الا واقعية الخارجى فى نفسه ونفاق الملايين امام دوقس على ذلك الحالة السائدة اليوم عقائدياً واجتماعياً :

نرى ناطقنا يتفهبق باننا ستمائة مليون مسلم ولكن الحقيقة ان حفنة من المجددين فى تركيز منوياتهم اثروا على روح ستمائة مليون انسان : صحيح نحن ستمائة مليون انسان مسلم ولكن كما وصف الشريف الرضى مجتمع المقابر بقوله :

بادون فى صور الجميع وانهم منفردون تفرد الآحاد

بم يستعيد المسلمون كيانهم والمحقوقون حقوقهم : الاسلام ضرب مثلاً من نفسه على نفسه بتعاليه تارة وانحطاط اهله اخرى اما تعالیه فكان بالنخبة الصالحة من اهله حيث كان المسلم يذود عن دينه بعصاة فضلاً عن سيفه وحيث كان الداعى له فى صدر كتائبه لاقاباً فى كسرى بيتهو حيث كانت العقيدة بخيلة قلب لاسمة ظاهر فمتى وقف المسلمون فى منا جزائهم ومبارزاتهم ودخائل قلوبهم موقف المسلمين الاول عادوا كما كانوا اقوياء اعزاء حافظين لحيثياتهم متدرعين بكراما انهم منظمين باعمالهم الصالحة وسيرتهم الناجحة يخاف منهم ولا يخاف عليهم :

واما التصفيق و الهتاف وقول - ليحى و ليامت - و اشادة المحافظ بسرد القصائد والكلمات فهو من شأن مجالس الافراح والاعراس لامن مقومات الامة والمحافظة على الحرمة ، واصدار الفتاوى المجردة والقبوع فى البيوت من شأن العجزة المساكين لا الهداة القائدين والدعاء بالنصر وراء العمل لاحراز النصر ولو كانت الفتيا بمجردا والدعاء بمفرده من مؤهلات الحقيقة لاكتفى بهما محمد بن عبدالله قبل كل احد لمطابقة فتواه للواقع وقرب دعائه من الاجابة لكنه لم يكنف بذلك لان الميدان ميدان عمل متواصل وكفاح مر و تقدم مستمر : ويستحيل على أهل الحقوق استعادة حقوقهم من طريق هذه المحاكم الدارجة بين الناس و هؤلاء القضاة المتربعين على منصاة القضاء فإن هذه الصلاحيات لما فقدت اهلها الواقعيين وتبدلت بعد كونها دواوين عدل دكاكين

للتحذ عادت من المهازل انصافاً :

و مع كل هاته الهنات الموجهات في العالم الاسلامي : فالنجف بنسبته للوضع الدارج اليوم يعد ام القرى للاندفاعات القوية التي تصدر منه و تكون فيه فمعابده في حدود معابد اليوم عامرة و مساجده دائرة ومدارسه حاشدة ومدرسه قائمون بوظائفهم الملقاة على عواتقهم من هذه الناحية ومحافله الخطابية بركة انفاس ابي عبدالله الحسين سلام الله عليه متشعشة و نواديه الادبية حافلة بالاديب المتيقظ والادب الحي ومع ذلك كله فالحركة الصحافية التي هي اكبر مدرسة سيارة للمعارف و اهم اداة في التعبير عن مقاصد الجماعات والافراد والوسيلة الفذة لنشر الاراء وتسجيل البحوث العلمية و اهنة ضعيفة في هذا البلد الذي من شأنه ان يصدر عشرات الصحف وهو يفقد آحادها المعدودة على ان هذه الاحاد التي تنشر عنها هي نتيجة مجهود افراد مخصوصين ولامنة للحوزة عليها بالمرّة و هذا الفراغ العلمي العقائدي الخطابي الثري الشعري لم يفكر قادة الحوزة في سده بما يقوم بشأنه وللآخر لا اراهم يفكرون :

وختاماً : فقد اضافت النجف الى مزايا شرفها الانف بأن تربتها من أخصب ما خلق الله من تراب ارض حيث اضطمت احناؤها على هياكل قدس لا تحصى بالالوف من امام معصوم ولا هوتى عظيم ومقدس كريمة وعالم عامل و انسان كامل وعباد صالحين ونفس اختيار المؤمن هذه التربة في حياته مدفناً له بعد مماته يشعربان لها قدسية في نفسه مستمدة من بركات امير المؤمنين والعلماء الربانيين الذين تشرّفوا بجواره وافتخروا بقربهم من مرقد احياء وامواتاً : الفصل الرابع عشر :

مطلع الحقائق - او- مولد الامام الصادق

ان يكن تكثر الريب في جملة من آراء الفلاسفة الاقدمين سواء في مبادئ الناس ام في سياساتهم و اقتصاداتهم و شؤونهم الاجتماعية فتكلموا عن وهم وأطالوا القول في خرافة و ارتجلوا الحقائق بزعمهم ارتجالاً و تربعوا فيما يرون على دست اماراة العلم فقد نزع هذا الغرور ايضاً في فلاسفة القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين فجاؤا

بعد أن رصدوا منطقة السماء فعرفوا حسب ما يدعون شؤن المنظومات الشمسية والسيارات الأخرى بمداراتها وأقمارها و إضافة عددها بملايين المرات على ما تميزه الأ سبقون و اطلعوا على أبعاد بعضها عن بعض وتميزوا حجم كل واحد منها ونسبة البعض إلى البعض وامكان سكنى البشر فى أى منها دون الأخر و فحصوا بطون الطبيعة فاستخلصوا منها الذرة و النور و النار و البخار و وقفوا على مدى تفاعلها و آثار تراكيبها بما ملاؤا منه وجه البسيط ما لم يكن الأقدمون يعرفون منه اثرأ من مليارات الأثار الشاخصة اليوم فى الامم المتمدنة ينعون على كل انسان سواهم و يعدون كافة الأراء و المشاريع خارج آرائهم و مشاريعهم اضحوكة باردة و أوهاماً فارغة و ان الناس ما كانوا يعرفون من الكون الا لفظه الفارغ و ان تلك العقول التى كانت تمد بتلك الامدادات اشياء عقول وليست بها و ان كل فلسفة و شريعة تتعدى حدود خارطاتهم جزاف لا مقيل له من الواقع ولا ارتهان له فى الخارج و زف ورائهم معاصروهم من كافة الطبقات خاضعين لآخر تاويح يكون منهم فضلاً عن التهرب :

كما زف وراء مقاتل ابن سليمان الذى كان يقول عن الله سلونى فيه عن كل شىء يكون فى الاجسام الحية سوى القرث و الدم اتباعه و المولعون به ولكن هل للنقاش فى ذلك وهذا ميدان فيما يخص الانسان من ناحية حياته الصحيحة و اجتماعه الصحيح اولا ميدان الألفراط القديم او تفريط الجديد : نعم الميدان كما هو فى سعتة : بعد تشخيص ما هو الألام للانسان فى حياته بما يضمن له السعادة النقدية :

نعم لا يسوغ لنا ونحن نريد اخذ النتيجة من قريب كما نريد ان نواجه بكلامنا دنيا واسعة الاطراف تعج بالكثرات المهمة من المادة و الماديين الذين ينكرون ما وراء الطبيعة و يعدونه وهماً بل تأمل ان تتناول سعادة الانسان من طريق آخرته و معاده و لذلك عبر ناعن سعادته الضامنة لوجوده بالسعادة لنقديه فلنعابن بأحد اقنا المفتحة تماماً ان الانسان على كافة ادواره و تشتت اعصاره باية وسيلة يتمكن ان يعيش سعيداً و الى اية وسيلة يحتاج فى تقضية عمره و طى ايامه و ايا ليه مرتاحاً :

نحن اذا عاينا الانسان وقد اخذ من ست جهاته الاختلاف الطبقاتى الفاحش كما فى

العهود القديمة وجدنا ادناه طبقة اذل من العشرة العمياء في اجواف الارض فهو فضلاءن
فقدانه للسعادة بالمرّة ووجد لكل ما يوجب العذاب الدائم والآن عاج المستمر حتى لو كان
ضعيف الدرك قليل الحس :

واذا عايناه في يومه هذا حيث اخذت سفينة الفضاء تقطع تيارات هذه الاجواء
وحيث شع الكهرباء وقطر الماء ورغت امواج الراديو وجسمت الخيال شاشة التلفزيون
وقام لكل نعيم في الخيال وجود واقعي يحس ويلمس كذلك لم نجد لادنى الطبقات في
دوره هذا ما نرا يسعد به بالنسبة الى ذاك الدور ولعلك تعجب اشداً للعجب من هذا الحكم
بل لا ترى فيه شائبة من الحق ولكن الحق كما قلناه بالاممارة فان الاختلاف الطبقاتي
الفاحش لا يزال متجلياً بهذه السمة في ارقى مدن الغرب واعظم عناصره تمدناً وللان
لا يزال حديث انحطاط الاسود في عين الابيض في امريكا مهد التمدن الغربي ومخزن
ثروته بصورة لم يعهدا اقسى عصر شرقي في اوحش اومه كيان الاسود يباع في أسواق
الشرق ولم يكن الابيض يمنعه من انحشاده في مجالس البيض ولا عن المذاكرة معهم
ولا عن انصافه في صفوف المحصلين البيض في مدرسة واحدة وصف واحد بل فضلاءن
تجويز ذلك له طالما شخص الاسود عند الشرقيين فملك ووزر ونهى وأمر وحظى بمقامات
مهمة تتلطف عليها البيضان فلا تنالها وتاريخ الامم الشرقية طافح بذلك والعيان اليوم
في الشرق والغرب قاض بما قلناه ومع هذه المنقصة الشائنة ونظائرها فأدنى الطبقات
اليوم اشدّ لوعة من ناحية فقره بالنسبة الى أخيه الفقير يوم امس فان الماديسة اليوم
لما ملات ادمغة الكثيرين من الناس وراحوا من أجلها لا يعرفون مبدءاً ولا معاداً و
لا يدينون بشريعة مثالية قبضوا بكلماتنا يديهم على ما فيها فلا ترى صدقة او زكوة ان
لا موضوعية لهما بعد الكفر ولا برأوا احساناً بعد ترك المادة مكان الوجدان الفطري
وما نراه من المشاريع الدولية العامة فهو قبل كل شيء حق المقتدرين والمتنفذين
و لو بالواسطة و حظ الفقير منها اتسامها باسمه و حرمانه منها تماماً فليس في تخوت
البيمارستانات العامة تخت لفقير لا يملك واسطة قوية مشفوعة بدراهم ولا من ادويتها
الغزيرة دواء ينجع وعلى مثل ذلك فقس :

وطبعاً موضوع كلامنا ادنى الطبقات ومن لازمه القهرى الافلاس فاذا كانت قيمة البطاقة حتى للمقطار العادى مبلغاً يعتد به ويفقده الفقير بطبيعة وضعه فأين مكان المنة عليه باختراع القطار مكان النافة و الحمار :ومن اى طريق يمتن عليه بوجود الطبيب الجراح اذا توقف العمل على مالية ضخمة يتعذر عليه تحصيلها فاذا كان فقير امس يموت بعلمه ففقير اليوم مثله بلا ادنى تفاوت ومن هذا المعجى يعرف انه لا حظ له فى شغل الكهرباء ولا فى الماء المقطرولا فى تموجات الراديو ولا فى كل كمالى عظيم حق:

واذا جاءتك الشيوعية على اثر هذا الحديث ومدت رجلها فى الوسط وقالت الان طاب الحديث فان جميع ما تقوله حق فى الدول الرأس مالية اما المرام الاشتراكى فقد قضى على هذه النزعة فى كل ما نالته يدها من قطع الارض وعمارتها فأفل جوابنا له ان ذلك كله دجل وتزويروا قل مدرك عليه قصر كرمين الذهبى لزعماء الاشتراكية و طينية الفلاح الروسى التى يسكنها فضلاء فيها من خنق كل شعوروايا كان وسلب الحرية المطلقة من كل انسان و الحرية فى نفسها من اعظم الامال الحية له :

واذا عطف عليك المتجدد بفرعونيته قائل الا كانت الطواعين والاباء بين حين وآخر تجترف آلاف الناس و مآتها و بفضل الطب الحديث و سائر الوسائل الاختراعية ارتفع ذاك الكابوس فقل له ذهب للمقديم طاعون و جاءت من ناحيتكم طواعين تجترف فوق النفوس معمور الارض و ما فيه جاءت الذرة التى اصبح كل واحد منكم يخاف خيالها المرير فضلا عن عيائها الماحق وجاءت القذائف المستأصلة التى طالما فتكت بكل شىء: جاءت عنكم هذه الوسائل فاستفحل امر الاستعمار و خارا الضعفاء تحت كلاله بما الاخلاص لهم منه الا بالموت الاحمر فان يكن تاريخ التمدن الحاضر ينمى على القدماء وحشية الاسكندر وبخت نصر والحجاج و جنكيز فايقاعه اليوم بالانسانية لاعهد له فى كافة العصور على الاطلاق و اقل دراسة فى تاريخ الحربين العالميتين الاولى و الثانية فضلا عن شتات الايقاعات المزعجة فى كل مملكة و بلد تكفى فى الاستشهاد عليه :

اذن فبم يكون الضمان لسعادة الانسان : الانسان بوضعه فى وسط عادى بهمه ان تهباً له مرافق معيشته بطور متعارف كما بهمه تأمين روحه من المزعجات فلا ظلم

يخفق عواطفه ولا انحرافات يواجهها في سيره الحيوي من صديق وجليس و بائع ومشتري
ومعاشرو ومجاور ولا خوف على حيثيته ولا حذر على ناموسه ولا مزاحم له في حقوقه
الشخصية ولا دافع يدفعه عن حقه الثابت له : فلاريب ان هذا الشرط متى تحقق لصاحبه
عد سعيداً لأنه على بساطته في نفسه عديم الوجود دائماً فلا ترى ملكاً او سوقة الا وهو
متأثر جد التأثر في اشواط الحياة لتخلف هذا الملاك البسيط عن مقارنة حياته و تأمين
هذا الملاك انما يكون بتطبيق الحالة الاجتماعية العامة على برامج الاخلاق الصحيحة :
فمتى سادت العدالة والصدق والرفق والحياء والوفاء والامانة و العفة و الورع صلحت
الجامعة قطعاً حتى لو فقدت النور الامن طريق الشمس والقمر ولم تستحصل من القوت الا
ما يسد الحاجة ومن سائر احتياجات الانسان الا ما يقوم بدفع الضرورة ولا يسد هذا الفراغ
الاخلاقى تموج انوار الكهرباء وتدافع نسيم المكيفات ولا تسنم الطائرات : ولا :
من كل كمالى يفرض فان هذه الحسنات المادية على فرض حصولها لكل انسان لا تدفع
الظلم ولا تكتسح الانحرافات كما لا تطعم لها مع الظلم والانحراف : ومن هنا تجد الجامعة
البشرية دائماً تفتش على المصلح ولا يهمها من امر المخترع شىء الا اذا نالت الراحة
من مجتمعاتها :



الامم المضطهدة في هذا العصر على ما تتمتع به من نور و نار و بخار مثل الامم الراقية
في سنخ هذا التمدن لا تراها في ادوار حياتها الا كاسفة اللون ذابلة الروح مخنقة
العواطف للهوان الذى تواجهه من طريق الظلم والدجل والاستعمار والتحكم وما يمت
الى ذلك ولا تعد تلك المتع متاعاً يبلغها الى ما تهدف من الحرية والعدالة و حسن
المعاملة كما يهدف الى ذلك كل ذى شعور ومن هنا كان المثالى في دنيا بنى آدم اسمى
مقاماً من كل انسان يفرض على انه لم يجهد قواه في البحث عن المنظومة الشمسية
وسائر السيارات ومنظوماتها لانفصال هذا البحث عن حياة الانسان بالمرّة فالارض سواء
اكانت مسطحة ام كروية ثابتة ام متحركة قديمة في الوجود ام حادثة وسواء اكانت
السيارات سبعة ام تسعة ام اكثر كانت قابلة للسكنى ام لم تكن كان بعد بعضها عن
بعض كذا كيلومتراً وما الى ذلك من مباحث الهيئة الجديدة التى انفق فى سبيلها اموال

وعطلت اعمال وتخصصات للوقوف عليها والبحث عنها رجال لا ترتبط بحياة الانسان وما يهدف اليه في نشأته : وما يرتبط من ماديات الكون عرفت مرتبة مساسه بالنسبة الى ما يقتضيه الاجتماع الصحيح :

فالجامعة البشرية في حاضرها وغايرها في حاجة اولية الى المثل العليا وتلك لانكون الافى تركيز الاخلاق الصحيحة وهذا ما لا يكون الافى المثاليين الافذان واخلاء الميادين اهم حتى يقوموا باعمالهم الصالحة في توجيه المجتمعات المستعدة ومن هنا اكبر ملاحظة العالم مقام الانبياء العظام كموسى وعيسى ونبي الاسلام واستحسنوا خطتهم وعدوا مبارزاتهم الاخلاقية احسن خدمة للانسانية عامة ولم ينحرف عن هذا التمجيد لمسهذ النوات المعظمة سوى دعاة البلشفة ذلك لانهم لا يرومون الادعم سياسة و تشييد مملكة يتقوون بها ويستعمرون الآخريين و ممن يكون هذا هدفه لا يدين بالانسانية ولا يرى للمخلق الفاضل معنى ابد أسوأ كان مادياً صرفاً ام منتسباً الى دين وكل جبايرة الدنيا على هذه الروية وما تنهافت العلم على سفوحه وانهارت الدنيا لاطئة وتمزقت اشلاء المثاليين ومات الخلق الصحيح واصول الفضيلة وتقدم الاجلاف واصحاب الرذائل وكثرت زافتهم وتوسع عنصرهم الأمن نتيجة تحكيم المتفطرسين الذين لا يهتمهم سوى تحكيم منوياتهم التي ما اندفعت الا عن حالة سكر وتخدير حواس ولم تنزل كما لاتزال جوامع بنى آدم تمنى بهؤلاء الوحوش فتنسحب الى الوراء المضغط الفاحش عليها ولكن رجال الروح والمثاليين لم يتركوا هذه الصحنة للمخربين وان استنام لحكوماتهم المستضعفون فهم لا يتركون الفرص المناسبة ولو كانت من وراء ستار فكم اختفى موسى بن عمران للضغط من الجبايرة على وجوده لكن روحه مند لعة تناجى العابر والمستطرق والبعيد والقريب على حساب الفرصة السانحة بما يشوه منظره الظلم و الالحاد والاستنامة الى الباطل وكم انزوى عيسى بن مريم عن اليهود مخافة ان يحطموا وجوده فلا يعمود يستفيد من طريقه التبليغ الى الحق واداء رسالته في تقوية الانسانية وتنمية الشعور الانساني وكم طورد محمد ﷺ فلم ينفك عن القيام بواجبه الروحى وهؤلاء العظام وان قاومهم طغاة عصورهم الا انهم فتحوا في نهاية المطاف فكانت لشرائعهم التأثيرات الواسعة

فى نشر الفضائل ونعميم الخير و على هذا المدرج استن على بن ابي طالب وآله الفر الميامين فذاقوا انواع العصى ووجهوا بأشق الاحوال والمصائب فلم ينخذلوا عن نصره الحقيقية وكان سبهم منها الخلود وسبهم مناوئهم الفناء وسوء السمعة واللعن الدائم :

الاسلام دين علم وفضيلة ونشر للاخلاق الصحيحة : تمتاز الديانة الاسلامية من بين كافة الشرائع السماوية والمبادئ الارضية بانها جاءت للبقاء المستمر وتركيز العدالة الاجتماعية ونشر الفضائل المعنوية وابطس الخير كله للبشر كله فاهتمت قبل كل شىء لتلين العواطف المتحجرة وفرضت الرأفة على الانسان لآخيه حتى لو كان بعيداً عنه فى كل الوشائج ماسوى وشيخة النوع فكان من تأثير هذا التشريع الغاء امتيازات العناصر ومنع الواد واستقبال المتوطنين للجاليين عليهم المهاجرين اليهم ومشاركتهم لهم فيما يسر ويضر ومشايعة المسافر واستقبال القادم وعبادة المريض وتشجيع الجنائة ومئات سوى ذلك مما لم يفرضه الاخوة الحقيقية على الاخوة زمان الجاهلية كما ان اكثره كان مفقوداً وحتى فى العناصر الحية يومذاك من الامبراطوريات الحاكمة للشرق والغرب :

كما فرضت الشجاعة على المسلمين وان المؤمن لا يكون جباناً لانه فى مبارزاته بين حسنتين اما الفوز بالمقصد واما كسب رضوان الله وبهذه الروح القوية تمكن الاسلام ان يبتدأ اول كسبه للعالم كله يومذاك الاماندر بثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً و اخذت فتوحاته بعد ذلك تترى تباعاً لانا قطعاً بما بهر العقول مضافاً الى الاحسان لكل انسان يقع تحت قبضته ولو كان قبل ذلك لاجاً :

وهذه الروح هى التى كثرت الاحرار فى المسلمين بعد ان لم يكن لهم تاريخ مسجل لندرتهم واول من ركز هذا التصميم القوى فى الاجيال المسلمة وجعل للجريه كياناً اسمى من كيوان هو سيد الاحرار عزيز بنى آدم الحسين بن على عليه السلام فقد بنى بمواقفه العظيمة و بطولاته النبوية وشيمه العالية صرحاً للانسانية ما بناه انسان والآن لا يزال ذاك الصرح باقياً بل اعمر من سابقه وانظر :

وفرضت العلم على كل مكلف فرضاً لا محيص عنه لانه محط مسؤوليات طويلة السلسلة يعاقب على اهمال الحلقة الواحدة منها وتلك هى تعرف بالنظام الذى حدده فى كافة

افعاله وتروكه من عباداته ومعاملاته و السياسات المربوطة به و المربوط هو بها و اذا
 بجفاة العرب بعد زمن محدود فقهاء مفسرون و رواة محدثون و ادياء ناطقون و كاتبون
 بما جعلهم اساتذة بارعين حتى درس على الصادقين عشرات الالوف من اكابر المحصلين
 الصادقان ابو جعفر و ابو عبد الله عليهما السلام : كما وعزنا آ نفا أن ميادين الحياة لو اخلت
 للمصلحين من بنى آدم نكان العالم قبل آلاف السنين مدينة الفضل و الفضلاء لان المصالح
 تركزاً قوياً في النفوس فاذا عضدته السياسات الحاكمة جرى على مدرجه عاطفاً لاحقه
 على سابقه و لكن نيات سوء و الانحرافات الموبقة لانزع المتغلبين لازمين
 لطريقة الحق بل تدعوهم الى ارتكاب الباطل فيكونون محل مقت المؤمنين و هذا
 الوضع في الخلافة الاسلامية اخذ دوره منذ تحكم بنو امية فكان الخليفة جلفاً و امرؤه
 اسمع من و اقذر و كان عداؤهم الخاص متوجهاً الى عباد الله الاخير و كان الفضلاء دريئة
 لسيوفهم حتى الزهاد البعيدون عن المجتمعات و تحت هذا الركام السائد و الغيوم المتلبدة
 ومع هذا الضغط و الاختناق ترى اوزاع الناس من طرق رمزية يتصلون بأهل العلم ليأخذوا
 بغيتهم من المعرفة اللازمة التعرف و لا يهتمون انفسهم و ان تعذبوا في طريق تعريفها جاء
 ان تنقش هذه الاوضاع الخائفة فيكونوا واصلين حبل السابق منهم في احياء العلم
 لتستمر سلسلة الافاضل و لتتم حجة الله على عباده و ليقوم المسلم القيور بدوره في الخدمة
 لدينه و لمبدهه و للانسانية العامة :

ولازم هذا الاختناق طول عمر السجاد عليه السلام و فاصلة واسعة من عمر الباقر صلوات
 الله عليه فلم يستطيعا خلال ذلك - لا استمرار الرصد عليهما - من التبليغ المنظور
 لهما نعم كانت الفترات الطفيفة تؤاتيهما في بيان بعض الاسرار و كشف طرف من المعضلات
 و حل قليل من الرموز حتى آذن الحكم الاموي بالانحلال فانفرجت حلقتنا البطان عن
 خامس الائمة ففتح بابها على مصراعيه و اخذ يفيض بمحاضراته العالية على مئات بل الوف
 المحصلين و سرعان ما سارت الركبان بعلمه يتناقلها بلد عن بلد و فاضل عن فاضل حتى
 تخرج عليه في فترة محدودة كميات من افاضل العلماء لا تزال معاجم التراجم تنوء بهم
 و بمعلوماتهم و مضى الى رحمة ربه مستخلفاً بوليده العظيم القدر الجليل المكنة ابي-

عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

الدور الصادق : للقرون الاسلامية حدود وفواصل وليس مسيرها العلمي من مبتداه الى منتهاه على نهج فذوونيرة واحدة : كانت قضية التدريس و التدرس من زمن النبی الاكرم عليه السلام الى الدور الصادق بسيطة اللون مقصورة في غالبها على سؤال الفرد من الفرد - اولاً - وعلى الفقه والتفسير والحديث - ثانياً - لا يتعدى ذلك الا في طرف قليل فلما جاء الدور الصادق جاء دور المجتهدين والاجتهاد والكلام والفلسفة و تبسطت علوم الشريعة و تشكلت حلقات التدريس ونشطت الحركة العلمية بما لا ربط لونها بلون سابقها فكان الصادق عليه السلام محور ذلك كله كان استاذ الائمة الاربعة و لو بالواسطة وكان المصدر الوحيد في توجيه الاسئلة الكلامية المعضلة والجواب عنها وتحرير المسائل الفقهية المشككة والكلام عليها وعنوان الايات القرآنية والتبسط في حل رموزها وبيان وجهتها وما تهدف اليه من غرض عال :

وكان الآخذون عنده على كثرتهم و استمرارهم في التلمذ عليه صفوفاً واصنافاً فمتخصص في الحديث ومتكلم ضليح وفقه ما هو مفسر اختصاصي وفيلسوف ورجالي وهكذا شعب ممتازة ورجال علم لهم مكانة ودوى اسم يعرفهم بهذه السمات ويعترف لهم بذلك مؤلف الصادق ومخالفه فكانت الجامعة الصادقية في يومها ذاك من اهم الجوامع العلمية : فلا بدع اذا حاز الصادق في يومه ذاك وما بعده على سمعة علمية وافية تصافقت عليها الاجيال بالاعتراف والخضوع ولاتساع نطاق فضله اكبره تلامذته ومعاصروه ومن بعدهم اكباراً قلل من سمعة السابقين عليه واللاحقين له حتى طفحت الكتب الفقهية والحديثية والكلامية وصحف التفسير وزبر مشتتات العلوم بعلومه وتكررا اسمه في كل صفحة فضلا عن كل كتاب برمته هذا الى وقاره العظيم وشخصيته الجليلة وانتساب الفرقة الامامية الى اسمه مع اعترافهم بامامة احد عشر اماماً غيره :

الى هنا نختم هذا الجزء ونستقبل فيما يجيء

بحوث الجزء الثالث من

هذا الشرح

النفيس

دليل مطالب الكتاب

| الصفحة | العنوان |
|--------|--|
| ٣ | نهج البلاغة في المواعظ والزواجر |
| ٨ | لماذا خلق الله الخلق |
| ١١ | الى اى حد تجيز العقول تفاوت الناس فى ارزاقهم ومقاماتهم |
| ١٤ | افسام البشر ثلاثة منحرفون ومعتدلون ومتقون |
| ١٧ | شرح خطبة همام |
| ٣٤ | فكرة وعبرة |
| ٤٣ | الحياة والموت بين المبدأى والمادى |
| ٤٩ | اخطار الاحتضار والموت |
| ٤٣ | تحقيق معنى الكذب و ادلة تسويغه و تحريره |
| ٧٦ | الاحتضار وتوجيه التهويلات الواردة فيه |
| ٨٥ | شرح خطبته عليه السلام لفوله تعالى الهاكم التكائر |
| ٩٨ | سفن الفضاء |
| ١٠١ | قال لى وقلت له <i>كوميونر علوم رسيدي</i> |
| ١٠٧ | عظمة المثاليين |
| ١١٢ | المرتضى الانصارى |
| ١٢٠ | الامر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| ١٢٦ | وظائف المصلحين |
| ١٣٢ | وظائف الافراد |
| ١٣٥ | علل فساد الجوامع وطرق اصلاحها |
| ١٣٨ | كيف يجب ان يكون الزعيم المخلص |
| ١٤٦ | المادة والمعنى |
| ١٤٨ | مدارس الفلاسفة |
| ١٥٢ | الاسلام والمبادئ الارضية |
| ١٥٦ | الانحطاط فى عالم التحول |

| العنوان | الصفحة |
|---|--------|
| الحسنان وعناية النبي والوصى بهما | ١٤١ |
| شهداء الطف | ١٦٤ |
| سيد الشهداء | ١٧٠ |
| التشيع | ١٧٦ |
| وصية الامام لولده الحسن | ٢٠٢ |
| الانسان بين المادة والمعنى | ٢٣٢ |
| الحياة بين المادى والمبدأى | ٢٣٦ |
| المولد النبوى | ٢٤٦ |
| المقايسة بين الرجل والمرءة | ٢٥٩ |
| الزمان قديمه وجديده | ٢٦٦ |
| حياة تعاليم القرآن | ٢٧١ |
| هوية الفلسفة وتأثيرها فى العقول وكيان المجتمعات | ٢٧٧ |
| الالحاد منشؤه واثره في تدمير علوم ديني | ٢٧٩ |
| هل الالحاد بالمبدأ من لازمه الانهيار الاخلاقى | ٢٨٦ |
| حب النوع | ٢٨٨ |
| عوامل التفرقة والانشعاث | ٢٩٠ |
| ثورة الالحاد فى ربوع الشرق | ٢٩٣ |
| رجال الحقيقة | ٢٩٦ |
| التقدمية والرجعية | ٣٠٠ |
| اسرار نهضة سيد الشهداء | ٣٠٤ |
| الدين بين مقاهيمه ومصاديقه | ٣٢٥ |
| النجف مصدر النبوغ ومنطلق النوابع | ٣٣١ |
| مطلع الحقائق | ٣٣٨ |